

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة 01 -

كلية اللغة والأدب العربي والفنون

قسم اللغة والأدب العربي



التَّركيبُ اللُّغويُّ في سُننِ التَّرمذِيِّ الجُزءِ الأوَّلِ أنموذجاً
- دراسةٌ في الوَظيفَةِ التَّداوليَّةِ -

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربيّة

تخصّص: علوم اللّسان العربيّ

إشراف الأستاذ الدكتور:

بلقاسم دفه

إعداد الطالب:

عباس حشاني

الصفة	الجامعة	الدرجة العلمية	الأستاذ
رئيسا	باتنة 01	أستاذ التعليم العالي	الجودي مرداسي
مشرفا ومقررا	باتنة 01	أستاذ التعليم العالي	بلقاسم دفه
عضوا مناقشا	باتنة 01	أستاذ التعليم العالي	عز الدين صحراوي
عضوا مناقشا	جيجل	أستاذ محاضر -أ-	بوزيد مومني
عضوا مناقشا	سطيف 02	أستاذ التعليم العالي	نواري سعودي
عضوا مناقشا	بسكرة	أستاذ التعليم العالي	صلاح الدين ملاوي

السنة الجامعية: 1437 هـ / 1438 هـ / 2016 م / 2017 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ سورة النساء، الآية: [69-70]

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: [33]

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ سورة النَّحْلِ الآية: [78]

اللهم لك الحمد والشكر في الأولى، ولك الحمد والشكر في الآخرة، ولك الحمد والشكر من قبل، ولك الحمد والشكر من بعد، وآناء الليل وأطراف النهار، وفي كل حين دائماً وأبداً. وبعد:

وَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ مِنْ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ

لمثَلثُهُ لك حَتَّى تَرَاهُ لِتَعْلَمَ أَنِّي إِمرُؤٌ شَاكِرٌ

وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ فِي الضَّمِيرِ يُحَرِّكُهُ الكَلِمُ السَّائِرُ

الشكر الجزيل إلى من أنار لي درب العلم ، إلى الذي أشرف على هذه الأطروحة ، إلى الذي حباني بعلمه وعطفه ورعايته الأستاذ الدكتور الفاضل : "دفة بلقاسم" جزاك الله عني خير الجزاء.

إلى الأساتذة الأفاضل الذين تكرموا بقبول مناقشة الأطروحة أدامكم الله ذخرا وشكرا شكرا.

إلى والديَّ الكريمين... لكما مني أسمى آيات الشكر والتقدير.

إلى عائلتي الكريمة إخوتي وأخواتي... على دعمهم لي جزيل الشكر .

إلى التي آنتستي في إنجاز هذا العمل شكرا جزيلًا .

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم

الدين.

الإهداء

❖ إلى من اختارهما الله ليكون صاحبي الفضل عليّ بعده... أمي الغاليّة وأبي الكريم

❖ إلى عائلتي الكريمة إخواني وأخواتي أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي...

❖ إلى من أحببتُ ...

❖ إلى أساتذتي الأفاضل...

❖ إلى من تعلمت منهم ولو النزر اليسير...

❖ إلى الأخ الذي لم تلده أمي: صدّام

❖ إلى أصدقائي الأعرّاء...

❖ إلى كل من أعانني في إنجاز هذا البحث...

إليكم أهدى هذا العمل المتواضع

مقدمة

الحمدُ لله الذي هدى أوليائه نهج الهدى، وأجرى على أيديهم الخيرات ونجَّاهم من الردى، وأصلي على سيِّدنا المنقذ من الضلالة والعمى، محمد المصطفى عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أعلام التُّقى. وبعد ...

أحدثت السنة النبوية - بعد القرآن الكريم - تغييرا في الحياة العقلية، والاجتماعية والدينية للأمة العربية، وما كان ذلك إلا بتأثير لغته وتراكيبه البليغة صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه و المسلمين كافة؛ فهذب سلوكهم وبدل دينهم، ورسخ في أذهانهم ما فيه نفع وصلاح لهم وللرسالة المحمدية، كيف لا وهو من أوتي جوامع الكلم، فبلاغة الحديث الشريف بلاغة فردة، تشغل بال كلِّ باحث لساني، وتثير اهتمام الدارسين على تباين مقاصدهم ومشاربهم.

الحديث النبوي الشريف هو ذروة البلاغة البشرية، التي بما تستمال القلوب وتزبن المعاني، وتبلغ الأفكار وتُجسد المقاصد وتُثني الأعناق وتتقطع، وهي ثمرة من بلاغة السماء (القرآن الكريم)، فكانت بلاغة الأرض، روعة الكلم في كلامه صلى الله عليه وسلم.

أثمرت هذه البلاغة في دراسة تداولية وظيفية تطبيقية، لتداولية التراكيب النبوية الشريفة، فالتركيب اللغوي في الحديث الشريف محمل بالوظائف التداولية تتضافر ووظائف نحوية ودلالية بلون جمالي خاص، وأسلوب فخم راق، بما تحققت القصد وتجددت الأهداف وأثرت وغيَّرت وأقنعت ووجهت... فكانت تراكيب الأحاديث النبوية هي الدافع وراء اختيار الموضوع، الموسوم بـ:

التَّركيبُ اللُّغويُّ في سننِ التَّرمذي الجزء الأول أنموذجا - دراسة في الوظيفية التداولية-

في محاولة لنهل منافع ومقاصد الحديث النبوي الشريف، تحليلا لتراكيبه اللغوية وظيفيا؛ إذ يبحث المنهج الوظيفي عن دور كلِّ مكون لغوي، سواء أكان نحويًا أم دلاليًا أم تداوليًا في تكامل نفعي تداولي، ولغة تراكيب الحديث الشريف تُعدُّ بؤرة ثرة تُستقى منها الدراسات اللسانية، ولن نحيد عن الصواب إذا ما قلنا إن أولى الدراسات اللسانية يجب طلبها من اللغة المقدسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

فلللساني المتأمل في تراكيب لغة الحديث الشريف ، سيجد أنّ تعدد مدلولاتها بتعدد أساليبها، وهذا يُفضي إلى تعدد وظائفها ومقاصدها وإلى تنوع المخاطبين، فالمتلقي الجاحد المنكر له تركيب ، وللمتلقي الواقع في تردد وشك من التصديق تركيب، وللمتلقي المصدق تركيب يُبين ما سبق.

خصوصية التركيب اللغوي تضعه في علاقة تضافر مع القرائن التحوّية اللفظية منها والمعنوية ، ومع نظرية الأفعال الكلامية ونظرية الحجاج والإستراتيجيات التخاطبية في تضافر وظيفي تداولي.

مثلت خاصية التراكيب اللغوية دافع اختياري لموضوع البحث في دراسة وظيفية، ومنها أهمية البحث؛ إذ ارتبطت التراكيب اللغوية بفهم السنة وأحاديثها، وتكتمل وظيفتها في ركاب السنن والشروح والصّحاح، ومن جمع الحديث، فراحوا يتبعون معانيها ومقاصدها ودلالاتها وجماليّتها وأسلوبها.

وقد بدا لي أنّ أعول على شروح الأحاديث النبوية وتفاسيرها، فهي المفتاح الذي به يُفتح مغاليق الدلالات والمقاصد، وتتحدد بها الوظائف التداولية ويُحقق لها التطبيق، وهو اعتماد درءٍ للتأويل وتأصيلا لخصائص التراكيب اللغوية ووظائفها، كما أرادها صلى الله عليه وسلم.

قد دفعني إلى هذا البحث الأثر الذي خلفته الأحاديث النبوية في الواقع بتراكيب ميزتها اللفتة البلاغية والإشراق التّعبيرية البديعة ، وأسرارها الجمالية الإعجازية.

لست أزعم هاهنا الريادة في هذا البحث، فقد سبقني دراسات نذكر منها:

- دراسات لسانية في الحديث النبوي لأحمد عارف حجازي عبد العليم .
- الحديث النبوي في النحو العربي لمحمود فجال .
- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف لفالح حمد أحمد .
- الحجاج في الخطابة النبوية لعبد الجليل العيش .
- الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية لإدريس مقبول .
- الأبعاد الدلالية والتداولية للاستعارة الأيقونية دراسة لسانية في الحديث النبوي الشريف لغضّاب منصور الصقر .
- لغة الحديث الشريف في ضوء تداولية النحو العربي - الموطأ أنموذجا- لناصر الدين أبو خضر .

- سمات التّداول وفاعليّة التأثير في الحديث النّبوي الشّريف لنوال بومعزة .

مدار هذا البحث إنصبّ على خواص تراكيب الحديث النّبوي الشّريف وظيفيّاً : (وظائف تداوليّة، نحويّة ، دلاليّة) ،وعلاقتها بالحجاج والإستراتيجيّة والأفعال الكلاميّة ، وكذلك الأثر الذي يخلفه التركيب النّبويّ الشّريف في المتلقي إن تأثراً أم إنحجازاً أم تغيّراً في السلوك والمعتقد.

قد جعلت غايّتي في هذا البحث تطبيقاً في : سنن الترمذي الجزء الأول أنموذجاً، الذي جمع فيه أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم في باي: " الطهارة والصلاة" .

فضلاً عن الدراسات السابقة ، كانت أصول اللّغة والبلاغة، وتفسير الحديث أصلاً لدراستي التداوليّة الوظيفيّة، ومنها لسان العرب و الكشّاف والكتاب وإعلام الموقعين والبيان والتبيين، ومفتاح العلوم ، ودلائل الإعجاز، والبلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها لمحمد العُمري ، والتفكير البلاغي عند العرب لحماصي صمود، وبنية العقل العربي لمحمد عابد الجابري.

أمّا اللّسانيات فاعتمدت على كتب "أحمد المتوكل" :الوظائف اللّغوية ، وقضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات، واللّسانيات الوظيفية والخطاب وخصائص العربيّة...ومناهج البحث في اللّغة لتمام حسّان، واللّسان والميزان والتكوثر العقلي لطفه عبد الرحمن، والتواصل والحجاج وكتاب لسانيات الخطاب والأسلوبية والتلفظ التداولية لصابر الحباشة...

ومن كتب تفسير الحديث النّبويّ : تُحفّة الأحوذّي للمباركفوري ، والعُرف الشّذّي للكشميري بالإضافة إلى عدد غير قليل من المصادر والمراجع والأطاريح والدوريات، التي أغنت البحث في مادته .

اقتضت خطة البحث أن تكون في أربعة فصول تسبقها: مقدمة وتمهيد ومقفاة بخاتمة أما تمهيد تناول بلاغة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والخصائص التداوليّة في تراكيب الحديث النّبويّ.

جاء الفصل الأول بعنوان: "تداولية التراكيب اللغوية"، درست فيه:

التداولية مفهومها وعلاقتها بالتركيب ، والتداولية عند البلاغين العرب، وعند الأصوليين ، والتركيب اللغوي ، والوظيفة وأنواع الوظائف ، ونظريات التداولية متمثلة في : نظرية التلفظ والتواصل ، والحجاج والأفعال الكلامية واستراتيجيات الخطاب ، وثنائيات التراكيب اللغوية .

ثم درست في الفصل الثاني الموسوم "الوظائف التحويلية في تراكيب الحديث النبوي الشريف"،

واستعرضت فيه: الفاعلية والمفعولية في تراكيب الحديث النبوي الشريف في علاقة تضاfer الوظيفة والقرينة.

ودرست في الفصل الثالث: الموسوم بـ: "الوظائف الدلالية في تراكيب الحديث النبوي الشريف" ، وهي

المنفذ والمتقبل والمستقبل والأداة والهيئة... ومكوناتها.

ودرست في الفصل الرابع الموسوم بـ: "الوظائف التداولية في تراكيب الحديث النبوي الشريف" ، وهي

وظيفة البؤرة، ووظيفة المحور، ووظيفة المبتدأ ووظيفة الذيل، ووظيفة المنادى.

علاقة الوظيفة التداولية بالحجاج ونظرية الأفعال الكلامية وإستراتيجيات الخطاب، في تراكيب حديث

الرَسُول ﷺ، وختتمت البحث بأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

اقتضت طبيعة البحث المنهج الوظفي بإجرائه التحليلي والإحصائي، الذي قام على وصف التراكيب

والوظائف بأنواعها ، وتحليل تراكيب الحديث النبوي الشريف ، وما فيها من مقاصد ، وإحصاء لأنواع التراكيب

الاسمية والفعلية... في لغة المصطفى ﷺ، وهذا ما تفرضه الدراسة الوظيفية التطبيقية.

لقد كانت صُحْبتي للأحاديث النبوية ، وللتراكيب اللغوية في "سُنن الترمذي" ممتعة وشاقفة في آن معًا.

فيها عانيت من قلة الدراسات التداولية المطبقة على الحديث الشريف، وعانيت من مخافة التأويل والتقصير،

وكذلك في جمع مادة البحث وصعوبة التطبيق ، غير أنّ هذا العناء مُزج بحب العربية لغة القرآن ولغة رسوله محمد

ﷺ ، وممتعة مقاصد الرسول ﷺ من أحاديثه ، وكيفية تحقيق أهدافه لما يخدم الإسلام .

تقتضي معاني الأمانة والوفاء وردّ الجميل أنّ أبقى دائم الشكر لله ، ثم الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي المشرف، الأستاذ: "دفة بلقاسم" لجهده المتميز في مولد هذا البحث؛ فقوم ما أعوج منه ، وجبر عثراته ، وعالج ما أصابه من وهن، غير أنّه لا شيء يكتمل إلّا وظهر فيه النقص، وطموحي أن يعينني أساتذتي الأفاضل لجنة الحكم في تصويب هتات هذا البحث، ليكون أسلم وأقوم ، والشكر موصول لهم غير منقطع.

وبعد فإنني أمل أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، وأن أكون قد قدّمت ما فيه الفائدة للحديث الشريف ، و للغة العربيّة ولسانياتها، والشكر موصول إلى كلّ من قدّم لي يدّ العون في مرحلة إعداد هذا البحث .

ما كان في هذا البحث من صواب فمن الله عزّ وجل، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه، وحسبي الله أيّ بذلت جهدي ووسعي، وأسأل الله التوفيق، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

التَّمهيدُ: بلاغةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- 1 - بلاغةُ التَّرْكِيبِ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.
- 2 - حَوَاصُّ التَّرَاكيبِ اللُّغَوِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

1 بلاغة التراكيب في الحديث النبوي الشريف:

إنّ دراسة الحديث الشريف من منظور تداولي، ثراء للدراسات اللغوية الحديثة، لما اشتهر به الرسول صلى الله عليه وسلم من فصاحة وبلاغة وبلوغ مقصد.

وقد كان الحديث الشريف يُدرّس شرعا لاستنباط أحكامه، ومعرفة نواحيه وواجباته... لكنّ دراساته اللغوية التداولية كانت قليلة إذا ما قُورنت بسابقتها.

التداولية بكل ما ينطوي تحت عباؤها قدّمت للدرس اللغوي صرحا يقوم على العناية الفائقة بعناصر العملية التواصلية: إبلاغا ومقصدا وتأديّة، فهي علم بمثابة المفتاح يفتك شفرات المتكلم، ويُشخص حالة المتلقين، وكيفية بلوغ الهدف.

ليس من السهولة بما كان، أن تدرس لغة خير الأنام وخصائصها درسا لغويّا، فالرسول صلى الله عليه وسلم أُوتِيَ جوامع الكلم، وهو أفصح العرب إذ يقول: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ غَيْرَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ.»

فهو أبلغ ما عرفت المعمورة، تركيب معاني وتجميع ألفاظ، في أحاديث يعرف بلاغتها وفصاحتها العجم والعرب⁽¹⁾.

يظهر الدرس اللغوي في تراكيب الحديث النبوي الشريف جديد حديث، ومزيّة هذا الدرس، الكشف عن الخصائص التداولية في الحديث النبوي الشريف؛ بالوقوف عند علاقات الخطاب الموجه، ومناسبته، وتفاعل الخطاب النبوي، وتداولية ذلك، أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بتبليغ رسالة، ودعوة الناس للإسلام، فالمطلوب هو كشف مدى فاعلية ارتباط وتمازج الخطاب النبوي مع اللسانيات التداولية في تحقيق المقاصد، لأنّها تدرس المُستعمل من الكلام، وعناصر العملية التواصلية، ممثلة في حديث نبويّ من سنن الترمذي. ورغبة منّا في إيجاد عتبات التلاقي والتكامل بين رسول الأمة وحديثه، والوظائف التداولية وما يحتويه خطابه، أترنا أن نُبين أهمّ الوظائف التداولية، فالرسول موجه، ناصح، أمر، ناه... وفي كلّ هذه التراكيب المختلفة يختلف المقصد والإبلاغ.

(1) ينظر: عبد الفتاح لاشين: من بلاغة الحديث الشريف، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1982، ص: 13.

لهذا وجب الحديث عن البلاغة العربيّة، فالرسول ﷺ بُعث بمعجزة القرآن الكريم؛ لأنّ العرب اشتبهوا بالبلاغة والفصاحة، « وتُعَدّ البلاغة أحسن ما يتناول إبراز العلاقات التداوليّة في اللّغة، لأنّها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته: اللفظيّة، التركيبيّة، الدلاليّة، والعلاقات القائمة ببعضهما. »⁽¹⁾

يعني هذا أنّ البلاغة العربيّة أسّسها دينيّة، وهذا يرتبط مع لغة الحديث الشّريف؛ إذ تتميز بخصائص تداوليّة.

2 خواص التراكيب اللّغويّة النّبويّة الشّريفة:

لكي نُبين أكثر العلاقة القائمة بين التداوليّة ووظائفها والبلاغة العربيّة وصبغتها الإسلاميّة في لغة وبلاغة الحديث النّبويّ الشّريف، نذكر ما أورده "الرافعي" في خواص التراكيب النّبويّة، وفي ذلك وشائج قُرّبي وعلاقات نسب:

أ - البيان و اللّغة:

هما صناعتان في التّركيب بيّانية ولغويّة، فالتركيب في حديثه ﷺ محكم الصنعتين، وكلامه في الأولى « مُسدّد اللفظ، مُحكم الوضع، جزل التركيب، مُتناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه [...] ثمّ لا ترى فيه حرفا مضطربا؛ ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتمّ منها أداءً للمعنى، وتأتي لسره في الاستعمال، ورأيته في الثانية حُسن المعرض، بيّن الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، حيّد الرّصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللّمحة، ناصع البيان. »⁽²⁾

يُوافق هذا في التداوليّة: الإبلاغيّة والقصديّة، ووظيفيّة التراكيب.

(1) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، الطبعة الأولى، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 154.

(2) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1983م ص: 325.

ب - الإيجاز والقصد:

هو التَّوجُّه إلى وضع المعنى المراد إبلاغه في ذهن المتلقي بقصد التَّوجيه، والإقناع... فالبلاغة لها مع التداوليَّة وجوه كثيرة « منها ما يكون في السَّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعا [...] ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحيِّ فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة.»⁽¹⁾

ويتضح أنّ للتداوليَّة وظائف تظهر جلياً في البلاغة، فالصمت له وظيفته والإشارة لها وظائف تداوليَّة عديدة انتباهيَّة، حجاجيَّة، تلميحيَّة...

كما يذكر "الجاحظ" في بلاغة الحديث النبوي الشريف بأنّه: «الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثُر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة وئزّه عن التكلف.»⁽²⁾

قد يُؤدّي الإيجازُ المقصدَ مع الإبلاغ في وجهه الصحيح الوظيفة المرجوة من الخطاب، بالنظر للمقام وحالة المتلقي.

⁽¹⁾ أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق محمد هارون عبد السلام، الطبعة السابعة، الجزء الأول، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص: 115، 116.

⁽²⁾ مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، ص: 282.

ج- الوحيُّ القوليُّ الخطابيُّ:

الله سبحانه وتعالى أهدى لهم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طريق جبريل للقول الصائب بقرآنه وفي حديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنَّ التبليغ لا يكون إلا بقول أو خطاب، له قوَّة السَّحر مع البيان في الحجَّة في تركيب له مقصد موجز يؤدي نية المتكلم في المتلقي، ولما كان هذا من عند الله كان الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطابه وأسلوبه مقدس المعاني والألفاظ؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽¹⁾

تظهر لغة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخصائص تداولية في الإقناع والإيجاز وبلوغ المقصد، مع تغيير الخطاب وأسلوبه، كأسلوب الحوار وأسلوب التدرج وأسلوب الرفق وأسلوب اللين، كما يتنوع الخطاب النبوي مع تغيير الوظيفة التداولية؛ فالخطاب العقلي يختلف والخطاب العاطفي والجدلي والحجاجي... ثمَّ لكل أسلوب ولكل خطاب مسألة إقناعية وتداولية وقدرتها التأثيرية ووظيفتها التركيبية، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى الزينة، ولا يبغى إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يُجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريد». ⁽²⁾

النبويُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان محاورا كان مجادلا كان مُوجِّها... فهو متحدث ماهر، عارف بأحوال المخاطبين مراعي الفروق بينهم، فلكل خطاب وظيفة، ولكل مخاطب صفة متكلم. والنظريات التداولية الحديثة تبحث في فنَّ القول والخطاب وإقناع الآخر وبلوغ المقصد، قد كان للرَّسول وللعرب سبقا في ذلك.

للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محطَّات تداولية بامتياز بدءاً من كشف نوع الخطاب: حوار، وجدل، وتوجيه، ونصح، مع النَّاس، لأنَّ البشر يختلفون في مستوى تفكيرهم فيما بينهم، لهذا يتطلب الخطاب النبوي - خاصة - نوعا معينا تبعا لحالات المتلقي والمناسبة؛ لذا لا بدَّ أن تُبيِّن وظيفية التراكيب اللغوية أو الخطابية في مضامينها التداولية، والتركيب نقصد به الجملة في معناها التام، ومن ثمة دلالة الخطاب لبلوغ المقصد ثمَّ معرفة الوظيفة ثمَّ نتيجة الخطاب؛ إذ تختلف الدلالة والوظيفة بحسب سياق التركيب الذي ترد فيه.

⁽¹⁾ النجم: الآية: 413.

⁽²⁾ مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 282.

التَّركيب اللُّغويُّ أو الخطابيُّ في الدرس اللساني يقابل مصطلح "العلامة التداولية" ، وتكمن أهميتها في كونها أهم عنصر في الاتصال الخطابيِّ بين متكلم ومتلقي.

كما يُضاف إلى هذا أنَّ العلامة التداولية تشكّل التفاعل الخطابي ، والتفاعل هو احتواء التَّركيب اللُّغويِّ وظيفته تداولية، ونحوية، ودلالية، وحجاجية، وتفسيرية... من خلالها يعمد المتكلم إلى تحقيقها، وهي تمثل مقصده وعليه إبلاغه، فهي وظيفة تداولية بلاغية اجتماعية.

إنَّ الوظيفة في تركيبها اللُّغويِّ الجُمليِّ الخطابيِّ تسعى إلى إحداث التفاعل لدى المتلقي؛ ليشرك به مع التَّركيب، ونتيجةً لذلك يتحقق المقصد في تغيير معتقد أو سلوك أو موقف.

انطلاقاً من هذا يقتضي الحديث النبوي وظائف تداولية، تتفاعل تبعاً داخل تركيب لغوي، بالإضافة إلى مقصد وإبلاغ ونية التأثير في المتلقي، يقتضي هذا الكشف عن نوع هذه الوظيفة ووسائلها وغايتها.

وصاحب الحديث الشريف الرسول عليه وسلم له قدرته على بث وتحقيق الفعل والمقصد في المتلقي، وذلك لما نشهده في إقناع الآخر من خلال سنن الترمذي.

فإنَّ كانت الوظيفة التداولية والحجاجية هي الغالبة على مختلف التراكيب اللُّغوية الأمرية، والاستفهامية، والتعجبية، والتدائية... فإنَّ الإستراتيجيات الأخرى التلميحية والتضامنية تكون مركزية في تراكيب وثانوية في أخرى.

إنَّ كان الخطاب القرآني خطاب وظيفي زاهر بالوظائف، التداولية فالحديث النبوي ثمره منه تابع له، وهو الخطاب المقدس بعد القرآن الكريم.

الرسول عليه وسلم يخاطب النَّاسَ بغية إقناع، بغية تغيير معتقد، تغيير سلوك، لتصب كلُّها في قالب الدَّعوة إلى دين الإسلام.

والتداولية في جوهر نظرياتها: النظرية الحجاجية، والأفعال الكلامية والوظائف التداولية، تسعى إلى ممارسة فعل لغويِّ يحقق لها وظيفة مقصودة؛ فالنظرية التداولية وهي الأم، تراعي شروط تحقيق هذه الوظيفة من مقام؛ أي

من شروط لغويّة وأخرى خارجيّة فهي « نظرية استعمالية، تدرس اللّغة في استعمال الناطقين بها، ونظرية تخاطبيّة تُعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء الاستعمال للّغة. »⁽¹⁾

يعني هذا أنّ التّداولية تُعنى بالشروط التي من شأنها تحقيق هدف الخطاب، كما توصف بأنّها نظرية تخاطبيّة لاهتمامها بالتبليغ والتّواصل، وهي تتلاقى مع البلاغة العربيّة في كثير من المباحث والأهداف، ويظهر ذلك في نيّة التأثير و القصد في إيصال المعنى؛ إذ البلاغة والتداوليّة البرجماتيّة تتفقان في اعتمادها على اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي، على أساس أن النّص اللّغوي في جملة إنّما هو نصّ في موقف.⁽²⁾

يمكن أن يكون النّص هو التركيب الخطابي، نتج عن نيّة في المتكلم، وهدف من خطاب، أو قصد يمارسه المتكلم لغويّاً سعياً لتحسينه على متلقي.

الممارسة اللّغوية تدخل حيّز اهتمام التّداوليّة، وفنّ التركيب والقول يدخل حيّز البلاغة العربيّة، وعليه فجوهر ما تصبو إليه التّداولية أو البلاغة هو كشف الوظيفة التّداولية ضمن التركيب اللّغوي حسب مقتضى الحال والمقام، فكلّ وظيفة تحمل قصداً ملتبك وهو الهدف المرجو تحقيقه.

تنظر التّداوليّة إلى عناصر التواصل المتكلم والمتلقي، والخطاب والمقام... بغية إبراز العلاقات القائمة بين عناصر العملية التّواصلية والإبلاغية؛ فالتركيب اللّغوي يخضع في بلوغه للقصد وتحقيق الهدف إلى كفاءة المتكلم، وفطنة المتلقي حتّى يحصل الفهم والإفهام.

على المتكلم الإفهام وعلى المتلقي الفهم فهي تُعنى بقوانين تفسير الخطاب وتُعنى بشروط إنتاج الخطاب، فالتّداوليّة بلاغة لغويّة تراعي شروط تفسير الخطاب، وشروط إنتاجه ضمن تركيب لغوي نفعي ومحقق لمقصده.

إنّ التّركيب التّداولي اللّغوي يحتاج لمتلق متزود بتقنيات وآليات بلاغيّة، لا سيّما الخطاب النّبوي الذي يمثل الدستور الدّيني بعد القرآن الكريم؛ ليصل إلى مآربه.

⁽¹⁾ ينظر: راضية خفيف بوبكري: التّداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مقارنة تداولية مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، العدد: 399، دمشق، تموز، 2004.

⁽²⁾ صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، 1992، ص: 89.

إنَّ الحديثَ النَّبويَّ خطابٌ يقوم على البلاغة والتداولية ، وتحميل التركيب اللُّغوي وظيفة مقصودة لها هدف محقق ، وعليه فتداولية وبلاغة الحديث النَّبوي في تراكيبه اللُّغويَّة وتأديته لوظائف خطابية، يتطلب شرح بلاغة الحديث النَّبوي في توجيهاته، وحوارته، وأحكامه... وما مدى تأثير هذا في بلوغ المقصد وخدمة الدَّعوة إلى الإسلام.

قصديَّة الخطاب النَّبوي قائمة على تغيير سلوك ونزع معتقد ، وترسيخ دين جديد ضمن تراكيب لغويَّة، ينتجها الخطاب النَّبوي حاملة لوظائف تداولية: تُفهم وتُستنبط من التركيب ونوعه ، والرَّسول ﷺ له فضل البلاغة والفصاحة والكفاءة والقدرة اللُّغويَّة، يقف عندها تحقيق المقصد وبلوغ الهدف، « فاللغة هي المجال الذي تنكشف فيه القصديَّة المقرونة بالتواصل بأجلى مظاهرها.»⁽¹⁾

فإنَّ قناع النَّاس بالتَّخلي عن مقصد راسخ في عقولهم ، وتغيير سلوكيات ألقوها وتعودوها ليس بالأمر الهين ، تحققت كلُّها ضمن تراكيب لغويَّة نبويَّة وظيفيَّة.

بالعودة إلى فحوى الحديث النَّبوي وخطابات الرَّسول ﷺ، وطريقة دعواه وترسيخ الدين الإسلامي في أذهان المسلمين، وكيفية تعامله مع أصحابه مع أعدائه مع أزواجه مع النَّاس، نكتشف أنَّ الحديث النَّبوي الشَّريف خطاب تداوليٍّ وظيفيٍّ بلاغيٍّ بامتياز؛ نظرا لكل ما كان يفعله الرَّسول ﷺ صمته وحديثه، حلّه وترحاله، نهيته وأمره، استفهامه وجوابه، غضبه وفرحه ، لينه ورفقه، شدَّته وعنفوانه، سواء كان هذا الخطاب حديث أم سلوك، فكل ما كان يفعله الرَّسول ﷺ بلاغة تداولية تحمل وظائف قصدها نبيِّ الأمة لخير هذه الأمة.

الحديث النَّبويِّ خطاب دعوة للإصلاح والهدى، ويهدف إلى ترسيخ وضع معتقد جديد واجتثاث معتقد راسخ ، وهذه التَّدالويَّة الوظيفيَّة في أسمى مظاهرها، بمنظور حجاجي، والوظيفة الحجاجيَّة هي: «عمل غرضه دائما أن يُغيَّر وضعا قائما.»⁽²⁾

الحديث النَّبويِّ غيَّر حال الأمة العربيَّة ، ثم غيَّر حال البشريَّة جمعاء، وأصلح المؤمنين ونصح ووجه وأرشد وهدى النَّاس إلى الصلاح.

⁽¹⁾ طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1997، ص: 259.

⁽²⁾ Perelman et Tyteca : Traité de l'argumentien / Bruxelles.P :72.

إنّ الوظائف التداولية في التركيب اللغوي تسعى إلى تحقيق نتيجة، والخطاب النبوي تراكيبه وظيفية تداولية ، له بلاغته الخاصة لأنّه خطاب دعويّ ، وهذا حقل البلاغة البرهانية الجديدة؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾⁽¹⁾

الخطاب النبويّ يقوم على الاستدلال والإقناع والتأثير، لكيّ يهتدي الناس والخطاب «في أعمّ مفاهيمه كل قول يفترض متكلما وسامعا، مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع.»⁽²⁾

هذا الأخير - السامع أو المتلقي - متعدد في الخطاب النبوي، فقد نجد متلق مقصود وينطبق الحديث على باقي المسلمين، فهو متلق خاص ثمّ متلق عام، إذا عمم الحكم وما ورد فيه، ونوع منه يخصّ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالحديث النبويّ في بلاغته وتداوليّة خطابه ووظائف تراكيبه قويّ الحجّة، هادف المقصد، محقق للوظيفة التداوليّة في كل أنواع خطابه، وبكل إستراتيجياته؛ ذلك لما حققه الرسول صلى الله عليه وسلم من إحداث تأثير في المتلقي بآليات حجاجية وتقنيات لسانيّة ووسائل بلاغية ووظائف تركيبية نحوية دلالية، مكنته من تبليغ الرسالة وتأديّة الأمانة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم له حكمته وقدرته اللغويّة البلاغيّة في إقناع المخاطب في هندسة تركيبية تداوليّة وظيفيّة فريدة.

إنّ المتأمل في أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم وطبيعة تراكيبه النبويّة، يجد أنّ دلالات وألفاظ وتراكيب تنبع من أصل جوهر اللّغة العربيّة ، وهذا ما يدلّ على ثراء اللّغة العربيّة وبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾⁽³⁾، ويقول: ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾⁽⁴⁾،

⁽¹⁾ سورة: الفتح، الآية: 08.

⁽²⁾ Emile Benveniste : Problème de Linguistique générale. Edition Gallimard. p: 246.

⁽³⁾ سورة: يوسف، الآية: 02.

⁽⁴⁾ سورة: البقرة ، الآية: 151.

ويقول أيضا: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ﴾⁽¹⁾، ويقول: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽²⁾

وللرسول صلى الله عليه وسلم ، أساليب كثيرة في دعوته نذكر منها:

الحوار: فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم، جوهر الإسلام وحقيقة الدعوة إلى الله وطريقته وهو يحاور برزانة « بعيد عن الغضب وسمح بحريّة الرأي، ثمّ ألقى الحجّة الواضحة، لذا كان أسلوبه في الحوار يتّسم بسعة الأفق ، وحسن التدبر بالمنطق الذي يليق به بمن يُريد إقناع المخالف له.»⁽³⁾

كذلك في أسلوب الإقناع والتأثير فالرسول صلى الله عليه وسلم، يكون دائما متلطفا ليّنا مع المتلقي إذا خاطبه، وغيرها من الأساليب المحمدية للدعوة الإسلامية و في معاملات الحياة.

إنّ التأثير في النفوس إنّما يصلح من قدرة المبدع المتكلم ، ورونق تركيبه للألفاظ والعبارات؛ لأنّ وظيفة التركيب اللغوي هي تحقيق الهدف والمقصد للمتكلم والسامع.

ولما كانت غاية النبي صلى الله عليه وسلم هي « الدعوة إلى الله عزّ وجلّ وفق منهج القرآن الكريم وأسلوبه في مخاطبة النفوس والعقول، فإنّ أساليب الخطاب اختلفت وتنوعت تبعا لتنوع تلك النفوس والعقول واختلافها»⁽⁴⁾، قد راعى الرسول صلى الله عليه وسلم مستويات مخاطبيه وحالهم، لأنّه رسول بُعث لكافة التّاس، للعالم والجاهل، الكبير والصغير...

(1) سورة: ص، الآية: 20.

(2) سورة: النحل، الآية: 125.

(3) جنان محمد مهدي العقيدى: لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي، العدد الخاص الثاني، السنة الثانية، 1434هـ/2013م. ص: 241.

(4) نفسه: ص: 244.

إنَّ تنوع التراكيب اللغوية التداولية: تركيب حوارى، تركيب خبرى، تركيب جدلي، تركيب إنشائي... له أثر جليّ في تغيير مجرى الخطاب، ووقع الأسلوب أو مناسبة التركيب مع نفسيّة المخاطب ومستوى تفكيره وحالته وقد نصح الرسول ﷺ في هذا أيّما نجاح ، وهو العارف بأحوال من يُحدث ، وبما في نفوسهم.

يتأسس الخطاب النبوي وفق عناصر تداولية بلاغية وهي:

- موافقة الكلام لمقتضي الحال.
- تشكيل الملائمة السياق الخطابي والتركيب اللغوي.
- معرفة حال المتلقي والمقام.
- الوظيفة التداولية ومدى مناسبتها للتركيب اللغوي الخطابي.

والنتيجة أنّ التركيب اللغوي بهذه الميزات يكتسب صفة البلاغة ، ويؤثر على المتلقي أثرا بالغا.

إنّ الباحث المتفحص في الوظيفة التداولية وتراكيبها اللغوية، يلحظ أنّها ارتبطت بالبلاغة، ومنها علاقتها بالمتكلم، ومنها ما يرتبط بالمتلقي « ففي النموذج البلاغي للتواصل، يحتل متلقي الخطاب المقام الأول بدون منازع. »⁽¹⁾

ومنها ما يرتبط بالمتكلم فينبغي « للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات »⁽²⁾ ، وهذه إشارة إلى وظائف في التركيب الخطابي إيصالها وتحققها، يحصل الفهم وتتأدى المقصدية والابلاغية ، ومنه فالبلاغة « نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية تصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد. »⁽³⁾

(1) هنريش بليث: البلاغة نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1999، ص: 24.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، الجزء الأول ، ص: 139، 138.

(3) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 89.

والبلاغة « تداولية في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضها.»⁽¹⁾

نخلص من هذا إلى أنّ التداولية والوظائف والتركيب اللغوي الخطابي البلاغي تشترك مع البلاغة في مباحث يجتمع فيهما أو يشتركان فيهما المقصدية والإبلاغية، التأثير والإقناع، الفهم والإفهام...

إنّ للبلاغة العربية والتداولية علاقات قرّبي ونقاط تلاق وتكامل، وقد لبست البلاغة العربية عباءة جديدة بظهور التداولية؛ إذ اهتمت الأخيرة بكل ما هو بلاغي، القصد في الكلام، المتكلم والمتلقي والسياق والوظيفة و الهدف من الخطاب... ثمّ إنّ الرواج الذي نال البلاغة العربية في أوساط عدة قد شكلت دعامة وترسانة للدرس العربي، تدل على سبق عربي في الدراسات اللغوية، وقد بنت صرحا يعود إليه الباحثون إذا ما دُعوا إلى البحث في اللّغة والاتصال والتواصل.

قد بلغت البلاغة التداولية العربية الذروة، وحازت قيمة كبرى بارتباطها بمقصدية الدعوة للإسلام قرآنا وحديثا، كون الخطاب القرآني خطاب مُوجّه للبشرية، وكون الخطاب النبوي يمثل رسالة اتصالية مُوجّهة من خير الأنام وخاتم الأنبياء.

الخطاب النبوي الشّريف يقترب من لغة الحياة اليومية للمسلمين في كلّ أحاديثهم ومخاطباتهم، فهو يمتاز: « بخلوه من الحشو و من الصور الخطابية العاطفية التي تعتمد على العاطفة وحدها دون العقل [...] وأنه يتجلى في أسلوب الحديث النبوي، العقل الناطق بأبلغ وأوجز تعبير معتاد.»⁽²⁾

الخطاب النبويّ مُوجز في معانيه مخاطب للعقل، محقق للقصد مصيب للهدف، وهي وظائف تداولية وخصائص تداولية تتوفر في التركيب اللغوي للحديث النبوي الشّريف.

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 89.

(2) مصطفى الزرقاء: مقارنة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن، مجلة الأدب الإسلامي، العدد السابع، السنة الثانية، 1995، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مطابع مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 63.

هو خطاب « يُعدّ في القمة من البلاغة العربيّة، وهو نموذج فريد للبيان العربيّ الدالّ والمفيد.»⁽¹⁾

إنّ دراسة التّركيب اللّغوي دراسة تداوليّة، واكتشاف الوظائف التداوليّة عمل بلاغيّ يبدأ من رسول الأمة محمد ﷺ، وهو المتكلم ثمّ إلى خطابه في كيفية إيصال المعنى لقلوب وعقول البشر، إذ يقرر أحكاما تشريعيّة ربانيّة إلهيّة، شكلت كتابا مقدسا ثانيا بعد القرآن الكريم، به انتفع المسلمون ونفعوا، فجاء الخطاب النّبويّ خطابا تداوليا وظيفيّاً، وبلاغيّاً حجاجيّاً، ومقصديّاً إبلاغيّاً... يتضمّن كلّ ما هو تداوليّ بلاغيّ، ووظائف تداوليّة وحجاج، أفعال كلاميّة وإستراتيجيّات خطابيّة يقتضيها أيّ خطاب.

الخطاب النّبويّ الشّريف يحتوي على وظائف تداوليّة في تراكيبه وعلى آليات إقناعيّة ووسائل حجاجيّة

صلّى الله
عليه وسلّم .

وإستراتيجيّات تداوليّة، تُنمّ عن كفاءة وقدرة وبلاغة وفصاحة نبيّ الأمة

⁽¹⁾ صابر عبد الدائم: من أهم الملامح الفنية في الحديث الشريف، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الثالث، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص: 22.

الفصل الأول

الفصل الأول: تداولية التركيب اللغوي.

- 1 - التداولية.
- 2 - التداولية عند البلاغيين العرب.
- 3 - التركيب اللغوي.
- 4 - الوظيفية والتداولية.
- 5 - أنماط الوظائف اللغوية .
- 6 - المدرسة الوظيفية.
- 7 - النظرة الوظيفية للجملية (التركيب).
- 8 - الوظائف اللغوية عند: "رومان جاكسون".
- 9 - نظريات ومفاهيم وظيفية تداولية.
- 10 - إستراتيجيات الخطاب .

توطئة:

إنّ الأبعاد التداولية والوظائف التداولية من ميزات الحديث النبوي الشريف، ويتجلى ذلك في آليات تداولية، ووسائل بلاغية يعتمدها الحديث في تراكيبه اللغوية، كما يتجلى ذلك أكثر في الأساليب النبوية الشريفة ودلالاتها، فمن « المهم جدًا فهم السنّة فهمًا صحيحًا، والتأكد من مدلولات الألفاظ التي جاءت بها السنّة، فإنّ الألفاظ تتغير دلالتها من عنصر لآخر، ومن بيئة لأخرى، وهذا أمر معروف لدى الدارسين لتطور اللغات وألفاظها، وأثر الزّمان والمكان فيها.»⁽¹⁾

التداولية من أكثر العلوم تشعبًا، فهي تنفتح على أكثر من علم، واتجاه مبحث الوظائف التداولية رافد من روافد التداولية يتعلق بخصائص تداولية وأخرى بلاغية كما لها نظريات: الحجاج، وأفعال الكلام، والتلفظ. تُعدّ قضية الوظيفة التداولية في تراكيب الحديث النبويّ قضية جوهرية، والتي تُظهر شغفًا بالغ الأهمية، من لغة وبلاغة الخطاب النبويّ وتراكيبه، ألا وهو: دلالة المنطوق أو التركيب اللغوي وقصدية في سياق محدد ومقام خاص، ذلك أنّ التراكيب اللغوية في الحديث النبويّ الشريف كانت بمثابة الدليل الدال عن البعد التداولي الخطابي. البعد التداولي الخطابي له وزن كبير في تحليل التراكيب اللغوية، يربطها بمقاماتها الخارجية والسياق، وحتى المناسبة التي قيل فيها الحديث الشريف، كما أنّ للذين شرحوا الأحاديث النبوية من مفسرين، وأصوليين...قدموا تحليلًا تداوليًا بامتياز لا سيّما التي تتناول القصد والتبليغ، ونوع الدلالة، وقوة التفاعل الخطابي بين التركيب، ومختلف سياقاته الخارجية؛ فالتداولية تنظر في الوظائف والدلالات المتعلقة بالمقام والمقاصد، حتّى الوصول إلى قصد المتكلم.

قد جاء في الحديث النبوي الشريف، بتراكيب ثرية بالوظائف التداولية تتناول جوانب عديدة من معاملات الحياة...فمثلت التركيب اللغوي التداولي في بعده الخطابي، ووظائفه البلاغية.

⁽¹⁾ يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، دار المعرفة، الدار البيضاء، ص: 170.

1-1- التداولية: "Pragmatic":

تعدّ فرعاً من فروع اللسانيات التطبيقية تُعنى بتلك المكونات الوظيفية التركيبية، كما تدرس الدلالات والمقاصد الناجمة من توظيفها، وتبحث في كيفية استعمال اللغة للوصول إلى هدف مقصود

التركيب اللغوية تراكيب دالة على معاني، خاضعة لاستعمال اللغة وهذه الأخيرة تكشف قصد المتكلم؛ فهي تؤدي وظائف تداولية مع ممارسة فعل كلامي في سياق محدد تساعد في تحليل الخطاب، ومنه الخطاب النبوي الشريف.

تتجاوز التداولية «محددات الدلالة إلى دراسة مدى إمكانية الكشف عن قصديّة المتكلم من خلال إحالة الجملة إلى السياق لمعرفة مدى التطابق أو عدم التطابق بين دلالة الجملة لسانيا وظروف السياق... للكشف عن مجموعة القوانين العامة التي تتحكم بتحديد دلالة المنطوق سياقيا»⁽¹⁾

قد توسّع بحث التداولية فصار لا يدل على الدلالة فحسب بل تعداه إلى الوظائف التداولية في تركيب لغوي، فما يحيط العملية التواصلية من مقام وسياق، ظروف لها أثر في وظيفة الحدث الكلامي، والتداولية قد ركزت في بحوثها على عملية التواصل بين مستعملي اللغة، فضلا أنّها درست قصد المتكلم والسياق، فهي «قاعدة اللسانيات وهي درس جديد وغزير»⁽²⁾

وهي تدرس العلاقات «التي تشير إليها التراكيب اللغوية، والعلاقات القائمة بين اللغة والسياقات التي تُستعمل فيها، والذين يصنعون هذه السياقات هم الناطقون بها»⁽³⁾

هذه العلاقات في مضمونها ووظائف تداولية، وهي تتغيّر وتتأثر بما يحيط العملية التواصلية من ظروف، ومنها تتغيّر قصديّة المتكلم، وهذا ما يجعل التداولية تكشف مجموع الوظائف المتوخاة من الفعل الكلامي.

(1) معن الطائي: التداولية منهجا نقديا، جريدة الأديب، العدد: 58، السنة الثانية، بغداد، 2005، ص: 22.

(2) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1987، ص: 08.

(3) سمير شريف استيتية: منازل الرؤية، منهج تكاملي في قراءة النص، دار جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن، ص: 113، 115.

هي مزية تُحسب للتداولية بأن أولت اهتماما كبيرا للعملية التواصلية مع عناصرها من جهة، ومنحت أهمية للمقام والظروف السياقية من جهة أخرى؛ لأن من شأنها كشف المقصد وكشف الحجّة، وبلوغ الهدف من الخطاب.

المتكلم في تداوليته لا يمكن أن يبني كلامه « في عزلة تامّة عن العالم من حوله بصفة عامة، وعن مخاطبه بصفة خاصة ، بل هو يفعل ذلك في ضوء الفرضيات التي يكون قد بناها مسبقا عن شخصية هذا المخاطب، الاجتماعية ومكانته اللغوية واستعداداته التأويلية والاستدلالية.»⁽¹⁾

تداولية المتكلم تكمن في الإستراتيجية التوجيهية التي بها يُوجّه خطابه بمراعاة الظروف السياقية والمقام ، وكلّ متعلقات المتلقي ، حتّى يصل لمقصده من الخطاب، وتحقق الوظيفة التداولية في تركيبها الدلالي اللغوي الخطابي، التي تُكوّن على حسب فرضيات المتلقي، وقدرته على فهم المقصد وتلقي الخطاب.

إنّ الخطاب النبوي الشريف في تراكيبه ووظائفه التداولية، يحتاج إلى قارئ أو متلقٍ يمتاز بتداولية ، وآليات ووسائل يفكّ بها شفرات الحديث الشريف، فالرسول ﷺ موجهٌ بحديثه للناس، وهو خطاب تداولي بامتياز، فالحديث الشريف مبني على فكرة التواصل بين الدّين والحياة ، وهذا ما تراعيه التداولية قصدية الخطاب ثمّ علاقته بالواقع ؛ فهي تعالج « كيف تتفاعل الخصائص اللغوية والعوامل النصّية في تأويل الملفوظات لثمّكن السامعين من جسر الفجوة بين معنى العبارة ومعنى المتحدث»⁽²⁾ ، ينبغي لمن يقرأ الحديث النبوي الشريف أو يبحث فيه، أن يعرف الوجوه التي وضعت له، وإلى أيّ مقصد بلغ قائله فيه، فإنّ متناول الحديث متى لم يفعل ذلك لم يدرك ما عُنيَ بتلك التراكيب والخطابات.

إنّ استحكام "الوظيفة التداولية" في التركيب اللغوي تُشخص المقصد الذي يُرجى بلوغه ، فهي الأداة الإجرائية التي تُحلّل الخطاب النبوي، وهي بمثابة الإستراتيجية المعتمدة في التركيب اللغوي، وفعله الكلامي وقوته التأثيرية، ودلالاته البلاغية.

⁽¹⁾ إدريس سرحان: طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2000، ص: 98.

⁽²⁾ فالح حسن: التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تحريبا، مجلة الأقلام، عدد خاص عن التداولية، أيلول/ تشرين الأول، 05 ، 2008 ، ص: 21.

التداولية منهج لغوي لساني حديث يقوم بتحليل الخطاب وكشف عتماته، بنظريات ووسائل معينة حيث تجعل واقع اللغة الداخلي يقابل الخارجي منها، فهي تحمل في طياتها كثيرا من القيم الاجتماعية ومفاهيم لسانية، مع مراعاة خصوصية الخطاب، وقيمه الدينية الخطاب النبوي الشريف.

التداولية تبحث في العلاقات القائمة بين عناصر العملية التواصلية ونوعية الوظائف التداولية حيث تعرف التداولية بأنها « دراسة علاقة العلامات بمستعملها، أي اللغة في أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية»⁽¹⁾، بهذا تكون التداولية لسانيات لها منهج ولها نظريات، تهتم بطرائق استعمال المتكلمين لعلامات لغوية، كما تُعنى بالجانب الاتصالي وتحلل طبيعة العلاقة بين اللغة ومستعملها.

تجدر الإشارة إلى أنّ لتداولية لسانيات اتّسعت وتشعبت وتداخلت معرفيا مع كثير من العلوم، وتعدّ الفلسفة التحليلية هي أصل التداولية⁽²⁾، وهي علم صفته الانفتاح « وهذا ما يجعل الحقل المعرفي للبرغماتية شاسعا؛ إذ يمكن أن يضم اللسانيات والاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي»⁽³⁾، يتدو التداولية علم ا يلقي ظلالة على أكثر من علم، وقد أفضى هذا إلى تعدد مهامها وطرق معالجتها للغة. فتجاوزت بذلك الكينونة اللغوية في وجودها وحيّرها المغلق عنها، إلى كلّ ما يحيط بعملية التواصل واستعمال اللغة حسب مقصدية المتكلمين وحالة المتلقيين.

قد أصبحت التداولية ملاذ الدارسين والباحثين في الوصول إلى فحوى الخطاب وهدفه، وقصد المتكلم، والوظيفة التركيبية، ونوعية التركيب، كما تعالج التداولية أنواع التراكيب اللغوية، مع كشف وظيفة كل نوع، سبب تغيير التركيب، كما ترى حال ومستوى المتلقي...

للتداولية علاقات مع علوم، وكلّ علم تأخذ منه وظيفة أو طريقة معالجة.

(1) يوسف سليمان عليان: البعد التداولي عند الأصوليين - ابن قيم الجوزية في كتابه "بدائع الفوائد" نموذجاً - مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 53، رمضان 1432هـ/ جامعة الملك خالد، كلية العلوم والآداب، ص: 480.

(2) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تموز، يوليو، 2005، ص: 15.

(3) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنياته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2008، ص: 16.

أما علاقتها بالبلاغة فهي واضحة، فالبلاغة جوهرها تداولية فأخذت عن البلاغة وسائل التأثير، والعلاقة بين المتكلم والسامع والمقام...وأما علاقتها بالدلالة، فإن كانت الدلالة تسعى لكشف المعنى القوي، فالتداولية تبحث عن استعمالات ذلك المعنى، وكيف السبيل لجعله نافعا ضمن ممارسة لغوية. وأما علاقتها باللسانيات الاجتماعية، فتشترك والتداولية في معالجة الممارسات اللغوية وسبب تغيرها، مع الاهتمام بحالة قطبي الخطاب (المتكلم والمتلقي)، ووظيفة الأفراد المخاطبين ومستوياتهم.⁽¹⁾

وتتجلى علاقتها بعلم النص حين تُعنى بتحليل العملية التخاطبية والكتابة، وقد ارتقى علم النص، وقطع أشوطا كثيرة في تحليل النصوص وكشف وظائفها حين التقى والتداولية. وبالنظر إلى مهامها فهي ترتبط بعلم النفس المعرفي، حين سلطت الضوء عن اللغة والإدراك.⁽²⁾

كما تُعرف بأنها علم يهتم « بتحليل الأفعال اللغوية، ووظائف المنطوقات اللغوية وسماتها في عملية الاتصال بوجه عام، انطلاقا من كون المنطوقات اللغوية تهدف إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي. »⁽³⁾

وبناء على ما تقدم أمكن القول أن اللسانيات التداولية هي لسانيات المقصد والهدف والوظيفة والتبليغ.

تجدر الإشارة إلى غاية التداولية باعتبارها نظرية لسانية تسعى لتحليل الخطاب، وكل الممارسات اللغوية، باعتبارها منهجا له آلياته ووسائله لكشف استعمالات اللغة المختلفة، كما تولى أهمية بالغة بأقطاب العملية التواصلية، وتهتم بالتواصل والتفاعل الخطابي، كما أنها أضافت إلى جانب وظيفة اللغة "التواصل" وظائف أخرى نتيجة اهتمامها بالسياق والمقام.

⁽¹⁾ ينظر: خلود العموش: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من صورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2008، ص: 29.

⁽²⁾ ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص: 26.

⁽³⁾ نفسه، ص: 27.

كما تضع ضمن موضوعها: استعمال المتكلمين للغة، وكل الظواهر اللغوية، كما تهتم بالوظائف الخطابية ومقاصدها خلال التواصل، فضلا على أنّها تُكرّس أهمية الكون الذي تنشئه اللغة، وتعكس خطورة القوة الإنشائية لها بوصفها قانونا صارما يشرع لا للتفكير والتواصل فحسب بل وللسلوك كذلك.⁽¹⁾

من هنا تغدو التداولية علما يساعد الإنسان في التعرف على الأشياء، وفهم أسرار الكون وهي مرحلة مهمة تلي مرحلة التواصل للإنسان فتداول فكرة ما أو عبارة ما في مجتمع لا تتم إلا بعد وجود تواصل بين أفراد هذا المجتمع.⁽²⁾

حقيق علينا أن نذكر التداولية عن البلاغيين العرب القدامى، وارتباطها الوثيق بالبلاغة العربية وبلاغة القرآن الكريم، وبلاغة الحديث الشريف.

1-2- التداولية عند البلاغيين العرب:

إنّ احتفال البلاغيين العرب القدامى بالتداولية ارتبطت بمصطلحات ومباحث لها علاقة نسب بالتداولية، وإن لم تكن بهذه المصطلحات الجديدة.

يُعدّ كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ مؤسّسة تداولية في مجمله، وأول محطّة تداولية في هذا الكتاب هو الاهتمام البالغ بعناصر العملية التواصلية فقد ذكر الجاحظ:

- شروط الخطاب الناجح.

- صفات الخطيب وسلامته من العيوب النطقية.

- الفهم والإفهام.

- تبليغ المعنى للسامع.

(1) ينظر: صابر الجباشة: من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، 2009 م، ص: 18.

(2) ينظر: عبد الفتاح أحمد يوسف: اللسانيات والخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010، ص: 37.

يقودنا هذا إلى أنّ الجاحظ يؤسس للتداولية، فتداولية أقطاب العملية التواصلية ، وهدف الخطاب، تحقيق الهدف من الخطاب لها مباحث تداولية.

تتعلى التداولية أكثر حين يُعرّف الجاحظ البيان بقوله: « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك لحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محموله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.»⁽¹⁾

العلاقة بين التداولية و "البيان" علاقة تكاملية، وهذا المصطلح يؤسس للتداولية صرحا في البلاغة العربية القديمة، فالبيان « ذو علاقة بالخطاب، حيث يُعنى بالإبانة والإرسال والإبلاغ المبين الذي يتم عبر اللغة وغيرها.»⁽²⁾

ينتقل الجاحظ إلى وسائل تداولية للبيان ، وهي وسائل الخطاب وجمالياته وأهدافه ؛ إذ الخطاب :» يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأنّ ذلك من أكبر ما تُستعمل إليه القلوب، وتُثني به الأعناق، وتُزيّن به المعاني.»⁽³⁾

قد عدد الجاحظ شروط البيان وهي تداولية الخطاب في مقصديته وإبلاغيته فجعل للخطاب شروط من شأنها تحقيق هدف الخطاب، ثم اشترط في المنطق الحلاوة والجزالة والفخامة ، فالجاحظ أسس لتداولية الخطاب حين ذكر:

- شروط الخطاب: تمييز وسياسة ...

- جماليات الخطاب: الجزالة ، والحلاوة، والفخامة.

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 76.

(2) جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص : 143، 144.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، الجزء الأول ، ص: 14.

أهداف الخطاب: استمالة القلوب، وثني الأعناق، وتزيين المعاني.

و للجاحظ بحوث « في الاتصال الخطابي خاصة، والخطاب الجدلي على نحو أخص»⁽¹⁾، ثم انتقل الجاحظ لتداولية ووظيفة الإشارة، وعلاقتها باللفظ، فهما عنده شريكان، إذ يقول: « نعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط.»⁽²⁾

هذه تداولية تجاوزت اللّغة إلى الإشارة ووظيفتها التداولية في تبليغ المعنى والقصد.

كتاب "البيان والتبيين" جعل التداولية في أجلى صورة، فالجاحظ نظر لتداولية الخطاب، وعلى نحو أخص الإقناعي، فالبلاغة والتداولية والخطاب أبواب تمثل متن كتاب "البيان والتبيين"، حيث يرى "محمد العمري" أنّ مادة "البيان والتبيين" لها ثلاث محاور:

- وظيفة البيان وقيّمته.

- العملية البيانية وأدواتها.

- البيان العربي.⁽³⁾

تظهر وظيفتان للبيان: وهي وظائف تداولية تتجاوز وظيفة التواصل للغة وهما: الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، والوظيفة الثانية هي الفهم والإفهام، ومنه فالبيان له وظيفتان تداوليتان وهما: - وظيفة إقناعية.

- وظيفة إقناعية.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1996، ص: 144.

⁽²⁾ الجاحظ: البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 78.

⁽³⁾ ينظر: محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 193.

⁽⁴⁾ ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008، ص: 211، 212، 213.

هذا تأسيس لتداولية عربية، ثم لوظائف تداولية، وتظهر هذه الوظائف التداولية في البلاغة؛ إذ « البلاغة إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق.»⁽¹⁾

يُعدّ الجاحظ بهذا مؤسس التداولية الخطابية، ونظرية متكاملة اعتمدت بالاتصال الخطابي، وبموامل أخرى غير لغوية كالسياق الخارجي والمقام، ووسائل غير لغوية كالإشارة وغيرها... «وتحتل الوظيفة -وهي في مصطلحه الغاية ومدار الأمر- حجر الزاوية في هذا البناء لأنها مولد اللحمة، والهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه.»⁽²⁾

إنّ التداولية في مصطلح الجاحظ "البيان"، ووظائفها تكمن في الوظيفة الإفهامية والوظيفة الإقناعية، وهذه محاولة بناء نظرية تداولية بلاغية إقناعية، تهتم بكل ما يحفّ العملية التواصلية من أقطاب مشاركة في التواصل (متكلم، متلق) ومقام وظروف خارجية، وقصد وهدف من الخطاب.

ومنه وظيفة التركيب اللغوي: وظيفة إقناعية، ووظيفة إفهامية... وعلية تتعدّد الوظيفة في التركيب الخطابي في الحديث الشريف، له أبعاد تداولية، ووظائف تحملها تراكيبه، مما يعني أنّ هذا الخطاب النبوي خطاب تداولي حجاجي والحجة في ذلك أمران:

أمّا الأول: الحديث النبوي خطاب موجه للأمة، وخطاب دعوة لإعتناق دين جديد، والنّاس على مستوى عال من الاختلاف: الفكر، والمستوى، والسّن، والطبيعة... فنجد الخطاب النبوي الشريف يختلف بهم ويستوي عند فكرهم، ويقف على مستواهم فيكون القصد موصول والتبليغ موفور، ومنه التأثير والإقناع، وما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمة العربية بحديثه لم يفعله غيره بل في الأمم كلّها.

أمّا الأمر الثاني: وقع لغة وتراكيب الحديث الشريف في القلوب والعقول معا، وقعا لا ينكره من يستمع إليه أو يتلقاه، فما أروع أن يؤدي الخطاب ووظائفه ومقصده في رقي لغوي وبيان لا مثيل له، ولم ولن يُحتذى حذوه.

(1) جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص: 150.

(2) حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص: 185.

ما دام القرآن احتوى على آليات الحجاج وتقنيات الإقناع، فالحديث النبوي الشريف في مرتبة من هذا «
فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلاّ وكتاب الله قد نطق به.»⁽¹⁾
ومنه نخلص إلى أنّ ما من حجاج وتراكيب إقناعية وتوجيه وتلميح ووظائف تداولية تُؤسّس من مستويات
خطابية: عقلية، وعاطفية... إلاّ وهي في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنّ خطاب وصل من البلاغة حدّها، خطاب
نبويّ شريف بشقين شق عقلي، وشق عاطفي قلبي، هو الرّسول صلى الله عليه وسلم المنذر والمبشر، الموجّه والمؤدّب،
الناصح...

ويركز بحثنا على قضية جوهرية في تراكيب الحديث النبويّ، وهي الوظائف التداولية التي تبين شقًا لامعا من
الحديث النبوي الشريف، ممثلة في وظائف ومقاصد التركيب المنطوق ضمن سياق ومقام يكشف الدلالة المرجوة
من هذا الخطاب، « وواضح أنّ اللّغة هي ثمرة المجتمع الذي يتكلم أفرادها بها، ولكنّ المجتمع أيضا هو ثمرة اللّغة
التي تُعيّن أفرادها بكلماتها، سلوكهم الذهني والعاطفي.»⁽²⁾

يظهر التركيب اللّغوي مع وظائفه بصورة جلية مع "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم"، ومنه نبين علاقة
التركيب اللّغوي بالوظيفة، يتجلى ذلك في تعريفه لعلمي المعاني والبيان بقوله: «علم المعاني والبيان هو معرفة
خواص تراكيب الكلام، ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفيقية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفني به قوة
ذكائك.»⁽³⁾

يقوم التركيب بوظيفة المقصودة؛ حتّى يُوفّي مقام الكلام مقصده وهدفه، وهذا يقف على ذكاء المتكلم في
معرفة الصياغات وكيفية التّوصل بالتركيب إلى تحقيق وظيفة تداولية، وهذا ما يُبيّن التّعالق بين الوظيفة والتركيب،
وهذه العلاقة قائمة بين الخطاب والقصد، « فخصوصية التركيب تعني الربط بين كلفيته وصورته ووظيفته التخاطبية

(1) محمد الكتاني: جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1992، ص: 44.

(2) سلامة موسى: اللغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى للنشر والتوزيع، دار ومطابع المستقبل بالعجالة والإسكندرية ومكتبة المعارف بيروت،
الطبعة الأولى، 1945، ص: 09.

(3) أبو يعقوب بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص: 543.

في هذا المقام أو ذلك، لذلك اعتبر السكاكي العلاقة بين التركيب والقصد منه بمثابة علاقة ملزوم ولازم يجري فيها قصد المتكلم الذي يضع عليه دليلاً في التركيب مجرى اللازم عن التركيب.⁽¹⁾

إذا اختلف المقام يستلزم الاختلاف في التركيب، ومنه تختلف الوظيفة، فلكل تركيب مقام ووظيفة؛ فتراكيب الكلام العربي وظيفتها « جعل الكلام مطابقاً للحال حال السامع، وذلك تطبيقاً لمبدأ لكل مقام مقال، فلمقام التوكيد مقال؛ أي نوع خاص من التركيب.⁽²⁾»

ومنه قول السكاكي: « واعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.⁽³⁾»

وهذه تداولية بامتياز، وأنّ التركيب وظيفته الإفادة القصد وبلوغ هدف، وتحقيقه يتوقف عن المتكلم، فيمكن أن تُزَيّن تبليغ وظيفة التركيب، وأن يحذر من الوقوع بالخطأ، وهذا يعني مراعاة حال السامع ومقامه.

ما يمكنه القول أنّ الأبواب التي أتى بها "السكاكي" كلّها أبواب تداولية في صميمها لاسيما باب الحدّ والاستدلال، فالسكاكي قدم بحثاً في التداولية انطلاقاً من فكرة "مقتضى الحال" و "لكل مقام مقال" بين فيه كيف يكون التركيب وخاصيته، وماهية وظائفه، وطرق تحقيقها.

كما أنّ هناك أبحاث تداولية مدهشة بنتت وأسست التداولية العربية مثل نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي حازم القرطاجي... وهذا ما فتح سبل البحث في البلاغة العربية التي تسعى لتحديد التراكيب اللغوية وأنواعها، ووظائفها التداولية، ومقاصدها وغاياتها من الإنشاء، والمقام هنا لا يتسع لذكر كل الكتب البلاغية التي حفلت بالتداولية: نظيراً وتطبيقاً، حسبنا ما ذكرنا في هذا الباب مخافة التوغل في هذا العنصر وما هو بمنته، فالبلاغة العربية حين اهتمت بالخطاب، والمتكلم، والمتلقي،

(1) شكري المبحوث: الاستدلال البلاغي، دار المعرفة والنشر بجامعة منوبة، تونس، الطبعة الأولى، 2006، ص: 100.

(2) محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان الطبعة السابعة، 2004، ص: 96.

(3) السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 250.

وبالقصود، وبالمقام، وبالسِّياق، وبالتركيب، وبالوظيفة، عناصر نراها بحق تشكل صرحاً تداولياً وسبقاً لسائياً بلاغياً في دراسة العمليّة التواصليّة.

كما حقّ علينا أن نذكر أصل الأبحاث التداوليّة والسّانّيّة عند علماء الأصول، وهذا البحث الأصولي في علوم العربيّة منبع كل ما هو لغوي؛ فعلماء الأصول، وعلماء الكلام وعلماء التفسير... قد أفاضوا بحوثاً تداوليّة جادة وخاصة في الخطاب القرآني ودلالاته، والخطاب النبويّ الشّريف ومقاصده.

فالقرآن الكريم عندهم « يخاطب به البشر لإقناعهم بالتخلي عن معتقداتهم، والإيمان بالمعتقد الجديد، وقد تعددت مظاهر هذا الإقناع في القرآن. »⁽¹⁾

التداولية تظهرها هنا: وظيفة القرآن الكريم وظيفه إقناعيّة، وتراكيبه الخطابيّة حجاجيّة ولكل تركيب وظيفه نفعيّة، ثم إنهم تعرضوا لدراسة « العناصر السّياقيّة والمقاميّة للخطاب؛ لأنّ الألفاظ لا تثبت على معانيها التي وضعت لها؛ إذ للمتكلم الحق في أن يستعمل هذه الألفاظ فيما وضعت له، وأن يستعملها وفق أساليب اللّغة وقوانينها المعروفة للسّامع والمتكلم. »⁽²⁾

بهذا الدرس الأصولي التداولي البلاغي تكون البحوث الأصوليّة مؤسّسة لتداوليّة بصبغة شرعيّة، كيف لا والخطاب القرآني والنبويّ موجهان لإقناع النّاس باعتقاد شرعي جديد.

ومن الدراسات الأصوليّة التداولية: المتلقي (السّامع)، فهو عندهم يتنوع « في الخطاب وتنوع الأحكام تبعاً لنوعه »⁽³⁾، وهذا يعني أنّ كلّ متلق له تركيب خطابي معين ينسج حسبه وحسب مقامه ليقنع بكلام المتكلم، والاستدلال وبلوغ المقصد، إنّما يقف ذلك على مراد المتكلم، ونظمه للتراكيب المناسبة، والألفاظ المؤدّية للمقصد المنشود « والألفاظ لا تُقصد لذواتها، إنّما يُستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مُرادُه ووضح بأيّ طريق كان

⁽¹⁾ خلود العموش: الخطاب القرآني، ص: 113.

⁽²⁾ نفسه، ص: 115، 116.

⁽³⁾ خلود العموش: الخطاب القرآني، ص: 122.

عمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة أو كتابة، أو بأمانة أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية أو عادة له مطردة لا يخلّ بها.»⁽¹⁾

ثمّ أفاض البحث الأصولي في الدلالة، فميزوا بين دلالة العبارة ودلالة الإشارة ودلالة النصّ ودلالة الاقتضاء، وهي طرق دلالة النصوص على المعاني والأحكام الشرعية.⁽²⁾

ومنهم من حدد النصّ « فالنصّ ذو الدلالة القطعية يمثل الحقيقة والظاهر ما يحتمل التأويل، وهو يمثل مجاز النصّ»⁽³⁾، ومنه التركيب الخطابي المحمل بوظيفة قطعية وتركيب خطابي محمل بوظيفة تأويلية.

إنّ الدراسات الأصولية والأبحاث التي تقيّمها تداولية بلاغية في جوهرها؛ بل أصبح يُعَوَّل عليها في فك كثير من الشفرات الخطابية الكلامية، والحصول على المعنى.

تعد الأبحاث الأصولية بحق - بعمد أم بغير عمد - أولى الاهتمامات اللسانية بالخطاب والنصّ وبدلالته، التي مهدت لميلاد لسانيات جديدة التداولية وغيرها، أو بما يُعرف اليوم بالأبحاث اللغوية التداولية: بالبلاغة البرهانية الجديدة، هذا نتاج اهتمامهم بتراكيب الخطاب القرآني، وبالخطاب النبوي الشريف .

1-3- التركيب اللغوي:

جذب التركيب اللغوي اهتمام اللغويين قديما وحديثا؛ لارتباطه بعدة مفاهيم ، ومن هذه المفاهيم اللغة والخطاب والجملة والإسناد، والاتصال اللغوي، والوظيفة.

أمّا التركيب واللغة فتكمن العلاقة بينهما في أنّ التركيب أصله أصوات و« أمّا حدّها (فإنّها أصوات) يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.»⁽⁴⁾

(1) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الجديدة، 2003، ص: 173.

(2) ينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني، ص: 124.

(3) حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص: 156.

(4) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، دار الكتب المصرية، تحقيق: محمد عليّ النجار، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص: 33.

وعملية التعبير تأخذ أشكالاً ، فيأخذ التركيب شكل التركيب الاسمي أو التركيب الفعلي، وقد يأخذ من الناحية الأسلوبية شكل التركيب الاستفهامي أو أمري، أو تعجبي، أو التداوي... وكل تركيب لغوي أصواته أو وحداته المعينة، ويعبرون عن أغراضهم فتلك وظائف التركيب اللغوي التداولية حيث « ينظر علم اللسانيات الحديث إلى عملية الاتصال اللغوي على أنّها الوظيفة الأساسية الكبرى للغات»⁽¹⁾ ، وهذا ما يبين علاقة التركيب اللغوي بالاتصال؛ فالتركيب اللغوي يرتبط : باللغة والاتصال والوظيفة.

أما التركيب اللغوي والخطاب فتظهر في الجملة، فإذا أخذنا تركيب جملي على توال فإنه يُشكّل خطاباً، كما أمكن أن نعدّ الجملة خطاباً من جانبها الدلالي والتركيب اللغوي للخطاب هو تركيب جملي بالنظر إلى العلاقة التداولية التي تكمن في أنّ الجملة لا غنى لها عن الجملة التي تليها، وهذا التوالي يشكّل خطاباً، ومنه وظيفة كل تركيب.

المتكلم ضمن مجموعته اللغوية، يحاول إيصال مقصده، بالتعبير عن غرضه وإرسال أفكاره وبث أحاسيسه، ومنه وجب أن يختار التركيب المناسب وأن يحتز الصّحة الدلالية في تراكيبه؛ إذ المتكلم يقوم: « بنظم كلامه بكيفية خاصة ، وعلى منوال معين ترتبط فيه الكلمات بعلاقة نحوية معينة ؛ كي يتسنى له أن يعبر عن غرضه ويُمكنّ سامعه من فهمه. اعتماداً على القرائن التي تُعينه على الإفصاح عن مقصوده.»⁽²⁾

ومردّ ذلك اللغة، أنواع التركيب وعلاقاته الدلالية والنحوية ووظائفه التداولية كامنة في اللغة ، ومنه تداولية التركيب اللغوي في شقيه: الخطابي والجملي، ووظائفه المقصودة التي تؤدي بقرائن ومنها تحقيق الغرض وبلوغ المقصد.

يمكن أن نبين العلاقة بين التركيب ومفهوم الغرض أو الفائدة، في تداولية التركيب اللغوي، فكل تركيب له وظيفة تداولية يتوخاها ومقصد يرمي إليه وغرض يسعى إليه وهذا لا يتحقق إلا بائتلاف الكلام وضم بعضه إلى بعض على وجه من الوجوه النحوية المألوفة.⁽³⁾

(1) محمد حميدة : نظام الارتباط والروابط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، الطبعة الأولى، 1997، ص: 13.

(2) محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة العربية- دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2007، ص: 317، 318.

(3) نفسه ، ص: 315.

من هنا تظهر الدلالة ويظهر النحو في تكوين التركيب اللغوي، كما يضطلع بوظيفة تداولية.

أما التركيب اللغوي والإسناد، فهو التمثيل والصورة المعبرة عنه، والإسناد في معناه البسيط اللغوي هو « إضافة الشيء إلى الشيء. »⁽¹⁾ ، وهو قرينة تجمع عناصر التركيب في علاقة ارتباطية بما تحصل الفائدة، وعلاقة المسند بالمسند إليه علاقة تلازمية « ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا »⁽²⁾ ، وتكون وظيفته بموجب الحكم الذي يجمع المسند والمسند إليه، فبمجرد أن تُركب جملة إسنادية فإننا ننجز وظيفة تركيبية لنبلِّغ مقصداً أو نُؤدِّي غرضاً.

تجدر الإشارة إلى أن علاقة التركيب اللغوي والإسناد ليست قائمة دائماً، فهناك تراكيب لغوية غير إسنادية كإنشاء التعجب والنداء، المدح والذم...

والإنشاء « فعل يستخدم عادة مع الاسم الحدث، ويدل على أن التلّفظ هو إنجاز للفعل »⁽³⁾ ، وهذه وظيفة يُؤدّيها التركيب اللغوي خالياً من الإسناد، ومنه التركيب هو « مجموعة منسقة من الوحدات التي تؤدي دلالة ما. »⁽⁴⁾

المتكلم يُركب من لغته ما يشاء من تراكيب من خلالها يُفهم ويُبلِّغ ويُحقق فائدة، وهذا لا يتأتى إلا بالصحة الدلالية والصحة النحوية، فتتوالى الوظيفة التداولية وتحصل فائدتها، وفي هذا يقول الجرجاني: « واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها. »⁽⁵⁾

(1) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993، ص: 40.

(2) أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه: الكتاب ، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، الجزء الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1983 م ، 1408 هـ، ص: 23.

(3) جون لانكشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991، ص: 17.

(4) مجدي وهبة ، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1984، ص: 96.

(5) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الخامسة، ص: 64.

من شأن الرّبع النّحوي في التركيب اللّغوي أن يميل به عن تأديّة الوظيفة وينحرف عن المقصود، وفي هذا يجب أن يتحدّد النّحو والدلالة؛ لأنّهما الأصل في الفائدة فيقدّم «العنصر النّحوي الدلالي بالمعنى الأساس في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديدّه، يمدّ العنصر الدلالي العنصر النّحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده.»⁽¹⁾

ومنه التركيب اللّغوي في عمومّه يتأثر بثلاث عناصر:

- الصّحة النّحويّة وهي السلامة التركيبيّة، من شأنها أن تقيم المعنى وما يهدف إليه.
 - الصّحة الدلاليّة وهي المعاني المتوخاة، والأهداف المرجوة من التركيب والدلالة التركيبيّة تستلزم القواعد النّحويّة التركيبيّة؛ لأنّ «الصّحة القواعديّة هي واحدة من عوامل عدّة لكي تتحدّد القبول»⁽²⁾، و منه تأتي الدلالات في قالب نحوي صحيح فتقبل من المتلقي وتسير نحو المقصد، وفي هذا يقول الجرجاني: « ليس الغرض بنظم الكلم أن توات ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الدّي اقتضاه العقل.»⁽³⁾
- ومعنى الوجه الدّي يقتضيه العقل هو:

- الاستعمال التداولي فالمتكلم لا يُحقق مبتغاه من التركيب اللّغوي إلّا إذا استعمله ضمن جماعته اللّغويّة؛ إذ التداوليّة تكمن وظيفتها « في استخلاص العمليّات التي تُمكن الكلام من التّجذر في إطاره الدّي يُشكل الثلاثيّة الآتية: المرسل، والمتلقي والوضعيّة التبليغيّة، إنّ أيّ تحليل تداوليّ يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تُؤوّل فيه الجملة»⁽⁴⁾، والجملة والسيّاق يخضعان للصّحة الدلاليّة والنّحويّة.

التركيب اللّغوي المحقق لوظائفه التداوليّة، يُشترط فيه أن يشمل في تركيبه صحة نحويّة وصحة دلاليّة وتداوليّة في الاستعمال، فإن لم يصحّ نحويّاً ضاعت دلالاته ووظيفته، وإن لم يصحّ دلاليّاً ضاعت وظيفته التداوليّة،

(1) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي- دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص: 113.

(2) نعوم تشومسكي: جوانب من نظرية النّحو، ترجمة: مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، 1985، ص: 34.

(3) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 40، 41.

(4) فان دايلك: علم النص - مدخل متداخل الاختصاصات- ترجمة: سعيد بحيري، الطبعة الأولى، مصر، 2001، دار القاهرة للكتاب، ص: 114.

وإنّ صح نحوياً ليس بالضرورة أن يصح دلاليًا، فكم من تركيب نحوه مستقيم ضائع الدلالة مفقود الوظيفة التداولية...

يتحكم في التركيب اللغوي الأداء حين إنتاج التراكيب الملائمة لدلالة معينة، تحت سلطان قاعدة نحوية، مؤدبة لوظيفة تداولية، والأداء هو: « الوجه المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة، ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تام، فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل مقامية أو ذهنية نفسية اجتماعية.»⁽¹⁾

يتحكم في التركيب اللغوي الصوت والصرف، فحين يُريد المتكلم التواصل يختار صيغة وتركيباً ووظيفة، ذلك «أنّ بنية اللغات الطبيعية تابعة إلى حدّ بعيد لوظيفتها»⁽²⁾، ومنه الكلمة في اللغة العربية لها صيغ، ولكلّ صيغة معنى محدد لا تؤدّيه أخرى.

التركيب على علاقة بالنحو والدلالة والصوت والصرف والوظيفة التداولية والسياق والاستعمال التداولي، وهي قرائن تُفضي لفهم كنه التركيب والمعنى المراد والمهدف المنشود والمقصد، الذي يسعى إليه المتكلم؛ لأنّ غاية كلّ الدراسات اللسانية والأبحاث التداولية بلوغ المعنى واكتشاف الوظيفة من التركيب، وهذا هو «غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية»⁽³⁾، والتداولية والدلالية، وهذا ما يشكل "البنية الوظيفية"، والتي تؤدّيها الأصوات والوحدات الصرفية بتضافرها مع العلاقة الإسنادية، ومع زوائد صرفية قد تفيد وظائف جديدة، ثمّ إنّ الصوت والبناء الصرفي ينتج عنه وظائف دلالية وتداولية؛ فتتأدّى هذه الوظيفة محمّلة بمقصد وخطاب بتداولية: لماذا استعمل المتكلم هذا الصوت؟ وهذه البنية الصرفية وعدل عن غيرهم.

(1) خليل أحمد عمارة: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، 1984، ص: 58.

(2) نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية (طبيعتها وأصولها واستخدامها)، ترجمة محمد فتحي دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993، ص: 85، 86.

(3) محمد سالم صالح: الدلالة والتفعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008، ص: 12.

يتقيّد أداء الوظيفة الدلالية والتداولية بمجموعة عناصر، تضافرها يُحقّق الهدف الخطابي؛ وعليه عمد النّحاة إلى دراسة التركيب اللّغوي في العربيّة، وسنّوا قوانين نظمه، وميّزوا بين العلاقات القائمة بين أركانه، وتوصّلوا إلى أنّ التركيب اللّغوي تكتنفه ثلاث وظائف:

- الوظيفة الصرفية ممثلة في التشكيل الصّوتي، والأبنية الصرفيّة، وأنّ استعمال أبنية دون غيرها حاجة في نفس المتكلم.
- الوظيفة النّحويّة وتمثل في الإعراب و الرتبة، وصفة هذه الوحدة النّحوية اسم، فعل، ووظيفة استعمال.
- الوظيفة التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة كلّ تركيب مزود بأبنية صرفيّة، ووحدات نحويّة يُؤدّي وظائف ثلاثة مفادها تحقيق غرض المتكلم وتبليغ مقصده ⁽¹⁾، كما يرتبط التركيب اللّغوي من منظور تداولي: بالمقام وحالة المتلقي، والهدف من الخطاب (التركيب) وقصد المتكلم، فالتركيب اللّغوي يفقد معناه ووظيفته إذا ما افتقر إلى مقام وعوامل خارجية.

قد يتحقّق المعنى النّحوي والدلالي وتستقيم الوحدات الصوتية والنّحوية في تركيب معين؛ لكن يفقد وظيفته ومقصده؛ لأنّ الوظيفة الدلاليّة والتداوليّة غير محقّقة، وتكمن في المقام: فهو « يُؤدّي أمرين دلاليين، أولهما إثبات معنى محدد للكلمة، ثانيهما نفي ضمني لأيّ معنى آخر تحتمله الكلمة» ⁽²⁾، ومنه تتحدد علاقات التركيب اللّغوي، ويبينها مع مكونات وعناصر تجعله تركيباً له وظيفته محقّقة، مقصد محقق وهدفه مجسد، وهذه العلاقات هي:

- علاقة التركيب بالنّحو.
- علاقة التركيب بالصوت والبناء الصرفي والوزن.
- علاقة التركيب بالدلالة.

(1) ينظر: عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية - بنية الجملة العربية - التراكييب النحوية والتداولية - علم النحو وعلم الدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2004، ص: 29

(2) سمير استيتية: اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)، دار جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن الطبعة الأولى، 2008، ص 288:

- علاقة التركيب بالتداولية والوظائف المتوخاة منه.

- علاقة التركيب بالسياق والعوامل الخارجية.

لا سبيل لإدراك دلالة التركيب إلا بعقد قران هذه العلاقات، وخاصة الأخيرة منها فهي بمثابة الشرط لتحقيق أغراض المتكلمين؛ فمن دونه تُقطع العلاقات الأخرى؛ لأن «الأحداث اللغوية لا تقطع في وسط مادي، بل لها علاقات مطردة بأحداث أخرى خارج اللغة.»⁽¹⁾

ويتمثل في الخطاب النبوي الشريف في مناسبات حديث الرسول ﷺ ، وعليه فالسبيل لبلوغ جوهر التركيب في الأحاديث النبوية ، هو العلم بمناسبة الحديث ثم الظروف المحيطة بالخطاب النبوي، فتتجلى الدلالة ويظهر المعنى المقصود ، ويتحقق الهدف المنشود وتعم الفائدة.

يبرز من هذا أنّ التركيب اللغوي له: مكونات ، وعلاقات ، ودلالات ، ووظائف ، وصور ، وهو متولد تركيب يتولد عنه آخر؛ إذ يرتبط بالتركيب الذي يليه وقد يطول ويقصر وقد يحمل دلالة أو أكثر، وهذه ميزة التراكيب؛ إذ كل تركيب ينتمي إلى النص العام، لا يجب عزله معنويا عن بقية التراكيب في النص؛ لأنّ التراكيب في النص تقوم على تسلسل معنوي يحكمها مجال دلالي واحد.⁽²⁾

كذلك الأمر بالنسبة للتراكيب اللغوية في الحديث النبوي الشريف، فتراكيبه ﷺ تنفرع وتتداخل، ثم تلتحم فتكوّن خطابا له وظيفته ومقصده.

وفي قول: رسول الله ﷺ في باب ما جاء في إسباغ الوضوء: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ »، فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَإِنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَدَلِّكُمْ الرَّبَاطُ » وفي رواية: « فَدَلِّكُمْ الرَّبَاطُ ثَلَاثًا. »⁽³⁾

(1) محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، دار النمر للطباعة، القاهرة، د. ط، 1983م، ص: 208.

(2) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، المطبعة العربية تونس، الطبعة الأولى، 1997، ص: 153.

(3) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الجزء الأول، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 2005، ص: 140.

هذا الخطاب النبوي الشريف يندرج ضمن الخطاب الحوارى ، احتوى عددا من التراكيب: كبرى وأخرى صغرى ،وهي ضمن دلالة ومقصد، مُعينين يؤدي كل تركيب منها وظيفة ، والتحام الوظائف وتضافرها يُشكل الوظيفة المركزية من الخطاب؛ فيظهر التركيب الأول والثاني وظيفيًا يمثلان هدف الخطاب، وهما كالتالي: "ألا أدلُكم" ، أفاد هذا التركيب جذب المتلقي تشويقا للنفعية والفائدة ،والأداة التي أدت وظيفة التشويق هي: "ألا" ، وهي أداة استفتاح وعرض وتحضيض؛ فاستفتح الرسول ﷺ خطابه الحوارى بتركيب جذب فيه المتلقي وشوقه لذلك؛ بأن ذكر فائدة الفعل قبل تطبيقه ،والفائدة ظهرت في تركيبين كما ذكرنا: وهما:

- مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا.

- وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ.

المتلقي هنا عليم بالفائدة وجهل أسبابها فكيف السبيل لنوالها ، بأن قالوا: "بلى" وهي أداة جواب يقتضيها العرض الحوارى في هذه التراكيب، تركيب التحضيض والترغيب الذي أفادته "ألا" يرتبط بقبول العرض "بلى"؛ حتى يذكر المقصد، وقد ذكر في ثلاث أفعال كلامية ضمن تراكيب ثلاثة:

-إسباغ الوضوء على المكاره.

-وكثره الخطا إلى المساجد.

-انتظار الصلاة بعد الصلاة.

ليضيف الرسول ﷺ نتيجة ثالثة ومقصدا ثالثا ليُضاف إلى محو الخطايا، ورفع الدرجات، "فذلكم الرباط" في آخر الحديث، وهذا ترغيب في الإنجاز للمنفعة المرجوة.

هذه تراكيب مستقاة من حديث نبوي شريف لها وظيفة ومقصد وهدف، والمقام هنا مقام ترغيب لكسب الأجر، والرسول ﷺ خير مُحدث، وهو أعلم وضعاً لتراكيبه ولكلماته، فُتحقق الوظيفة وتصيب الهدف وتُبلغ المقصد.

1-4- الوظيفة و التداولية:

الوظيفية منهج في اللسانيات التداولية ، تسعى للكشف عن وظائف اللغة غير وظيفة التواصل؛ فالتداولية تتجاوز وظيفة اللغة الأصلية ، وهي "التواصل" واللغة بعناصرها: متكلم، وملتقي، وخطاب، ومقام، وقصد...تمثل الميدان الذي يُجسّد فيه هذه الوظائف.

الوظيفة في هذا تطبيقية تحليلية، إنّما تُعنى بدراسة التركيب اللغوية على اختلافها، التي تُعرض ضمن لغة معينة، ثمّ تُحدّد القصد مع هدف الخطاب بالنظر للفعل الكلامي المتضمن في التركيب، والإستراتيجية التي عمدها إليها المتكلم، ثمّ تُحلّل العلاقات القائمة بين عناصر التركيب في الخطاب تحليلاً نفعياً وظيفياً، فنحصل على إجابات الأسئلة الآتية:

- لماذا استعمل المتكلم هذا التركيب بالذات؟

- إلى ما يقصد؟ وما هدفه ..؟

- هل أراد أن: يُؤثر، أو يُوبخ، أو يُرسخ معتقداً أو يُغيّر سلوكاً؟

- لماذا أراد المتكلم تحقيق هذه الوظيفة دون غيرها؟

جاء هذا الاتجاه الوظيفي في الدرس اللغوي الحديث نتيجة تقوقع الاتجاهات اللسانية الأخرى حول مبادئها: الوصف، والبنية...إضافة إلى حاجة اللغة إلى لسانيات تفوق هذا الحدّ، فاللغة صرح من الصّعب الوقوف عند كلّ أروقته.

يأخذ التركيب شكله ووظيفته ضمن خطاب تداولي بين متكلم ومستمع، وهذه الوظيفة تنتج جراء عملية الاتصال، لتؤدي مقاصد وأهداف، فهذه الأخيرة تمثل النواة والأصل في التلفظ بتركيب لغوي، في حين يمثل التركيب الصورة الصغرى الحاملة لوظيفة ؛ فالوظيفة ضمن تركيب لغوي داخل جملة هي حدها الأدنى: جملة مبتدأ وخبر، جملة فعلية...والوظيفة ضمن تركيب لغوي داخل خطاب باعتباره متواليه من الجمل حدها الأكبر، ويمكن أن تتعدد.

فلكل تركيب وظيفة ومقام معين للتخاطب، « وكلّ عبارة لغويّة تطابق مقام تخاطب معين يحدد نسبتها، بما في ذلك ترتيب مكوناتها.»⁽¹⁾

وعليه كلّ تركيب لغوي يُساق لمقام، يحدّد وظيفته، بما في ذلك وظائف أخرى ثانوية...

إنّ تحقيق الوظائف التداولية في تراكيبيها على مستوى الجملة، والخطاب، والتلفظ إنّما يتأتّى في علاقات عناصر التركيب وعلاقتها بسياق الحال، ومجموع الظروف الاجتماعية فينتج أثرا دلاليًا وظيفيًا تداوليًا لكل تركيب، فتحصل الغاية (الوظيفة) الخطابية التأثيرية، والإقناعية التوجيهية، الحجاجية... وهذا الاختلاف يبرره اختلاف التراكيب مع المقام وحالة المستمع، فالمتكلم يختار حين تلفظه تراكيبا تخضع لمبادئ: مبدأ لغويّ: (تلفظي) (التراكيب)، ومبدأ اجتماعي (السياق)، ومبدأ وظيفي (المقاصد).

تؤدي وتقوم الوظائف التداولية على أسس منها:

- **النظام:** هو النحو فلا بدّ؛ على المتكلم أن يستعمل ما تصالح عليه العرف، فلا يتحدث بالمهجور والغريب.

- **التلفظ:** هو متعلق بتوزيع عناصر التركيب من طرف المتكلم حسب المقاصد المتوخاة والأهداف المرجوة؛ إذ للمتكلم الحرية في اختيار أنماط تراكيبة اللغوية وفق وظائف تداولية محددة .

وهذا ما يجعل التراكيب اللغوية ذات صبغة وظيفية تداولية ؛ ذلك أنّ التركيب اللغوي له وظائفه ودلالاته ومقاصده وأهدافه، ومن ذلك تعدّد الوظائف إلى: نحوية، ودلالية، تداولية... وكلها تداولية في صميمها.

يقودنا الحديث هنا عن مبادئ التراكيب الوظيفية: أو المنهج الوظيفي:

- تعدد وظائف اللغة بتعدد « الأغراض المستعملة لأجلها، ولكنّ الوظيفة الأساسية هي وظيفة التواصل»⁽²⁾، وهذا يعني أنّ الاتجاه الوظيفي لا يقف عند وظيفة واحدة، بل يبحث في كل وظيفة يمكن أن تؤديها اللغة.

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية - البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي - دار الأمان، الرياض، 1995، ص: 234.

(2) نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب جامعة حلوان، الطبعة الأولى، 2013، ص: 205.

- ارتباط البنية بالوظيفة « ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة»⁽¹⁾، وهذا ما يُفسّر استعمال المتكلم لتركيب أو بنية دون أخرى.

- موضوع الوصف اللغوي هو القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب، والقدرة هذه هي مجموع القواعد البنيوية والوظيفية؛ التي تُمكن المتكلم والمخاطب من استعمال عبارات لغوية معينة لتأدية أغراض معينة في مواقف تواصلية معينة.

- يشكل النحو الكلي مجموعة من المبادئ العامة الرابطة بين أنماط من الأغراض وأنماط من التراكيب اللغوية.

- تتفاضل الأنحاء طبقا لاستجابتها لمبدأ الوظيفة أي طبقا لقدرتها على رصد الظواهر اللغوية وتفسيرها في إطار الارتباط القائم بين البنية الوظيفية⁽²⁾

ومن مبادئ المنهج الوظيفي العامة كما يراها: أحمد المتوكل:

- أدوات اللغة:

اللغة مجموع جمل وتراكيب، تجمع بين مكوناتها علاقات تداولية، صرفية، تركيبية، ودلالية... تؤدي في مجموعها وظائف تداولية.

- وظيفة اللغة الأداة:

تحقق اللغة أغراضا متعددة كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات، والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه... كل هذه الأغراض تتحد في وظيفة التواصل.⁽³⁾

(1) نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص: 205.

(2) ينظر: نفسه، ص: 205.

(3) ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2006، ص: 19.

- اللغة الاستعمال:

ترتبط اللغة باستعمالاتها، وهذا الترابط يظهر في « كون نسق الاستعمال يُحدّد حالات كثيرة قواعد النسق اللغوي المعجمية والدلالية والصرفية، التركيبية الصوتية، وهو ما يعني به فرع اللسانيات المسمى «اللغويات الاجتماعية»⁽¹⁾؛ إذ لا يستعمل المتكلم « نفس النمط من العبارات في مخاطبة أشخاص ذوي أوضاع مجتمعية مختلفة.»⁽²⁾

- سياق الاستعمال:

وعليه أن يترابط السياق بنوعيه المكوّن الداخلي والخارجي، أو أن يُطابق التركيب المختار السياق المستعمل له، وهو سياقان: سياق مقالي وسياق مقامي.⁽³⁾

- اللغة الاستعمال:

مفاد هذا المبدأ أنّ التركيب الوظيفي له عناصر أساسية تشكله وتجسده، وهي "الفحوى القضوي"، "والقصد من إنتاج التركيب"، "وموقف المتكلم من هذا التركيب اللغوي؛ وهذا يعني أنّ المتكلم حين استعماله لتركيب يُراعي فيه الوظيفة وفحواه، ثمّ القصد منه، ثمّ موقفه من هذا الاستعمال.⁽⁴⁾

يتّضح أنّ التركيب اللغوي الوظيفي في حقل التداولية... ينتج وظائف ماديّة تتمايز فيما بينها بتمايز نمطيّة التراكيب اللغويّة، ومنها الترغيب والترهيب، المدح والذم، الشكر والشكايّة تبعا لنوع السياق والمقام الخارجي.

كما يتميز التركيب اللغوي الوظيفي بمبدأين:

(1) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 21.

(2) نفسه، ص: 21.

(3) نفسه، ص: 22.

(4) نفسه، ص: 24، 25.

أولاً: أحاديّ الوظيفة:

مفاده أنّ إمكانية التركيب تأديّه وظيفة واحدة لا غير، وهذا راجع لقصد المتكلم ونيته في المتلقي؛ فقد تكون مثلاً التأثير دون غيره من الوظائف وتحقيقها مادياً مردود إلى حالة المتلقي.

ثانياً: متعدّد الوظيفة:

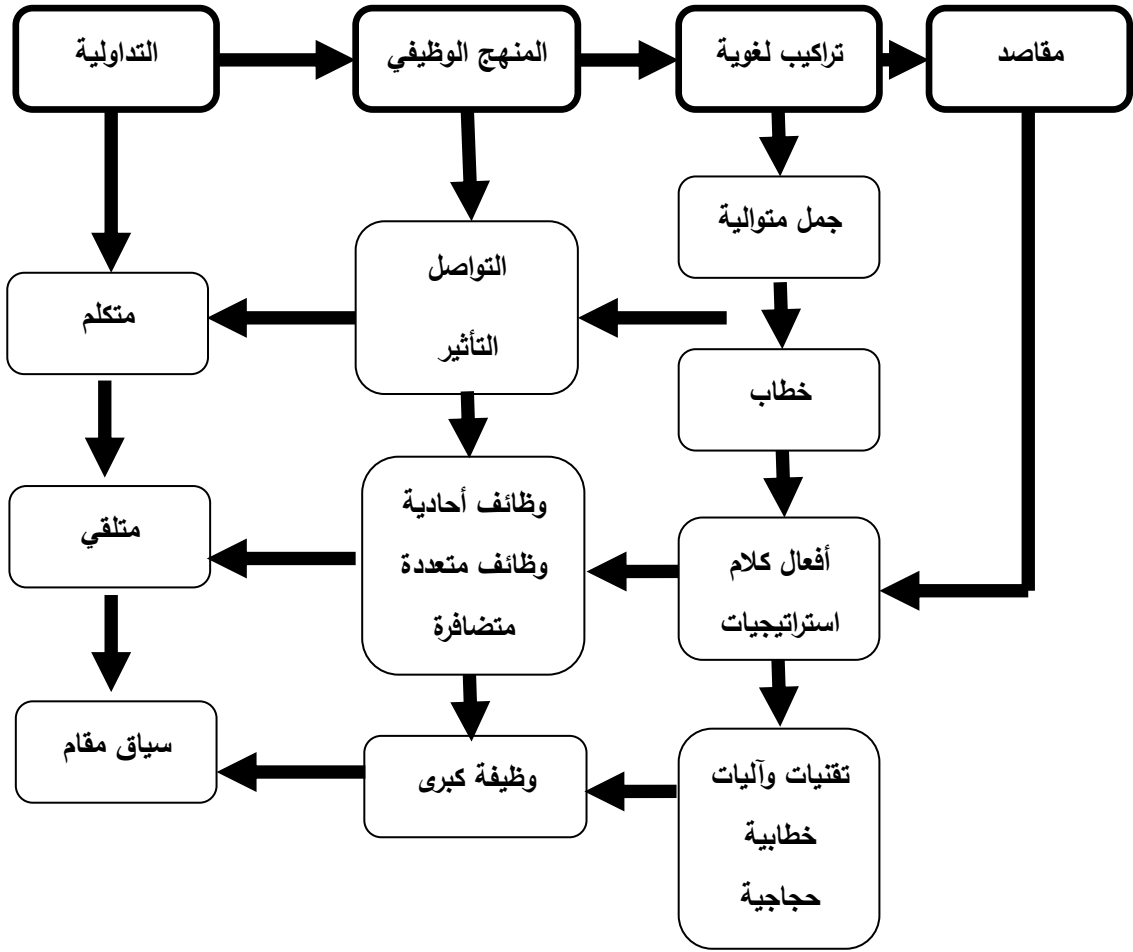
باعتبار أنّ التركيب هو الجملة، وتوالي الجمل يشكل خطاباً، فكلّ تركيب يؤدّي وظيفة أو اثنتين تتعالق في تأديتها أو تحقيقها بالتركيب الذي يليه والذي يسبقه، وهذا التكامل والتعالق يُشكل ويُجسّد الوظائف المتوخاة من الخطاب، إنّها مبادئ الاتجاه الوظيفي، والوظيفية باعتبار وظيفة التركيب: التحوّية، والدلالية،

التداولية تُؤسس نظرية وظيفية وفعّية، من حيث الاستعمال اللغوي في شتى ضروبة؛ إذ «ترمي كلّ النظريات اللغوية على اختلاف مشاربها وتوجّهاتها إلى دراسة بنية اللغة مستويات ومكونات وعلائق»⁽¹⁾

إنّ الوظائف التداولية في تراكيب اللغة العربية يجوز استعمالها متعددة أو أحادية؛ لتحقيق مقاصد مادية أم معنوية، ولها أن تتضافر في كلّ هذا التحقيق وظيفة كبرى وهي الأصل، كأن تتضافر وظيفة الترغيب والترهيب، ثم التأثير فالإقناع في تغيير معتقد (معنوي) أو تغيير سلوك (مادي)، وهذا الأصل النفعي في اللغة قد بلوره الاتجاه الوظيفي.

يمكن تمثيله بواسطة الشكل الآتي:

(1) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 27.



تمكّنت النظرية الوظيفية من دراسة التركيب اللغوي دراسة معمقة ودقيقة في إطار التداولية؛ إذ قعدت

وفنّنت كيفية تحليل تركيب لغوي وظيفي، نحوي، دلالي، نفعي...

إذن لا يحقّ لمتكلم أن ينشر تركيب لغوي (جملة أو خطاباً) ، وهو حال من وظيفة أو غير محمل لوظائف ،
والأ صار تركيباً لغويّاً لا يقوى على تأدية أبسط وظيفة تواصلية، ولصار المتكلم ينعق بما لا يفهم.

يقودنا الحديث إثر ذكر مبادئ الوظيفة إلى خصائصها؛ إذ أنّ « أهمّ ما يحتد به القائلون بمشروعية الأخذ
بالوظيفة، هو أنّ اللغة تأخذ الخصائص التي تخدم إنجاز التواصل وأهدافه ومختلف أنماطه.»⁽¹⁾

(1) أحمد المتوكل: المنحنى الوظيفي ، ص: 28.

وأولى الخصائص:

- مكانة المستوى التداولي والدلالي في الاتجاه الوظيفي داخل النحو مكانة مركزية؛ إذ يتولى تحديد خصائص التركيب.

- يدخل ضمن التيار الوظيفي كلّ النظريات اللسانية التي تجعل من مبادئها المنهجية العامة تفسير الخصائص للغات الطبيعية، وذلك بربط هذه الخصائص بوظيفة اللسان الطبيعي التواصلية.

- تعدّ اللغة وسيلة للتواصل؛ أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

- يعتمد الاتجاه الوظيفي فرضية مفادها أنّ لِبَنَات اللّغات الطَبِيعِيَّة لا تُرصد خصائصها، إلاّ إذا رُبطت هذه البنية بوظيفة التواصل.⁽¹⁾

- معرفة المتكلم بالقواعد التي تمكّنه من تحقيق الأغراض التواصلية بواسطة اللغة، ومعرفة السامع بغرض المتكلم برسائله⁽²⁾، ومنه: «لا بدّ من وضع الألفاظ في الجملة وضعا مخصوصا يظهر به المعنى المراد منها»⁽³⁾.

تمكّن الاتجاه الوظيفي من فرض نفسه ضمن اللسانيات التداولية؛ إذ أصبح المنهج والاتجاه والنظرية المعوّل عليه في تفكيك وتحليل اللغة، وكشف مقاصد التراكيب، ونية المتكلم من هذا الخطاب، ونسج خيوطه مع النحو والتداولية والبلاغة والدلالة وعلم الأسلوب أمّا النحو: فمنه معرفة مكونات التركيب اللغوي، ومن ثمة تحديد وظائف كلّ عنصر: الفاعل، والمفعول، المبتدأ، الخبر...

أمّا التداولية فهي المرتع والأصل، ومنها قدرة ومعرفة المتكلم في استعمال الألفاظ والأساليب أداءً ومعنى ومقاصد، كما يُعنى بالسامع وحالته وكيفية تمكّنه من قصد المتكلم والهجوم على محصول المعنى.

(1) ينظر: محمد محمد يونس علي: بحث أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 32، العدد الأول، 2003، ص: 146.

(2) ينظر: نفسه: ص: 136، 138.

(3) مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص: 217.

أما البلاغة فمنها علم المعاني والبيان والبديع، ويأخذ منها الاتجاه الوظيفي، الصبغة الجمالية والفنية؛ فالأول يدرس الجملة والتركيب والخطاب، والثاني يدرس الصورة، والثالث تحسين التركيب ووقعه على الأذن السامعة وقعا حسنا، وكل له وظائف.

يبدو من هذا غاية الاتجاه الوظيفي من هذه المبادئ والخصائص هو:

كشف كنه العملية التواصلية، ورصد كل الوظائف المقصودة في اللغة وفي جميع صورها: الجملة، التركيب، الخطاب، النص، الأسلوب، العبارة...

ومن هنا نرى أنّ الاتجاه الوظيفي قد اتسع فتناول أشكال اللغة، وعليه تحكّمه ثلاث قوى:

1 - قوة الإدراك: "the Power of Intellect"

هذه القوة تكمن علاقتها بالاتجاه الوظيفي في أنّ « الإنسان بما يعرف ويفكر ويعمل ويستنبط، وهذه القوة تحتاج في ثقتها والتأثير فيها إلى الحقائق الصحيحة المعقولة المؤيدة بالبراهين الصادقة.»⁽¹⁾ ومعنى الاتجاه الوظيفي بالنسبة لهذه القوة، أن يتكلم الإنسان وأن يستعمل فكره فتحصل تراكيبه الكلامية على مصداقية من طرف المتلقي لأنها حقائق أو مسلمات، فلا يقع كلامه موقع الشك والريبة في ذهن المتلقي فيطالبه بحجة أو دليل.

2 - قوة الانفعال "العاطفة": "The power of femation"

ترتبط هذه القوة بالاتجاه الوظيفي في معرفة حالة المتلقي؛ فالانفعال يظهر في تراكيب اللغة، وبه يُعرف نوعية الخطاب وحالة المتلقي ومنها: الغضب، والحزن، والفرح، والتعجب... وهي حالات انفعالية ينتج عنها وظائف لغوية، وهي قوة الإنسان بما « يشعر ويتخيّل »⁽²⁾، والتراكيب التي تنتجها العاطفة صبغتها وظيفية فهي تفضي لفهم حقائق أو التأثير في المتلقي، أو إبراز عاطفة للغير، ومعنى الوظيفة بهذه القوة هو أنّ الانفعال جهاز مؤلّد لوظائف تداولية، فكل عاطفة تستلزم وظيفة.

(1) مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، ص: 39.

(2) نفسه، ص: 39.

3 - قوة الإرادة: "The power of will"

فحوى هذه القوة أن تكون للمتكلم مسبقاً نية (ووظيفة) يجعلها مقصده من خلال الخطاب أو التركيب الذي يُنتجه.

هي قوة عملية « يعتمد عليها الإنسان في تنفيذ ما يعتقد [...] والكلام الذي يلائم هذه القوة يجب أن يجمع بين أمرين: الإفهام والتأثير عن طريقي الإدراك والوجدان، وبذلك يُدفع الإنسان إلى العمل ويؤثر في سلوكه وأخلاقه »⁽¹⁾، وفحوى الاتجاه الوظيفي بهذه القوة هو إنتاج وظيفتي: التأثير والإقناع وعليهما يتحقق المقصد والهدف، من جراء التلفظ بتركيب لغوي.

تبيّن من هذا أنّ الوظيفية تكوّن نظرية تعرف بالنظرية الوظيفية، تتميز بخصائص يمكن إجمالها في مايلي:

- تداولية:

بمعنى أنّ استعمالات تراكيبها وجملة يكون بواسطة نظرية، يكون مصدرها الواقع والاجتماع، يُمكنها من إقامة تراكيب مطابقة للواقع: شكلاً، وتركيباً، ووظيفة.

- تركيبية وظيفية:

هذه الخاصية مردّها على المتكلم ونيته؛ إذ يستعمل تراكيب نتبائنة، وكلّ تركيب منوط بوظيفة تصادف ذهننا لمتلق في عملية تواصلية "فقيمة الوظيفة" المقصودة مرتبطة بمدى مصداقيتها عند المتلقي.

- قصديّة:

على هذه الخصيصة قامت النظرية الوظيفية ومفادها أنّ لكلّ تركيب قصد ووظيفة، وتكون هذه الأخيرة خادمة له، أيّا كان قصد المتكلم، فلا بدّ أن يُحمّله بوظيفة تكون قد نُسّجت على منوال متلقٍ ومقام؛ فتُبني العملية التواصلية باختيار تركيب وقصد لتحقيق الهدف المنشود.

⁽¹⁾ مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، ص: 40.

واستنادا إلى ما سبق، نخلص إلى أنّ : تأديّة الوظائف من خلال إرسالها من متكلم إلى سامع ، في تراكيب لغويّة ضمن عمليّة تواصلية منتظمة تكون في صفتين:

القصدية والتبليغية في قالب متكامل، يلزم المتكلم إدراج وظائف لتراكيبه، وأن يتوقع حالة المتلقي وردّة فعله وموقفه، وأنّ هذه الوظائف تتعدد وتنفرد.

بما أنّ هذه النظريّة الوظيفية تُراعي وتهتم بكل العناصر التواصلية، وجب التخطيط المسبق آنفا لوضع استراتيجيات في التراكيب: كيف تُصاغ وتنتظم في مستوى السامعين.

من قبيل التراكيب الوظيفية قوله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَائِبِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَتِيحت لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ. »⁽¹⁾

هذا حديث في باب ما يُقال بعد الوضوء، فالمقام هنا مقام توجيه وتعليم وترغيب، والمتكلم الرسول عليه وسلم ، والمتلقي معشر المسلمين، وفحوى الحديث حسن الوضوء بعد الدعاء للصلاة ، فلا بدّ لها من وضوء فأتى تركيب الحديث شرطيا باستعمال " مَنْ " ، ثمّ تركيب جملة الشرط مفاده الوضوء بطريقة حسنة معطوفة أو متبوعة بتركيب عطفي باستعمال " ثمّ " مفاده ترديد الشهادتين، والدعاء بالتوبة والطهارة عقب الوضوء، وجواب الشرط جاء نتيجة لمن يقوم بالشرط، وهو الدخول إلى الجنة من ثمانية أبواب، وفي ذلك ترغيب .

صلى الله عليه وسلم ،

احتوى هذا الحديث على وظائف متعددة، وعلى عدّة تراكيب تضافرت لتأدية قصد الرسول وحققّت الهدف من الخطاب عامة.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 144، 145.

1-5- أنماط الوظائف:

مما هو معلوم أنّ اللسانيات من منظورها الوظيفي للتركيب اللغوي لا يستو بدون قصد وتبليغ ؛ إذ تحدّد من مبادئ الوظيفية وخصائصها أنّه من الضروري أن تجمع النظرية الوظيفية بين ثلاثة جوانب: جانب تركيب، وجانب دلالي وآخر تداولي، إضافة إلى عوامل وظروف خارجية سياقية.

تضافر هذه الجوانب الثلاثة يشكل جوهر الوظيفة في اللغة، باعتبار الوظيفة جهاز كاشف لمقاصد المتكلم، والأهداف التخاطبية، وبه يحصل الفهم والإفهام، ذلك أنّ « بنية اللغات الطبيعية ترتبط بوظيفتها ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة. »⁽¹⁾

تكاد الوظيفة أن توصف بالملكة في اللغة ؛ ذلك « أنّ قدرة مستعمل اللغة الطبيعية تشمل -على الأقل- خمس ملكات دائمة الحضور في عملية التواصل اللغوي وهي: الملكة اللغوية، وملكات يلجأ إليها عند الحاجة وهي الملكات المعرفية والمنطقية والاجتماعية والإدراكية »⁽²⁾ ، نرى في تضافر هذه الملكات ميلاد ملكة جديدة وهي الملكة الوظيفية، فهي تمنح للمستعمل قوة في تركيبه ؛ حتى يُبلِّغ مقاصده .

تشكل الوظيفة طابعا من طوابع اللغة، فالوظائف التي يوفرها التركيب اللغوي تنقل مقاصد المتكلم في حدث تواصل، وعليه فإنّ طبيعة اللغة الوظيفية وجوانبها الخادمة لها النحو، والدلالة، والتداولية سيتحول إلى نظريات ومدارس، قد طورت هذا إلى منحى لساني جديد قام على أنقاض من يرون أنّ اللغة تخلو من وظائف. تُرصد الوظيفة في التراكيب اللغوية بتحديد مكوناتها ومستوياتها.

أما المكونات فهي عديدة نذكر منها:

وهي المكون المفهومي، والنحوي، والسياسي، والصوتي.⁽³⁾

تُعَدّ هذه المكونات الرئيسية للوظيفية؛ إذ تتفرع هذه المكونات لأخرى تكون خادمة مُجسّدة للوظيفة في عملية تواصلية.

(1) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط، 1989، ص: 10، 11.

(2) أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2010، ص: 13.

(3) ينظر: نفسه ، ص: 17.

ينتج عن المكوّن النحوي مكوّن الصياغة والمكوّن الصرفي التركيبي والمكوّن الفونولوجي فتتحدد الدلالة، ويتحدد التبر والتنغيم ووظائفهما، كما تكمن وظيفيّة المكوّن السياقي بشقيه المقالي والمقامي، في تجميع المعلومات وتصوير الظروف الخارجية وتقديمها للمكوّنات الأخرى عند الحاجة.

أمّا المكوّن المفهومي فهو متعلق بالمتكلم والمعارف التي يملكها: خطابيّة، حجاجيّة، تفسيريّة، حواريّة، حسب الموقف وحسب المتلقي، وهذا المكوّن يشكل القاعدة التي يرسى عليها باقي المكوّنات الأخرى.

أمّا المكوّن الصوتي فإمّا منطوق بطبيعة مسموعة، وإمّا مكتوب بطبيعة خطيّة إشاريّة.⁽¹⁾

وكلّ من دقق النظر اللساني في هذه المكوّنات سوف ينتهي لا محالة إلى تكامل بين الفروع الأربعة، لتحقيق الوظيفة في تراكيب لغويّة ناتجة عن متكلم مدرك، صحيحة نحويًا وصرفًا، أنتجت بمقياس الواقع والمجتمع منطوقة كانت أم مكتوبة.

أمّا المستويات، فالوظيفة تختلف في التراكيب اللغوية من حيث العدد، فترد واحدة أو سلسلة من الوظائف، كما تكون رئيسية وفرعية، كما تختلف من حيث نوع التركيب فيكون: تركيبًا استفهاميًا، أو تركيبًا حجاجيًا أو تركيبًا تعجيبًا، أو تركيبًا أمريًا، إلى غير ذلك من التراكيب اللغوية.

تقوم الوظيفة في محطات عديدة في التراكيب اللغوية، باعتبار التركيب جملة أو خطابًا، فقد تقوم في كلمة، في فقرة، في نص بأكمله في حالة إعرابية، فهي لا تُرصد من مجرد الكلام فحسب؛ بل من مقصد المتكلم وحالة المتلقي والمحيط الخارجي، ولحصرتها نذكر مستوياتها وهي: المستوى الوظيفي الدلالي والتركيب والتداولي.

علاقة التركيب اللغوي بهذه المستويات هي أنّ كل مستوى يحدد وظيفة التركيب؛ إذ التركيب اللغوي تظهر فيه « ثلاث مستويات وظيفيّة وهي كالاتي مستوى: - الوظائف الدلالية.

- الوظائف التركيبية.

- الوظائف التداولية. »⁽²⁾

(1) ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 17، 18.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكوّنات، أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 195.

تنشأ عن المستويات السابقة وظائف مسماة باسمها، وذلك بإدراج علاقات دلالية بين عناصر التركيب اللغوي، فتتعلق مع علاقات تركيبية لترتبط أكثر باتصال العلاقتين والتداولية الجانب المستعمل من الكلام فيضطلع التركيب بهذا: وظيفة عن كل مستوى، هذه الوظائف تختلف « لا من حيث طبيعتها فحسب، بل كذلك من حيث مجالها ومسطرة إسنادها ودورها في الخطاب»⁽¹⁾، كما يمكن أن تكون الوظيفة: الوظيفة العلاقة، والوظيفة الدور.⁽²⁾

هذا مفاده أنّ الوظيفة تقييم علاقات بين عناصر العملية التواصلية من التركيب إلى السياق، وأنها تؤدي أدوارا يعتمد لها المتكلمون لتحقيق أغراضهم.

1-5-1- الوظائف الدلالية:

يُميّز بين الوظائف الدلالية (منفذ، ومتقبل، ومستفيد، وأداة...) ⁽³⁾، هذه الوظائف بدورها تتفرع وتنتج عنها وظائف ظرفية « كوظائف الزمان والمكان والأداة والحال والعلّة» ⁽⁴⁾، ويتحدد من هذا مجال الوظائف الدلالية، مجال نحويّ ومجال تداوليّ

ومن أمثلتها دلالة الخبر تكمن في وظيفته بأن « يصير به المبتدأ كلاما والفاعل من قام بالفعل والمفعول به يقع عليه فعل الفاعل، والمفعول المطلق يؤكد الفعل أو يبيّن نوعه أو عدده، والمفعول لأجله علّة الفعل والمفعول فيه (زمان أو مكان الفعل)، والحال (بيان هيئة صاحبه)، والتمييز (رفع الإبهام في جملة أو مفرد)» ⁽⁵⁾

يتبيّن من هذه الأمثلة أبعاد الوظيفة الدلالية، ووظيفة كل عنصر من عناصر التركيب اللغوي، كما تُبيّن الوظيفة الدلالية لكل عنصر طبيعته وعلاقتها بين أركان التراكيب اللغوية.

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ص: 105.

⁽²⁾ ينظر: أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2005، ص: 21.

⁽³⁾ أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 91.

⁽⁴⁾ أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصربي التركيبي، ص: 196.

⁽⁵⁾ عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص: 29، 30.

1-5-2- الوظائف النحوية التركيبية:

هي ممثلة في وظيفتين الفاعلية والمفعولية ؛ إذ تتشكل هذه الوظائف من أبواب ثلاثة: الإسناد، الإعراب، الرتبة، ووظيفة الفاعلية والمفعولية بينهما علاقة إسناد « حيث يرتبطان باختيار المتكلم للوجهة التي يريد أن يقدم الواقعة انطلاقاً منها». (1)

أ- الإسناد:

العلاقة الإسنادية تتركز داخل التركيب على الوظيفة التركيبية؛ وهذا يعني اتجاهها حتمياً في حضور وظائف دلالية، وهو تبادل وتمازج وظيفي تركيبى دلالي، ويكون هذا حين تتضمن الجملة ركني إسناد « وعلاقات نحوية جديدة تمدّ في بناء الجملة من خلال معان وظيفية مخصوصة وروابط تركيبية، ثم إن هذه العناصر تُؤلّد ضرباً من الوظائف الدلالية». (2)

ويتسع هذا الشق الوظيفي التركيبى إذا تعلق بـ:

ب- الإعراب:

الإعراب في اللغة العربية إعراب وظيفي؛ لأنّ الإعراب جزء من المعنى، ووظيفته تكمن في: العلامة الإعرابية والحالة الإعرابية فمعرفة الحالة الإعرابية للمكون يؤدي إلى كشف وظيفته وعلامته الإعرابية لذا « يتعين التمييز حين الحديث عن الإعراب بين "الحالة الإعرابية" كالرفع والنصب والجر، والعلامة الإعرابية التي تشكل الملموس للحالة الإعرابية فالضم تحقق للرفع، والفتح تحقق للنصب والكسر تحقق للجر». (3)

يقيم الإعراب علاقات مع الوظائف الدلالية والتداولية « فالمركب يأخذ إعرابه بالنظر إلى وظيفته لا بالنظر إلى موقعه » (4)، وحين تتغير العلامة الإعرابية تتغير الوظيفة كذلك الحركة؛ فقد تدل على وظيفة في موقع، وتدل على أخرى في موقع مباين.

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 198.

(2) عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص: 24.

(3) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 213.

(4) نفسه، ص: 212.

ج- الرتبة:

وتكمن وظيفتها في علاقة الترتيب العادية بين المكونات داخل تركيب لغوي معين مثل: شكل الجملة الفعلية: فعل + فاعل + م به
شكل الجملة الاسمية: المبتدأ + الخبر.

لكن يعتمد المتكلم إلى تغيير رتب العناصر المكونة للتركيب اللغوية لتحقيق مقاصده أو الإبلاغ عن شيء أو الوصول لفائدة جراء ذلك، وكلما انخرق عنصر أو مكون عن رتبته أدى وظيفة، والرتبة صفة لمكونات التركيب اللغوي قابلة للتغيير الوظيفي، و« يُقال عن مجموعة من العناصر بوجه عام إنَّها مرتبة إذا كانت تُشكل سلسلة تتوالى وحداتها خطياً»⁽¹⁾.

وللرتبة علاقة بالإعراب في تحديد الوظائف التركيبية، وأن « تحقق الوظائف التداولية والدلالية والتركيبية يتوزع بين الوسائل الصرفية خاصة الحالات الإعرابية [...] والوسائل التركيبية خاصة الرتبة»⁽²⁾.

تتحدد وظيفة المكون داخل التركيب اللغوي بحالته الإعرابية ورتبته ووظيفته التداولية التركيبية والدلالية، فيأخذ المكون رتبته بحسب وظيفته .

من أهم ميزات تراكيب العربية إذ « يتميز تركيبها ببنية قاعدية ذات رتبة حرة »⁽³⁾، ومن أمثلة الوظائف التركيبية وهي نحوية في صميمها « المبتدأ يُبنى عليه الكلام ، والفاعل يُبنى عليه الفعل المقدم عليه ويشاركه نائب الفاعل جزء أساسي بعد حذف الفاعل، المفعول به يحتاج إليه إذا كان الفعل متعدياً»⁽⁴⁾.

تبيّن أنّ الوظائف التركيبية تقع تحت حالات ثلاثة: الإسناد والإعراب، والرتبة، والجدير بالإشارة أنّ هذه الحالات لا تمثل الوظائف التركيبية فحسب؛ بل تتعلق بالوظائف الدلالية التداولية.

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 221.

⁽²⁾ نفسه، ص: 227.

⁽³⁾ محمد الأوراغي: نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2010، ص: 205.

⁽⁴⁾ عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص: 29.

1-5-3- الوظائف التداولية:

هي الوظائف المركزية في كل تركيب، وتعدّ هي الأصل من التواصل برمته بقرانها مع الوظائف: الدلالية والتركيبية (التحوّية).

تُسند الوظائف التداولية إلى كلّ مكونات التركيب أو إلى أحد مكوناته، كما تتحكم التداولية في وظيفة المكوّن وعلاقته بالمكونات الأخرى، ثمّ إنّ التحام هذه الوظائف يُحصّل الفائدة؛ إذ تُشدّ التركيب اللغويّ علاقات وخصائص (إعراباً ورتبة)، وتحمي فحواه من ضياع الفائدة (قصداً وهدفاً).

والوظائف التداولية « إسنادها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياق في بُعديه المقامي والمقالي خاصة بعلاقة التخابر التي تقوم بين المتخاطبين في موقف تواصلية معيّن»⁽¹⁾؛ إذ يحتوي التركيب على:

- موضوع: ويمثل المعلومة المعروفة لدى السامع.

- محمول: يمثل المعلومة الجديدة لدى السامع.

يتضمن هذا الأخير على: « حمل يدلّ على واقعة ما (عمل، حدث، وضع، حالة) وحدوداً تدلّ على المشاركين في هذه الواقعة»⁽²⁾؛ إذ الوظيفة التداولية « علاقة سياقية تقوم بين الحدّ والمحمول، وبينه وبين الحدود الأخرى»⁽³⁾

يتبيّن من خلال هذا التبادل الكلامي أو نقل الكلام على وجه الإخبار، أنّ الوظائف التداولية تُفضي بالباحث إلى معرفة نوعيّة المتخاطبين، بقدر ما تُفضي إلى تحقيق المقاصد وتبليغها؛ إذ تتغيّ الوظائف التداولية الكشف عن أبعاد: - مقصدية تبليغية.

- تواصلية تفاعلية.

- إفهامية تأثيرية.

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 109.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 195.

(3) نفسه، ص: 195.

الوظائف التداولية عديدة ومختلفة، فكل تركيب يحمل وظيفة بالنظر إلى دلالاته وتركيبه، و« أما النحو الوظيفي (ديك 1997)، فيُصنّف هذه الوظائف صنفين وظائف تداولية خارجية، ووظائف داخلية»⁽¹⁾، وهي كالاتي:

1-5-3-1 وظائف داخلية: وهي ممثلة في وظيفتي: المحور، والبؤرة:

أ - المحور "Topic":

يُمثل جوهر الخطاب والتركيب « وهو الذات التي تُشكل خطابا ما ، وقد تتعدد المحاور في الخطاب الواحد»⁽²⁾؛ فالموقف التواصلية يحكمه أصل جوهري من أجله أنشئ هذا التواصل، والمحور يُمثل هذا الجوهر: سبب إنتاج تركيب ما، ومن أنتجه؟ ولماذا؟

وظيفة المحور تُسند « إلى المكوّن الدال على ما يُشكل "المحدّث عنه" داخل الحمل»⁽³⁾، ويتضمن أنواعا شتى من المحاور أهمّها: « المحور الجديد، المحور المعطى، المحور العائد، المحور الفرعي.»⁽⁴⁾

كما تُسند وظيفة المحور « إلى أحد موضوعات البنية الحملية، الحامل لوظيفة دلالية (منفذ، متقبل، مستقبل، مستفيد، زمان، مكان...) والمسندة إليه أحيانا إحدى الوظيفتين التركيبيتين (الفاعل، المفعول).»⁽⁵⁾

مثل: إسناد وظيفة المحور إلى الفاعل الذي يحمل:

- وظيفة تركيبية "فاعل".

- وظيفة دلالية "منفذ".

- وظيفة تداولية: "محور".

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 110.

(2) نفسه، ص: 111.

(3) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى، 1985، ص: 69.

(4) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 198.

(5) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 71.

ب- البؤرة: Focus:

يمثل هذه الوظيفة المراد والقصد من التركيب؛ لأنها « تُسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهميّة أو الأكثر بروزاً في الجملة.»⁽¹⁾

لا يخلو تركيب لغويّ من احتوائه لمكوّن يقوم عليه التّواصل ويجري إليه القصد، وتنقسم إلى عدّة أقسام نذكر منها: بؤرة الجديد، بؤرة المقابلة، وهذا التقسيم وقع تحت مجال طبيعة وظيفة البؤرة.

1 -بؤرة الجديد:

تُسند « إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب»⁽²⁾، المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب، ومنها يتحدد المقام وحالة المتلقي؛ فالمقام مقام إخبار على ابتداء والمتلقي: مستقبل لخبر جديد عليه.

2 -بؤرة المقابلة:

تُسند « إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يشكّ المخاطب في ورودها أو المعلومة التي يُنكر المخاطب ورودها»⁽³⁾، فيتغيّر التركيب لأنّ المقام تغيّر والمتلقي في حالة غير الأولى. قد تصبح بؤرة المقابلة الحجّة الكامنة في التركيب كونها تزيل الشكّ والتّردد من ذهن المتلقي، فالمقام مقام إخبار لا على التّصديق والمتلقي يشكّ ويتردد في تقبّل التركيب الخطابي.

أما إن كان المتلقي منكر، فترصد البؤرة في كلّ مكوّن يحمل دليلاً أو حجّة داخل التّراكيب، لأنّ المقام مقام حجاج والمتلقي معاند منكر، فتكون البؤرة متجسّدة في الحجّة التي تغلب المتلقي وتقنعه.

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 28.

(2) نفسه، ص: 28، 29.

(3) نفسه، ص: 29.

تروم الوظائف التداولية - خاصة الداخلية منها - التفاعل التواصلي؛ فتعنى بالعناصر التي تتحكم في الهدف الخطابي والقصد منه، فهي وظائف تنطلق من التركيب المستعمل، وعلاقته بالسياق (المقالي، المقامي) وتمتد بدلالات المكونات التركيبية والدلالية ووظائفهما، وصولاً إلى قصد المتكلم وتمكين السامع منه فيتجسد التواصل.

1-5-3-2- وظائف خارجية:

تتمثل في ثلاثة وظائف هي: المبتدأ، والذيل، والمنادى، وهي وظائف تُسند إلى وظائف خارج التركيب أو تُسند إلى مكونات موقعها يكون خارج الجملة .

أ - المبتدأ "Them":

هو الذي يُجبل إلى حدود المجال الخطابي، كما أنه يُعين على كشف موضوع الخطاب « ويمكن أن ينفرد بقوة إنجازية تخصه ، مُباينة للقوة الإنجازية المواكبة للجملة» ⁽¹⁾، وبهذا يُعدّ "المبتدأ" بمثابة الشرط في صحة التركيب تداولياً، مجالاً وموضوعاً، مقاماً وخطاباً.

تكمّن وظيفته في تحديد « مجال الخطاب الذي يُعتبر الحمل بالنسبة إليه وارداً» ⁽²⁾؛ إذ يُعقد المبتدأ علاقات - رغم كونه خارج التركيب - مع الوظائف الداخلية: (المحور، البؤرة)؛ إذ يشترك معهم « في الخاصية التي تميّزها عن كل من الأدوار الدلالية والوظائف وهي أنّها مرتبطة بالمقام؛ أي أنّ تحديدها لا يمكن أن يتمّ إلاّ انطلاقاً من الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة.» ⁽³⁾

إنّ تحديد مجال التخاطب وكشف الموضوع، في وضع تواصلي، من مقومات نجاح عملية التخاطب وأن يتقاسم المتكلم والمخاطب معرفة مجال التخاطب ، كما تكمن وظيفته في أنّه يمثل الجملة التي تليه؛ إذ يجعلها صالحة لأنّها تُحمّل عليه ⁽⁴⁾ ، بواسطة ضمير ويحتل في موقعه الصدارة كما يعتمد على معايير تداولية: مجال

(1) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 96.

(2) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 115.

(3) نفسه، ص: 116.

(4) ينظر: نفسه ، ص: 127.

الخطاب، وموضوع الخطاب، و"إحالة المبتدأ" ، وهذا الأخير يعتمد على قدرة المخاطب في فهم ما تحيل إليه العبارة ، « فنفس العبارة تكون كافية إحالياً في وضع تخابري، وتكون غير كافية إحالياً في وضع تخابري آخر.»⁽¹⁾ يشكل "المبتدأ" وظيفة تداولية تُعدّ هي البؤرة في التركيب اللغوي التداولي.

ب-الذيل: "Tail":

يختلف الذيل عن المبتدأ في موقعه، فالمبتدأ مزحلّق إلى اليمين، والذيل مزحلّق إلى اليسار، وهو بهذا عند النّحاة العرب يقوم بوظيفة تركيبية وظيفية المبتدأ المؤخر، وهو « المكوّن الملحق بالجملة، ويكمن دوره في تصحيح أو توضيح معلومة من المعلومات الواردة داخل الجملة.»⁽²⁾

تُحدّد الوظائف التداولية العلاقات القائمة بين مكونات الجملة، بالنّظر إلى الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة؛ فوظيفة "الذيل" مثلاً تُسند إلى المكوّن الحامل للمعلومات التي يجهلها المخاطب أو ينكرها أو يشك في صحتها: توضيحاً وتصحيحاً، بحسب قصد المتكلم وهدفه الخطابي، فهو يحمل « المعلومة التي تُوضّح معلومة داخل الحمل أو تُعدّها لها أو تُصحّحها.»⁽³⁾

يظهر من هذا أن "للذيل" ثلاث وظائف: توضيح، وتعديل، وتصحيح، وهي تتمثل أنواعه: "ذيل التّوضيح"، "ذيل التّعديل" و"ذيل التّصحيح"، وتظهر في تراكيب متمايزة، وأما تطابق عمليات إنتاج⁽⁴⁾ خطابات مختلفة حسب نوعه، « ويأخذ الذيل حالته الإعرابية بمقتضى الوظيفة الدلالية أو التركيبية التي يرثها عن المكوّن المعدّل أو المصحّح»⁽⁵⁾، كما أنّه يأخذ حسب « النّحو الوظيفي حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته الدلالية أو وظيفته التداولية، وتتفاعل الأنواع الثلاثة في الوظائف في تحديد الحالات الإعرابية.»⁽⁶⁾

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 119.

⁽²⁾ أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 96.

⁽³⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 147.

⁽⁴⁾ ينظر، نفسه، ص: 147 ، 148.

⁽⁵⁾ نفسه، ص: 152.

⁽⁶⁾ نفسه، ص: 156.

وهو متغيّر ومتنوع ؛ لاستكمال وظيفته التداولية بمراعاة الدلالة وتركيبه النحوي؛ ولأنّ المخاطب يختلف، فالتركيب الخطابي « يجمع بين متلقين ذوي عقليات متفاوتة، منهم البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة والجليد الخاطر، وذلك يستدعي استكمال الدلالة وتمامها.»⁽¹⁾

ج- المنادى:

تكمن وظيفته في: « استرعاء انتباه المخاطب »⁽²⁾، وهي وظيفة اقترحها "المتوكل" وأضافها لتصبح الوظائف التداولية خمس وظائف، وتُسند وظيفة المنادى « إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام»⁽³⁾، بمراعاة التركيب اللغوي للنداء فهو: « فعل لغويّ شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى: كالإخبار، والاستفهام والأمر والوعد والوعيد »⁽⁴⁾، ويجمع "المتوكل" في وظيفته "المنادى" بين ما يسميه النحاة العرب: "المندوب والمستغاث"... ويصطلح على تسميتها بـ: "منادى النداء" و"منادى الندبة"، و"منادى الاستغاثة"⁽⁵⁾، والمنادى وظيفته تداولية بامتياز؛ إذ تسترعي انتباه المتلقي.

ويُشترط في إسناد هذه الوظيفة، أن يكون المكوّن المنادى هو المدعو، وأن « يُجِيل على كائن حي فالجملّة لاحنة لأثما تحرق هذا القيد؛ إذ المكون المنادى يُجِيل فيها على جماد.»⁽⁶⁾

كما يشترط النحاة في استقامة التركيب الندائي، أن يُسبق بأدوات النداء ؛ لأنّ الدال على الوظيفة الندائية في التركيب هي حروفه.

وهي ثمان أدوات هي: « يا، أي ، أ (المهمزة)، أيا، هيا، وا، آ، أي .»⁽⁷⁾

(1) أبو هلال العسكري: الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص: 37.

(2) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 97.

(3) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 161.

(4) نفسه، ص: 161.

(5) ينظر: نفسه، ص: 163.

(6) ينظر: نفسه، ص: 164.

(7) أبو عبد الله بدر الدين ابن الناظم: شرح الألفية بن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد، دار الجليل، بيروت، 1998، ص: 565.

وقد اختلف النحاة في تأدييات هذه الحروف الدلالية في "نداء البعيد" أو نداء القريب، فيذهب بعضهم إلى أن: "يا"، و"أي" و"أيا" و"آ" و"آي" تُستعمل للبعيد، وأن "أ" و"وا" للقريب، وبعضهم ذهب إلى أن: "أيا" و"وهيا" تُستخدم لنداء البعيد، و"أي" و"الهمزة" للقريب، و"يا" لهما معا، إلا أنهم « أجمعوا على جواز نداء القريب بما للبعيد توكيدا، ومُنع العكس ». (1)

إذا كانت حروف النداء هي الشرط اللازم لقيام وظيفة المنادى داخل التركيب؛ فإنه يقوم كل حرف بوظيفة حسب دلالاته التحوّية، وإلا لما اختلفت باختلافها اختلاف في الوظيفة والتركيب، « وتُدْمج أدوات النداء، طبقا لمبادئ النحو الوظيفي الموجودة في البنية الوظيفية، عن طريق تطبيق قواعد التعبير التي تنقل البنية الوظيفية للجملة إلى بنية المكونات ». (2)

تكمن وظيفية الأدوات في قواعد إدماجها؛ إذ يقترح "المتوكل" قواعد لإدماج أدوات النداء نذكر منها:

- إذا كان المنادى عَلَمًا لا يمكن أن يُسبق بـ: "أَيُّهَا" بل يسبق بأداة النداء "الصفير" أو أداة النداء "يا" أو "أيا"، وإن لم يُخصص بالألف واللام فإنه لا يُسبق إلا بـ "يا".
- يُسبق المكوّن المنادى بـ: "أَيُّهَا" إذا كان مخصصا بالألف واللام.
- لا يُسبق المكوّن المنادى بـ: "أَيُّهَا" إذا كان رأسا لمركب إضافي، فإنه يُسبق بأداة النداء الصفير أو "يا" أو "أ".
- إذا كان المنادى اسم إشارة، فإنه يُسبق بأداة النداء "يا" أو "أ" ويسبق بـ: "أَيُّهَا" في حالة اختزال اسم الإشارة إلى: "ذا".
- إذا كان المكوّن المنادى جملة موصولة، فإنه يُسبق بـ: "يا" أو "أ" إذا كان الموصول "من"، وإذا كان الموصول الذي يسبق بـ: "الذي" ولا يرد الموصول "من" مسبوقا بـ: "أَيُّهَا" ولا "الذي" مسبوقا بـ: "يا". (3)

(1) ابن الناطم: شرح الألفية بن مالك: ص: 565.

(2) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 166.

(3) ينظر: نفسه، ص: 168، 169.

يتحدد تركيب النداء ووظائفه التداولية مع تراكيب أخرى مثل التركيب الأمري، والتركيب الاستفهامي والتركيب الإخباري، فتضافر مكونات المنادى داخل التركيب الاستفهامي والأمري والإخباري، يكون قوة إنجازية للنداء.

يمثل النداء فعل لغوي إنشائي يمنح للتركيب قدرته الإنجازية، كما أنه يأخذ حالة إعرابية وهي النصب بمقتضى حالته ووظيفته التداولية، ويكون في صدارة الجملة وآخرها، لكن الاستعمال الأوفر للشكل الأول باعتبار وظيفة النداء تنبيه المخاطب، فوجب أن يذكر قبل الخطاب نفسه.

من أمثلة الوظائف التداولية بصفة عامة ، نذكر في التراكيب اللغوية العربية: « المبتدأ وظيفته معرفة المخاطب ونوعية التخاطب، الخبر ووظيفته الإحالة إلى فائدة السامع، التمييز تنبيه المخاطب على المراد بالنص على أحد محتملاته، والمنادى وظيفته تكمن في الوظيفة الطلبية للمخاطب التي يؤديها حرف نائب عن الفعل، وتكمن وظيفة التوكيد التداولية في تمكين المعنى في نفس المخاطب، وإزالة احتمال التأويل.»⁽¹⁾

إنّ الوظيفة في اللغة قد اتسعت حتى صارت واقعا لغويا من الصعب أن ضبطه، وصنفت الوظائف اللغوية بحسب ورودها في تراكيبها اللغوية فهي وظائف دلالية، وتركيبية، تداولية، ومنهم من يصنفها بحسب عناصر العملية التواصلية من منظور اللغة الوظيفي؛ إذ تتفاعل فيه جميع المستويات ضمن عملية تخاطبية. وعليه: المنظور الوظيفي للتركيب اللغوية يتجلى في استعمالها ضمن: كلام، وهذا الأخير يُعبّر عن القيمة الاتصالية للغة من خلال تفاعلها مع الواقع الذي وجدت فيه.⁽²⁾

نذكر هاهنا ما جاء به "رومان جاكبسون" ROMAN JACOBSON، وتأثره بوظيفة التواصل أو بنظرية الاتصال، حيث أورد "جاكبسون"، عناصر العملية التواصلية في ست وظائف كل منها يقوم بوظيفة.

(1) ينظر: عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص: 30.

(2) أحمد محمد قدور: مبادئ في اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ص: 242.

1-6- المدرسة الوظيفية:

من الثابت أنّ المدرسة الوظيفية هي إحدى أهمّ المدارس اللغوية دراسة وتحليلاً، التي تتخذ من الوظيفة اللغوية حقلاً موضوعياً للدراسة؛ إذ تلتخص وجهة نظر الوظيفية في التحام البنى والتركيب اللغوية، والسياق الذي أنشأت فيه، ووظيفة التركيب التي يؤدّيها في ذلك السياق.

ومن الصّعب إنكار صراع وتسايق المدارس اللسانية، في جدوى كلّ مدرسة في معالجة اللّغة وأفضليّة مدرسة عن أخرى.

مدرسة براغ* تُعدّ «أفضل من يمثل الاتجاه الوظيفي في دراسة اللّغة»⁽¹⁾؛ إذ تُعنى الوظيفية «بالبعد الوظيفي للّغة ممثلاً بكيفية استخدام اللّغة من حيث هي وسيلة اتصال، يستخدمها الأفراد للتواصل والأهداف وغايات معيّنة»⁽²⁾، إذن ينبغي أن تُؤخذ اللّغة في تركيبها الوظيفية عند دراسة تراكيب وخطابات ومواقف لغوية، ويمثّل برنامج المدرسة الوظيفية في معالجتها للّغة كمايلي:

- معالجة الوظيفة الحقيقية للّغة والتي تتمثل في التّواصل والاتّصال؛ إذ تتمّ معالجته وظيفياً في كيفيته، ومناسبته⁽³⁾، منه يتحدد منهج الوظيفية؛ إذ تنطلق من «تحديد اللّغة باعتبارها نظاماً وظيفياً يهدف إلى تحقيق التّواصل والتّعبير، الذي يقتضي أن تحمل العناصر اللسانية شحنة إعلامية»⁽⁴⁾.

- اللّغة ذات واقع مادّي يتّصل بعوامل خارجيّة، بعضها يتعلق بالسماع والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتّصال أو الكلام.

- الدراسة العلميّة للخصائص المميزة لكل من اللّغة المكتوبة واللّغة المنطوقة.

- ينبغي الفصل بين الظاهرتين المورفولوجيّة والفنولوجيّة.

(1) محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004، ص: 70.

*نشأت هذه المدرسة في أحضان حلقة براغ اللسانية، التي أسسها اللساني: التشيكي "فاليم ماثيسوس" Vilem Mathesius (1882-1945)، ولم تقتصر المدرسة الوظيفية في عضويتها على اللسانيين المقيمين في براغ فقط، بل شملت أيضاً غيرهم ممن يقيمون في بقاع أخرى.

(2) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، ص: 86.

(3) ينظر: نفسه، ص: 89.

(4) عبد القادر المهيري: أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986، ص: 39، 40.

- الوظيفية لا تحمل الدراسة الوصفية لما لها تأثير على الواقع اللساني الفعلي دون أن تستبعد الدراسة التاريخية؛ لأنّ النظام اللساني الكامل لا بدّ أن يكون تاريخيًا في ضوء الوصفية⁽¹⁾، كما لا يمكن للدراسة التاريخية « أن تحمل، فكري: النظام والوظيفة، كما أنّ الوصف لا يمكن أن يلغي فكرة التطور»⁽²⁾، إذن لا يمكن الفصل بين فكري: النظام والوظيفة وبين المنهجين التاريخي والوصفي.

هذه البرامج ومثلها عديدة تكوّن أهمّ ما جاءت به الوظيفية؛ إذ تكوّن درسا لسانيا للغة وظيفيا، وتجدد الإشارة هاهنا إلى النظرة الوظيفية للتركيب.

(1) ينظر: نعمان بوقورة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 89.

(2) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص: 118.

1-7- النظرية الوظيفية للجملة (التركيب): Functional sentence perspective:

تولدت هذه النظرية من مناقشات تقليدية حول ثنائية الموضوع: Subject والمحمول Predicate، وقد كان لمؤسس هذه المدرسة " فاليم ماثيوس Vilem Mathesius " أفكار في وظيفية الجملة ، انطلاقاً من مبدأ "ثنائيات متميزة تتعلق بالطرفين الأساسيين للجملة، ووظيفة كلا منهما، وتأثير كيفية ترتيبهما في الوظيفة التي تؤديها الجملة، وهذه الثنائيات هي: - التعليق comment - الموضوع: Topic - البؤرة: Focus - المتقدم: Them - المتأخر: Theme - المسلمة: Given - الإضافة: New

المتقدم وهو المبتدأ المتكلم عنه، والذي يعتقد المتكلم أنه في مخزون المخاطب ومعروف له، والمتأخر هو الذيل وهو الجزء المتمم للجملة ، وبه يُضاف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل، ولها علاقة بالمقدم، والمسلمة هي ما يقدمه المتكلم من معلومات تكون في مخزون السامع ومُدركة من معارفه، هذا الإدراك يكون مصدره: السياق، المحيط (المقام)، والإضافة ما يقدمه المتكلم من معلومات لا يدركها السامع من مصادر أخرى. (1)

تظهر هنا علاقة التركيب اللغوي بالوظيفة والإسناد والتقديم والتأخير (الرتبة) والإعراب والسياق وقصد المتكلم، وهذه النظرية في منهج المعالجة الوظيفية للتركيب اللغوي أو للجملة قد أدت إلى: إسناد كل عنصر من عناصر العملية التواصلية وظيفة ؛ إذ تُعدّ من أهم اهتمامات الوظيفية.

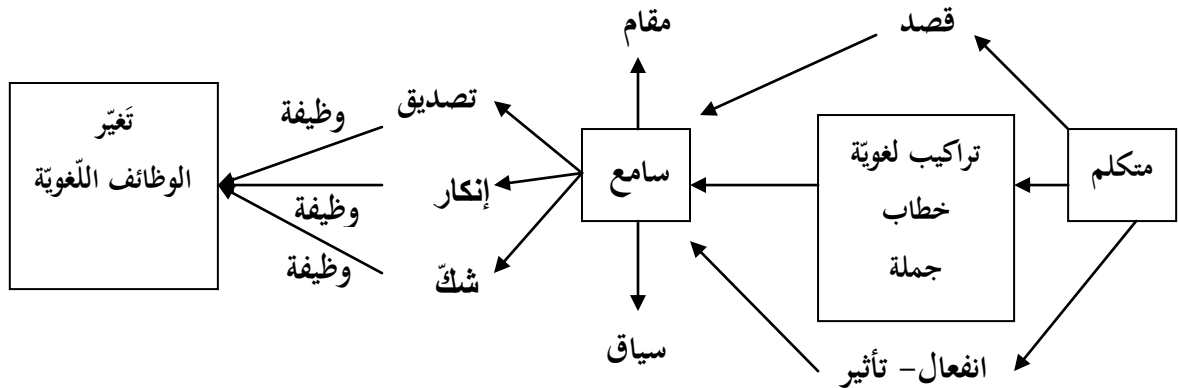
(1) ينظر: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص: 72.

1-8- الوظائف اللغوية عند: "رومان جاكسون": "ROMAN JACOSON"

إنّ الوظيفة بتحديد لها هذه الوظائف، تنغيّ إلى تمكين السامع من فهم ووعي التركيب التي أنشأها المتكلم، كما تُمكن المتكلم من إيصال قصده كما ينبغي، وتحقيق هدف الخطاب.

قد سار "جاكسون" - حين منح لكل عنصر من العملية التواصلية وظيفة - مسار "كارل بوهلر Karl Buhler (1934)" الذي كان يُميّز بين وظيفة التمثيل Representative function أي؛ وظيفة التقرير تقرير الحقائق ، ووظيفة التعبير Espressive function وهي التي تتعلق بالتعبير عن الخصائص المؤقتة أو الدائمة للمتكلم، ووظيفة الانفعال Conative function ، وهي التي تُؤثر في السامع. (1)

بتعبير آخر إنّ مستعمل اللغة ليتوخى القصد في تركيب لغوي على وظائف تخصّه، وأخرى تخصّ السامع وأخرى تخصّ التركيب من أجل تحقيق هدفه، ويمكن التمثيل له بالمنحط الآتي:



أمّا اقتراح "رومان جاكسون"، نراه أكثر شمولية، فاللغة ذو طبيعة وظيفية؛ إذ يصدق في تصوره أن يضطلع كل من يساهم في العملية التواصلية بوظيفة.

(1) جفري سامسون: مدارس اللسانيات السباق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، النشر مطابع جامعة الملك سعود، 1994م، ص: 113.

تتأدى هذه الوظائف حينما تتفاعل عناصر العملية التواصلية عملية تخاطبية أو كلامية، فالمنظور الوظيفي يتجلى في « الكلام الذي يُعبّر عن القيمة الاتصالية للغة، من خلال تفاعلها مع الواقع الذي وجدت فيه. »⁽¹⁾ نستطيع القول بأن وظائف اللغة قد شكلت "نظرية وظائف اللغة"، وقد استلهمها من نظرية التواصل؛ إذ يرى "جاكسون" أنّ اللغة وسيلة للتواصل الإنساني الذي لا يتحقق إلا بالعناصر الآتية:

- المرسل: وهو الذي يؤدّي الرسالة (المتكلم).
- المرسل إليه: وهو الذي يستقبل الرسالة (المتلقي).
- إقامة الاتصال: وهو القناة بين المرسل والمتلقي، وشرط نجاح هذا التخاطب أو التواصل، لا بد من وحدة التجربة بينهما وذلك وفق قناة التحويل التي تجعل من التواصل قائما ومستمرًا.
- لغة مشتركة: يتكلمها المرسل والمتلقي معا، ومنه يحدث التواصل.
- رسالة لغوية: وهي ظرف للمحتوى الكلامي الذي تشير إليه، ويفهمه المتلقي في الوقت نفسه، ويمثل المرجع أو المحيط الخارجي.
- محتوى لغوي: ويمثل شفرة الاتصال، وترمز إليه الرسالة، وتشكله اللغة المشتركة بين المرسل والمتلقي.⁽²⁾

فحوى نظرية الوظائف اللغوية أنّ عملية الاتصال تقوم بست عناصر أو عوامل، « على حد قول جاكسون؛ إذ يُؤدّد كل عامل من هذه العوامل وظيفة لسانية مختلفة. »⁽³⁾

وهي:

(1) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ص: 242.

(2) ينظر: نعمان بوقرة: المدارس اللسانية الحديثة، ص: 99.

(3) رومان جاكسون: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1988، ص: 28.

أ - الوظيفة التعبيرية:

وهي متعلقة بالمرسل وفحواها أنّها تقوم بوظيفتين:

- تحدد العلاقة « بين المرسل والرسالة وموقفه منها؛ لأنّ الرسالة تُعبّر عن مرسلها وتعكس حالتها.»⁽¹⁾
- أفكارها تحمل « تتعلق بشيء ما (المرجع) الذي يعبر المرسل عن مشاعره اتجاهه »⁽²⁾؛ إذ « تهدف إلى أن تُعبّر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه ، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو كاذب .»⁽³⁾

تتحقق هذه الوظيفة على المتكلم، وتُظهر: الانطباع والموقف تجاه ما أرسله، ويطلق عليها "الوظيفة الانفعالية".

ب-الوظيفة الإفهامية:

تتعلق بالمرسل إليه (المتلقي)، وفيها « يحاول المرسل إبقاء الاتّصال مع المتلقي، عن طريق ألفاظ بسيطة لا تحمل أفكارا مثل: "ألو"، "هاه" »⁽⁴⁾، وتتجسّد هذه الوظيفة « في النداء والأمر»؛ فالخطاب يخضع للمتلقى من طرف متلقي وقد تضطلع هذه الوظيفة بجملة من الخصائص إذ يكون المتلقي هو المقصود بوظيفة تمثل في: إفهامه، إقناعه، تغيير سلوكه، تغيير معتقده...

ج- الوظيفة الانتباهية:

تتعلق بقناة التّخاطب وترتبع هذه الوظيفة في التراكيب التي من شأنها إثارة انتباه المتلقي مثل: التركيب الأمرى، والندائي، فالأول طلب والثاني إثارة انتباه وأيضا: التكرار، والتأكيد...⁽⁵⁾

(1) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 99.

(2) نفسه، ص: 99.

(3) رومان جاكسون: قضايا الشعرية، ص: 29.

(4) نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 100.

(5) ينظر: نفسه، ص: 100.

د- الوظيفة ما وراء اللغة:

وهي متعلقة باللغة المشتركة بين المرسل والمتلقي، « وتعمل على وصف اللغة وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها، على أنّها وظيفة كلام اللغة عن اللغة نفسها»⁽¹⁾، وذلك إذا اعتبرنا أنّ: طرفي الخطاب تجمعهما علاقات مشتركة يمكن عدّها في:

- وحدة اللغة: المتكلم في خطابه يُعبّر بجمل وتراكيب مجتمعة التي يعبرون بها عن أغراضهم.

- وحدة الثقافة: بين المتكلم والمتلقي: روابط ثقافية، فكرية عقائدية مشتركة.

- وحدة البدهة: المسلمات والبديهيات في ذهن كل متكلم ومتلق لا تحتمل التبرير أو الاستدلال.⁽²⁾

وهذا ما عبّر عنه جاكسون « فالتكلم أو السّامع كثيرا ما يحتاجان إلى التّأكد من أنّهما يستخدمان الشفرة نفسها [...] كأن يقول السّامع "أنا لا أفهم ما تعني" [...] أو يقول المتكلم: "أريد أن أقول ، أو أقصد [...] تلك هي الوظيفة المسماة "ميتالغويّة".»⁽³⁾

إنّ اشتراك المتكلم والمتلقي في شفرة، أو تراكيب نموذجيّة، أو علاقات علاقة لغويّة، علاقة ثقافيّة فكريّة، البدهة، من شأنه أن يجعل العمليّة التّخاطبيّة مستمرة، وإنّ حدث خلل في العلاقات المشتركة أو الشفرة بين طرفي التّخاطب تفقد العمليّة قدرتها التّواصلية وتضيع ، وبهذا تصبح هذه الوظيفة (ما وراء اللغة) هي الأساس في التّواصل.

⁽¹⁾ نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 100.

⁽²⁾ ينظر: رشيد بن حدو، قراءة في القراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 48، 49، 1988، ص: 15.

⁽³⁾ صلاح فضل: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، المجلد السابع، العدد الأول، 1984، مصر، ص: 55.

هـ - الوظيفة الشعرية الأدبية:

هذه الوظيفة تجعل من اللغة ديناميكية في استعمالاتها، وبدونها تصبح اللغة ميتة وسكونية، وهي موجودة في كل أنواع الكلام⁽¹⁾، و« ليست هي الوظيفة الوحيدة في مجال فنّ القول، وإنما هي الوظيفة الغالبة فيه.»⁽²⁾

قد تتعدد الوظائف في تأدياتها، وقد تُهيم إحداها عن الأخرى، وهو أمر لا ينفي انتفاء وعدمية الوظائف الأخرى، بل تحدد نوع الرسالة التخاطبية مع مقصد المتكلم وهدفه⁽³⁾، بل تتضافر هذه الوظائف لضمان استمرار الرسالة، وإن حدث ولم تحقق وظيفة تأديتها، يحدث خلل في استمرارية الرسالة؛ فهذه الوظائف هي التي تحمي « العوامل المكونة لكل صيرورة لسانية ولكل فعل تواصل لفظي»⁽⁴⁾؛ إذ يُعرّف "جاكسون" الشعرية الأدبية بأنها « الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموماً، وفي الشعر على وجه الخصوص.»⁽⁵⁾

هـ - الوظيفة المرجعية:

هي متعلقة بظرف المحتوى اللغوي، سياقه ومقامه ومحيطه الخارجي، « باعتبار أنّ اللغة فيها تُحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها، وتقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة.»⁽⁶⁾ وهي أهمّ الوظائف؛ إذ تتعلق بكلّ الوظائف الأخرى، فهي السياق الخارجي للعملية التواصلية ولكلّ المشاركين فيها.

(1) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 100.

(2) أحمد منور: مفهوم الخطاب الشعري عند رومان جاكسون من خلال كتابه: مقالات في الألسنية العامة، مجلة اللغة، العدد الثاني 1994، جامعة الجزائر، ص: 88.

(3) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 100.

(4) رومان جاكسون: قضايا الشعرية، ص: 27.

(5) نفسه، ص: 78.

(6) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، الطبعة الثانية، ص: 159.

صفوة القول أنّ "جاكسون" قد ترك بصمته -بشكل واضح وجلي- في عالم اللسانيات الحديثة خاصة ، والفكر البشري عامة، وكان تأثيره كبيرا في ميدان اللسانيات، والنظرية الوظيفية، وكذا العديد من العلوم الإنسانية؛ إذ وجّه فكره وتفكيره نحو بناء نظرية وظيفية لسانية.⁽¹⁾

إنّ أهمّ النظريات والمصطلحات التي أنتجتها التداولية الوظيفية، ونظرية الوظائف اللغوية، والتي نتجت من معالجتهم: لأهم أقطاب العملية التواصلية: المتكلم، والمتلقي، والخطاب؛ فالمتكلم هو من يُحدث العملية التواصلية أول مرة، وعليه يُنتج خطابا مزودا بقصد وهدف، والذي تُسج من أجله الخطاب (المتلقي) هو شرط حدوث هذه العملية. لكن كان المتكلم هو المنتج للخطاب فإنّ المتلقي هو الذي أوجده (الخطاب).

إنّ المنحى الوظيفي للغة اتّخذ لنفسه نظرية وفرعا جديدا في اللسانيات تُعرف بالنظرية الوظيفية، أو اللسانيات الوظيفية، هذا البروز والصرح الوظيفي للغة قد جعل نظريات لسانية تسيّر حذوه وتدعمه، تخدمه وتحقق مبادئه وخصائصه وتضيف له طرائق تحليل خطابية ومن هذه النظريات: نظرية التواصل، ونظرية التلغظ، ونظرية الحجاج، ونظرية الأفعال الكلامية...

نتج عن هذه العلاقة بين النظرية الوظيفية وهذه النظريات: مصطلحات صبغتها وظيفية، وهي كثيرة منها: الجملة، الخطاب، النص، الحجاج، التداول، الحوار، السياق، الكلام، الفعل الكلامي.

إنّ هذه النظريات والمصطلحات حين تتفاعل خطابيا مع الوظيفية تنتج علاقات ومحطات إلتقاء.

⁽¹⁾ فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1993، ص: 145.

1 9 - نظريات ومفاهيم وظيفية تداولية:

علاقات الوظيفية بالنظريات والمصطلحات اللسانية تكمن في مدى خدمة هذه النظريات في كشف مقاصد المتكلم والأهداف الخطابية.

1 - نظرية التواصل:

تتسم هذه النظرية بالشمول فهي عمدة النظريات، وتعقد علاقات بعلم النفس، والاجتماع... وتعتبر هي السند الذي يدعم نظرية الوظيفة التداولية؛ ذلك أن هذه النظرية تقوم على عناصر هي بمنزلة الثوابت التي شكلت الوظيفية وهي:

- المتكلم:

هو المحدث والمكون الأول لعملية التواصل، والصورة الوظيفية هنا تتجلى في نية وفي قصده وفي كيفية إنتاجه للخطاب.

- المتلقي:

هو الذي من أجله، أحدثت هذه العملية التخاطبية وتتجلى علاقته بالوظيفة في حالته، ومستواه، والسياق الذي هو فيه، لأن من شأن هذا - تشخيص حالته - تحقيق القصد ومنه نفعية الوظائف اللغوية حين الاستعمال، فيحصل الفهم والإفهام.

- الخطاب:

هو الوسيلة التواصلية، به يحدث التواصل بين المتكلم والمتلقي، وصورته الوظيفية تكمن في أنه توال من التراكيب والجمل وترابط بنيات بطبيعة وظيفية بحالتها الجائزة في اللغة، لا منفصلة عن الوظائف التي تربط الخطاب كونه حدث تواصلية، وهذا التواصل يقوم بعقد تضافر وظائف تجعله مستمرا، ووظائف نحوية (تركيبية)، ووظائف دلالية، ووظائف تداولية.

هذا من جهة، ونظرية التواصل وظيفية في جوهرها ؛ لأنها جعلت التواصل أو الاتصال والوظيفة متلازمين، بل جعلت التواصل وظيفة كبرى للغة - من جهة أخرى - ونجد اللغة غالبا ما تؤدي التواصل باعتباره وظيفة الفهم والإفهام.

ولأن كل وظيفة أخرى تؤديها اللغة يُعتبر تجاوزا عن (التواصلية) ، وتعدّيا إلى التداوليات الوظيفية و استراتيجيات التواصل مثل : التلميحية، والتوجيهية، والتأثيرية، والحجاجية... لكن تنعدم هذه الوظائف وتخسر جانبها الوظيفي، إذا لم تنطلق من رحم التواصل، أو الوظيفة التواصلية.

يجب أن يكون التواصل أساس الوظيفة التداولية، وأن تكون الوظائف اللغوية التداولية التواصلية هي غاية التواصل، وإذا جعل التواصل أساسا للوظيفية - وهو الأصل - فإن نظرية التواصل تتحقق وتزدان قيمتها، بأن تتحقق نفعية الخطاب.

نظرية التواصل نظرية وظيفية، في استعمالها للغة ، وفي وظيفة اللغة الاجتماعية لا تقتصر على إيصال الأفكار والتعبير عنها فحسب بل تتعداه لأشكال وسلوكات كلامية.

تبرز علاقة الوظيفية بنظرية التواصل في نظرتها إلى اللغة « على أنّها "وظيفة اجتماعية"، وعلى أنّها "طريقة من العمل" [...] مما يُعينا على فهم طبيعة اللغة وجوهرها حق الفهم، أن ننظر إلى الدور الذي تقوم به في حياة الفرد، وفي حياة الجماعة التي يُؤلف بين أفرادها الحديث بلغة مشتركة، وفي حياة النوع الإنساني بعامه.»⁽¹⁾

يرتبط مصطلح الوظيفة بالنظرية التواصلية بنفعية اللغة « اجث في خيالك وسوف لا تجد وسيلة للاتصال أجمع في هذا الباب من اللغة»⁽²⁾، واللغة من منظور تواصلية وظيفية تقوم بثلاث وظائف أو تخدم ثلاثة أغراض: وسيلة للاتصال، ومساعد ميكانيكي للفكرة ، ووسيلة للتسجيل والرجوع إليها.

يتحكم في تحقيق وظيفة التواصل المقام، فإنه إذا فُقد هذا العنصر الفعّال في التحليل، فسوف تقع في سوء الفهم ، وتحتل الرسالة حينئذ عدة احتمالات وكذا طبقات من المعاني⁽³⁾، فاللغة والسياق، والمتكلم والمتلقي

(1) محمود السعران: اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الإسكندرية، 1963، الطبعة الثانية، ص: 23، 24.

(2) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، ص: 01.

(3) رايص نور الدين: نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، الطبعة الأولى، 2007، ص: 260.

والرسالة، تربطهم وظائف وتربط بينهم « قناة تواصل تسمح بربط فيزيائي ونفسي للتواصل والإبقاء عليه أو قطعه. »⁽¹⁾

تتفاعل هذه العناصر في عملية تواصلية، فيقوم كل عنصر بوظيفته، وقصور أي عنصر عن وظيفته من شأنه أن يبطل العملية برمتها، وتقوم نظرية التواصل بثلاث ملكات:

أ - الملكة اللغوية النحوية:

مفادها التأويل « إذ يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول، إنتاجا وتأويلا صحيحين، عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومتعددة جدا في عدد كبير من المواقف المختلفة التواصلية. »⁽²⁾

ب - الملكة المنطقية:

هذه الملكة تُحوّل مستعمل اللغة « أن يشتق معارف أخرى، بواسطة قواعد الاستدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي. »⁽³⁾

ج - الملكة المعرفية:

بها يستطيع مستعمل اللغة « أن يُكوّن رصيذا من المعارف المنظمة، ويستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية، كما يستطيع أن يختزلها في الشكل المطلوب يستحضرها في تأويل العبارات اللغوية. »⁽⁴⁾

تتعلق النظرية التواصلية بالوظيفية بل إنّ الأخيرة وليدة الأولى وذلك لأنّ؛ التواصل فعالية مشتركة بين المستعملين والمتواصلين، وبه تنبني علاقاتهم في سياق ومكان وزمان.

تقيم النظرية التواصلية شموليتها حين يدخل في عباؤها العلامات السيميائية، أو وظائف ملامح الجسد أو الوجه أثناء التواصل، إضافة إلى اللغة الطبيعية.

(1) عمر أوكان: اللغة والخطاب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001، ص: 18، 19.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص: ص: 37.

(3) نفسه، ص: 37.

(4) نفسه، ص: 37، 38.

تتجلى الوظيفية أكثر في نظرية التواصل في أنه - التواصل - نشاط كلامي فعلي منظم موجه مقصود له هدف، وأنه يحدث ويدوم ويستمر وفقا للعادات والأعراف الاجتماعية بين المتواصلين، والعلم بقواعد إنتاج وتأويل الخطاب.

نمارس التواصل، ونعني به التواصل الوظيفي بمعنى غير عشوائي، كي نصل في النهاية إلى الفهم والفائدة والنفعة، والتواصل فنّ به يُحقق الفرد مآربه في تراكيبه: أمره واستفهامه، إخباره وسرده، تفسيره وحجابه...

2 - نظرية التلفظ:

انبتت هذه النظرية من المنهج التداولي، وتعدّ هي أحدث نظرية لفهم العملية التخاطبية والوظائف اللغوية، وتكمن علاقة التلفظ والوظيفية في إشكالية التلفظ نفسها؛ إذ « تعيد الاعتبار لعناصر بقيت مجهولة في البحث اللغوي، لتجعل من المتكلم فاعلا في العملية التخاطبية، غير مستغن عن المخاطب والمحيط الزماني والمكاني الذي يحيط بهما، ناهيك عن مجموعة من العوامل اللغوية التي يخضعان لها.»⁽¹⁾

تتجلى الوظيفة من الخطاب، ومن وظيفة السياق الخارجي والمتكلم، ومن فعالية الخطاب وفاعلية المخاطب، وهذا التفاعل الخطابي هو أجلى صورة للوظيفة من خلال التلفظ.

علاقات هذه النظرية علاقات عديدة، تسيّر عملية التلفظ وتحدد الوظائف من خلال: المشاركين، مركز التلفظ، زمن الملفوظ وعلاقته بالذات، وموضوع الملفوظ التي تُحقق بتضافرها وظيفة اتصالية لغوية.

يمكن أن يُعرّف التلفظ بفعل التواصل، وهذا الفعل ينتمي إلى نظام وظيفي تداولي وينتج بتلاحم ظروف

نفسانية واجتماعية لعملية التلفظ، وهو القصد والأثر؛ إذ « كلّ تلفظ لقصة ما، يسعى إلى إنتاج أثر في مُتقبل»⁽²⁾، وما هذا إلاّ تجسيد للوظيفة التأثيرية؛ إذ القصدية تأخذ صبغة رئيسية في عملية التلفظ ؛ لأنّ التلفظ فعل موجه مقصود إلى متلفظ إليه لتحقيق وظيفة فيه: إفهامية، توجيهية، إقناعية...

تبرز عناصر ثلاثة لنظرية التلفظ (الأهم):

(1) ذهبية هو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل في الدرس اللغوي القديم، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، 2009، ص: 06.

(2) عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد)، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 41.

- المتلفظ :

يشترط فيه القدرة والكفاءة، وقدرة على إنتاج ملفوظ (القدرة التلفظية)، والكفاءة التلفظية في قصدية وإبلاغية الملفوظ: وصحته ونفعيته تركيبيا (نحويا)، دلاليا (معنى)، تداوليا (فائدة) ووظيفته فعل التلفظ وإنشاء علاقة تخاطبية تخابرية والملفوظ إليه.

- المتلفظ إليه :

يشترط فيه الاستقبال، استقبال الملفوظ والتفكيك، فك شفرات الملفوظ، وهذه القدرة الاستقبالية، والقدرة التفكيكية من شأنها فهم الملفوظ واحتمالاته، قصده وموضوعاته.

- الملفوظ :

يشترط فيه الفائدة والنفعية والقصدية والإبلاغية وتأدية هذا الملفوظ (طريقته، تراكيبه...) من شأنها تحقيق الوظائف المقصودة، ومنه المتلفظ يحصل على غرضه، وهدفه.

تجدر الإشارة إلى علاقة النظرية التواصلية بالنظرية التلفظية باعتبارها « بحثا تأمليا في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين، يهدف إلى غايات تواصلية.»⁽¹⁾

إنّ الملفوظ كفعل ونشاط تواصلية تداولية هو تفاعل عناصر التلفظ ضمن سياق، يتم إنتاجه ضمن عملية تلفظية، وعلاقة الملفوظ بهذه العملية التلفظية علاقة وظيفية، أو نقل نفعية تتحقق بالتكامل الوظيفي والتفاعل، الذي يأخذ طابع التّواصل والتّداول والوظائف.

لسانيات التلفظ أو الملفوظية بهذه المصطلحات أول ما ظهرت مع " شارل بالي " في اهتمامه بالأسلوبية، وتعتبر هذه الأخيرة هي التلفظية / الملفوظية نفسها.

(1) عبد القادر الغزالي: اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى، 2003، ص: 24.

تُعدّ جهود اللساني الفرنسي "إميل بنفنيست" Emile Benvenist هي التي جعلت من التلفظ نظريّة، وهذا حين اهتم بثنائيّة (لغة/كلام) لـ "دو سوسير"، وهي التداوليّة والتواصلية في جوهر التلفظية، ومنه تتحدد وظائف التلفظ حين نطرح السؤال: لماذا نتلفظ؟ ولأيّ وظيفة؟ ولمن نتلفظ؟.

تُعرّف التلفظية بأنّها « وضع اللّغة موضع اشتغال بفعل الاستعمال الفردي »⁽¹⁾ ومنه «التلفظ نشاط لغوي يقوم به فاعل لغوي هو المتلفظ، تنعكس آثاره في الملفوظ الذي ينتج عن هذا النشاط التلفظي»⁽²⁾، والتلفظ ممثل في عبارة « أنّ القول يعني التلفظ منطبع في القول (الملفوظ) ». ⁽³⁾

يُستنتج من هذا أنّ التلفظية دراستها وظيفية باعتبار اللغة المحققة بالاستعمال (الكلام)، ويمكن أن توصف الملفوظات بالملفوظات الوظيفية من منظور تداولي.

نظريّة التلفظ تفرق بين مصطلحين: "التلفظ"، "الملفوظ"، يمثل الأول التلفظ الفعل، والملفوظ نتيجة ذاك الفعل باعتبار « الملفوظ [...] كلّ ما يتلفظ به الإنسان منطوقاً أو مكتوباً، يتحدد ضمن آنية من التلفظ ... أمّا التلفظ فهو العمليّة ذاتها لإنتاج الملفوظ ». ⁽⁴⁾

يُميّز "بنفنيست"، بين التلفظ والملفوظ: « التلفظ حدث "Acte" التكلم نفسه أو النشاط المتحقق بواسطة الكلام أو إنتاج الكلام/ الملفوظ أما الملفوظ هو نتاج التلفظ أي مجموع الأقوال المنجزة ». ⁽⁵⁾

يحدد هذا التمييز بين مفهوم التلفظ والملفوظ، الوظيفة التداوليّة لكل منها ومنه: وظيفة فعل التلفظ، ووظيفة نتيجة الفعل (الملفوظ) ومن منظور التفاعل التلفظي تظهر الوظيفة التداوليّة باعتبار التلفظ « عالماً يتفاعل فيه الناس وتبرز فيه العلاقات البشرية، بكل زخمها وحمولتها الاجتماعية والنفسية ». ⁽⁶⁾

⁽¹⁾ عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نخلله؟ ص: 37

⁽²⁾ نفسه، ص: 112.

⁽³⁾ ينظر: نفسه، ص: 36.

⁽⁴⁾ ذهيبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص: 14.

⁽⁵⁾ محمد مجياتن: الأصالة في نظر رضا مالك، تحليل الخطاب من خلال الحديث أو التلفظ، مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة، الجزائر، العدد: 14، ديسمبر 1999، ص: 337.

⁽⁶⁾ عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نخلله؟، ص: 41.

التفاعل التلفظي يتمثل في أسباب التلفظ ومنه وظيفته التداولية، فهو نتاج سياق محدد هو بالضرورة سياق اجتماعي، وهذا يقتضي أنّ التلفظ ليس عملاً خاصاً بالتلفظ وحده، ولكنّه نتيجة لتفاعل المتلفظ مع طرف آخر، هو المتلفظ إليه الذي يدمج تفاعله هو أيضاً مع الملفوظ والقصد منه. (1)

تستلزم الوظيفة التلفظية شرطان يتمثل الأول في الأفراد المشاركين في التواصل، أمّا الثاني فيتمثل في العلاقات الزمنية والفضائية، والوظيفة التلفظية تكمن في دور الشرطين:

-المشاركين في التواصل ويتمثل دورها في مركز للتلفظ.

-الأبعاد الفضائية- الزمنية للملفوظ أو السياق الموضوعي ويتفرع عن الشرط الثاني تبعاً لطبيعة العلاقة: العلاقة بين زمن التلفظ وزمن الملفوظ، العلاقة بين الذات أو موضوع الملفوظ، العلاقات السوسولوجية والتاريخية بين المتكلمين. (2)

يتبلور اهتمام النظرية التلفظية بالوظائف اللغوية باعتبار هذه الأخيرة قصديّة المتلفظ لحمل المتلفظ إليه إلى هدف الملفوظ « فالتلفظ بوصفه ممارسة سلطة، تقع على المتلفظ إليه وتظهر من حيز الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، فكل قوة هي قدرة على التأثير في قوة أخرى وقابلية لأن تتأثر في الوقت ذاته بقوة أخرى. » (3)

العلاقة بين التلفظية والوظيفية قائمة لأنّها تداولية، وهي العلم الذي يدرس الملفوظ لحظة تلفظه، والتي «تختص بتحليل عمليّات الكلام خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام» (4)، في حين أنّ التداولية تُعنى بدراسة المستعمل من الكلام، ووظائف كلّ العناصر المشاركة في العملية الكلامية.

(1) عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلله؟، ص: 43، 44.

(2) ينظر: عبد القادر الغزالي: اللسانيات ونظريات التواصل، ص: 26.

(3) عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلله؟، ص: 48، 49.

(4) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 30، 31.

3 - نظرية الأفعال الكلامية:

تولدت هذه النظرية من رحم اللسانيات التداولية، وسائر المناهج والنظريات التي تهتم بالجانب الوظيفي في الكلام، وإذا كانت الوظيفة أصل في اللغة، فإنه من الملائم أن نكشف عن الجانب الوظيفي ضمن نظرية الأفعال الكلامية في التركيب اللغوية العربية، وعلاقة هذه الأفعال مع السياق والمحيط الخارجي.

الاستعمال الكلامي لهذه الأفعال ونجاحها في تلبية مقاصد المتكلم يرتكز بالدرجة الأولى على المشاركين في الكلام والسياق؛ إذ تُحدد نظرية الأفعال الكلامية قصد المتكلم، وتجسد هذا القصد في المتلقي، وهذا الجانب الوظيفي التداولي في التركيب اللغوي تدرسه التداولية في تضافر عدة نظريات، وهي تدرس «كيف يحدد السياق المعنى الواحد بالنسبة لجملة في مناسبة معينة لاستعمال هذه الجملة، ونظرية الفعل الكلامي Speech Theory هي الفرع الثاني من علم الاستعمال، والفرع الثالث من علم الاستعمال [...] نظرية التخاطب Theory of conversation، أو نظرية الاقتضاء Theory of implicative»⁽¹⁾.

نستطيع القول أن نظرية الأفعال الكلامية نظرية وظيفية بامتياز؛ إذ تمثل الجانب الإجرائي، ونتيجة الاستعمال الكلامي في بُعدها الاجتماعي والنفسي، ويظهر ذلك في فحوى هذه النظرية: إنجاز أفعال (سلوكات) بالكلام، يتلفظ بها المتكلم ويُحققها المتلقي ويجسدها على أرض الواقع.

يتضح ذلك أكثر إذا أمعنا النظر في فرضية هذه النظرية للكلام؛ إذ «يُقصد بالكلام تبادل المعلومات والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، ويهدف هذا الفعل إلى تفسير وضعية المتلقي ونظام معتقداته، ومواقفه السلوكية»⁽²⁾.

تهتم الأفعال الكلامية بقصد المتكلم، وأثره في معتقد وسلوك المتلقي؛ لأنّ التداولية «تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة ومستعملها واستعمالها وآثارها»⁽³⁾.

(1) عبد الحق صلاح إسماعيل: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة، القاهرة، 2005م، ص: 77، 78.

(2) نعمان بوقرة: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، بجامعة الجزائر، العدد: 17، ص: 169، 170.

(3) عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 08.

حقيق علينا أن نذكر المبدأ الذي تقوم به نظرية الأفعال الكلامية وهو متمثل في أن « الاستعمال اللغوي ليس هدفه إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه ».⁽¹⁾ وعلاقتها بالتركيب اللغوية هي أن « الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة. »⁽²⁾

قد صنعت نظرية الأفعال الكلامية مركزا في التداولية، تنطلق منه في تحليل ودراسة الأثر المترتب لعملية التلفظ، لأن كل فعل كلامي يبني على دلالة إنجازية تأثيرية، ويأخذ شكلا ماديا نتيجة لما يخلفه على معتقد وسلوك المتلقي ويأخذ شكله النحوي التركيبي والإسنادي، وهذا التمرکز في مجمله يشكل: الوظيفية في الأفعال الكلامية، من منظور وظيفي نلاحظ أنه فعل كلامي يحقق أغراض ومقاصد إنجازية مادية اجتماعية، ومنه « فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما ».⁽³⁾

معنى الأفعال الكلامية القيام بأفعال وأعمال بواسطة الكلام ؛ أي أن « الكلام هو الفاعل والسبب الرئيس في حمل المتلقي على القيام بأمر أو الكف عنه، وهذا بدوره يولج هذه النظرية على آفاق مقامية »⁽⁴⁾، ولنبين وظيفية الأفعال الكلامية نذكره ويتميز الفعل الكلامي بقوتين:

- الأولى: قوة بلاغية وهي الوظيفة الكامنة في الفعل الكلامي، تتحدد بفحص الفعل ذاته.

- الثانية: قوة تأثيرية فعلية خاصة بآثار الفعل الكلامي ونتائجه سواء مقصودة أم لا.⁽⁵⁾

ارتبطت نظرية الأفعال الكلامية بـ: "جون لانجشو أوستين J.L.Austin، ثم بتلميذه "جون سيرل" J.S ونورد هنا تقسيم الأفعال الكلامية لـ "أوستين" يستخدم أوستين مصطلح فعل الكلام Act Locutoir الذي يدل على النظرية التي تعنى بتحليل دور الملفوظات في علاقتها بالسلوك: المتكلم والسامع في عملية تواصلية

(1) خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القلم ، ص: 89.

(2) طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص: 260.

(3) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص: 40.

(4) عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية- في نتاج ابن باديس الأدبي- دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013، ص: 102.

(5) ينظر: ذهبية هو الحاج، اللسانيات وتداولية الخطاب، ص: 126.

مشتركة يجعل الكلام نشاط تواصلية يقوم به المتكلم بقصد، وما نتج عن فعل الكلام آثاره أو أثره على السامع⁽¹⁾ وهذا يمثل الجانب الوظيفي لهذه النظرية.

قد قسم "أوستين" و"سيرل" الأفعال الكلامية، وردت على تسميات عديدة في كتب اللسانيات:

3-1- الأفعال الكلامية عند "جون أوستين":

يسعى "أوستين" من خلال دراسته الفلسفية للغة، إلى هتك الحجب عن طبيعة الإنجازية للغة، وأنها لا تقتصر على وصف الوقائع فحسب، بل تتعدى هذا التصور إلى حد الإنجاز. وإنجازية اللغة وظيفتها أو طبيعتها الوظيفية غير محصورة في التواصلية.

قد حطّم بمحاضراته التي وسمها بـ: " كيف نصنع الأشياء بالكلمات "، القيد الذي وُضِعَ على اللغة، وحررها إلى طبيعة إنجازية وظيفية تحتكم إلى مرامي المتكلم ومقاصده، ونوعية المتلقي ومقامه.

تظهر العلاقة التكاملية في اللغة بين الفعل الكلامي والوظيفة؛ إذ تتحدد وظيفة الأفعال الكلامية في بناء الحدث وتحويل طبيعة المتلقي من متلق إلى منجز للفعل، وهذه هي الوظيفة في أجلي صورها، و التفاعل القائم بين الفعل الكلامي والوظيفة التداولية يخلقه النظام الاجتماعي الموجد في « مجموعة من الأجزاء التي تجتمع بالتفاعلات، هاته التفاعلات هي موضوع علم التواصلات. »⁽²⁾

يشارك كل العناصر التواصلية اللغوية والمقامية المساهمة في إنتاج موقف كلامي تواصلية تتفاعل فيه عناصره، فُتحقق المنفعة وهو أصل التداولية.

تجدر الإشارة في تقسيم الأفعال الكلامية عند "أوستين" إلى:

(1) ينظر: محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 182.

(2) مولز- زيلتمان- أوبيكيوني: في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، ترجمة وتعليق: محمد نظيف، دار إفريقيا للشرق، 2014، ص: 07.

تميزه بين الإثباتات التي تصف واقعا، والإثباتات التي تُحقق عملا، ثم جعل الإثباتات التي تصف واقعا حالة نادرة جدا، وأن ثمة إثباتات تُحقق عملا على غالب الإثباتات، وحصر التي تكوّن واقعا في زاوية ضيقة⁽¹⁾، وعليه يتحدد نوعين من الأفعال الكلامية:

– الأفعال الإخبارية **Constative**: متمثلة في الوقائع الخارجية « وتكون صادقة وكاذبة بحيث يصح لقائله إنه صادق أو كاذب. »⁽²⁾

– الأفعال الأدائية **Performative**: متمثلة في الإنشاء وهي أفعال لا تحمل الصدق أو الكذب، صفتها موفقة أو غير موفقة، ويندرج ضمنها: التسمية، والوصف والاعتذار والبرهان والنصح والوعد.⁽³⁾

يتميز "أوستين" بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية، تقابل الأولى: الوصفية وتقابل الثانية الإنشائية، فالأولى عنده هي الأخبار المحضة التي تحمل الصدق والكذب، وأما الثانية فهي الأقوال التي تنجز أعمالا في الواقع بشروط مناسبة، تكفل النجاح في فعل القول، ثم ميز "أوستين" بين أفعال ثلاثة قولية، وتعدّ هذه الأنواع الثلاثة جزئية تكون في تظايرها فعلا دالا إنجازيا، تأثيريا⁽⁴⁾، وهي:

أ – **الفعل اللفظي**: ويتمثل في عمليتي التلفظ والإنتاج، ويشترط فيه الصّحة والسلامة الصرفية والنحوية

ضمن تركيب إسنادي يحمل معنى مقصود، مع الصلة بمرجع محال إليه.

ب – **الفعل الإنجازي**: ويتمثل في القوة الإنجازية لدى المتكلم في تأدية اللفظ لمعاني مقصودة تكون

إضافية، ويشترط فيه الاصطلاح في الاستعمال: كالنصح والاستفهام والأمر والتحذير والوعد...

وهي أفعال تحيل إلى القصدية عند المتكلم.

ج – **الفعل التأثيري**: ويتمثل في الأثر الذي يصنعه الفعل الإنجازي وما يصدر عن المتلقي، وقد يكون

أثرا فكريا أو جسديا أو شعوريا.

(1) ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى، 2014، ص: 89.

(2) محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص: 43.

(3) ينظر: نفسه، ص: 44.

(4) ينظر: عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 263.

بناء على تقسيم "أوستين" الثلاثي للأفعال الكلامية، قدم تقسيما خماسيا على أساس القوة الإنجازية وهي:

- **الحكميات:** وهي أفعال الحكم متمثلة في حكم يصدره قاض أو حكم تكون صفتة: نهائية أو مرحلية، تقديرية أو ظرفية، نافذة أو غير نافذة مثل: أفعال التبرئة برأ، أفعال إصدار المرسوم إذ أن...
 - **القرارات:** وهي أفعال تعبر عن اتخاذ قرار ضد أو لصالح: شخص أو هيئة... مثل: عين، حرّم... ويشترط فيها أن تكون حق بمارسه المقرر.
 - **الوعديات:** هي أفعال التعهد ويشترط فيها الالتزام بفعل محدد ووجوب القيام به نحو: أقسم، أتعهد، أضمن...
 - **السلوكيات:** هي أفعال تستلزم موقفا أو ردة فعل لسلوك معين، مجسدة لموقف المتكلم في القول أمام المخاطب نحو: الاعتذار، والشكر والترحيب...
 - **الإيضاحات:** هي أفعال توضح علاقة الكلام بالموقف التواصلية، فتستعمل لبيان وجهة نظر أو رأي نحو: الإثبات، التأكيد، الشرح، الإنكار...
- يعتبر عمل "أوستين" مبدئي وغير سليم ، نظرا للتداخل الموجود داخل تقسيمه لأنواع الأفعال، وقد صرح بذلك قبل وفاته. (1)

3-2- الأفعال الكلامية عند "سيرل":

أسهم "سيرل" في تطوير نظرية الأفعال الكلامية متمثلة في ثلاث نقاط:

- حين ألف كتابه "الأعمال اللغوية، و"التعبير والمعنى"، فهما امتداد وتطوير لمبادئ "أوستين".
- حين أدرج النظرية في دائرة البحث اللغوي.

(1) ينظر: جاك موشلار، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عدد من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، ص: 67.

- حين حاول بيان حقيقة العمل اللغوي متسائلا عن مدى وجاهة التعبيرات الآتية: أعمال كلامية وأعمال لسانية وأعمال لغوية. (1)

ينبني هذا الافتراض الذي افترضه "سيرل" على ثنائية "لغة كلام"، ومردّه إلى تمييز "دي سوسير" بين الكلام واللسان واللغة للوصول إلى المستوى الذي يمكنه دراسته لسانيا.

حيث انتهى "سيرل" إلى أنّها دراسة للسان، مفرقا بين قوة الفعل الفعل، والفعل الإنشائي مفترضا أن قوة القول واقعة في مستوى مجرد، في حين أن الأفعال الإنشائية موصولة بالألسنة المخصوصة. (2)

يفترض أنّ دلالة جملة عند قولها في مقام معين يوافق إنجازا لعمل لغوي؛ إذ يتحدد عمل "سيرل" في العملية التواصلية بلسان معيّن هو سلوك قصدي يُسيّره نظام من القواعد. (3) ، وبهذه الفرضيات يكون جل اهتمام "سيرل" بدراسة العمل اللغوي، أو الفعل اللغوي مع مراعاة المقام والإنجازية الكامنة فيه والقصد. يتجلى إسهام "سيرل" في فصله بين القوة الإنجازية المقصودة بالقول والمضمون القضوي داخل الجملة الواحدة. (4)

تتمحور جهود "سيرل" في نظرية الأفعال الكلامية في تقسيمه لأفعال الكلام إلى خمسة أصناف: الإخبار، والتوجيه، والالتزام، والتعبير، والإعلان. (5)

ثمّ حدّد الشروط: « التي بمقتضاها يُكَلَّل عمل متضمن في القول بالتجاح، فيميّز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل [...] وقاعدة المحتوى القضوي يقتضي الوعد من القائل أن يسند نفسه إنجاز عمل في المستقبل، والقواعد الأولية المتعلقة باعتقادات تمثل خلفية من تلفظ بأمر أن ينجز العمل الذي أمر به [...] »

(1) ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، ص: 44.

(2) ينظر: شكري المبخوت: نظرية الأعمال اللغوية، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2008، ص: 65.

(3) ينظر: نفسه، ص: 66.

(4) ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، ص: 45.

(5) ينظر: حشاني عباس: خطاب الحجاج والتداولية، ص: 265.

والقاعدة الجوهرية التي تحدد نوع التعهد الذي قدمه أحد المتخاطبين [...] وقواعد المقصد والمواضعة التي تحدد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينفذ بها هذه المقاصد»⁽¹⁾.

ويتكون الفعل الكلامي عند "سيرل" من:

- القوة الإنجازية المقصودة بالفعل (القول).

- المضمون القضوي الإحالي⁽²⁾.

يتجلى إسهام سيرل أكثر حين « فصل بين القوة المقصودة بالقول، والمضمون القضوي داخل الجملة الواحدة»⁽³⁾؛ فالفعل عنده مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي وهو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم.

قد وضع "سيرل" أربعة شروط لضمان نجاح القوة المقصودة بفعل القول وهي شروط الملائمة وهي كالآتي:

- شرط المحتوى القضوي: هو الذي يستلزم فعلا مستقبليا ويطلب من المخاطب كأفعال الوعد، ويتحقق هذا الشرط بكون الكلام ذا معنى محتوى (قضوي)، وهو المعنى الأصلي للقضية.

- الشرط التمهيدي: الذي يستلزم القدرة لدى المتلقي في إنجاز الفعل والمتكلم شرطه اليقين والعلم بقدرة المتلقي، وأن يكون هو قادرا على إنجاز الفعل.

- شرط الصدق: الذي يستلزم المتكلم في إخلاصه لأداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد ويقصد، كما لا يزعم على قدرته فعل ما لا يقدر.

- الشرط الأساسي: الذي يستلزم المتكلم في محاولة التأثير على السامع لإنجاز الفعل⁽⁴⁾.

كما قسم "سيرل" الأفعال إلى مباشرة وغير مباشرة:

(1) جاك موشلار، وأن روبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة، سيف الدين دغفوس، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى تموز/يوليو، 2003، ص: 34.

(2) ينظر: خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة، ص: 501.

(3) ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، ص: 45.

(4) ينظر: نفسه، ص: 48، 49. / وينظر: نحلة محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 48.

- مباشرة: هي أربعة فعل القول، فعل الإسناد، فعل الإنشاء، فعل التأثير.

- غير مباشرة: فيها يتحول المعنى الأصلي الحقيقي إلى مجازي ، وتحتاج إلى تأويل لبيان القصد الإنجازي منها متمثلة في الاستعارة والكناية... وضروب البيان.

تحتل نظرية الأفعال الكلامية مكانة أصليّة في التداوليّة ؛ إذ تُبرز هذه النظرية الجانب الوظيفي للغة « حيث أنّ صاحبها يُعطي مكانة كبيرة لدور اللّغة وأفعالها في صنع الأحداث، ونقل المعنيين من مستوى التلقي إلى مسارح الفعل والتجسيد.»⁽¹⁾

ترتبط نظرية الأفعال الكلامية بالوظيفية من منظور إنجازيّة الفعل الكلامي، لنحصل على صورة الأثر في المتلقي ، ولحصوله وتحقيقه على أرض الواقع ترتبط وظيفيّة الأفعال الكلامية بالنظرية الحجاجيّة.

⁽¹⁾ محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 138.

4 نظرية الحجاج:

يُعدّ الحجاج أصلاً في الخطاب من حيث أنه سمة خطابية ، وطابع خطابي، ووظيفة خطابية تواصلية ،
ووسيلة لتحقيق قصدية المتكلم؛ إذ الحجاج هو « كلّ منطوق به، موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له
الاعتراض عليها.»⁽¹⁾

تكمن وظيفة الحجاج في « حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه ، أو الزيادة في حجم هذا
الاقتناع »⁽²⁾، فهو « عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين.»⁽³⁾

ترتبط النظرية الحجاجية بالوظائف التداولية، فالحجاج نفسه يُكوّن وظيفة، وهي الوظيفة الحجاجية،
ولشمول واتساع هذه الوظيفة تتفرع عنها عدة وظائف تستنبط من استراتيجيات الخطاب، فكلّ استراتيجية تقوم
بوظيفة.

إنّ الوظيفة في الحجاج لا يمكن أن تُرصد إلاّ بمعرفة قصد المتكلم، ونتيجة الخطاب، وأثر الخطاب على
المتلقي ، ويرتبط الحجاج بعملية التواصل لأنّه أصل فيه إذ ؛ أنه « لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج
بغير تواصل.»⁽⁴⁾

هذه نظرة لسائبة بلاغية تنظر إلى اللغة كونها نسق تتعالق وتتفاعل عناصره في حقل وظيفي حجاجي،
وهذا ما يُعرف بالبلاغة البرهانية الجديدة وهي دراسة تسعى إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي إلى إقناع
المتلقي والتأثير فيه لتغيير سلوك أو معتقد..

⁽¹⁾ طه عبد الرحمان: اللسان والميزان و التكوثر العقلي، ص: 226.

⁽²⁾ سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 21.

⁽³⁾ جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص: 105.

⁽⁴⁾ طه عبد الرحمان: التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة ابن زهر، ص: 05.

يُعدّ المظهر الحجاجي من أبرز خصائص الفكر البلاغي⁽¹⁾، وهو ما أدى بالاهتمام بوظيفة « الإقناع والتأثير في صفة لم تعرفها من قبل، وأصبح الخطاب يعتمد على إنجاز تلك الوظيفة، وإحداث التأثير بأسباب متنوعة، منها ما يقوم على البلاغة الصورة، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير لمفهومه، ومتضمنه. »⁽²⁾

من هذه الزاوية غدت النظرية الحجاجية امتدادا لنظرية الأفعال الكلامية، وقد فتح هذا الامتداد دروبا أكثر تطورا، وسبلا أكثر نجاعة في التداولية النفعيّة، ووجه التقاطع بين النظريتين: "نظرية الحجاج" و "نظرية الأفعال الكلامية" يكمن في أبعاد منها: البعد الاقناعي والبعد التأثيري، والبعد الإنجازي، ثم إنّ النظريتين تهدفان إلى نتيجة موحدة وهي: إقناع المتلقي أو التأثير فيه ويظهر هذا في سلوكه أو معتقده.

توصّف البلاغة الجديدة "الحجاج" "بالصناعة الحُطبيّة"، ولبلوغ تلك الأهداف السابقة وتحقيق الأبعاد المذكورة آنفا، قُسمت هذه النظرية إلى خمسة أقسام:

1 - قسم البصر بالحُجّة (**L'envention**): ويتعلق باستكشاف الأفكار والحجج انطلاقا من وجهات نظر مختلفة ممكنة.

2 - قسم الترتيب (**La disposition**): ويتحقق عبر اختيار تنظيم للحجج يوسم بكونه منطقيا إستراتيجيا ؛ ونعني بالتنظيم عملية التخطيط.

3 - قسم العبارة (**Locution**): وتتمثل في اختيار الأسلوب وإيقاع الخطاب، ويتضمن استخدام الصور البلاغية مثل: الاستعارة والمبالغة والتلطيف.

4 - قسم الاستظهار (**La mémoire**): وهو يخص عملية البحث عن وجهات النظر، وذلك بواسطة التصنيف الذي يهدف من خلاله المتكلم إلى تنظيم المقولات التحريبيّة المتضمنة سلفا في الخطاب.

⁽¹⁾ ينظر: باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة: أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، 2009، ص: 06.

⁽²⁾ حمادي صمود: من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1999، ص: 133.

5 - قسم العمل (L'action): وهو اختيار التنغيمات والهيئات والحركات، ويتضمن كل عمل قولي

ذي كفاءة تواصلية متغيرات أساسية على النحو الذي حللها به التداوليون وعلماء اللسانيات الاجتماعية.⁽¹⁾

نضجت التداولية بنظرياتها: الحجاجية والأفعال الكلامية في حقل فلسفي، ثم ظهرت ثمارها على يد اللغويين التداوليين، ويعدّ "مصنّف في الحجاج" أوّل كتاب ظهرت فيه قضايا الحجاج، وهو عمل مشترك بين "بيرلمان" و"تيتيكاه" بعنوان "مصنّف في الحجاج الخطابية الجديدة" عام 1958، ويُعرّف المؤلفان موضوع نظرية الحجاج بقولهما: «موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم.»⁽²⁾

لا تظهر نفعيّة النظرية الحجاجية في درسها لتقنيات الخطاب ووسائله الحجاجية في تفاعل تواصلية، وقدرتما في زيادة الإقناع والتأثير، إلا بالارتباط الواقع بينها وبين الوظيفية فكل تركيب حجاجي منوط بوظيفة إقناعية، تأثيرية، توجيهية... وعندئذ يظهر التفاعل النظري والعملي للتداولية، بين شقها التواصلية والنفعي مع بعدها الحجاجي في ثوب وظيفي.

لإظهار التفاعل المذكور نذكر غاية الحجاج وهي متمثلة في جعل العقول «تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأبجع الحجاج ما وُفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»⁽³⁾، ومن بين أنواع الحجاج نذكر:

(1) ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، الطبعة الأولى، 2007، دار الحوار للنشر والتوزيع، ص: 24، 25.

(2) عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، الناشر مسكيليان للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011، ص: 13.

(3) نفسه: ص: 13.

1 -الحجاج الإقناعي: هو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص.

2 -الحجاج الاقتناعي: هو حجاج يرمي إلى أن يُسلّم به كلّ ذي عقل، فهو عام.⁽¹⁾

تبلورت النظرية الحجاجية أكثر مع ظهور عمل مشترك بين "ديكرو" و"جون كلود انسكرمبر" من خلال كتاب

بعنوان 1983 "الحجاج في اللغة" **L'argumentation dans la langue**

فقدّم مفاهيم للحجاج والآليات الإقناعية، وهو حجاج لغويّ يكمن فيها، وعليه « فإنّ البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، ولكنها لغوية بالأساس، داخلة في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج، وهذه المعلومات يمكن تشبيهها وظيفيًا بتحديد مسبق للسلسلات الخطابية. »⁽²⁾

وهذا درس وظيفي حجاجي للتركيب الخطابية، ويظهر هذا أكثر في رؤية "ديكرو" للقول « كلّ قول يحتوي على فعل إقناعي، فإن تتكلم يعني أنك تحاجج (كل قول = حجاج) ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية، فالحجاج هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة. »⁽³⁾

يرتبط الحجاج بقوانين ومفاهيم منها:

1 -قانون النفعية:

هو قانون أتى به "ديكرو"، وبتفعيله نفهم ما يقال لنا، ونحسب دلالة هذا الذي يقال لنا في ضوء المقام أو الوضعية، منطلقين من دلالاته في مستوى المكوّن اللساني، ويُترجم ويُستنبط هذا القانون من تأويل الملفوظ بطرح التساؤل: لماذا قال المتكلم ما قال؟ وهذا ما يسمى بالتداولية المدججة.⁽⁴⁾

فحوى قانون النفعية يتمحور حول مدى حجاجية التركيب في درجة الإقناع والوظائف المترتبة عنه، ويتمثل قانون النفعية في الجواب عن التساؤل الآتي: ما جدوى التركيب المستعمل دون غيره؟ لماذا وظف المتكلم هذا التركيب؟ وما وجه النفعية فيه؟

⁽¹⁾ ينظر: عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 15.

⁽²⁾ صابر الحباشة: لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010، ص: 245.

⁽³⁾ أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، الطبعة الأولى، 2006، ص: 14.

⁽⁴⁾ ينظر: عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص: 78.

ويتجلى هذا القانون عند "بيرلمان": حين يطبق أي أن المتكلم طبق أو نطق بتركيب فعلى السامع أن يدرك وجه النفعية في استخدام هذا اللفظ دون غيره أو هذا التركيب الخطابي دون آخر.

يرى "ديكرو" في اختيارات المتكلم وهي مزودة بعوامل حجاجية أنفع وأجدى من التركيب العاري من تلك العوامل، فهي تضمن النتيجة المراد إيصالها إلى السامع وتجعل المتكلم يبلغ مقصده جراء اختياره لتركيبه الخطابي.

تكمن وظيفة السامع في الفهم، بمعنى: « إن المتكلم في هذه الحالة طبق قانون الأنفع، وإن المخاطب يُطبق القانون نفسه بتساوله: عمّا حدا بالمتكلم إلى أن يختار من بين طريقتين في التعبير متقاربتين للدلالة. »⁽¹⁾

يُعدّ الحجاج عند "بيرلمان" حجاجاً عادياً، والحجاج عند "ديكرو" حجاجاً تقنياً، يتحدد التركيب الحجاجي عند الأول بقدرته على توجيه الأذهان إلى الإذعان، أمّا عند الثاني التركيب الحجاجي وظيفته الجوهرية أن يوجّه لا أن يدلّ، ويشترك عمل "بيرلمان" و "ديكرو" في قانون النفعية أو الجدوى.⁽²⁾

يرتبط قانون النفعية باستراتيجيات الخطاب، فكلّ استراتيجية تُسند لوظيفة نفعية ضمن تركيب خطابي.

2 - قوة الكفاية الحجاجية:

هي قوة محتضنها التفاعل التواصلي ووظائفه، « وتُشكل الكفاية الحجاجية بؤرة الأداء الحوارية، أثناء كلّ اللحظات الحوارية لما ينشأ عنها من إقناع بين أطراف الحوار، كما أنّ التضمين الحوارية يُشكل آلية تداولية يُعول عليها في تحقيق الإقناع في بعض اللحظات الحوارية الحاسمة.»⁽³⁾

3 - الخصوصية الحجاجية:

الحجاج من الظواهر التداولية، يكتسب خصوصيته « حينما يتعلق الأمر بحجاج يعني فئة معينة دون سواها، وكذلك حينما يكون حجاجاً يخص إطاراً معيناً دون سواها.»⁽⁴⁾

⁽¹⁾ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 80.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، ص: 78.

⁽³⁾ محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار إفريقيا الشرق، 2010، ص: 152.

⁽⁴⁾ نفسه، ص: 152.

واضح أنّ التراكيب الحجاجية تقوم على وظائف تداولية وعلى قانون النفعيّة والمقاصد المشحونة فيها ، وهذا يُكوّن صميم الوظيفة الاقناعيّة بالتأثير في السلوك في المعتقد، والتراكيب والوظائف والمقاصد تُختار وتُجهّز حسب المتلقي والمقام والسياق التي تُستحضر في العمليّة التواصلية ، وهذه القضايا تتحكم في مدى نجاعة تلك التراكيب ونفعيتها في تحقيق المقاصد النفعيّة.

تكتمل نظرية الحجاج ونظرية قوانين الخطاب في علاقة مبدأ التعاون، الذي يُؤسس تأويل معنى ملفوظ ، وبين التحليل الحجاجي للتراكيب الخطائية، كما تتعالق ونظرية إنتاج الخطاب بمبدأ النفعيّة، وهذا ما تسعى إليه البلاغة وهو متمثل في ابتكار الحجج منطقياً إلى إنجاز الخطاب اجتماعياً، فالمباحث الحجاجية ضمن حقلها التداولي تنطلق من البلاغة، وهي البلاغة البرهانية الجديدة.⁽¹⁾

4 - حجاجية الكلمة:

هذا التوجه المميز لنظرية الحجاج مكنها من دراسة فاعلية الكلمة في التركيب؛ فهي بمثابة المرآة تعكس بنيتها الوظيفة الحجاجية ضمن عملية تواصلية ، بل يمكن النفاذ إلى قصد المتكلم بواسطة كلماته المستعملة عمداً.

إنّ دراسة الكلمة من أجل معرفة وظيفتها وتفاعلها الحجاجي أعطاهما بعداً تداولياً، وبه يكتمل مبدأ النفعيّة ضمن تساؤل فحواه: لماذا استعمل المتكلم هذه الكلمة؟ وأحجم عن الأخرى لأنّ الكلمة ، « إذ تدخل التركيب النحوي تدخله، وهي مُحمّلة بتاريخها الدلالي الثري الذي اكتسبته من طویل تجربتها القوليّة، بدخولها سياقات استعمال كثيرة ومختلفة.»⁽²⁾

وهذا ما « يجعل الكلمة في اللّغة وبصرف النظر عن استعمالها، ذات شحنة دلالية ما ، تلقي بظلالها على السياق اللغوي الذي تظهر فيه، وتوجّهه وجهة دلالية وحجاجية مخصوصة.»⁽³⁾

(1) ينظر: صابر الحباشة: لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ص: 247، 248.

(2) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2007، ص: 72.

(3) نفسه، ص: 71.

هذه الوجهة الدلالية والحجاجية المخصوصة للكلمة تجعل للسياق واقعا خاصا « إنَّ للكلمة خصائص في ذاتها تستمدّها من اللغة، ومن التّداول تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حجاجية لتكون من معجم الخطاب الحجاجي وقوام جداوله اللغوية.»⁽¹⁾

وعليه تُكوّن حجاجية الكلمة: واقعا في السياق، ومكوّنا في معجم الخطاب الحجاجي وقواما في تراكيب الحجاج بصبغة تداولية.

قد لا نضيف جديدا إن قلنا إنَّ حجاجية الكلمة شرط في نجاح مرام المتكلم ومحققة لمقاصده ، ومن ضوابط هذا النجاح أن يضع المتكلم كلماته داخل تركيب لتفاعل وظيفيا نحو هدف معين؛ بحيث يكون لها في الخطاب « حركة تُفصّي فيها غيرها وتُعوّضه وتُحلّ محلّه ، ليكون الخطاب أوغل في الحجاج ، وأذهب في الإقناع »⁽²⁾ ، وهذا من باب لو استعمل هذه الكلمة لكان أبلغ ولو استعمل كذا لكان أصوب ...

تنشأ عن الكلمة الحجاجية بنية وظيفية؛ وذلك باتّحاد العلاقات الدلالية والنحوية التركيبية والتداولية الوظيفية ، مشكلة حركة تُعرف بـ: « حركة الكلمة الحجاجية.»⁽³⁾

هذا التفاعل والحركة الوظيفية للكلمة الحجاجية نلاحظه في تراكيب الحديث النبوي الشريف.

4-1- أنواع الحجج:

للكشف عن درجة الحجاج داخل التراكيب الخطابية، لا بأس من إحصاء أنواع الحجج التي تدعم ما يقدمه المتكلم لاستمالة السامع وإقناعه، فالتكلم مطالب باختيار الحجّة المناسبة.

قد يتوقف نجاح العملية الحجاجية إذا لم يُوفّق المتكلم في توظيف الحجّة المناسبة، ومنه تبدو قيمة الحجج ووظيفتها في تحقيق المقصد.

⁽¹⁾ عبد الله صولة: الحجاج في القرآن ، ص: 74.

⁽²⁾ نفسه، ص: 74.

⁽³⁾ نفسه، ص: 74.

- 1 - الحجج شبه منطقية: تكتسب قوتها الإقناعية من « بعض البنى المنطقية مثل: التناقض والتماثل التام أو الجزئي وقانون التعدية.»⁽¹⁾
- 2 - الحجج المؤسسة على بنية الواقع: هي أن يجعل المتكلم أحكامه مثبتة ومقبولة ويسعى إلى جعلها في كل واحد.
- 3 - الحجج المؤسسة لبنية الواقع: هذه تؤسس « الواقع بواسطة الحالات الخاصة، كالمثل الذي يُؤثر به لتأكيد الفكرة المطروحة ، ويلحق بالمثل: الاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المخاطب كالمقولات الدينية أو كلمات القواد الخالدين.»⁽²⁾
- 4 - حجة التبرير: أداها "بما أن"، وتستعمل في المسلمات اليقينية بمقدمات أقل يقينية من المسلمات، وتعتبر "بما أن" أداة تبرير تقدم الحقيقة المسلم بها أولا لتصل إلى النتيجة، وتحقق أكثر في المجالات الفكرية.⁽³⁾
- 5 - حجة الاتجاه: وظيفتها التحذير أو الترغيب، وهي تخدم أكثر الحجاج إذا تعلق بالتعليم والدين ومجالها تربوي.
- 6 - الحجة التواجدية: هي حجة مبنية على علاقات الشخص، وفيها « يحرص على الظهور بمظهر من لا يُردُّ له قول ولا يُفندُّ له رأي.»⁽⁴⁾
- 7 - الحجة الرمزية: وظيفتها في علاقتها بين الرامز والمرموز إليه كدلالة العلم لوطن معين.
- 8 - الحجة التاريخية: يعمد المتكلم في تراكيبه الخطابية الحجاجية إلى حدث أو ظاهرة لإقناع المتلقي بصحة دعواه ، وتكون هذه الحجة رابطة للنتيجة بالإضافة إلى: الحجج الطبيعية والحجج الدامغة والحجج النافذة ؛ إذ تعتمد على العقل ومعارف واقعية.
- 9 - الحجة المضادة (المعاكسة): وظيفتها احتياطية، وتكثر في الخطاب الحوارى، فيستعمل المتكلم حدسه في حال ما رفض السامع حجته الأولى، فيكون مستعدا بوضع حجج مضادة.

(1) محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 128.

(2) نفسه، ص: 48.

(3) ينظر: صابر الجباشة: التداولية والحجاج، ص: 48.

(4) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 235.

إنّ العلاقة الموجودة بين الوظيفية والحجة، ضمن تراكيب خطابية تجسّد النظرية الحجاجية بكل أبعادها، وبحسب تغير التركيب يتغير الحجاج وبه تتغير الحجة. وللحجة نماذج يوردها "طه عبدالرحمان" في:

1 - النموذج الوصلي للحجة: وتمثله الحجة المجردة ويعاملها معاملة البناء الاستدلالي المستقبل، ووظيفتها التواصلية وظيفية وصل.

2 - النموذج الاتصالي للحجة: وتمثله الحجة التقويمية؛ إذ يعامل الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع، جامعا بين توجيه الأول وتقويم الثاني.⁽¹⁾

3 - النموذج الايصالي للحجة: وتمثله الحجة التوجيهية من زاوية أنّ الحجة فعل استدلاي وظيفي، يبدأ من متكلم متوجّها بكلامه إلى مستمع.⁽²⁾

تصنيف الحجج يحتكم إلى عدة اعتبارات، والواقع أنّ نظرية الحجاج وعلاقتها بنظرية التواصل ونظرية الأفعال الكلامية، والوظيفية، تقودنا إلى وظيفة كل حجة وقصد المتكلم من توظيفها ضمن تركيب نحو مستمع في مقام معيّن.

4-2- أنواع الحجاج:

إنّ انتفاء التواصل الوظيفي بين وحدات التركيب في شكله اللفظي أو الخطابي، يُعدّ العائق الفعلي لمعرفة نوع الحجاج وقصد المتكلم وإقناع المستمع، ولا مندوحة إذن من البحث في وظيفية التركيب الحجاجي عن وسيلة تُفضي إلى تحليل وظيفي لتركيب قصده متكلم نحو مستمع، فلا تركيب مُفضٍ إلى وظيفة تداولية حجاجية بدون فاعلية حجاجية لعناصر التركيب المتواصل به.

1 - الحجاج التوجيهي: فيه يتوجب على المتكلم أن يهتم بفعل التوجيه غير مهمّل تلقي المخاطب لتوجيهاته، مما يجعل المتلقي يتمتع بحق الاعتراض عليه.⁽³⁾

2 - الحجاج التجريدي: وظيفة هذا الحجاج توظيف حجة للبرهنة على صحة مقدمة نتيجتها معلومة لدى السامع، لكن يحاول المتكلم تأكيد صحتها في ذهنه.

(1) ينظر: طه عبد الرحمان: اللسان والميزان و التكوثر العقلي، ص: 255، 256.

(2) ينظر: نفسه، ص: 255، 256.

(3) نفسه : ص: 227.

- 3 -الحجاج التقويمي: هو إقامة مخاطب وهمي للحوار معه « وهو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه.»⁽¹⁾
- 4 -الحجاج وجه/ذات: وظيفته مواجهة الخصم بأقواله وأفعاله كحجة.
- 5 -الحجاج السلطوي: هو أن يكون المتكلم على دراية بما يتكلم وأن تكون له « قدم راسخة وباع طويل في المجال الذي يتحدث عنه.»⁽²⁾
- 6 -الحجاج وجه/ ذات الاستهجاني: وظيفته تكمن في توقعات المتكلم كبرها وصدقها « بحيث لا يصل إليها الأفراد العاديون، وذلك لكي يحدث لديهم المفاجأة التي تلعب طرفتها ومنعتها دورا كبيرا في الدفع على الفهم المطلوب.»⁽³⁾
- 7 -حجاج القوة: وظيفته الإخضاع والإذعان، حيث يكون المستمع أقل منزلة من المتكلم، فيطبق ما أمر به خوفا من العقاب.
- 8 -الحجاج الجماهيري: في هذا الحجاج « يتوجه متكلم إلى جماعة معينة بغية إقناعهم بأمر معين، فإذا تحمسوا له وتحركوا في سبيل إنجازه كان الحجاج قد أدى غايته.»⁽⁴⁾
- 9 -المحاجة بالتجهيل: يحتكم هذا الحجاج إلى قاعدة « أنّ المخاطب إذا لم يدّل بما من شأنه دحض أقوال المتكلم، فحجج هذا الأخير صحيحة لكن ليس مطلقا.»⁽⁵⁾

وينقسم الحجاج بالنظر إلى شكله إلى نوعين، ولكل شكل وظيفة:

أولاً: المعطاة مقدمة تطرح إشكاليتين (أ) و (ب).

- حجج تدعم (أ).

- حجج تدعم (ب).

⁽¹⁾ طه عبد الرحمان: اللسان والميزان و التكوثر العقلي ، ص: 228.

⁽²⁾ محمد سالم محمد: الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص: 199.

⁽³⁾ نفسه، ص: 199.

⁽⁴⁾ ينظر: محمد سالم محمد: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 201.

⁽⁵⁾ نفسه، ص: 202.

- نتيجة ظاهرة أو مضمرة.

ثانيا: ووظيفته: الدفاع عن أطروحة بالحجج وشكله:

- الأطروحة القديمة.

- المعطيات المقدمة.

- الحجج.

- النتيجة (الأطروحة الجديدة).

الحجاج في مستواه الوظيفي يبيّن أنّ الوظائف التداولية تتحدد كلياً بواسطة العلاقات الدلالية والنحوية ، ومنها يظهر نوع الحجاج ونوع الحجة والمقصد، كما يُسهم في تحقيق الوظيفة الحجاجية واستراتيجية التركيب .

1-10- إستراتيجيات التركيب:

كيفية استعمال الكلام- وهو يُكوّن التداولية في ذاته وفي طرائقه التواصلية- كان محطة دراسة جديدة ؛ إذ ليس في الإمكان أن يتوسل المتكلم بلوغ مقاصده ومراميه إلاّ بتطبيق إستراتيجيات يتخذها مطية لتحقيق أهدافه.

إنّ المجتمع والغاية هما اللذان يفرضان استعمال هذه الاستراتيجيات، لتعدد فروعها السياسية، التعليمية، الإعلامية، الاقتصادية ، ولأنّ المتلقي ليس واحدا ، فمنه: المتعلم، والجاهل، والكبير، والصغير، والجاهد والمنكر، والمصدق... ولا سبيل لإقناع هؤلاء ضمن مقام إلاّ بتوظيف الإستراتيجية الأنسب والخطاب الأمثل والتركيب المحكم، بل هي التي تحدد مرامي الناس وتُرضي مقاصدهم وتلبي أغراضهم المختلفة.

إنّ المتكلم ليعترضه في كلّ حين مواقف تواصلية مختلفة، وهذا ما يغيّر مسار خطابه ، وهو ما يجعله يتوخى إستراتيجيات تتناسب والسيّاق الجديد؛ حتى إذا توسل بتلك الإستراتيجية في خطاب، انكشفت له وأعاد تركيبها في نموذج تداولي وظيفي، والتناسب الإستراتيجي مع الموقف (السيّاق) ، ونوعية المتلقي محتم على نموذج تداولي ونحوي ودلالي، ومرّد هذا الاختلاف، وتعدد الميول ودرجة الاستيعاب.

10-1- ثنائيات الإستراتيجية الخطابية:

تقيم الإستراتيجية ثنائيات وظيفية مع عناصر العملية التواصلية ، فتعقد بذلك علاقات تكمل تحقيق الأغراض الخطابية، وتظهر في هذا الباب ثنائيات منها: ثنائية (الإستراتيجية والوظيفة) و(الإستراتيجية والمقصد) و (الإستراتيجية والمقام) و (الإستراتيجية والمتلقي) و (الإستراتيجية والتركيب)، (الإستراتيجية والحجاج) و (الإستراتيجية والخطاب).

ولا شك في أن ارتباط الثنائيات المفضي إلى التكامل في استمرارية وتطوير العملية التواصلية، تسبب حتما في استحداث إستراتيجية منهجية مؤسّسة على تلك الثنائيات، لذا وجب بيان كلّ ثنائية وأثرها خلال بناء تواصلية.

1 - ثنائية (الإستراتيجية والخطاب):

تتعلق هذه الثنائية بأخرى خطابية وهي (الفهم والإفهام)، فوظيفة المتكلم الإفهام وإرادة المتلقي الفهم، والإستراتيجية الخطابية تقبع بين ذينك المصطلحين، منهجية ووسيلة، فهي تتحكم في إنتاج الخطاب وتعين على فهمه، وتميّز بين سليمه وسقيمه، فيترسخ لدى المتلقي إدراكا وفهما كليا، وهذا يثبت من منظور وظيفي أن الخطاب هو التركيب المستعمل تواضعا المراد منه إفهام متلقي متهيئ لفهمه.

يبدو من هذا وظيفية الإستراتيجية في التركيب وتكمن في تحقيق المقصد : إفهام المتلقي، وهيئته له.

إنّ الجهل بإستراتيجيات الخطاب وكيفيات إدراجها ضمن مقامها وتراكيبها وتناسبها، لضياح في المقصد وفشل في تحقيق الأهداف المرجوة.

حين يكون الخطاب « تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»⁽¹⁾، يظهر التأثير "هدفا خطابيا" مراد تحقيقه ، والإستراتيجية الناجعة لذلك هي: الإستراتيجية الإقناعية، وبهذا يظهر الخطاب بوصفه إستراتيجية أو نظام ممنهج في بناء توجيهي للتركيب الدلالي والنحوي والتداولي.

(1) ينظر: سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 2005، ص: 17.

تحدد وتتفاعل الإستراتيجيات لتوجيه الخطاب والخطاب مخزونها ، فهو « نظام السلوك الاجتماعي والتواصلية بوصفه نظاما للتفاعل والجدل بين أطراف العملية التواصلية »⁽¹⁾ ، وترتبط الإستراتيجية في الخطاب بالتعامل ؛ إذ يدلّ الخطاب على تعامل « أو قل إنّ الخطاب أصل في كلّ تعامل، كائنا ما كان.»⁽²⁾ من دواعي هذا التعامل أن ينشئ إستراتيجيات تبعا لنوعيته، تكون وظائفها متعددة، وأدى هذا التعامل إلى نتيجة مفادها: لا خطاب بغير إستراتيجية ، ونوعية الخطاب والتخاطب يحددان ماهية الإستراتيجية.

2 - ثنائية (الإستراتيجية والوظيفة):

إنّ الإستراتيجية والوظيفة في تلاحمهما استكشاف لبواعث الكلام وآلياته، وتحقيق لمآرب المتكلم ومقاصده، ومن وجهة نظر التحليل الخطابي تتداخل الوظائف الإستراتيجية، خاصة إذا قلنا أو سلمنا بأنّ كلّ وظيفة محتواة في إستراتيجية.

يعمل الخطاب الوظيفي من وجهة نظر تداولية على تحقيق الوظيفة بالإستراتيجية، ومن منظور التركيب الوظيفي يبرز أنّ كلّ مواقف التواصل تقع على محور علائقي يجمع بين الإستراتيجية والوظيفة، حيث تُحضّر لكلّ وظيفة إستراتيجية، فلا نفعيّة لوظيفة بدون إستراتيجية خطائبة ، والوظائف اللغوية متعددة ترتبط بقصد المتكلم، فهو ينتج خطابه لأداء وظيفتين: الوظيفة التعمليّة ، والوظيفة التفاعليّة.

أمّا الأولى هي ما تقوم به اللّغة من نقل ناجح للمعلومات؛ إذ تبرز من خلاله قيمة الاستعمال اللغوي، فيركّز المتكلم على تطبيق إستراتيجية، ليكون في مقدور المتلقي فهمه بشكل سليم، وهي وظيفة وإستراتيجية تمكّن الناس من زيادة مخزونهم الثقافي لهدف التّوجيه أو التّعليم...⁽³⁾، أمّا الثانية (الوظيفة التفاعليّة) فهي تحقق الغايات ، وتقيم العلاقات الاجتماعيّة متمثلة في معاملات المتواصلين، والإستراتيجية بحسب نوعيّة الخطاب وطبيعة الموقف: فقد تكون إستراتيجية تأثيريّة، وتوجيهيّة، وإقناعيّة...⁽⁴⁾

(1) عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلّه، ص: 12.

(2) طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 225.

(3) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004، ص:

المقدمة iv.

(4) ينظر: نفسه : ص : المقدمة.

3 - ثنائية (الإستراتيجية والتركيب):

تبنى هذه الثنائية في مدى مناسبة اختيارات المتكلم الآليات والأدوات المستعملة في خطابه ، لتكوين استراتيجية تركيبية فهي من شأنها إصلاح نظام التركيب: نحويًا وتواصليًا، ولا يصلح أمر هذه الثنائية إلا بحقول ثلاثة تستمد منها الآليات والأدوات:

- **الحقل النحوي:** متمثل في الأدوات النحوية مثل: إنّ، لكنّ، حتىّ...

- **الحقل البلاغي:** متمثل في الأساليب الإنشائية: الأمر والنهي والتّمني، والتّداء والقسم... والصور البيانية: الاستعارة، والكناية، والتشبيه والمحسنات البديعية..

- **الحقل اللساني:** متمثل في وسائل الخطاب مثل: الإحالة...

4 - ثنائية (الإستراتيجية والمقصد):

تُبنى هذه الثنائية على مدى تحقيق الإستراتيجية المعتمدة للمقصد؛ إذ « يسعى الخطاب من خلال وظيفته التّعاملية والتّفاعلية إلى التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف معينة»⁽¹⁾؛ فتقوم الإستراتيجية على مقامين: مقام لاكتشاف بواعث الكلام وآلياته ، ومقام لبلوغ المقصد وتحقيقه على مستوى السّامع ، والمقاصد أنواع منها: مقاصد أولية تتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم، ومقاصد ثانوية تكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، ومقاصد ثلاثية تنعكس في هدف المتكلم.⁽²⁾

مقاصد المتكلم تظهر فيها الإستراتيجية الإبداعية ، والمقاصد اللغوية وغير اللغوية ؛ إذ تُعدّ الحركات الجسدية الإشارة بأنواعها مثلاً مقاصد.

يرتبط المقصد في التداولية بالإرادة إذ المقصد « بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري.»⁽³⁾

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: المقدمة iv.

(2) ينظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 1992، ص: 164.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 189.

وتكمن علاقة الإستراتيجية بالقصد في « بلورة المعنى كما هو عند المرسل إذ ؛ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتخاب الإستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى. »⁽¹⁾

إنّ الغاية في انتخاب الإستراتيجية تحقيق القصد ، وهو الإفهام في مظهره الأولي ويشترط في تحقيقه توظيف المتكلم التراكيب اللغوية « في مستوياتها المعروفة ومنها المستوى الدلالي، وذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدوال والمدلولات ، وكذلك بمعرفة قواعد تركيبها، وسياقات استعمالها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضع التي تنظم إنتاج الخطاب بها»⁽²⁾ ، والقصد في نوايا المتكلمين وعلى خطاباتهم، لا يتحقق إذا كان المتكلم لم ينتق الإستراتيجية الأنسب، ولم يفقه طرق إصابة المعنى في كلامه.

5 - ثنائية (الإستراتيجية والمتلقي):

يمثل المتلقي شرطا في اختيار الإستراتيجية، فإن كان الكلام يبنى على مستواه، ومقامه، فكذلك الإستراتيجية ، ومعرفة حال المتلقي توصيل و تحقيق للمقاصد التي نتوخاها، فهو يمارس سلطة على المتكلم في توجيه الخطاب.

إذن المتلقي أصل في إنتاج الخطاب، وهذا الأصل في جوهره بناء إستراتيجي يحمل قصدا موجها إليه حسب ما هو عليه، وهذا النجاح التواصلي هو ما يدفعه إلى تحقيق مضامين الخطاب « والواقع أنّ ما يذكر بشأن المتكلم لا يستقيم إلاّ بدور السامع [...] ولذلك فالحديث عن المتكلم هو حديث ضمني عن السامع أيضا.»⁽³⁾

المتكلم الناجح هو من يضع نفسه منزلة السامع؛ لأنّه « هو السامع الأول لكلامه يسمعه حين إرساله وتبليغه للغير.»⁽⁴⁾

تبرز فعالية انتفاء الإستراتيجية بمراعاة المتلقي، ولأنّ المتكلم أحدث فعلا تواصليًا من أجله وجب إنتاج الخطاب على منواله ومستواه ومقامه وحاله...

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 180.

(2) نفسه : ص: 183.

(3) حليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 167.

(4) محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص: 108.

6 - ثنائية (الإستراتيجية والحجاج):

مفاد هذه الثنائية يكمن في وظيفة الحجاج وهي حمل المتلقي بخطاب بهدف الإقناع، وأنّ الحجاج طبيعة في كل خطاب، وأنّه يتخذ وجهها في كل نوع من أنواع الخطاب، والإستراتيجية تتخذ وجهها وظيفيًا حسب طبيعته.

وجه الارتباط بين الإستراتيجية والحجاج أنّه يُعدّ وسيلة في تطويع المتلقي ليكون أكثر مقبولية لآراء المتكلم وتوجيهاته، كما يرتبط الحجاج بإستراتيجيات الخطاب من ناحية الأهداف، وهي: الاستمالة، والتأثير، والإقناع، والتوجيه، فتبرز هنا إستراتيجيات لتحقيق هذه الأهداف؛ إذ يمكن اكتشاف إستراتيجيات الخطاب من خلال « تحليل التقنيات الخطابية التي تسمح بإحداث ميل السّامع إلى الأطروحات التي نعرضها على مسامعه أو التي تسمح بتعزيز ذلك الميل.»⁽¹⁾

والحجاج يُكوّن إستراتيجيات حسب بواعثه ومقاصد المتكلم، وذلك بفعل « التوجه إلى الآخر وقصد إفهامه مراداً مخصوصاً.»⁽²⁾

يقوم الحجاج بتكوين إستراتيجيات حسب: مراتبه وعلاقاته وأنواعه وحسب معايير خاضعة لنوع الخطاب: تربوي، وديني، وحواري... فكلّ خطاب يتخذ شكلاً حجاجياً وإستراتيجية معينة، ووظيفة محددة، وتركيب مخصوص.

7 - ثنائية (الإستراتيجية والمقام):

يرتبط المقام بالإستراتيجية كونه « الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب.»⁽³⁾

إنّ المقام ضروب وكل ضرب يتخذ إستراتيجية شرطها التّناسب، وهذا من شأنه أن يكشف اللّثام عن طبيعة العلاقة بين المتخاطبين، والإستراتيجية المنتخبة في ذلك المقام، ولأهميّة هذا الأخير في التداولية الوظيفية،

(1) صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص: 68.

(2) طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 225.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: المقدمة iv.

تشكلت نظرية تعرف: بالنظرية السياقية فهي « تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد تقتضي بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن.»⁽¹⁾

يساهم المقام (السياق) في إعطاء نفس وظيفي جديد للإستراتيجية، حيث تهجم على المتلقي فتقنعه أو تؤثر فيه، وإذا لم تستند الإستراتيجية لمقام يحكمها ويحفظها ووظيفتها آلت للفشل وغمض الخطاب وزال القصد، فالخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب المنتج في سياقه؛ « إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية من حيث لغته، ولكنه قد يتضمن (قرائن، وظروف)، تجعله غامضا غير مفهوم دون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإنّ للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامة أساسا.»⁽²⁾

الخطاب وهو مجرد من مقامه مدعاة لحجب عمل ووظيفة الإستراتيجية، فالخطاب الطبيعي وهو « مجرد من مقامه تصوير محامله كثيرة، ولا يتعين واحد منها إلا بتعيين المقام.»⁽³⁾

العلم بالسياق التخاطبي وعناصره « تسهم في عملية التعبير عن المقاصد والاستدلال لإدراكها، وعليه فإنه اختيار الأدوات والآليات اللغوية يُعدّ انعكاسا للعناصر التي تشكل في مجموعها سياقاً معيناً يبرز من خلال لغة الخطاب»⁽⁴⁾، الإحاطة بالسياق علما ودراية مدعاة لوصول القصد، وتحقيقا للإستراتيجية وبلوغ الأغراض المعنية.

تبلور مفهوم الإستراتيجية مما سبق من معالجة الثنائيات التي تُسهم في نجاحها، فهي مجموع الطرائق والأساليب الكلامية أو غيرها لتجعل المتكلم يحقق مقاصده وأغراضه وتظهر نتائجها على متلق.

تراعي الإستراتيجية الخطاب في تفاعله، والوظيفة في تحقيقها والمقصد في بلوغه والتركيب في آلياته وأدواته والحجاج في أنواعه وعلاقاته وأهدافه والمتلقي في مستواه وحالاته، والمقام في نوعيته ومكانه وزمانه.

(1) ستيفين أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، دار الطباعة القومية، القاهرة، 1962، ص: 55، 56.

(2) محمد خطايي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص: 167.

(3) طه عبد الرحمان: اللسان والميزان و التكوثر العقلي، ص: 45.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: المقدمة iv.

1-10-2- أنواع الإستراتيجيات:

ليس هنا من يشك في أنّ تفعيل الإستراتيجية بمفهومها التداولي التّفعيّ، لتحقيق لمقاصد العمليّة التواصليّة وليحتاج إلى تحليل تركيبّي ، وإلى وإقحام نظريات للوصول إلى نوعية الإستراتيجيّة التي توخاها المتكلم وهي خصيصة وظيفيّة لبلوغ أغراضه المسطرة مسبقا.

من بين خصائص "الإستراتيجية" أنّها ذات صبغة ذهنية، باعتبار التخطيط الكلامي والتركيب الذي يعتمد المتكلم، وهذه الصبغة الذهنية تظهر للوجود بخصائص تداوليّة ودلاليّة، وأنّها ذات صبغة رمزيّة من وضع المتكلمين لأجل مقاصد وأهداف، فتأخذ بُنى مختلفة في حدود ما يسمح به الكلام المشترك المفهوم بينه وبين المتلقي.

الإستراتيجيّة صناعة تواصلية بنماذج مشتركة تجمع المتكلم والمتلقي والمقام، نموذج نحوي يضمن الآليات، ونموذج تداولي يضمن المقاصد ونموذج دلالي يضمن المعاني المقصودة والأهداف، تلتحم هذه النماذج في نموذج وظيفي تركيبّي بمستويين:

- مستوى اللّغة فلا يغفل المتكلم عن درجة استيعاب المتلقي.

- مستوى النّجاعة ، فقد لا تكون الإستراتيجيّة المتوخاة ناجعة فيضيع المقصد، والمطلوب التّفطن ، لذلك وإعادة بناء إستراتيجية جديدة حين يتبيّن عدم نفعيتها.

وعليه يكون مبدأ التفعيل بوظائف نحويّة تركيبية وتداوليّة ودلاليّة شرطاً؛ لأنّ المتلقي يخضع لما يتلفظ به المتكلم، وزوال هذه الشرطية زوال عامليّة الإستراتيجية وفشل تواصلية وتبليغي، ولتجنب هذا تضطلع الإستراتيجية بعدة أنواع وهي مقسمة باعتبار معايير ثلاثة:

- 1 - المعيار الاجتماعي: هو العلاقة التخاطبية بين طرفي الخطاب، وينتج عن هذا المعيار: الإستراتيجية التضامنية، والتوجيهية.⁽¹⁾
- 2 - المعيار اللغوي: هو دلالة الخطاب على قصد المرسل سواء بدلالة مباشرة أو تلميح، وينتج عن هذا المعيار الإستراتيجية التلميحية.⁽²⁾
- 3 - معيار هدف الخطاب: هو الغاية من الخطاب من منظور أنه نشاط تواصلية موجّه إلى تحقيق هدف، وبذلك يؤثر "الهدف" على المتكلم ويوجّهه في اختيار الإستراتيجيات الخطابية، من حيث أدواتها وآلياتها اللغوية المناسبة التي تكفل تحقيقه، وينتج عن هذا المعيار الإستراتيجية الحجاجية.⁽³⁾
- التداولية الوظيفية تهتم بأهداف المتكلم، وكيفية تحقيقها في خطابه، وأن الوظائف التداولية والدلالية والتركيبية داخل نوع من الخطاب هي المحقق الفعلي لهذه الأهداف والإستراتيجيات.
- والحديث النبوي الشريف في مختلف خطابه اعتمد على إستراتيجيات في الخطاب لكثرة مواقف النبي صلى الله عليه وسلم، مع أعدائه مع أصحابه مع زوجاته في توجيهاته ونصائحه في دعوته بشكل عام، وهذا يستلزم أن يضمن في خطابه مقاصد، أو يوجّهها، أو يلمح لها، أو يحاجج من أجلها.
- تقوم هذه المقاصد بتحقيق أهداف فتتوخى هذه الأهداف وظائف وتتوخى هذه الأهداف إستراتيجيات، فتختلف هذه الإستراتيجيات باختلاف الخطابات « فهو يخاطب الناس ويمشي في الأسواق ويحادث أهله، ويوجّه جيوشه ويشاور أهل الخبرة من أصحابه إلى ما هنالك من نشاطات يومية، كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص أن يعطي فيها المثال والقُدوة »⁽⁴⁾، مع مراعاة حال المتلقي وقوة إدراكه.

(1) ينظر: عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 87، 89، وينظر: إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية

العلوم الإسلامية، العدد (2/15)، المجلد الثامن، 1435هـ-2014م، ص: 543.

(2) ينظر: نفسه، ص: 87، وينظر: إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 543.

(3) ينظر: نفسه، ص: 88، وينظر: إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 543.

(4) إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 539.

وعليه فالإستراتيجية هي: « مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف، والجارية عن وعي عند إنتاج الخطاب »⁽¹⁾، وأثناء عملية إنتاج الخطاب يقحم المتكلم الإستراتيجية في فعلي: التواصل والتفاعل والوظيفة، ثم إقحام المتلقي والقصد.

أ - الإستراتيجية التضامنية:

مرتبطة بمقاصد المتكلم وبأهداف الخطاب وهي « التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه.»⁽²⁾

تظهر هذه الإستراتيجية في حال عدم وجود علاقة بين المتكلم والمتلقي، فمن شأنها تأسيس هذه العلاقة، وهذا ما يجعل المتلقي « واثقاً بأن المرسل يميل إليه ميلاً طبيعياً، خالياً من أيّ دوافع أو أغراض منفعية، وهذا هو عين التأدب في الخطاب.»⁽³⁾

يرتكز تحقيق هذه الإستراتيجية بشرط الإخلاص بقصد التضامن المنزه عن كلّ غرض، وهو قاعدة خطابية لبلوغ المقصد، وهو أن تتجرد من أغراضك وأن تقدم حقوق المرسل إليه على حقوقك.

ومن أهداف الإستراتيجية التضامنية: - تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب، أو إعادة بنائها بعد زوالها، هذا التأسيس أو إعادة البناء من شأنه اكتساب عقل المتلقي واستمالة قلبه لما خطط له المتكلم.

- نقل المقاصد وتحقيق الأهداف، وتحسين التعامل، إذا كان أحد طرفي الخطاب صاحب سلطة.
- تحسين صورة المرسل، وتفعيل التضامن بين الناس، وتبرز أكثر في الخطاب التعليمي التربوي، حيث يتخذ التأدب والتخلق وسيلة لإيصال المقصد وتيسير الفهم.
- اكتساب محبة الناس وولائهم وودهم.⁽⁴⁾

(1) إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 541.

(2) عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 257.

(3) نفسه، ص: 258.

(4) ينظر: نفسه، ص: 260، 261.

ب - الإستراتيجية التوجيهية:

مرتبطة بالمرسل إليه، من منظور أن التوجيه أو فعل التوجيه يقع عليه، والمتكلم باستعماله لهذه الإستراتيجية « يفرض قيда على المرسل إليه بشكل أو بآخر وإن كان القيد بسيطاً، أو أن يمارس فضولا خطايا عليه، وأن يوجهه بنفعه من جهة ويباعده عن الضرر من جهة أخرى.»⁽¹⁾

يرتبط فعل التوجيه بالوظيفية، فهو وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية، فهي تؤثر وتغير في معتقد وسلوك المرسل إليه، ويتجلى هذا الارتباط بأنواع وحالات المتلقي لهذه الإستراتيجية وتظهر في صنفين من المتلقي:

- المتلقي المعين:

أي الآني والموجود لحظة التلفظ بالخطاب، فهنا التوجيه يختص به دون غيره، لضيق السياق، وتدخل السمات الشخصية والمعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب، وهذا يقود التوجيه له وحده دون سواه.

- المتلقي المتخيل:

هو الذي لا يشترط حضوره الآني فهو متخيل بما له صورة نمطية معينة في السياق، فيوجه انطلاقاً من أن خصائصه معروفة مسبقاً⁽²⁾، وعليه فالإستراتيجية التوجيهية هي التي تحقق رغبة المتكلم في المتلقي بتقديم توجيهات متمثلة في أوامر ونواه ونصائح تكون لصالح الطرفين.

وتضطلع الإستراتيجية التوجيهية بأهداف:

- تجسيد الصبغة الرسمية في العملية التواصلية.

- « الشعور بالتفاوت الفكري أو الاعتبار الاجتماعي أو الطبقي.

- الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام والتوقير.

⁽¹⁾ عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب ، ص: 322.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، ص: 323، 324.

- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز فعل التوجيه.⁽¹⁾

- تحقيق وظيفة التأثيرية تغيير معتقد أو تغيير سلوك.

إنّ المستوى الذي تتحقق فيه الإستراتيجيتين هو المستوى الاجتماعي متمثلاً في معياريهما، كما يتجسدان بمعرفة العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمتلقي ومقصد الأول ونوعية الثاني.

ج- الإستراتيجية التلميحية:

في مقابل هذه الإستراتيجية تظهر إستراتيجية أخرى وهي "الإستراتيجية المباشرة"، والوظيفة فيها أن يكون الخطاب صريحاً مباشراً لقصده يريد المتكلم، وقد يعدل المتكلم عنها إلى الإستراتيجية التلميحية، فيصغ قصده بالتلميح ولا يباشره صراحة.

يُشترط في هذه الإستراتيجية حين إنتاج الخطاب « تفعيل مبدأ التعاون والثقة في أن المرسل إليه سيتمكن من تأويل الخطاب التأويل المناسب للسياق »⁽²⁾، وعليه فالإستراتيجية التلميحية هي « التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله إذ؛ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق.»⁽³⁾

تتجلى هذه الإستراتيجية في الحقل البلاغي: في المجاز، وفي خروج الإنشاء عن غرضه البلاغي الأصلي: كالأستفهام، والتعجب، والأمر... وباستعمال إستراتيجية التلميح يظهر الغرض المقصود للمتكلم، فينتفي الأصل عن الغرض الأول الموضوع له ليسند إلى الثانوي، فينال صفة الأصلي لأنّ المتكلم قصده.

وأهداف الإستراتيجية التلميحية ممثلة في:

- استحابة لدواعٍ سياقية مثل: السلطة ومراعاة التأدب...

- التأدب في القول ويقتضي ضرورة احترام الآخرين وإسماعهم وصيانة الذات.

(1) إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 549.

(2) عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 368.

(3) نفسه: ص: 370.

- إعلاء المرسل لذاته.
- التملص والتهرب من مسؤولية الخطاب.
- العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه، لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه.

د- الإستراتيجية الإقناعية الحجاجية:

إنّ الخطاب ممارسة كلامية يتوخى فيها المتكلم إقناع المتلقي: بتغيير معتقده أو سلوكه... وتنتج عن هذه الممارسة علاقات منها: العلاقة الاستدلالية، والسبب الذي يجعلها قائمة هو ما يبعث المتخاطبين للحجاج وهو: الإدعاء والاعتراض، فيعمد المتكلم إلى الإستراتيجية الإقناعية ليحدث التغيير على مستوى المتلقي، وهذه الأخيرة تعتبر أهداف المتكلم النفعيّة.

وعليه تظهر الإستراتيجية الحجاجية صبغة في كلّ خطاب ، فهي التي يتغي المتكلم منها إقناع المتلقي وحمله على معتقد أو الكف عن عمل أو القيام بسلوك.
وأهداف الإستراتيجية الحجاجية تتمثل في:

- التأثير التداولي والقوة الخطابية لدى المتكلم على المتلقي.
- الإنجاز لفحوى الخطاب عن اقتناع دون إكراه.
- إرادة المتلقي لإستراتيجية إقناعية حتى ينجز مقصد المتكلم.
- الرغبة في تحصيل الإقناع ؛ إذ يغدو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب.
- الشمولية ؛ إذ تمارس هذه الإستراتيجية على جميع الأصعدة.
- التحقيق لمقاصد المتكلم المختلفة؛ إذ تستعمل كثيرا في الدعوة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما فعل غيره من الأنبياء في إقناع أقوامهم.⁽¹⁾

(1) ينظر: عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 446، 447.

ترتبط الإستراتيجيات الأربع بالتداولية الوظيفية، إذ تضطلع الإستراتيجيات بتحقيق مقاصد المتكلم، كما تضطلع بالقيام بوظائف تداولية على مستوى الخطاب وهدفه والمتلقي ومنتج الخطاب وتراكيبها الخطابية.

والرسول صلى الله عليه وسلم في إستراتيجيات خطابه اعتمد كل أنواعها بحسب المقام، ونوعية المتلقي وقوة إدراكه « وكان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه أحد أصحابه ما يحتاج إلى تنبيه قال في خطبته " ما بال قوم يفعلون كذا، وما " بال رجال من أمي يقولون كذا" وما أشبه ذلك «⁽¹⁾، وهي إستراتيجية تستر الجاني ولا تفضحه أمام الناس، فيراجع نفسه ، وهو مبدأ التأدب في الخطاب، وإستراتيجية تضامنية بأن قربه الرسول صلى الله عليه وسلم إليه بعدم فضحه وتخصيصه في الخطاب ثم يوجهه أو يلمح له أو يقنعه.

إنّ الخطاب في بنائه الإستراتيجي قد يحتاج لتوظيف إستراتيجية واحدة ، وهذا ما يُقدّره المتكلم، وقد يستدعي الموقف الكلامي تضافر إستراتيجيات لبلوغ المقصد وتحقيق الغرض.

من ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في إسباغ الوضوء: متمثل في حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، موضوعه: محو الخطايا ورفع الدرجات، أو الغفران والرفعة، وقد بُني هذا الحوار على: تضافر الإستراتيجيات لتحقيق الهدف فقال صلى الله عليه وسلم: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ. » فقالوا: بلى يا رسول الله.

قال: « إسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَإِنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ. » وفي رواية: « فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ ثَلَاثًا. »⁽²⁾

تظهر في التركيب الاستفتاحي الأول إستراتيجيتين: التضامنية والتوجيهية باستعمال الأداة " ألا"، فهي دعوة ودّية ومليحة تعبيرية لطيفة بأن جذب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، وهذا نفع لهم ومصلحة، فقالوا " بلى يا رسول الله"، و" بلى" تفيد القبول لما بعد العرض بـ" ألا"، وهنا التوجيه إلى أسباب محو الخطايا ورفع الدرجات وهي:

⁽¹⁾ إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 551.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 140.

- إسباغ الوضوء ، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وهذا التوجيه خُتم بإستراتيجية إقناعية بأن ذكر الرسول عليه وسلم نتيجة الخطاب وهو: "الرباط".

من منظور تداولي ووظيفي على مجمل الإستراتيجيات الخطابية في التراكيب اللغوية تحليلا واستنتاجا، يمكن أن ندرج ملاحظتين اثنتين:

أولها: تخص التركيب اللغوي واتساعه في العربية وطرق كلامها، تجسيدا لوصف أو تواصل أو تعبير في نموذج مختار منوط باستراتيجيات متضمن لأفعال كلامية وصيغة إقناعية.

أحراها: تكشف عن تأسيس تراكيب لغوية بصناعة تداولية وظيفية، من لدن نظريات: التلطف، والحجاج، والتواصل، والأفعال الكلامية، والتركيب اللغوي ممنهج وظيفيا بثلاث أوجه: وظائف نحوية ووظائف تداولية ووظائف دلالية ، والتراكيب اللغوية الممنهجة بوجهين:

وجه خطابي إستراتيجي يعمد له المتكلم على منوال المتلقي والمقام، ووجه وظيفي تداولي ترسم ملامحه قصود المتكلم والوظائف التي يتوخاها.

ومن المعلوم لدى الجميع أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم في تراكيبه اللغوية في سلوكاته قد بنى للأمة العربية سلما للرفي، فكان خطابه صرحاً للفكر و للحضارة.

الفصل الثاني

الفصلُ الثاني: الوظائفُ النحويَّةُ في تراكيبِ الحديثِ الشَّريفِ:

- 1 - النَّحْوُ بينِ البَلاغَةِ والتَّنْداوِلِيَّةِ.
- 2 - عِلْمُ النَّحْوِ.
- 3 - الجُمْلَةُ والمَنْهَجُ الوَظِيفِيُّ.
- 4 - تَرَاكِيبُ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّريفِ: وِظائِفٌ ومَقاصِدٌ.
- 5 - الوَظِيفَةُ النَّحَوِيَّةُ والعَلاقَةُ الإِسْنادِيَّةُ.
- 6 - الوَظِيفَةُ النَّحَوِيَّةُ من مَنظورِ القَرائِنِ اللُّغَوِيَّةِ.

توطئة:

تُشكّل الوظيفة وجها مشتركا بين ثلاثة أبواب: الباب التداولي وهو الأصل، والباب النحوي والباب الدلالي (المعنوي)، فتعقد الوظيفة بهذا عقدا يتم التوصل به ضمن موقف كلامي معين، تتضافر الوظيفة التحوية لتؤدّد الوظيفة الدلالية، وكلاهما يخدم الوظيفة التداولية في مدى استعمال هذا التركيب النحوي بدلالاته المختلفة في اللغة لأغراض مقصودة.

تتجاوز الوظيفة هذه العلاقات التحوية والدلالية إلى عقد حلقة تتضافر فيها العلوم؛ فيهتم علم النفس بالوظيفة التداولية وعلاقتها بالنحو والدلالة، لارتباطها بالقصد والمتكلم والغرض، ويبحث علم النفس عن طبيعة العلاقة بين المتكلم والتركيب المستعمل، ومدى ملائمته للعالم الخارجي.

تهتم الفلسفة بالمكوّن الدلالي الذي ينتجه التركيب اللغوي النحوي من باب أنّ الوظيفة التداولية وظيفية نفعيّة لها ما يقابلها في المجتمع، فلا ينطق الفرد إلا بالمنفعة.

إنّ اقتران الوظيفة بالتركيب النحوي وبالذلالة، هو الأصل في إنتاج وظيفة تداولية، والتواصل، بدون هذا التضافر تضعع أغراضه ومقاصده، وهذا التضافر والاقتران في خدمة الوظيفة التداولية إنّما يعرف ب: المواضعة في كيفية خدمة التركيب ونحوه وظيفية تداولية فيستعمل في موقف كلامي فتحصل نفعيته، وهذه المواضعة شرط في الكلام؛ لأنّ «الكلام إنّما يدلّ بالمواضعة»⁽¹⁾

يهتم علم الاجتماع بالوظيفة النفعيّة؛ وذلك من منظور أنّ التركيب اللغوي وهو ضمن موقف تواصلية يُعدّ سلوكا اجتماعيا مهما يُعبّر عن انتماء الفرد لمجتمعه.⁽²⁾

تبدو الوظيفة داخل التركيب اللغوي ببنيته التحوية والدلالية، عنصرا لا يسهل تحديده وكشفه، إذا ما نظرنا إلى تعدد مواضعات ومعاني الكلمة، وإلى اختلاف مقاصد المتكلمين؛ فالوظيفة «تكمّن في أنّها تحرك الكلام بما يقتضي صرف الخطاب إليه رأسا، ويتقدم المواضعة زمانيا يكتسب الخطاب وحدويّة البعد الدلالي،

(1) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الجزء: 17 السابع عشر، ص: 347.

(2) ينظر: عبد المجيد سيد منصور: علم اللغة النفسي، الطبعة الأولى، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، السعودية، 1982، ص: 15.

فالمتكلم لا يخاطب أحداً إلا وهو يريد ما وقعت المواضعة عليه حتى لا يكون ملغزاً أو معميماً، فالمواضعة دعامة الانتظام البلاغي في الكيان اللغوي، بانعدامها يرتفع العقد الجماعي بين أفراد المجموعة اللسانية الواحدة. ⁽¹⁾

والمواضعة هي مدى تداولية واستعمال هذا التركيب اللغوي بوظائفه النحوية والدلالية ومدى اتفاهم على معناه، فنفعية الوظائف النحوية الدلالية لدى المتكلمين شرط في بلوغ المقاصد، فالوظيفة التداولية تمثل استمرارية النظام البلاغي التواصلي في الكيان اللغوي.

الاستعمال التداولي يُؤلّد اتفاقاً بين المتكلمين ، وهذا الاتفاق يُولّد وظائف نحوية ودلالية في التركيب اللغوي، وهذه الاصطلاحية في الوظائف « ضرورية في الفهم والإخبار عن الأشياء التي لا تظهر للحواس ؛ أي أنّها تتساوى مع الإشارة ، وأنّ القصد هو الذي يعطى للمواضعة ثباتها ويجوّل الأصوات إلى دلالة. ⁽²⁾

إنّ الوظيفة نتاج اتفاق نحوي ودلالي داخل تركيب لغوي ، ومنشأً لقصد يرمي إليه صانع الخطاب.

2-1- التحوّ بين البلاغة والتداولية :

تجدر الإشارة إلى علاقة علم النحو بالبلاغة فهي تمثّل الوعاء الذي يحتوي النحو ويشمله ؛ لأنّ البلاغة تتوخى وضع المعنى في قلب السامع، فيتمكن منه كنتمكن المتكلم منه، ووظيفة إيصال المعنى ترتبط بصحة الكلام ، ومنه النظم عند "الجرجاني" بأنه مراعاة قوانين النحو وأصوله ، وهذا يقودنا إلى: أنّ ما صحّ بلاغياً صحّ نحويّاً، وليس كلّ ما صحّ نحويّاً صحّ بلاغياً؛ فالتركيب اللغوي تبرز وظائفه حين يؤدّي كلّ عنصر معناه حين التفاعل اللغوي فتقام العلاقات في سياق كلي. ⁽³⁾

إنّ احتواء التركيب اللغوي لوظائف تجعله يتخطّى النحو بمفهومه المجرد ، على أنّه منظومة من القواعد إلى وظيفة نفعية تخدم المتكلم والمتلقي، وهذا يقودنا إلى علاقة النحو بالتداولية فالنحو يهتم بعناصر التركيب اللغوي، ووظيفة كلّ عنصر مع الذي يليه، وما العلاقة الرابطة بينه وبين المعنى المراد توصيله.

⁽¹⁾ عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتعددة، بيروت، 2009، ص: 141.

⁽²⁾ أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2015، ص: 49.

⁽³⁾ ينظر: صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ، د.ط، الجزائر ، 1994 ، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 246.

ووجه العلاقة بين النحو والتداولية تكمن في أنّ النحو من خلال التراكيب اللغوية المختلفة التي ينتجها المتكلم حسب مقاصده ، تخضع لوظائف تداولية من حيث التراكيب والاستعمال وتحقيق المقصد، وينطلق التراكيب اللغوي في أداء الوظيفة النحوية من المفردات وينتهي إلى الجملة الواحدة.⁽¹⁾

إنّ الناظر في فحوى مصطلح "الوظيفة النحوية"، يجد أنّ الكشف عن هذه الوظيفة يتم من خلال دراسة « التراكيب ووصفها [...] وبيان أسرارها وتحديد الوظائف النحوية من خلال بيان العلاقات بين مكوناتها وبنية هذه المكونات وإعرابها ، وصولاً إلى القواعد المطردة والأحكام التي تضبط البنية التركيبية والدلالية للغة.»⁽²⁾

مفاد هذا لا يمكن عزل الوظيفة النحوية عن المنهج التداولي الوظيفي ؛ إذ لا يكتف المنهج الوظيفي بتحليل التراكيب اللغوية وكشف علاقاتها بالوحدات المجاورة، بل يُدرجُ البعد التداولي للتراكيب اللغوي فيشمل الوظيفة النحوية وظيفتها داخل التراكيب، ووظائف خارجة، أو ما يعرف بالوظائف العامة والخاصة .

الوصول إلى الوظيفة النحوية يقتضي تحليل « الوظائف العامة والخاصة التي يؤدّيها كل تركيب لغوي، ومن ثمّ إيجاد الصيغ والتراكيب التي يمكن أن تُعبّر عن تلك الوظائف، ضمن إطار كلّ من المفاهيم أو المعاني العامة.»⁽³⁾ ومنه التركيب اللغوي منوط بنوعين من الوظائف الخاصة والعامة، وخصوصيتها وعموميتها حسب المتلقي.

(1) تمام حسان: الأصول -دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب- عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص: 307.

(2) أسامة كامل جرادات: الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 2004م، ص: 70.

(3) نايف خورما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة (سبتمبر/أيلول) الكويت، 1987م، ص: 121.

2-2- علم النحو:

يُعدّ النحو هو القانون اللغوي والميزان الذي يُتّوم تراكيب اللّغة؛ فالنحو « دعامة العلوم العربيّة وقانونها الأعلى ، ولن تجد منها علما يستقل بنفسه عن النحو، أو يستغني عن معرفته، أو يسير بغير نوره وهداه»⁽¹⁾، وبالنحو يرشّد المتلقي إلى المعاني المقصودة ، وهو السبيل إلى فهم كلام الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فالنحو « وسيلة المستعرب، وسلاح اللّغوي وعماد البلاغي ، وأداة المشرع والمجتهد ، والمدخل إلى العلوم الشرعيّة العربيّة جميعا.»⁽²⁾

الغاية المتوخاة من النحو هو فهم وإدراك تراكيب العربية في تآلفها وبنائها الأسلوبي، ونظم ألفاظها ، وبيان عناصرها ، فالظاهرة اللّغويّة صنفين « أما الصنف الأول فيتمثل في عناصر اللّغة باعتبارها نظاما مخصوصا له مكوّناته الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والمعجميّة [...] أما الصنف الثاني من القضايا فيتصل بالمشاكل المبدئيّة التي يواجهها الناظر في اللّغة من حيث هي ظاهرة بشريّة مطلقة ويتدرج البحث في هذه المسائل من تحديد الكلام وضبط خصائصه إلى تحسّس نواميسه المحركة له.»⁽³⁾

2-3- الجُملة والمنهج الوظيفي:

يكون التّركيب كامنا في الجملة ؛ فهي واحدة وتراكيبها مختلفة وعلاقاتها كثيرة، وبهذا الاختلاف والعلاقات القائمة بين عناصرها تشكل دلالة تقوم بوظيفة تداوليّة، فيمكن عدّها كلاما مكوّنا من ألفاظ ، تشكل هذه الأخيرة دلالة ووظيفة ، وحقما إسناديا يحسن السّكوت عليه، ويؤدي الوظيفة المقصودة ، ومنه تحقيق الغرض. ترد لفظة الجملة في المقاييس العربية والمعاجم بمعنى الجمع والجمل « والجملة جماعة الشّيء وأجمعه عن

(1) محمود فجال: الحديث النبوي في النحو العربي، دار أضواء السلف، الطبعة الثانية، الرياض، 1997م، ص: 26.

(2) نفسه ، ص: 26.

(3) عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص: 105، 106.

تفرقة»⁽¹⁾، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً »⁽²⁾، ويرتبط هذا المفهوم اللغوي بالاصطلاح في جمع وحمل المعنى وتبليغه نحو متلقٍ.

الجملة عند مجموع النحاة مرادف للكلام، فهي الكلام و « الكلام هو المركب من كلمتين أُسدت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين، أو فعل واسم، ويسمى الجملة.»⁽³⁾

وظهر مصطلح الجملة في تعريف "المبرد" (ت: سنة 285 هـ) فيقول: « إِمَّا كَانَ الْفَاعِلُ رَفْعًا؛ لِأَنَّهُ هُوَ وَالْفِعْلُ جُمْلَةٌ يَحْسُنُ عَلَيْهَا السَّكُوتُ، وَتَجِبُ بِهَا الْفَائِدَةُ لِلْمَخَاطَبِ »⁽⁴⁾، إنَّ شرط السكوت الحسن وفائدة المخاطب هو تمام القصد من الكلام نحو السامع فإن لم تحصل الفائدة لا يُعدّ هذا جملة.

وورد في الخصائص « أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك وقام محمد [...] فكل لفظ مستقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام»⁽⁵⁾، ومن النحاة من يخالف، ذلك أنّ الكلام أخصّ منها وهي أعمّ منه، يقول ابن هشام الأنصاري « الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، وبالجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدها.»⁽⁶⁾

(1) محمد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة (جمل)، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص: 685.

(2) سورة: الفرقان، الآية: 32.

(3) موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت 643 هـ): شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 72، 73.

(4) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (210 هـ، 285 هـ): المقتضب، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، دار النشر ووزارة الأوقاف ولجنة إحياء التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994، الجزء الأول، ص: 146.

(5) ابن جني: الخصائص، الجزء الأول، ص: 17.

(6) أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991، الجزء الثاني، ص: 431.

يظهر أنّ محور الاختلاف هو شرط الإفادة « الكلام والجملة مختلفان فإنّ شرط الكلام الإفادة ، ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة ، وأما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد، فهي أعمّ من الكلام؛ إذ كلّ كلام مفيد وليس كل جملة مفيدة.»⁽¹⁾

يشترط في التّركيب اللّغوي هو القصد والإفادة، والسكوت عند تمام المعنى حين التبليغ، « والتّركيب النّحوي له معنى أوّل يدّل على ظاهر الوضع اللّغوي وله معنى ثان، ودلالة إضافية تتبع المعنى الأوّل، وهذا المعنى الثاني، وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد والهدف في البلاغة.»⁽²⁾

يتعلّق التّركيب اللّغوي بالفائدة والمقاصد، انطلاقاً من تفاعل وظيفي بمعطيات تواصلية عن طريق التّواضع النّحوي، والتّواضع النّفعيّ داخل الخطاب، وعند الكشف عن الوظائف النّحوية نجدتها تتضمن أبعاداً معنوية دلالية وأبعاداً تداولية في بلوغ القصد والهدف من الخطاب وهذا يتطلب تحليل « كيفية التّعبير عن الغرض المتوخّى الذي يحدد اختيار الألفاظ الملائمة، وتركيبها بطرق معينة لتؤدّي المعنى العام للخطاب»⁽³⁾، وهذا المنظور هو الممثل في التّداوليات والاستعمال ، وفي القصدية الإبلاغية.

يتعلق النّحو، والجملة، والتّركيب اللّغوي، والوظيفة النّحوية بمصطلح "النّظم" في وضع الكلام، إذ النّظم « أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو»⁽⁴⁾، وهذا مفاده أنّ تقوم الوظيفة النّحوية داخل ما تنظمه من جمل قياماً يؤدّي أغراضك ومقاصدك؛ ذلك « أنّ النظم في جوهره هو النّحو في أحكامه لا من حيث الصّحة والفساد، بل من حيث المزينة والفضل»⁽⁵⁾، إنّ التّعالق الموجود بين الوظيفة النّحوية والنّظم هو الذي يقيم للمعنى وزناً ويجعل للتّركيب مقصداً وهدفاً.

(1) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الطبعة الثانية، 2007، ص: 12.

(2) عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1980، ص: 04.

(3) إسماعيل صلاح: النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2002، ص: 25، 26.

(4) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 64.

(5) عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص: 368.

إنّ هذا الاحتفال بالتركيب اللغوي من جهة تركيبه وعلاقات عناصره ، ونظمه الدلالي هو التجسيد الفعلي للوظيفة النحوية، ضمن ما يُعرف بالمنهج الوظيفي: " Functionnalism " للتركيب اللغوي في اللغة ضمن « إطار استخدامها الفعلي في المجتمع انطلاقاً من وظائفها، وخاصة وظيفتها في التواصل، فهي ظاهرة اجتماعية يوظفها الأفراد لأداء المعاني بما يحقق أهدافهم وغاياتهم.»⁽¹⁾

لذا يمثل المنهج الوظيفي نظرية النظم في معالجتها للتركيب من الجانب النحوي، وما يُؤدّيه دلاليًا وكيفية بلوغ المقصد، وهذا ما يعرف بالمنهج التداولي النفعي الذي يمثله المنظور الوظيفي للجملة، الذي يحكمه « النحو النظامي " Systeme Grammar"، فالتركيب اللغوية المتنوعة يؤدي كل منها وظيفة مختلفة، مما يُمكن الفرد من التعبير عن أفكاره ومشاعره بما تتيحه له اللغة، من هذه الوسائل التعبيرية، وتكون مهمة النحو النظامي الرئيسية هنا تصنيف تلك الوظائف المتعددة ضمن نظام يُظهر استعمالها التي من خلالها تقوم بأداء المعاني.»⁽²⁾

إنّ الفائدة والسكوت عند تمام المعنى وبلوغ القصد - الذي تطرق إليه العرب القدامى مثل: سيبويه والسكاكي والجرجاني وابن هشام وابن جني - قد مثل أيما تمثيل المنهج الوظيفي في الدرس اللساني، مثل مفهوم النحو النظامي الذي أتى به "هاليدي" - ومفهوم "دينامية الاتصال" Communicative Dynamism « التي تمثل: اختلاف عناصر الجملة في قدرتها على تحريك الحدث الكلامي، وتكون هذه الدينامية في أعلى مستواها في المسند إليه ، الذي يحمل معلومات جديدة ذات أثر كبير في التأثير عن السامع، وهذا ما أتى به فرباس (Firbas)، والمفهوم الذي أتى به "فيرث" سياق الحال Context of situation والذي يقصد به مجموعة من العناصر التي تشكّل منها الموقف الكلامي مثل: شخصية كل من المتكلم والسامع وتكوينها الثقافي والعوامل الاجتماعية المرتبطة بالسلوك، كما يمثل "مارتنيه" الاتجاه الوظيفي، حين ربط مفهوم الوظيفة بعلاقتها بالشحنة الإخبارية.»⁽³⁾

(1) أسامة كامل جرادات: الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية، ص: 61.

(2) نفسه، ص: 65.

(3) يُنظر: نفسه، ص: 61 وما بعدها.

شكل المنهج الوظيفي في اللغة العربيّة مصدرا من مصادر التحليل الخطابيّ الذي أدى إلى الوصول إلى أغراض المتكلمين، وفهم الخطاب الشرعي: القرآني والسني.

يتحدد دور الرسول صلى الله عليه وسلم وقصده من الحديث، إذا ما حددنا الوظائف النحويّة ثمّ الدلاليّة ثمّ التداوليّة، مع تحديد القصد؛ لأنّ «إنشاء الكلام من لدن المتكلم وفهمه من لدن المخاطب، عمليتان لا انفصال لإحدهما عن الأخرى، وانفراد المتكلم بالسبق الزمني ما كان ليلزم عنه انفراد بتكوين مضمون الكلام، بل ما أن يشرع المتكلم في النطق حتّى يقاسمه المخاطب دلالات؛ لأنّ هذه الدلالات الخطابيّة لا تنزل على ألفاظها نزول المعاني على المفردات في المعجم، وإتّما تنشأ وتتكاثر وتتقلب وتتعرف من خلال العلاقة التخاطبيّة»⁽¹⁾، فالحديث النبوي الشريف مقاصد وتراكيب تحمل وظائف نحويّة ودلاليّة وتداوليّة.

(1) طه عبد الرحمان: في فصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص: 50.

2-4- تراكيب الحديث النبوي الشريف: وظائف نحوية ومقاصد:

إنّ معالجة التراكيب النحوية من المنظور الوظيفي للجملة، وتحليله التداولي للبنى اللغوية، منتهاه الحقل التحويي البلاغي الدلالي التداولي، ذلك « أن مباحث النحو يتحقق بها فهم البنية التركيبية ودلالاتها ومباحث البلاغة يتحدد بها أهداف التعبير والتواصل، وبهما يوقف على دلالة التراكيب وأسرارها.»⁽¹⁾

إنّ الكشف عن الوظائف النحوية ضمن التراكيب النبوية الشريفة، يقودنا إلى تصنيف الجملة، والجملة العربية في التقسيم مبنية على قضية الإسناد، وهي نوعين جملة اسمية (مبتدأ وخبر) وجملة فعلية (فعل وفاعل)، وكلاهما يكون التركيب الإسنادي، ويمكن أن نطلق على الأولى التركيب الاسمي، والتركيب الفعلي على الثانية.

الإسناد بين ركنين يُتمّ معنى الجملة ولا تُبلّغ مقصداً إلاّ بذكرهما، فعلاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه « ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا »⁽²⁾، تكمن صحة الجملة نحويًا في ذكر ركني الإسناد لتكوين علاقة الإسنادية، وبهذه يؤدي كل ركن وظيفته النحوية؛ فتشكل الجملة بتلك العلاقة وظيفة دلالية وتداولية.

ويصنفها الزمخشري في مفصله إلى أربع أنواع « والجملة على أربعة أضرب: فعلية واسميّة وشرطيّة ووظرفيّة »⁽³⁾، إنّ هذا التعدد في التراكيب التركيب الفعلي والتركيب الاسمي، والتركيب الشرطي والتركيب الظرفي الإضافي، لهو نتاج نزوع كل تركيب بوظيفة نحوية تحددها نوعيته.

يصنفها "ابن يعيش" بقوله: « وهي في الحقيقة ضربان: فعلية واسميّة لأنّ الشرطيّة في التحقيق مركبة من جملتين فعليّتين: الشرط فعل وفاعل، والجزاء فعل وفاعل، والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر.»⁽⁴⁾ تتحقق الوظائف النحوية في الجمل بأنواعها؛ ذلك أنّ التركيب اللغوي في وظيفته النحوية، يقيم علاقات

(1) عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات، ص: 07.

(2) سيبويه: الكتاب، الجزء الأول، ص: 23.

(3) ابن يعيش: شرح المفصل، الجزء الأول، ص: 229.

(4) نفسه: ص: 229.

ويؤسس نظريات ، وتمثل « علاقة الإسناد ونظرية العامل محورين مهمين في معرفة بنية الجملة العربية ؛ لأنّ أولهما مكوّن ، والآخر ضابط المكوّنات. »⁽¹⁾

العلاقة الإسنادية تكوّن الجملة العربية بناءً، والعامل والمعمول يضبطها نحويًا، والتكوين البنائي والضبط النحوي يؤسس وظيفة نحوية.

2-5- الوظيفة النحوية والعلاقة الإسنادية:

تظهر العلاقة الإسنادية بين مسند ومسند إليه بتكوين وظيفة نحوية في ذلك الترابط والترتيب ؛ إذ الجملة « لا بدّ أن تفيد معنى ما ، وإلا كانت عبثًا، فلو رُتبت كلمات ليس بينها ترابط يؤدي إلى إفادة معنى ما، لم يكن ذلك كلامًا »⁽²⁾ ؛ لأنّ التركيب يتبع ويُنشئ الدلالة، فإن أُغفل الجانب الدلالي الجانب النحوي صار الكلام دون فائدة « فكلّ جملة صحيحة نحويًا تُعدّ جملة مستقيمة، ولكنّ الحكم على هذه الاستقامة بالحسن أو بالكذب يتعلق بالمعنى، الذي تفيدته عناصر الجملة عندما تترايط نحويًا. »⁽³⁾

2-5-أ- التركيب الإسنادي الاسمي:

يُشير "المركب الإسنادي الاسمي" إلى العلاقة القائمة بين رُكني الإسناد ممثلة في العلاقة الإسنادية بين المبتدأ أو الخبر ، وبها تُدرك الصورة الأصل التي ينعقد بها التركيب وعلاقاته وأنماطه الاسمية والفعليّة وعمل عناصره وما يستلزم من حركة إعرابية، وما يؤول إليه من دلالة نحوية على الأبواب الخاصة مثل المبتدأ والخبر.

التركيب التام الذي يصحّ السكوت عليه يتألف « من ثلاث عناصر رئيسية هي: المسند إليه أو المتحدث عنه أو المبنى عليه، والمسند الذي يُبنى على المسند إليه ويتحدث به عنه، والإسناد أو ارتباط المسند بالمسند

(1) عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية، ص: 23.

(2) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2000، بيروت، ص: 07.

(3) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، دار الشروق، الطبعة الأولى، 2000، ص: 66.

إليه»⁽¹⁾ ، و تمثل لهذه العلاقة الإسنادية في قول الرسول ﷺ في باب ما جاء أنّ مفتاح الصلاة الطهور: «
مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ.»⁽²⁾

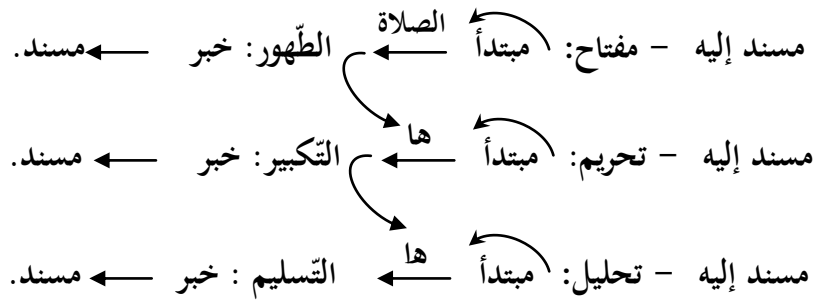
يقوم الحديث الشريف على ثلاثة جمل رئيسة وهي:

4 - الطهور: ويمثل مفتاح الصلاة.

5 - التكبير: ويمثل الإحرام.

6 - التسليم: ويمثل التحليل.

ورد المبتدأ مبتدأ نكرة معرّفاً بالإضافة ممثلاً في:



هذه المعاني مستفادة من العملية الإسنادية مؤدّية بذلك الوظيفة النحوية ممثلة في الإسناد، ويدخل هذا الحديث في الإسناد المجازي « وسمى النبي ﷺ الطهور مفتاحاً مجازاً ؛ لأنّ الحدث مانع من الصلاة ، فالحدث كالقفل موضوع على الحدث إذا توضأ انحلّ الغلق، وهذه استعارة بديعة لا يقدر عليها إلاّ النبوة.»⁽³⁾

تحصل الفائدة من المسند والمسند إليه، فلا يكون المبتدأ كلاماً تاماً إلاّ بذكر الخبر و « اعلم أنّ المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما ، فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل الفائدة فلا بدّ منهما.»⁽⁴⁾

(1) مهدي المخزومي: في النحو العربي - نقد وتوجيه - دار الراشد العربي ، بيروت، الطبعة الثانية، 1986، ص: 31.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول ، ص: 90.

(3) الحافظ أبو العلي محمد عبد الرحمان بن عبد الرحيم المباركفوري: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص: 38.

(4) ابن يعيش: شرح المفصل، الجزء الأول، ص: 239.

محل الفائدة من المسند إليه من خلال الحديث هو: لا صلاة بدون طهارة ولا صلاة دون تكبيرة الإحرام، ولا ختام صلاة دون تسليم.

يمثل الخبر عمدة في جعل المبتدأ وظيفيًا له وظيفة نحوية، ولو كان معتمد الفائدة، فلو قلت: مفتاح..؟
 تحريم..؟ تحليل..؟، لكان المبتدأ خاليا من القصد، منتفي الوظيفة ولا فائدة منه، ولو قلت: "وتحريمها التكبير"،
 «سمى الدخول في الصلاة تحريماً لأنه يحرم الأكل والشرب وغيرها على المصلي، فلا يجوز الدخول في الصلاة إلا بالتكبير»⁽¹⁾، الفائدة المرجوة المقصودة من التركيب هو أنّ التكبير شرط في الشروع في الصلاة.

إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم، يخصّ بحديثه عن مشروعية الصلاة، فاختص: "الطهور" وهو المسند إليه لصحة الصلاة وهي المسند، فكان مفتاحها والتكبير وهو المسند إليه للدخول في الصلاة، وهي المسند فكان تحريمها، والتسليم وهو المسند إليه لختام الصلاة وهي المسند فكان تحليلها.

قوله صلى الله عليه وسلم "تحريمها التكبير" «يقتضي اختصاص التكبير بالصلاة دون غيره من اللفظ؛ لأنه ذكره بالألف واللام الذي هو باب شأنه التعريف كالإضافة، وحقيقة الألف واللام إيجاب الحكم لما ذكر ونفيه عما لم يذكر وسلبه عنه وعبر بعضهم بأنه الحصر»⁽²⁾، قد قصر وحصر الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة بثلاثة أحكام، ويمثل كل منها: مسندا إليه، فلا يصلح المعنى إلا بإسقاط الحكم عن المحكوم ليصح، ويجب الحكم وهو المسند: فالطهارة والتكبير والتسليم اقتضت الاختصاص بالصلاة، «وقوله "تحليلها التسليم" مثله في حصر الخروج عن الصلاة على التسليم دون غيره من سائر الأفعال المناقضة للصلاة»⁽³⁾.

(1) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 38.

(2) نفسه، ص: 39.

(3) نفسه، ص: 39.

إنّ هذا الحديث مكوّن من ثلاث تراكيب ورد فيها المسند معرّفًا والمسند إليه معرّفًا « واعلم أنّ في هذه الجملة وقرينتها، قصرًا لتعريف المبتدأ والخبر [...] وتعريف أحد الطرفين يفيد القصر، إذا كان الطرف الآخر مشتملاً على معين القصر. »⁽¹⁾

فَصَدَّ الرَّسُولُ ﷺ بهذا الحديث قصرًا صحة الصلاة في الطّهارة والتّكبير والتّسليم، وترتبط العلاقة الإسناديّة ضمن عمليّة إسناديّة بقصد منوط بوظيفة نحوّية بالبعد التّركيبي، فالتركيب هنا إسناديّ اسميّ مبتدأ وخبر، أو مسند ومسند إليه، بالإضافة إلى وظيفة جعل المسند والمسند إليه مُعرّفين، فأنّج وظيفتي القصر والحصر؛ إذ لا تصح الصلاة إلّا بطهارة ولا تبدأ إلّا بتكبيرة الإحرام، ولا تُحتم إلّا بالتّسليم.

فَصَدُّ الرَّسُولِ ﷺ يميلنا إلى البعد التداولي للتركيب الإسنادي ممثلاً في وظيفيّة العلاقة الإسناديّة نحوّياً بين المبتدأ وخبره « لأنّك إذا ابتدأت، فإنّما قصدك تنبيه السّامع بذكر الاسم الذي تحدّثه عنه، ليتوقع الخبر بعده، فالخبر هو الذي ينكره ولا يعرفه ويستفيده، والاسم لا فائدة له لمعرفته به، وإنّما ذكرته لتسند إليه الخبر. »⁽²⁾

وبهذا يمثل المتكلم الباث للقصد من خلال تركيب لغويّ ممثل في تركيب إسناديّ اسميّ مكون من مسند إليه (مبتدأ) + مسند (خبر)، فيؤدّي هذا التّركيب وظيفتين: نحوّية في بعدها التّركيبي ودلاليّة في بعدها التداوليّ.

فَصَدَّ الرَّسُولُ ﷺ بذكر المسند والمسند إليه معرفين تنبيه المؤمنين على سبيل القصر والحصر في التّركيب، وهو أنّ الصلاة لا تصحّ إلّا بالطهارة، فتّمّت الفائدة وبلغ القصد بعد ذكر المسند إليه؛ لأنّ المتلقي كان على جهالة به.

إنّ البعد التداوليّ ضمن التّركيب الإسناديّ مرده إلى أنّ الإسناد تركيب لغويّ يعمد إليه المتكلم قصداً للتبليغ ثمّ إنّ العمليّة الإسناديّة عمليّة عقلية محضة تعتمد على معطيات لغويّة بوصفها الموادّ التي يُبنى على أساسها الإسناد، وليست بمتحكّمة فيه بل المتحكّم فيه هو مُنشئه (المتكلم).⁽¹⁾

⁽¹⁾ محمد أنور شاه ابن معظم شاه الكشميري: العرف الشذّي شرح سنن الترمذّي، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص: 42.

⁽²⁾ أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت 316 هـ): الأصول في النحو، الجزء الأول، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ص: 59.

تجدر الإشارة إلى أنّ الإسناد يمثل قرينة معنوية، ويتكوّن هذا الحديث الشريف من جملة: نواة إسنادية، وهي (مفتاح الصلاة)، وبينها وبين تلك الجمل الموالية علاقة نفيّة دلالية تُركّب إسناديًا عن طريق ربطها بحرف العطف.

الجملة الأولى " **مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ**" مثلت النواة للعلاقة الإسنادية، وهي جملة مجازية، ومنه يُدرج هذا الإسناد ضمن الإسناد المجازي، و« **مَنَاطُ** المجازية هي الكلمات، فالنظم التحويلي للكلمات واحد سواء في حال مجازيتها أو حقيقتها، فلا يوجد نظم مخصوص للحقيقة وآخر للمجاز، فالتأويل الذي هو شرط وجود المجاز، يتمّ لبعض الكلمات، ولا يمسّ البنية التركيبية للجملة، فيكون عمل البلاغي استبدالاً بالكلمات المجازية كلمات مطابقة لقصد القائل خارجة عن حيز المجاز.»⁽²⁾

يسمى "أحمد المتوكل" هذا التركيب بالتركيب الشفاف و يقصد به « (في مقابل التركيب الكاتم) التركيب الذي يُفصّل فصلاً تاماً، أو فصلاً جزئياً في مستوى البنية الصرفية التركيبية بين العناصر الوافدة من البنية العلاقية (التداولية)، أو العناصر الوافدة من البنية التمثيلية (الدلالية).»⁽³⁾

نمثل لهذا التركيب بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « **مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلَاةُ، وَمِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الْوُضُوءُ.**»⁽⁴⁾

ورد لفظ "مِفْتَاحُ" مسنداً إليه و"الصَّلَاةُ" مسنداً، وهي معطوفة على مفتاح الصلاة الوضوء، ليصلح التركيب الأول دلاليًا وتداوليًا، بأن ينال الناس الجنة فعليهم بمفتاحها وهي الصلاة، والصلاة مفتاحها الوضوء، وهذا تفصيل للتركيب دلاليًا، والعمل به وبمقتضاه تفصيل تداولي، والتفصيل التركيبي مشكل من مبتدأ مضاف + مضاف إليه وخبر، وجملة معطوفة، بدلالة جديدة.

تقوم الوظيفة التحويلية على المكوّن التحويلي الذي يقيم علاقات إسنادية، إذ تُعدّ الجملة الأولى: النواة وما يليها معطوفات على الحكم؛ لأنّ الإسناد تكمن وظيفته في الحكم على شيء بشيء.

(1) يُنظر: صابر الجباشة: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2010، ص: 98.

(2) صابر الجباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية - قراءة في "شروح التلخيص" للخطيب القزويني - دراهم صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2011، ص: 80.

(3) أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 171.

(4) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 91.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في "ويل للأعقاب": «وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ وَ بَطُونِ الأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ.»⁽¹⁾ ومقصده من هذا « أنه لا يجوز المسح على القدمين، إذا لم يكن عليهما خفان أو جوربان.»⁽²⁾

المسند إليه هنا ممثل في لفظه " وويل" و« يستعمل الويل فيمن هو مستحق للهلاك، والويح فيمن ليس بمستحق له»⁽³⁾؛ ليكون المسند هو الخبر الذي ورد على شكل شبه جملة، ممثلة في جار ومجرور " من النار" دالا على الجزاء؛ فالحكم لا يجوز أن نمسح الأرجل.

قد صدّر الرسول صلى الله عليه وسلم حديثه بمسند إليه (مبتدأ) نكرة « وجاز الابتداء بالنكرة لأنه دعاء انتهى »⁽⁴⁾، إنّ المسند إليه والمسند وظيفتان تركيبيتان نحويتان الابتداء والإخبار، والانحراف عن قصد الرسول صلى الله عليه وسلم يُؤدّي إلى فهم ما لم يقصده، وقد تحمل هذه الجملة الإسنادية الاسمية حكماً شرعياً، وضياح القصد مآله الوقوع في المعصية؛ فالحكم ضمن التركيب اللغوي الإسنادي الاسمي هو: « وجوب غسل الرجلين وأنّ المسح لا يُجزئ »⁽⁵⁾، وعليه فإنّ إسنادية جملة ضمن تركيب لغوي نبوي قد تُبيح أمراً، وقد تحرم آخراً.

البحث عن القصد داخل التركيب الإسنادي الاسمي له كلّ العلاقة بفحوى الجملة الحاملة لمقصد المتكلم (الرسول عليه وسلم)؛ لذا فإنّ اقتران التركيب الإسنادي بالدلالة شيء ضروري، بمعنى أنّ الكلام بدون هذا الاقتران الدلالي يفقد كلّ المقومات الشرعية لوجوده، بل إنّ الكلام الخالي من الدلالة شيء منعدم قطعاً.⁽⁶⁾

إنّ المعنى المقصود يربط بين التركيب اللغوي وعناصره، والوصول إلى حقيقة المسند إليه يحقق الغرض من العلاقة الإسنادية وهي الفائدة.

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 130.

(2) نفسه، ص: 131.

(3) الكشميري: العرف الشذي، ص: 81.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 153.

(5) نفسه، ص: 153.

(6) ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص: 111.

عن أبي هريرة يقول: سألت رجلاً رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إننا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضعنا به عطشنا، أفنتوضأ من [ماء] البحر؟، فقال: رسول الله ﷺ عليه وسلم: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَةٌ»⁽¹⁾

قرينة الإسناد في هذا الحديث ممثلة: في الحكم على ماء البحر بالطهارة، والحل لميتة، وقد أفاد هذا التركيب الإسنادي جواز الوضوء بماء البحر، و أكل الميتة أي مخلوقاته التي تعيش به حلال إذا ماتت به، رغم أن الرجل سأل عن ماء البحر فقط، لأن الرسول ﷺ عليه وسلم « عرف اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر، أشفق أن يشتهه عليه حكم ميتته وقد يتلى بها راكب البحر فعقب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة.»⁽²⁾

التركيب الإسنادي يقتضي قصد المتكلم ضمن العلاقة الإسنادية؛ فالجملة إسنادية « يمكن أن تكون لها وظيفة من بين وظائف عدة، فهي قد تبيح شيئاً، أو تستنكر أمراً، ولكن يمكن أن تقترب أكثر من المعنى المقصود من عبارتها»⁽³⁾، عن طريق معرفة طبيعة الحوار داخل الخطاب.

هو حوار بين الرجل والرسول ﷺ عليه وسلم، الذي كَوّن علاقة بقصدية التركيب الإسنادي نحو الرجل السائل، فهو جواز الوضوء بماء البحر، وأجابه عن الحل لميتة البحر والرجل سأل النبي عن مائه « فأجابه عن مائه وطعامه لعلمه بأنه قد يعوزهم الزاد فيه، كما يعوزهم الماء، فلما جمعتهما الحاجة انتظم الجواب بهما»⁽⁴⁾، ورد المسند إليه ممثلاً في ضمير الشأن " هو " والمسند " الطهور " « وماؤه بالرفع فاعل الطهور»⁽⁵⁾، و "الحل" مسند ثان، والمسند إليه « مَيْتَةٌ بالرفع فاعل الحِلِّ»⁽⁶⁾، الفائدة من التركيب الإسنادي ضمن حديث الرسول ﷺ عليه وسلم: ماء البحر جائز للوضوء كما تجوز وتحل ميتته، وتتجلى هنا حكمة الرسول ﷺ عليه وسلم في الجواب بعد السؤال.

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 162.

(2) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 262.

(3) أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص: 116.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 262.

(5) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 262.

(6) نفسه، ص: 262.

الوظيفة النحوية ضمن تركيب لغوي تشكل علاقة إسنادية، ولا تكون مقتصرة على صحة تركيبها النحوي، فما له وظيفة فتأديها يحقق القصد داخل بناء وظائفها .

حديث الرسول ﷺ مُعبأ بمقاصد وأهداف، كونه النبي المكلف بالدعوة ، فكلامه وتراكيبه وكلماته وظيفية نفعية بامتياز، وترتبط الوظيفة النحوية بالقصدية داخل تركيب إسنادي، مكونة بذلك مركز الفائدة من علاقة إسنادية المتمثلة في الخبر؛ لأنّ القصد من الإخبار به إفادة السامع « والاسم الذي هو خبر المبتدأ هو الذي يستفیده السامع ، ويصير به المبتدأ كلاماً.»⁽¹⁾

تمثل لعلاقة القصدية والوظيفة النحوية في حديث فيه سُئلَ الرسول ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: « الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا.»⁽²⁾

هذا التركيب الإسنادي الاسمي مركب من: مسند إليه ومسند ، يظهر المسند بشكل شبه جملة، والإضافة التي وردت في آخر الجملة ممثلة في الضمير [وقت ← ها ← الصلاة] الضمير العائد عن الصلاة ، وهي المسند إليه لإزالة الأفضلية عن الأعمال، وبيان أنّ الصلاة هي أفضلها .

أفاد المضاف إليه وظيفة نحوية ودلالية في توضيح القصد وإبانته ؛ إذ المضاف إليه في الجملة يُؤدّي إلى « تقييد المضاف بجعله نسبيًا بعد أن كان مطلقاً»⁽³⁾، و"الوقت" مطلق، ولما اتصل بالماء الإحالية العائدة عن المسند إليه أدّت وظيفة التقييد بأنّ أفضل الأعمال: الصلاة في وقتها، وهذا قصد النبي ﷺ كما تمثل قصده في ترغيب الناس بأداء الصلاة ، والفضل حين تُؤدّي في وقتها، والحرف الذي أدّى وظيفة التقييد هو " اللام " بمعنى "في" ، وهو تقييد لأداء الصلاة في الوقت باعتبار الحرف « ضميمة سياقية تحمل معنى يُؤثّر في الجملة عامة»⁽⁴⁾،

(1) ابن السراج: الأصول في النحو، الجزء الأول ، ص: 62.

(2) سُنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 334.

(3) محمود أحمد نحلة: نظام الجملة في شعر المعلقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: 134.

عامّة»⁽¹⁾، ويبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم مغنم أداء الصلاة في وقتها فيقول: «الْوَقْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَالْوَقْتُ الْآخِرُ عَفْوُ اللَّهِ.»⁽²⁾

يظهر المسند إليه وهو: "الوقت الأول" مصحوبا بجار ومجرور: "من الصلاة" لتقيده، والتركيب تتم فائدته حين يذكر: المسند ممثلا في: "رضوان الله"؛ «أي سبب رضائه كاملا لما فيه من المبادرة إلى الطاعات، و"الوقت الآخر" بحيث يتمل أن يكون خروجا من الوقت أو المراد به وقت الكراهة (عفو الله)، والعفو يكون عن المقصّرين، فأفاد تعجيل الصلاة أول وقتها أفضل.»⁽³⁾

يظهر شكل الإسناد الاسمي: المسند إليه + جار ومجرور + المسند، ثم جملة معطوفة و"الواو" رابط تركيبي بين جملتين تجمعهما العلاقة الإسنادية بوظيفة نحوية ممثلة في الصلاة حين تُؤدّى في أولها وفي آخرها (وقتها)، تركيب الجملة الثانية من: مسند إليه + مسند + مضاف إليه، وكلّ ركن اسمي في هذا التركيب أفاد وظيفة نحوية، وهذا الأداء منوط بوظيفة دلالية و تداولية مفادها: نوال رضى الله حين تُؤدّى الصلاة في وقتها.

بين التركيب الإسنادي الأول والثاني وظائف نحوية ودلالة متغيّرة باستعمال "العطف" "بالواو"، و«الحرف المذكور يدخل التركيب لمقصد معنوي وهو في حضوره وغيابه يؤدّي المعنى المراد به، إنّه يقوم بعمله المعنوي الأصيل في التعبير، فليس مطالبا بتأدية وظيفة ثانية إلا إذا كان ثمة ما يحوج إلى ذلك.»⁽⁴⁾

ولأنّ الحديث النبوي خطاب دعويّ يُضيف الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال ضمن تراكيب إسنادية اسمية ليتحقق المقصد، حين سأله "ابن مسعود" عن أيّ العمل أفضل؟

قال: «الصلاة على مؤفيتها.»

قلت: وماذا يا رسول الله؟

(1) الصادق خليفة راشد: دور الحرف في أداء معنى الجملة، جامعة قان يونس، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 1996، ص: 08

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 336.

(3) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 516.

(4) فخر الدين قباوة: مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2003، ص: 147.

قال: «وَبَرَّ الْوَالِدَيْنِ.»

قلت: وماذا يا رسول الله؟

قال: « وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.»⁽¹⁾

إذا أدرك السائل العلاقة بين ركني الإسناد وتوحي الوظيفة النحوية القائمة بينهما وإن تعددت، حصل على المعنى وتمكّن من القصد.

إنّ التركيب يتوصل به إلى بيان وظائفه النحوية بقرينة الإسناد، وبهذا يتمكن السامع من مقاصد المتكلمين، فالرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الماضية عن أفضل الأعمال، يُقَرَّبُ النَّاسُ مِنَ الْعِبَادَةِ مِثْلَةَ فِي الصَّلَاةِ، وفضلها أكبر حين تُؤدَّى في وقتها، ثمّ باستخدام التركيب الإسنادي الاسمي (المسند إليه + المسند) وعلاقته الإسنادية متبوع بشبه الجملة بالنسبة للمسند إليه والإضافة في المسند، يذكر ثواب الصلّاة في وقتها "رِضْوَانُ اللَّهِ" ممثلاً بالمسند، ثمّ يعقب الأعمال الفاضلة بعدها: برّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله.

إنّ الوظيفة النحوية التي أدتها الحروف في المكوّنات الاسميّة (المسند والمسند إليه)، استمرارية للعملية الإسنادية، ومنه إبراز العلاقة الإسنادية بين هذه التراكيب، وهي أنّ الصلّاة أفضل الأعمال، وهي موجبة لبرّ الوالدين وموجبة للجهاد في سبيل الله.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في صلاة الوسطى، عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: « صَلَاةُ الْوُسْطَى، صَلَاةُ الْعَصْرِ.»⁽²⁾

العلاقة الإسنادية هنا ممثلة في الحكم، وهو أنّ الصلّاة الوسطى هي صلاة العصر، وهذا « لِأَنَّهَا وَسْطَى بَيْنَ صَلَاتِي النَّهَارِ وَصَلَاةِ اللَّيْلِ.»⁽³⁾

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 339.

⁽²⁾ نفسه، ص: 350.

⁽³⁾ المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 335.

بما أن الإسناد يأتي فيما يفيد قصد المتكلم ضمن تركيب اسمي في تراكيب مختلفة، فإنه في بنيته التركيبية والدلالية والتداولية يقوم على قرينة الإسناد بتضافرها مع قرائن أخرى مثل قرينة العلامة الإعرابية؛ لأن الإسناد في التراكيب اللغوية لا يظهر ولا يبين إلا بالعلامة الإعرابية.

فورد المبتدأ "صلاة" وهو مضاف، "الوسطى": مضاف إليه مجرور والعلامة مقدرة على الحرف الأخير منع من ظهورها التعذر، "صلاة": خبر مرفوع وهو مضاف، "العصر": مضاف إليه، فالإسناد بين الصلاة الوسطى بأتم صلاة العصر، وبهذا يكون المسند: "صلاة العصر"، والمسند إليه: "صلاة الوسطى".

ما يقتضيه الإسناد من علاقات وتناسب جوارى بين المكونات والتركيب اللغوي والمقصد، بما له من وظائف نحوية ليؤدّي حالتين:

- إما أن يناسب التركيب الإسنادي: نحو ودلالة.

- وإما أن يخالف التركيب الإسنادي: قصدا واستعمالا.

قيمة التركيب الإسنادي تكون بحسب مؤدى الوظيفة النحوية المنوطة بعناصر الإسناد.

يقول الرسول عليه وسلم: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين.»⁽¹⁾

إن التركيب الإسنادي يتعلق بالاستعمال، فالقصد والدلالة المتوخاة من الإسناد تُرجى من الصّحة النحوية، والمعنى والتداولية؛ ذلك أن بنية التركيب يتوصل إلى الغرض منها ومقاصدها من الوظائف النحوية والعلاقة الإسنادية التي تضبطها قوانين الاستعمال.

تبدو وظيفة المبتدأ النحوية رفع الإبهام وإزالة اللبس حين الابتداء به في حركته الإعرابية المرفوعة، في حين تبدو وظيفة الخبر النحوية إفادة المتلقي بخبر جديد أو يجهله، فالمسند إليه "الإمام"، و"المؤذن"، بدون ذكر المسند في الجملتين يُورث إبهاما في ذهن المتلقي فيحتاج إلى رفع وإزالة، وهو ممثل في التركيب على شكل:

- الإمام ← مسند إليه (مبتدأ) ← ضامن ← مسند (خبر)

- المؤذن ← مسند إليه (مبتدأ) ← مؤتمن ← مسند (خبر)

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 397، 398.

تعدم الفعالية الإسنادية حين يُذكر المسند إليه وحده (الإمام، والمؤذن)، وهذا تركيب إسنادي مبهم، أما "الإمام ضامنٌ والمؤذن مؤتمنٌ"، تركيب مبين للقصد، فالإسناد الأول: (الإمام ضامنٌ) عملية إسنادية مقرونة « بصحة صلواته فهو كالمتكفل لهم على صحة صلواتهم، والثاني (المؤذن مؤتمنٌ) قيل المراد على أنه أمين على مواقيت الصلاة ، وقيل أمين على حرم الناس.»⁽¹⁾

القصد من الدعاء في آخر الحديث «اللَّهُمَّ أرشد الأئمة» ؛ أي أرشدهم إلى العلم بما تكفلوه والقيام به والخروج عن عهده ، و(اغفر للمؤذنين) ؛ أي ما عسى يكون لهم تفریط في الأمانة التي حملوها من جهة تقديم على الوقت أو تأخير عنه سهواً.⁽²⁾

يحقق الإسناد صناعة المعنى تجسيدا لقصد المتكلم، وهي صناعة يختصّ بها المتكلم فيختار المسانيد، بما يُناسب المقاصد التي يُريد إيصالها للسامعين ، وهو أثر الإسناد في تحقيق الفائدة ضمن تركيب إذ ؛ « لا يستغني كل واحد من صاحبه، فمن ذلك: قام زيد والابتداء وخبره [...] فالابتداء نحو قولك "زيد" فإذا ذكرته فإمّا تذكره للسامع، ليُتوقع ما تخبره به عنه، فإذا قلت: (منطلق) أو ما أشبهه صح معنى الكلام، وكانت الفائدة للسامع في الخبر، لأنه قد كان يعرف زيد كما تعرفه [...] لأنّ اللفظة الواحدة من الإسم والفعل لا تفيد شيئا ، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى ، واستغنى الكلام»⁽³⁾

الإسناد له قوانينه التركيبية والبلاغية ، والمتكلم هو الذي يتقيد بهذه القوانين، فينشئ تراكيبه على منوال هذه القوانين، هادفا إلى تبليغ مقاصده، فركنا الإسناد (المبتدأ والخبر) ضروريان في التركيب اللغوي ولتفعيل العملية الإسنادية ؛ إذ « ليس كل اسم مرفوع يقع في أول الكلام هو المبتدأ لأنّ مدار الأمر في وقوع الاسم مبتدأ، هو قصد الإسناد وتبئته، فإن جيء بالاسم المرفوع في أول الكلام بنية الإسناد إليه كان هو المبتدأ، وكان الاسم المرفوع بعده هو المسند وهو الخبر»⁽⁴⁾ ، فالإسناد عملية تركيبية دلالية، وقصدية تداولية نفعية، ضمن تفاعل تركيبية، ومنه

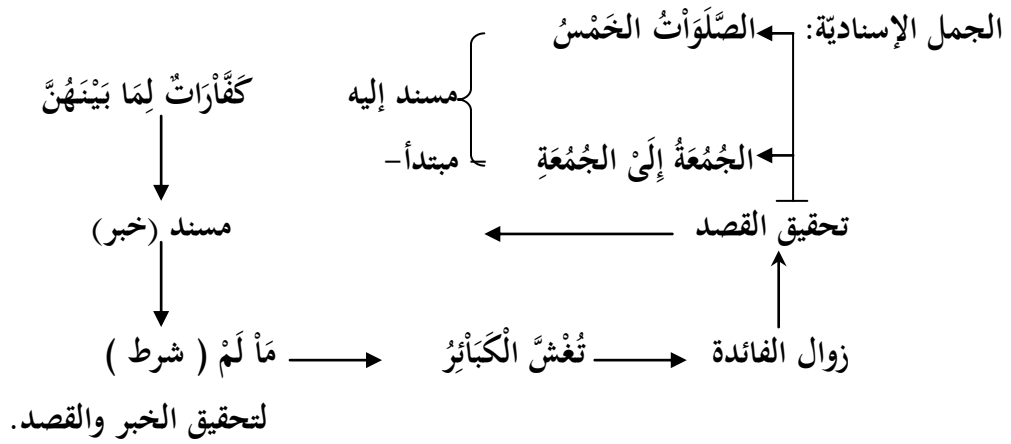
(1) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 614.

(2) نفسه، ص: 614.

(3) المبرد: المقتضب، الجزء الرابع، ص: 126.

(4) احمد عبد الستار الجوارى: نحو المعاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، 1978، ص: 26.

قول الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل الصلوات الخمس: « الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ. »⁽¹⁾



وقصد الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الحديث هو تحقيق القصد، وهو:

- الحفاظ على الصلاة ، والآداء يكون في وقتها، ثم الجمعة إلى الجمعة تُكفِّر الذنوب بشرط: ما لم تُرتكب الكبائر.

ورد الإسناد على شكل:

مسند إليه + صفة + حرف عطف + مسند إليه + جار ومجرور

↓ ↓ ↓ ↓ ↓

الصلوات + الخمس + و + الجمعة + إلى الجمعة

الشرط: ما لم تُغَشَّ الْكَبَائِرُ

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 410.

من الإسناد الاسمي في هذا التركيب تبرز القصدية النبوية: فيحافظ المسلم من هذا التركيب النبوي الشريف على الصلاة ثم صلوات الجمعة، فيحصل على " كفارات " ، وهي الفائدة المرجوة ، ومنه يتجنب المسلم الكبائر، لأنها مبطللة لكفارات الصلوات الخمس والجمعة ، وغالبا ما يتوصل إلى معنى التراكيب النبوية باعتبار أبعاد خارجية تتحكم في فهمها، وتحدد المراد منها: المقام، والسياق، والقرائن الداخلية والخارجية.

واضح من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في فضل الجماعة: « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَيَّ صَلَاةُ الرَّجُلِ وَخَدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً. »⁽¹⁾

وقوله في باب ما جاء في فضل الصف الأول: « خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أُولُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أُولُهَا. »⁽²⁾

هذه التراكيب الإسنادية النبوية في الحديث الأول: لجلب وترغيب المصلين نحو المساجد، فورد المسند إليه "صلاة الجماعة" مضافا، والتركيب الإضافي زاد في بيان القصد بلفظ "الجماعة"، وورد الخبر وهو المسند بلفظ "تفضل" وهو خبر جملة فعلية مكوّن التركيب المركب الاسمي إلى الفائدة " بسبع وعشرين درجة " ، ثم يستمر القصد النبوي في ذكر خير الصفوف في صلاة الجماعة، فيحرص المسلم على إفادتين:

- صلاة الجماعة ← مسند إليه (مبتدأ) ← تفضل (خبر) مسند القصد منه الدعوة إلى الصلاة بالمساجد.
- خير صفوف الرجال ← مسند إليه (مبتدأ) ← أولها (خبر) مسند القصد منه الإيثار إلى المساجد للصلاة.

والتركيب الإسنادي الاسمي المتعلق بالمسند (الخبر) في الحديثين باعتبار السامع وهو المصلي ووجه الفائدة من هذا: الصلاة في جماعة ، وفي الصف الأول مثوبة.

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 411.

(2) نفسه، ص: 423.

الإسناد في التراكيب الاسمي عملية قصدية من إنشاء المتكلم، وتقام هذه العملية على فائدة وقصد ، تتشارك فيها وظائف نحوية لركني الإسناد ، وتكون هذه الوظائف النحوية علاقات تربط بينها وبين الدلالة، وهذا ما يُجول لهذه التراكيب النفعيّة، ويغدو الإسناد قانون تَنبِيي عليه مقاصد المتكلمين ؛ إذ يمثل مفهوم الإسناد أحد المفاهيم النحوية الأساسية التي بُنيت عليها التراكيب اللغوية ، بل لعلّ الإسناد يمثل محل الفائدة التي من أجلها يُقام الكلام ، يرد التراكيب الإسنادي الاسمي بسيطاً ومركباً، أمّا الأوّل فهو ما ورد فيه المسند مفرداً، وأمّا الثاني فيتربك من إسنادين أحدهما مرتبط بالآخر متوقف عليه. (1)

تأتي العملية الإسنادية الأولى على شكل: التراكيب الإسنادي الاسمي البسيط: مسند إليه + مسند، كالأحاديث السابقة وأمثلتها: "الصلوات الخمس كفارات" ، "خير صفوف الرجال أولها" ، والتراكيب الإسنادي الاسمي المركب: هو ما كان فيه المسند جملة فتأخذ شكل: مسند إليه + مسند (جملة)، ومثالها : صلاة الجماعة + (تفضل على صلاة الرجل).

وعليه يدخل التراكيب الإسنادي الاسمي بنوعيه: البسيط والمركب في التراكيب المحكوم ، والمقصود به « مجموعة السمات التركيبية التي لا يمكن تحديدها وصفا وتفسيرا إلا بالرجوع إلى الخلفية الوظيفية بشقيها الدلالي والتداولي. » (2)

كما ارتبط بالمقاصد والنفعيّة ؛ إذ يُعدّ مبحث « الإسناد قادم رأساً من النحو، ولكنّ اختلاطه بمباحث البلاغة جعله يكتسب بعض الاعتبارات التي تُلون صبغته النحوية بألوان بلاغية طالت حتى تحديده. » (3)

يرد التراكيب الإسنادي الاسمي من حيث البنية التركيبية:

- إسناد بسيط : مسند إليه + مسند.

- إسناد مركب: مسند إليه + مسند (جملة: فعلية، اسمية).

(1) ينظر: محمد إبراهيم عبادة : الحملة العربية، دراسة لغوية نحوية، الناشر المعارف ، الإسكندرية، 1988، ص: 155.

(2) أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص: 30.

(3) صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص: 74.

وبصبغة دلالية تداولية فهو: إسناد مجازي، وإسناد حقيقي.

2-5-ب- التركيب الإسنادي الفعلي:

تُبنى الوظيفة النحوية ضمن التراكيب الإسنادية الفعلية من خلال ما يحمله هذا التركيب من قوة دلالية وفعالية إسنادية بين ركني هذا التركيب، والإسناد قرينة معنوية وظيفية في التراكيب العربية، ووظيفته متعلقة بالطاقة الدلالية بين الفعل والفاعل والمفعول، فالتركيب الفعلي مُشكّل من: فعل + فاعل + مفعول به.

هذا التركيب الإسنادي الفعلي، وظيفته عناصره التركيبية مثلة في وظيفة الإسناد بين الفعل والفاعل والمفعول به مجتمعين في تكوين دلالة، ثمّ وظيفة نفعية؛ إذ «لا تعمل في علم النحو معاني الكلمات المفردة بل تعمل المقولات الدلالية التي هي نتيجة تجريد أعلى، إنّ المعنى الدلالي المقولي للكلمات يُشكل في وحدته مع صيغتها الصرفية أجزاءً مكوّنة معنوية بنيوية للحمل، من هذا النموذج أو ذاك التي تشمل على معنى نمطي يُقدّم طبقاً لفكرة المتكلم.»⁽¹⁾

العلاقة الإسنادية بين عناصر الجملة الفعلية، يُمكن الكشف عنها من زاوية علاقة الفعل بالفاعل وبالمفعول به، لأنّ تركيب الإسناد في شرح "ابن يعيش" «أن تُركّب كلمة مع كلمة تُنسب إحداها إلى الأخرى» [...] أنّه لم يرد مطلق التركيب بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداها تعلق بالأخرى على السبيل الذي يحسن موضع الخبر وتما الفائدة.»⁽²⁾

ويضيف بيانا في أنّ الفعل مسندا بقوله: «الإسناد وصف دال على أنّ المسند إليه اسم، لأنّ الفعل والحرف لا يكون منهما إسناد، وذلك لأنّ الفعل خبر، وإذا أسندت الخبر إلى مثله لم تُقدّم المخاطب شيئا؛ إذ الفائدة إنّما تحصل بإسناد الخبر إلى مُخبر عنه معروف نحو: "قام زيد" و"قعد بكر"؛ والفعل نكرة لأنّه موضوع للخبر، وحققيقة الخبر أن يكون نكرة، لأنّه الجزء المستفاد»⁽³⁾، هذا التعلق بين الفعل والفاعل وغيرهما من العناصر

⁽¹⁾ فيكتور خراكوفيسكي: دراسات في علم النحو العام والنحو العربي، ترجمة: جعفر دك الباب، الجمهورية العربية السورية، مطابع مؤسسة الوحدة، 1982، ص: 13.

⁽²⁾ ابن يعيش: شرح المفصل، الجزء الأول، ص: 72.

⁽³⁾ نفسه، ص: 86.

الفعليّة، هو السبيل للكشف عن الوظائف التحويلة داخل التراكيب الفعلية ، ومنه إلى المقصد من هذا التراكيب، و« معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضه ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما.»⁽¹⁾

الوظيفة التحويلة التركيبيّة للفاعل والمفعول هي « الوظائف الوجهية أو التركيبيّة تقليدا، وظيفتان: فاعل ومفعول ، وتُسند هاتان الوظيفتان كما نعلم وفقا للوجهة التي يتخذها المتكلم بالنظر إلى الواقعة الدال عليها المحمول.»⁽²⁾

ويرتبط هذا بالوظيفة الكبرى لعمليّة الإسناد الفعلي داخل التراكيب ، وهي الوظيفة التخاطبية والمقصديّة ؛ لأنّ « كلّ كلام منطوق يتوقف وصفه بالكلام على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد التوجه بمنطوقه إلى الغير ، ولقصد إفهامه المنطوق معنى ما.»⁽³⁾

معرفة وظائف التراكيب: نحو، ودلالة، وقصدا، ونفعا؛ « وفي مستوى الفصّ التركيبي تبيّن أنّ الوظائف التحويلة تتحدد كليا بواسطة العلاقات الدلالية مطلقا، كالسببية والعلية والسببية التي تعمل بهذا التوالي: وظائف الفاعل والمفعول والفاعل به التحويلة»⁽⁴⁾، قد أدّى التحليل الوظيفي للأحاديث النبوية الشريفة، والتعامل مع التراكيب اللغوية الإسنادية: الاسمية والفعليّة، إلى استثمار الاتجاه الوظيفي في النحو، الذي يتم فيه تجميع المكونات التحويلة التي تُسند إليها التراكيب ، ممّا جعلها تتسق تداوليا للوصول إلى مقاصد السنة النبوية.

(1) الجرجاني : دلائل الإعجاز، المقدمة.

(2) أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط، مطبعة الكرامة، الطبعة الأولى، 2003، ص: 172.

(3) أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، ص: 187.

(4) محمد الأوراغي: نظرية اللسانيات النسبية، ص: 141.

2-5-1- الوظيفة التحوية الفاعلية:

إنّ الحيز الذي تشغله وظيفة الفاعل التحوية هي العلاقة الإسنادية التركيبية في تعلّقها بالفعل؛ ذلك لأنّه هو: « الاسم الذي يرتفع بأنّه فاعل ، هو الذي بنيت عليه الفعل الذي بُني للفاعل، ويجعل الفعل حديثاً مقدّماً عنه قبله كان فاعلاً في الحقيقة، أو لم يكن.»⁽¹⁾

الفعل في بُعديه التركيبي والدلالي يُبنى على الفاعل؛ لأنّ القصد من التركيب الفعلي يُعزى إليه من علاقة هذا بالفعل ، وعلى علاقة التركيب بهما.

2-5-2- الوظيفة التحوية المفعولية:

ترتبط الوظيفة التحوية للمفعول ارتباطاً وظيفياً تركيبياً بعامله وهو الفعل؛ فالفعل حدث يقوم به الفاعل والمفعول ما وقع عليه فعل الفاعل، هذا التعلّق التحويلي والدلالي يُبيّن القصد من التركيب الفعلي المستخدم « ولتحقيق الوظيفتين الوجهيتين: الفاعل والمفعول تُسخّر لغات: الصّرف والإعراب على الخصوص كاللغة العربية.»⁽²⁾

ولبيان العملية الإسنادية ضمن تركيب إسنادي فعلي « تُسند الوظيفة الفاعل إلى الحد الذي يُشكل المنظور الرئيس للوجهة التي تقدم انطلاقاً منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل »⁽³⁾، كما تتحدد العملية الإسنادية للمفعول ؛ إذ « تُسند الوظيفة المفعول إلى الحد الذي يُشكل المنظور الثانوي للوجهة ، التي تُقدّم انطلاقاً من الواقعة الدال عليها محمول الحمل.»⁽⁴⁾

الوظيفة التحوية للفاعل والمفعول تُحددها تطبيقاً على نوعي الجملة الفعلية: البسيط، و المركب على العموم في تركيب إسنادي فعلي:

(1) ابن السراج: الأصول، الجزء الأول، ص: 72.

(2) أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص: 175.

(3) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987، ص: 19.

(4) نفسه، ص: 19، 20.

تُصنف الجملة الفعلية، من منظور تركيبها الإسنادي إلى تركيب إسنادي فعلي بسيط، ومركب، وهو تصنيف يعتمد التكوين التركيبي للجملة، وهي عند "المتوكل" كمايلي:

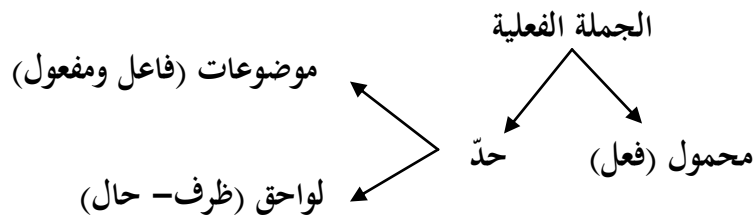
- التراكيب اللغوية الإسنادية الفعلية المكوّنة من حمل واحد: جملة بسيطة.

- التراكيب اللغوية الإسنادية الفعلية المكوّنة من حمول متعددة: جملة مركبة.

الجملة « في اللغات الطبيعية بالنظر إلى عدد الحمول التي تتضمنها نمطان: جملة بسيطة، وجملة مركبة، تتكوّن الجملة البسيطة من حمل واحد مُتضمن لمحمول (فعلٍ أو غير فعليّ)، وحدود ومُخصّص محمول ومُخصّص حمل، وتتكون الجملة المركبة من حمول مُتعددة تقوم بينها علاقة إدماج أو علاقة استقلال.»⁽¹⁾

إنّ الوظائف التركيبية (النحوية) تتمثل في وظيفتي الفاعل والمفعول، إذ « تُشتق الجملة عن طريق بناء بنيات ثلاث: البنية الحملية، البنية الوظيفية، البنية المكونية، ويتمّ بناء هذه البنيات الثلاث عن طريق تطبيق ثلاث مجموعات من القواعد: الأساس، وقواعد إسناد الوظائف، وقواعد التعبير.»⁽²⁾

ويمكن أن نُبيّن هذا بالمخطط الآتي:



إنّ قاعدة التعبير تعني تكوين البنية الحملية النهائية للجملة، وهذه البنية محتواة فيها الوظائف الثلاث: التركيبية، والدلالية، والتداولية، فتُدْمَج مُكوّنة بذلك موقفًا كلاميًا تواصلياً، « وتُسند قواعد إسناد الوظائف: الوظائف التركيبية أولاً، ثمّ الوظائف التداولية ثانياً»⁽³⁾، وهذا مرده « بأنّ ثمة وظائف تداولية تُسند بالدرجة الأولى

(1) أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عُكاظ، الطبعة الأولى، 1988، ص: 07.

(2) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة، ص: 11.

(3) نفسه، ص: 15.

إلى مكوّنات حاملة لوظائف تركيبية معينة، فالوظيفة التداولية المحور مثلاً تُسند بالدرجة الأولى إلى المكوّن الحامل للوظيفة التركيبية الفاعل»⁽¹⁾ ، وهذا لأهمية التركيب اللغوي في بناء فحوى الخطاب والتواصل.

ويمكن أن نمثل لهذا بالجملة الفعلية المركبة في الحديث النبوي الشريف، يقول الرسول ﷺ في باب ما جاء في فضل الطهور: « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، أَوْ الْمُؤْمِنُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ، نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - أَوْ نَحْوِ هَذَا- وَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ.»⁽²⁾

هذه تراكيب مركبة احتوت على أكثر من حمل، ويشمل هذا الحديث جملاً فعلية وهي:

1- تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ. 5- غَسَلَ يَدَيْهِ.

2- غَسَلَ وَجْهَهُ. 6- خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ.

3- خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ. 7- بَطَشَتْهَا يَدَاهُ.

4- نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ. 8- يَخْرُجُ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ.

تُمثل الأفعال في التحليل الوظيفي: مجموع المحمولات وهي: تَوَضَّأَ ، وَغَسَلَ ، وَخَرَجَتْ ، وَنَظَرَ ، وَبَطَشَتْهَا ، وَيَخْرُجُ.

أما الحدود فهي: الحدّ (الفاعل): العبد، أو المسلم، أو المؤمن.

الحدّ (المفعول): وَجْهَهُ ← هُ (مضاف) / بَطَشَتْ: فعل

يَدَيْهِ ← هِ (مضاف) / هَا: مفعول به

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة ، ص: 15.

⁽²⁾ سنن الترمذي، الجزء الأول، ص: 88.

يُبيّن الحديث الشريف فضائل الطهور في الوضوء، فاستهل بالأداة " إذا " المفيدة للشرط ثم « (فغسل وجهه) عطف على "توضاً" عطف تفسير [...] (خرجت من وجهه) جواب: إذا.»⁽¹⁾

هذا الحديث يُبيّن الوظيفة التركيبية: الفاعلية، والمفعولية في جملة فعلية شرطية وحال الإسناد في هذا الحديث تركيب إسنادي فعلي مبني للمعلوم ، وشكله في الإسناد: [فعل + فاعل - مسند + مسند إليه] ، وتمثيله في الجمل السابقة كالاتي: (توضاً العبد) هذا التركيب علاقته الإسنادية تكمن في إسناد الوضوء - ممثلاً في المسند الفعل (توضاً) ، إلى المسند إليه ، وهو (العبد) هذا التركيب سبق بأداة " إذا " ؛ فأفاد فيه الشرط ليحصل الرسول صلى الله عليه وسلم على حرص العبد المؤمن بالوضوء، فرغبه بالثواب الممثل في جواب الشرط، وهي تراكيب فعلية معطوفة عطف تفسير باستخدام الفعل: "غَسَلَ" مسبوق بحرف: "الفاء"، ليقوم الفعل، "غسل" بوظيفتين:

- نحوية: ممثلة في العطف (التفسير) على الفعل: "توضاً".

- تركيبية: إسنادية يُسندُ إلى المؤمن، و " الفاء " رابطة ، فكانت جمل الجواب ممثلة في: " خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ "، ليكون شكلها الإسنادي:

خرجت: مُسند ← فعل.

ت: عائد على الخطيئة مُسند إليه ← فاعل

ويُبيّن الشق الثاني من الحديث الشريف قصد الرسول صلى الله عليه وسلم، ليكون ممثلاً فيما يلي:

- "غسل" الوجه شرط في الوضوء، جوابه: خروج الخطايا من الوجه.

- "غسل" اليدين شرط في الوضوء، جوابه: خروج الخطايا من اليدين.

وشكل التركيب الفعلي الإسنادي:

فعل + فاعل ← مسند + مسند إليه ← مركبة

(1) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 28.

الملاحظ على هذا التركيب أن المسند: وهو مجموع الأفعال الواردة في الحديث جاءت بصيغة الماضي ،
وظهر المسند إليه (الفاعل) وهو: العبد المؤمن – اسما ظاهرا.

ويرد المسند بصيغة الأمر في باب النهي عن "عدم استقبال القبلة بغائط أو بول"، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إِذَا
أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بِوَلٍ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا. »⁽¹⁾

ورد التركيب الفعلي الإسنادي أيضا في خطاب شرطي وتغير المكون التحويلي من فعل: مضارع وفعل أمر،
وهي تمثل المسند، والرسول صلى الله عليه وسلم هنا يخاطب "معشر المؤمنين"، وقد ورد هذا المسند إليه على شكل ضمير
فتغير القصد والهدف لأن « ما لحق مكونات النحو من تغيير مساسا البنية التحتية الدلالية التداولية لكن كان
له أثر كذلك في البنية الصرفية – التركيبية بحكم الترابط بين البنيتين »⁽²⁾، يظهر شكل الإسناد ممثلا بـ:

الفعل: "أَتَيْتُمْ": فعل + ضمير (فاعل) والتحليل: "أَتَيْتُمْ": أْتَيْتُمْ: فعل

مُسند + مسند إليه. "تُمْ": فاعل

العلاقة القائمة بين المسند (الفعل) ، والمسند إليه الفاعل (الضمير المتصل) علاقة خطابية مشكلة من
الخطاب: أوامرا ونواهي، وقوام التركيب الإسنادي الفعلية أفعال منفية في أول الحديث، وأفعال أمرية في آخره، وقد
ورد الفعل الأول متعديا إلى (م. به).

"إذا": وظيفتها شرطية + "أَتَيْتُمْ": فعل ماضي / "الغائط": مفعول به

+ "تُمْ": ضمير متصل ممثل في "المؤمنين"

المسند + المسند إليه

هذا يمثل التركيب الفعلي الشرطي، أما جوابه: مُكوّن من فعلين مسبوقين بحرف نفي + مفعول به:

فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بِوَلٍ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا...

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 94.

⁽²⁾ أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، ص: 108.

"الفاء" رابطة - ربط جملة الشرط بجملة الجواب - "تَسْتَقْبِلُوا": فعل مضارع - مسند

"القبلة": مفعول به - "لا": النافية - "الواو": فاعل (مسند إليه)

- "الواو": للعطف - "تَسْتَدْبِرُوهَا": فعل (مسند): "تَسْتَدْبِرُوا"

- "الواو": فاعل (مسند إليه)

- "ها": مفعول به، عائد على "القبلة"

- "الواو": للعطف، "لكن": للإضراب، "شَرِقُوا": فعل أمر مسند.

"أو": للتخيير، "غَرَّبُوا": فعل أمر مسند

"الواو": فاعل (مسند إليه) - "الواو": فاعل (مسند إليه)

أمَّا المَرْكَبُ الإِضَائِيّ: (بِغَائِطٍ وَلَا بُولٍ) «الباء» متعلقة بمحذوف وهو حال من ضمير "لا تستقبلوا" ؛ أي

"لا تستقبلوا القبلة" حال كونكم مقترنين بغائط أو بول.»⁽¹⁾

احتوى الحديث عن نقلتين إسناديتين: الأولى ممثلة في فعلين منفيين:

"لا تستقبلوا" لكن
ولا تستدبروها (شَرِقُوا أو غَرَّبُوا)

فعلا الأمر يمثلان النقلة الثانية، حيث إنّ الفعل: (أَتَيْتُمْ) متعدّد، فقد وجب استحضار المفعول به (الغَائِطُ)، والأمر نفسه في (تستقبلوا) و(القبلة)، و(تستدبروها) المفعول به على شكل ضمير، وهو عمدة في التّركيب الإسناديّ الفعليّ، للفعل المتعدي، وأمّا سواه من القول فهو توسعة.

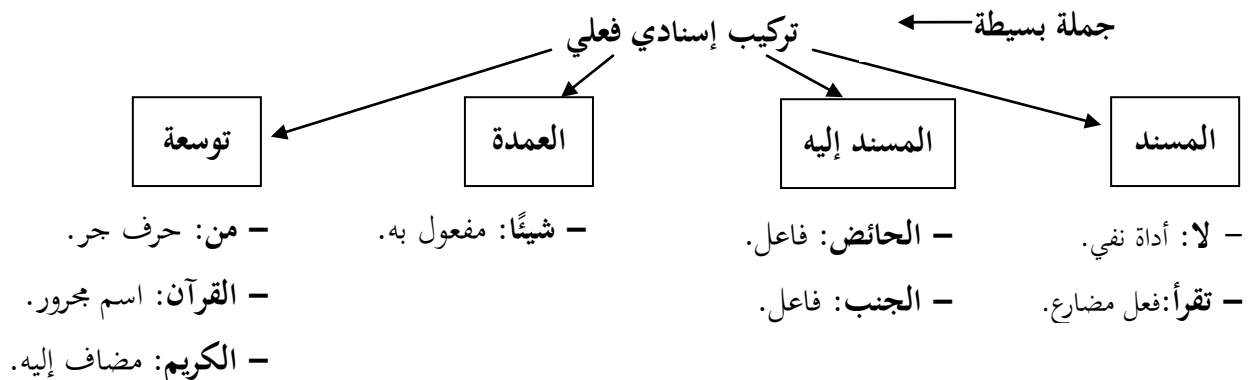
⁽¹⁾ المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 52.

إن سلامة التركيب نحويًا و صرفيًا ومُعجميًا لمن شأنه تحقيق الوظائف التداوليّة، فنذكر في التركيب الإسناديّ الفعليّ البسيط الفعل المتعدي المسند، وهو الفعل دائما والفاعل هو المسند إليه والمفعول به، وهو العمدة والإضافات توسعة.

هذه المكونات النحويّة تُبنى على النواة الإسناديّة. والوظيفة إنّما هي لتحقيق القصد والإفادة وتمام المعنى، لأنّ الاهتمام التداولي يتّسع « ليشمل لا فقط نحوية القول، بل مقبوليته، بمعنى قيامه على الاستجابة لشروط التفاعل الخطابي نحو التزامه بحكم المحادثة.»⁽¹⁾

من مكونات التركيب الفعليّ البسيط من: المسند + المسند إليه + المفعول به (عمدة) ، فهو بمثابة التكملة الإجمالية للنواة الإسناديّة ، وبه يتمّ المعنى ويحصل على الفائدة، فهو بنفس الدرجة مع المسند والمسند إليه⁽²⁾، ونزيد عن ذلك قول الرسول عليه وسلم في باب ما جاء في الجنب والحائض أنّهما لا يقرآن القرآن « لا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنْبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ»⁽³⁾، تظهر العمليّة الإسناديّة في فعل مضارع منفي: لا تَقْرَأُ

يمثل هذا الفعل: المسند، وورد المسند إليه ممثلا في فاعلين: الحائضُ، الجُنْبُ، وورد العمدة ممثلا في لفظ: شَيْئًا منسوبًا إلى القرآن الكريم بجار ومجرور، وأفاد المفعول به (شَيْئًا) حُكما من حديث النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتضافره مع وظيفة الأداة "لا"، والفعل المضارع "تقرأ" وإسناده للمسند إليه الحائض، والجنب، وهو « أي لا القليل ولا الكثير والحديث يدلّ على أنّه لا يجوز للجنب ولا للحائض قراءة شيء من القرآن»⁽⁴⁾، ونوضح بالترسيمة الآتية:



(1) صابر الجباشة: مغامرة المعنى، ص: 65.

(2) يُنظر: المنصف عاشور: التركيب عند ابن المقفع في مقدّمات كتاب كليلة ودمنة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص: 57.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 268.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 409.

قد تردّ الجملة الفعلية بتراكيب مختلفة: منفية، ومثبتة، ومبنية للمعلوم، ومبنية للمجهول، ومتعدية، ولازمة، والإسناد فيها يُشكّل الوظيفة النحوية الأساس؛ إذ يتجاوز العملية الإسنادية الحيز النحوي إلى الدلالي فالتداولي في تراكيب: حرّية أو تراكيب إنشائية، والمهم في التركيب اللغوي عامة هو الإفادة التفعية التداولية؛ إذ « جميع الكلام معانٍ يُنشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه [...] وأعظمها شأنًا الخبر فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وتقع فيه الصناعات العجيبة، وفيه يكون في الأمر الأعم المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة. »⁽¹⁾

قد وردت الجملة الفعلية المبنية للمجهول في سنن الترمذي: في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ. »⁽²⁾

إنّ الوظيفة النحوية للفعل المبني للمجهول تكمن في إسناد الفعل لنائب الفاعل الذي هو في أصله مفعولاً به، وإتّما رُفِعَ لاحتلاله مُرتبة الفاعل فأخذ حركته، ولكنّ الدلالة وقع عليه فعل الإسناد، فالرسول صلى الله عليه وسلم ينفي عدم قبول الصلاة إلاّ بشرط الطهور، وعدم قبول الصدقة إذا كان فيها غلّ.

سُبقت الجملة بأداة نفي ثمّ بفعل مجهول فاعله (نائب للفاعل)، وقد قرّنت الجملة بجار ومجرور (بغير) الذي أذى وظيفة الشرط وهو الطهور، والجملة المبنية للمجهول معطوفة على جملة أخرى، وهي عدم مقبولية الصدقة إذا كان فيها غلّ، وأصل الكلام "ولا تُقبَلُ صدقةٌ من غلولٍ" فالواو للعطف و"لا تُقبَلُ" فعل مقدر على العطف و"صدقة" نائب فاعل، وجملة "من غلول" جار ومجرور أفادت انتفاء المقبولية، وهي وظيفة نحوية دلالية، لأنّ الصدقة تُقبَل من حُسن نيّة، فيظهر المسند إليه ممثلاً في كلا الجملتين "الصلاة" و"الصدقة"، والمسند هو الفعل المبني للمجهول: "تُقبَل".

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ " « بضم الطاء، والمراد به ما هو أعمّ من الوضوء والغسل، قال النووي: قال جمهور أهل اللغة: يُقال الطهور والوضوء، بضم أولهما إذا أُريد به الفعل الذي هو

⁽¹⁾ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 406.

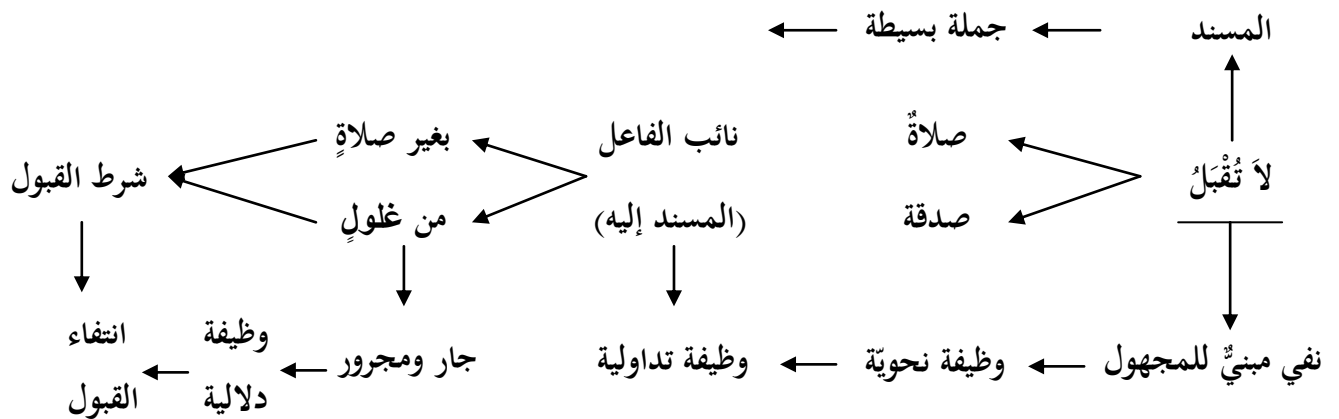
⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 87.

المصدر الطهور والوضوء بفتح أولهما إذا أُرِيدَ به الماء الذي يتطهر به [...] والمراد بالقبول هنا ما يرادف الصحة، وهو الأجزاء وحقيقة القبول ثمرة وقوع الطاعة مجزئة رافعة لما في الدمة.»⁽¹⁾

التركيب الفعلي المبني للمجهول أفاد وظيفتين نحوية ودلالية، « فالقبول على قسمين أحدهما: كون الشيء متجمعا لجميع الأركان والشروط، وثانيهما: وقوعه في حيز مرضاة الله »⁽²⁾، فحُمل الحديث الشريف على معنى ووظيفة التفي بالمسند " لا تُقبل "؛ إذ يقوم تركيبه المبني للمجهول بالعلاقة والعملية الإسنادية مع نائبه ومع باقي الوحدات التركيبية (الجار والمجرور) مع وظائف الشرط، فورد التركيب وظيفيًا مع البنية الأساسية للتركيب النحوي، وهو بهذا يُجسد الوظيفة الفاعلية والمفعولية.

يُحقق التركيب الفعلي المبني للمجهول وظيفة نحوية وأسلوبية؛ فالتركيب النحوي لا يكتفي بالوظيفة النحوية فحسب بل يستدعي وظائف دلالية وتداولية، وتلك هي التفعلية في اللغة، « فهناك تفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية.

يُمَدّ العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديدده، يمدّ العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تُساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري مستمر.»⁽³⁾ وشكل الوظيفة النحوية يظهر في الشكل الآتي:



(1) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 23.

(2) الكشميري: العرف الشذي، ص: 36.

(3) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي، الدلالي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ص: 113.

يُلاحظ أن بناء الجملة للمجهول تدفع بالوظيفة الدلالية إلى الاختصار، لحذف الفاعل ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في سُور الكلب والهرّة: « يُغَسَّلُ الْإِنَاءُ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْلَاهُنَّ أَوْ أُخْرَاهُنَّ بِالتَّرَابِ، وَإِذَا وَلَعَتْ فِيهِ الْهَرَّةُ غُسِّلَ مَرَّةً »⁽¹⁾

يتكون هذا التّركيب من المسند " يُغَسَّلُ" ، والمسند إليه "الإناء":

ورد الفعل المبني للمجهول بصيغة المضارع الدّال على الماضي وغسله يتم إنجازه بشرط أن يبلغ فيه الكلب، وهذا التّركيب معطوف على جملة ثانية، وقد ورد فيها الفعل المبني للمجهول "غُسِّلَ" بصيغة الماضي أمّا المسند إليه، فقد ورد اسما ظاهرا في التّركيب الفعلي المبني للمجهول الأول في الحديث الشّريف، وحذف للاختصار في جملة العطف، وهي التّركيب الفعلي المبني للمجهول الثاني في نصّ الحديث « فالفعل المبني للمجهول يَسْنِدُ للمرفوع الدّور المحوريّ الذي يَسْنِدُهُ للمنصوب الفعل المبنيّ للفاعل المعلوم.»⁽²⁾

التّركيب الفعلي المبني للمجهول يقوم بوظيفة اختزال الفاعل « وعليه تكون سمة التحريك في تركيب البناء للمجهول في درجة سمتي صرف الفعل واختزال الفاعل »⁽³⁾، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، وَوَجَدَ أَحَدَكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَبْدَأْ بِالْخَلَاءِ.»⁽⁴⁾

يتبيّن من الحديث الشّريف « أنّ المفعول به في الأصل قد ناب عن الفاعل المحذوف، وأخذ حكمه»⁽⁵⁾، فلفظ "الصلاة" مفعول به في الأصل ، ولما جهل الفاعل ناب عنه ، وأصل الكلام: "إذا أقام المؤمن الصلاة..." ومعنى "فليبدأ بالخلاء" « في رواية الشافعي ووجد أحدكم الغائط فليبدأ بالغائط (فليبدأ بالخلاء) وجزاز له ترك الجماعة بهذا العذر، وفي رواية مالك إذا أراد أحدكم الغائط فليبدأ به قبل الصلاة »⁽⁶⁾، ويظهر قصد الرسول الكريم من هذا الحديث، أن يبدأ المؤمن بتخفيف نفسه قبل الصلاة، فلا يجوز أن يُصلي المؤمن وهو محقن.

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 202.

(2) محمد الأوراعي: الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2001، ص: 155.

(3) نفسه، ص: 156.

(4) سنن الترمذي: ص: 289.

(5) عبد اللطيف محمد الخطيب: سعد عبد العزيز مصلوح، نحو العربية، الجزء الثالث، دار العروبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2001، ص: 115.

(6) المباركفوري: تحفة الأحوذوي، ص: 435.

نجد للتركيب المبني للمجهول وظائف تحملها العلاقة الإسنادية في التركيب وحضورا للعملية الإسنادية رغم اختزال الفاعل، فالوظيفة النحوية منوطة بوظيفة المفعول التي تحولت إلى الفاعلية بالنيابة، وهذا التنصيب بالنيابة بين المفعولية والفاعلية متصل بالوظائف الدلالية والتداولية انطلاقا من القوة الإنجازية للفعل المبني للمجهول والتفاعل الذي يقيمه بين قصد المتكلم وحصوله من لدن المتلقي، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لا يُؤم الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تكريمته [في بيته]، إلا بإذنه. »⁽¹⁾

ينفي الرسول صلى الله عليه وسلم إمامة الرجل في سلطانه « السلطان مصدر أو صيغة صفة، وها هنا مصدر »⁽²⁾ بفعل مبني للمجهول: " لا يُؤم "، ونائبه الفاعل (الرجل) الذي أصله (م. به) " في سلطانه " جار ومجرور، ثم ينفي بالفعل المبني للمجهول " لا يُجلس "، (والرجل) نائب الفاعل محذوف في الجملة المعطوفة للعلم به، و" على تكريمته " يعني في بيته، ويبيح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الإمامة وهذا الجلوس باستثناء وهو: " إلا بإذنه ".

بوجه عام يمكن أن نخلص إلى أن البنية التركيبية للجملة المبنية للمجهول تتحقق وظيفتها النحوية بتضافر دلالي تداولي في مركب فعلي بمستوى إسنادي، وقد يكون هذا التركيب الإسنادي المبني للمجهول: مثبتا أو منفيًا. خاصية هذا التركيب أنّ الفاعل ينوب عنه المفعول به، وهي وظيفة ثنائية فيقوم المفعول به بوظيفة الفاعلية لفظا وتركيبا وحالة إعرابية ورتبة ويقوم بوظيفة المفعولية دلالة ومعنى ومقصدا، ولعلّ ما يفسّر هذا البناء للمجهول هو ذلك الاختزال والاختصار، فلا يُذكر الفاعل من لدن المتكلم ليقوم المتلقي بوظيفة تقديره، فيحصل على انتباه المتلقي لحصول الفائدة ومنه بلوغ المقصد.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 244.

⁽²⁾ الكشميري: العرف الشذي، ص: 244.

2-6- الوظيفية التحويلية من منظور القرائن اللغوية:

إنّ الوظيفية التحويلية يمكن كشفها ضمن القرائن اللغوية اللفظية منها والمعنوية ، وقد ذكرنا قرينة الإسناد في التركيب الفعلي والاسمي وهو قرينة معنوية يُنشئها المتكلم رامياً من هذه التراكيب بلوغ المقصد والأهداف التي يتوخاها من خطابه وتراكيبه الإسنادية، وها هنا نُبيّن ما هو قرين معنويّ مع تحليل الحديث الشريف:

2-6-1- القرائن المعنوية:

1 - قرينة التخصيص:

هي قرينة تعقد علاقة نحوية بين العملية الإسنادية وبين مجموع المنصوبات، وتعقد قرينة التخصيص « علاقة سياقية كبرى ، وإن شئت فقل قرينة معنوية كبرى تتفرع منها قرائن معنوية أخصّ». (1)

هذه المنصوبات متمثلة في: المفعول به، المفعول لأجله، والمفعول معه، والمفعول فيه والمفعول المطلق، والحال، والتمييز والاستثناء (2)، وتُعدّ هذه التفرعات (المنصوبات) « قيود على علاقة الإسناد بمعنى أنّ هذه القرائن المعنوية المتفرعة عن التخصيص يُعبّر كلّ منها عن جهة خاصة في فهم معنى الحديث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة». (3)

يتضح من هذا أنّ المنصوبات الخمسة والحال والتمييز والاستثناء، منوطة بحدّ الإسناد « فتصبح الأبواب التحويلية جهات في فهم الإسناد أو بالأحرى فهم معنى الحدث». (4)

ومن التخصيص، وهو القرينة الأصل يتولد منها مايلي: (5)

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة: 1994، ص: 194.

(2) ينظر: نفسه، ص: 194.

(3) نفسه، ص: 195.

(4) كولينزار كاكل عزيز: القرينة في اللغة العربية، دار دجلة، عمان، الطبعة الأولى، 2009، ص: 148.

(5) ينظر: كولينزار كاكل عزيز: القرينة في اللغة العربية، ص: 148، 154، وينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 194، 200.

قربنة التّعديّة ← المفعول به	- قربنة الظرفيّة ← المفعول فيه
قربنة الغائيّة ← المفعول لأجله	قربنة التوكيد ← المفعول المطلق
والفعل المضارع	قربنة الملايسة ← الحال
بعد: (اللام، كي،	قربنة التفسير ← التمييز
والفاء، إذن، حتّى)	قربنة الإخراج ← الاستثناء
قربنة المعية ← المفعول معه والفعل	قربنة المخالفة ← الاختصاص
المضارع المنصوب	
بعد واو المعية	

تُجمع هذه القرائن في التّركيب اللّغوي الواحد « في ظل ظاهرة كبرى تحكّم استخدام القرائن جميعا هي ظاهرة "تضافر القرائن" ، وهي ظاهرة ترجع في أساسها إلى أنّه لا يمكن لظاهرة واحدة أن تدلّ بمفردها على معنى بعينه. »⁽¹⁾

الأمر نفسه بالنسبة للوظائف النّحويّة ؛ إذ تتضافر مع الوظائف التّداوليّة والوظائف الدلاليّة في ظل ظاهرة كبرى تحكّم إسناد وتوظيف الوظائف بأنواعها الثلاثة فيما يُسمى "تضافر الوظائف" ؛ إذ لا يمكن لوظيفة واحدة أن تقوم بمفردها بصنع التواصل وتبليغ القصد. وقربنة التخصيص تتضافر ضمن حيّز داخلي مع قرائن فرعية (المنصوبات)، وتتضافر ضمن حيّز خارجي مع باقي القرائن الأخرى: كالإسناد، والنسبة... المعنويّة وكذا اللفظية مُكوّنة عمليّة نمطيّة داخل تراكيب اللّغة.

تتجلي ظاهرة تضافر القرائن الفرعيّة لقربنة التّخصيص في الحديث النبويّ الشريف: التّعديّة والظرفيّة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة: « **بَشْرُ الْمَشَائِينِ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.** »⁽²⁾

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 193.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 423.

إنّ محلّ قرينة التّخصيص يظهر في قرينة فرعية ممثلة في التّعدية وهي المفعول به، ممثلة في قوله: "بَشُرُ" فعل أمر مسند الفاعل: ضمير مستتر يعود عن الرّسول صلى الله عليه وسلم ، و"المَشَائِينِ": مفعول به، فالمسند إليه أسند إليه فعل التبشير، وإسناد البشرى إلى الرّسول صلى الله عليه وسلم كان مخصّصاً بوقوعه على: "المَشَائِينِ" ، وهي صيغة مبالغة دالة على كثرة مشي المصلين إلى المساجد، فكان قيّداً في إسناد البشرى، وقوله: "بالتّوَرِ التّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أفاد لفظ النور مع الباء شبه جملة شكلت تركيباً مكّماً للطلب بفعل الأمر.

أمّا قرينة الظرفية ممثلة في المفعول فيه، ووظيفته في بيان ظرف المسند وهو "يَوْمٌ": مفعول فيه أي يقع فيه المسند، والمستفيد هم المصلين في الظلم المعبر عنهم "بالمَشَائِينِ" وظيفته مفعوليّة قيّدت الإسناد في المعنى والحدث والزمن، ومنه قرينة التّخصيص بفرعيها التّعدية (المفعول به) والظرفيّة (المفعول فيه) مع الإسناد شكلت ظاهرة تضافر القرائن ونتج عنه تشكيل لتضافر الوظائف النحويّة، والدلاليّة، والتّداوليّة، فتحقق القصد النبويّ، والتّفعية من حديثه الشريف.

يذهب "المتوكل" في إسناد وظيفتيّ الفاعل والمفعول إلى أنّه « يرتبط إسناد الوظيفتين التّركيبيتين الفاعل والمفعول بنوع الوظائف الدلاليّة التي تحملها حدود البنية الحملية. »⁽¹⁾ وتظهر قرينة الظرفيّة (المفعول فيه) في قول الرّسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في مواقيت الصّلاة: «أَمْنِي جَبْرِيْلُ [عليه السّلام]، عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ.»⁽²⁾

نلاحظ وظيفة التّعدية ممثلة في قوله "أمني"، فالإمام: هو جبريل عليه السلام والمأموم هو الرّسول صلى الله عليه وسلم "أمّ": فعل ماضٍ مبني على الفتح "ن" نون الوقاية، والياء ضمير متصل في محل نصب (مفعول به)، لتتصل هذه القرينة بالظرفيّة ممثلة في لفظة: "عند"، لتشكّل هاتين القرينتين تضافراً نحويّاً تركيبياً ومعنوياً دلاليّاً مع قرينة التّفسير وهي التّمييز ممثل في لفظة "مرتين" تمييز منصوب وعلامة نصبه الياء لأنّه مثنى.

(1) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1997، ص: 23.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 302.

يظهر التمييز في قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَدَّنَ سَبْعَ سِنِينَ مُحْتَسِبًا كُتِبَتْ لَهُ بِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ». ⁽¹⁾

وعليه يظهر الإسناد في جملة موصولة ممثلة في: "أَدَّنَ" المسند: "مَنْ" المسند إليه: "سَبْعَ" تفسير وبيان لكم سنة وهو قرينة تضافت مع قرينة الملابس ممثلة في الحال "مُحْتَسِبًا"، فقيّد التمييز الإسناد بالحدث وهو الاحتساب في الآذان "سَبْعَ سِنِينَ"، والمعنى والقصد الإتقان، والتقوى بغية نوال البراءة من الله.

تظهر قرينة الغائية وهي المفعول لأجله، ووظيفته لأجله يقع الفعل، فيقيد المسند لأجل مسند إليه محدد، وظهر في تراكيب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً في: "فعل المضارع بعد حتى" في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» ⁽²⁾

تظهر قرينة الغائية ممثلة في الفعل المضارع المسبوق بـ: "حَتَّى" فقد أُسند قبول الصلاة إلى الله سبحانه وتعالى مقيداً بقرينة الغائية، فالوضوء يُعتبر شرطاً في صحّة وقبول الصلاة، فهو مسبب لقبول الصلاة من المولى عزّ وجلّ، فيتوضأ المؤمن بغية قبول صلاته، فتقيّد الإسناد بمفهوم الغائية.

والغائية متمثلة في السؤال: لأجل ماذا يتوضأ المؤمن؟ فتكون «الغائية» وهي قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله أو على معنى المضارع بعد الأدوات المذكورة ومقيدة للإسناد الذي لولاها لكان أعمّ، وتكون أيضاً بسبب تقييدها هذا للإسناد دالة على جهة في الحدث الذي يُشير إليه الفعل. ⁽³⁾

أمّا قرينة التوكيد والتحديد «فهي القرينة الدالة على المفعول المطلق، والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنى الذي يفيد الحدث في الفعل، وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته؛ لأنّ المصدر هو اسم الحدث ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل. ⁽⁴⁾

ووظيفة المفعول «يجوز إسنادها حسب درجات الأولوية إلى الحدّ المستقبل والحدّ المتقبل، وأحد الحدود الحاملة للوظائف الدلالية "المكان" و"الزمان" و"الحدث"» ⁽¹⁾، وهذه إشارة إلى تضافر الوظائف النحوية مع

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول: ص: 396.

⁽²⁾ نفسه، ص: 169.

⁽³⁾ تمام حسان: الجملة العربية معناها ومبناها، ص: 196.

⁽⁴⁾ نفسه، ص: 198.

الوظائف الدلالية، خاصة في وظيفة المفعول، كما في قوله صلى الله عليه وسلم في باب فيما يُقال بعد الوضوء: « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فُتِيحت لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ . »⁽²⁾

أفاد المفعول المطلق وظيفة بيان الحدث وهو الوضوء، كما أفاد وظيفة دلالية ماثلة في تحديد الزمان لدخول وقت الصلاة، فوظيفة المفعول المطلق هنا التحديد حددت نوع الفعل وهو المسند فأصبح قيده، كما حددت دلالة زمن الفعل للاستعداد إلى الصلاة أو أنّ وقت الصلاة قد حان، وبيان الفعل المسند ورد في حسن الوضوء على صيغة الشرط، ومنه يتجلى مقصد الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الحديث؛ إذ يُرغَّب المصلين في الوضوء الحسن لأنّ من شأنه أن يفتح لهم ثمانية أبواب الجنة.

وقوله صلى الله عليه وسلم في باب ما يقول إذا خرج من الخلاء: عن عائشة رضي الله عنها قالت، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال: « غُفْرَانُكَ »⁽³⁾، وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره " اغفر "، وهو تعزيز لعنصر الحدث والوظيفة في ذلك « هو التقوية بالتأكيد أو بالتحديد قرينة معنوية على معنى المفعول المطلق. »⁽⁴⁾

تعدّ قرينة التخصيص أصلاً معنوياً يتفرع عنه قرائن أخرى لها وظائف نحوية مختلفة، وتشارك في أنّها تقيد الإسناد، فتفيد حدثاً أو معنى مقصوداً، كما تتضافر هذه القرائن فيما بينها (داخل الحيز المعنوي)، كما تتضافر خارج (خارج الحيز اللفظي)، إذ تتضافر قرينة التخصيص وقرينة العلامة الإعرابية وهي قرينة لفظية.

كما يُستفاد بكشف قرينة التخصيص بفروعها للوصول إلى مقاصد المتكلم وخاصة مقاصد الخطاب الشرعي وتمثل الوظائف النحوية للتخصيص فيما يلي:

(1) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 24.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 144، 145.

(3) نفسه، ص: 93.

(4) تمام حسان: الجملة العربية معناها ومبناها، ص: 198.

المفعول	وظيفة المفعول النحوية	القيد الإسنادي الوظيفي
- المفعول به.	- وظيفة التعدية.	- قيده يدل على من وقع عليه الفعل.
- المفعول لأجله.	- وظيفة الغائية.	- قيده لأجل من وقع الفعل.
- المفعول معه	- وظيفة المعية.	- قيده مع من يقع الفعل.
- المفعول فيه	- وظيفة الظرفية.	- قيده في أي زمن أو مكان وقع الفعل.
- المفعول المطلق.	- وظيفة التحديد والتأكيد.	- قيده بيان وتحديد وتأکید نوع الفعل.
- الحال.	- وظيفة الملابسة.	- قيده بيان هيئة الفعل.
- التمييز.	- وظيفة التفسير.	- قيده إزالة الإبهام عن الفعل.
- الاستثناء.	- وظيفة الإخراج.	- قيده تعيين خارج عن الإسناد (الحكم).
- الاختصاص.	- وظيفة المخالفة.	- قيده تحديد معنى مختص.

التخصيص وظيفة نحوية في تراكيب العربية وفروعها تشكل وظائف نحوية فرعية بها يتوصل إلى فهم الخطاب، لأن الإبهام والعموم في التراكيب يحتاج إلى تخصيص، فالإسناد تركيب عام والتخصيص قرينة معنوية بفروعها ووظائفها النحوية تقيد الإسناد، ومنه الفهم والإفهام.

2 - قرينة التبعية:

تمثل هذه القرينة في التتابع، والمقصود بها ارتباط التابع بالمتبوع، وهي ضمن القرائن المعنوية الكبرى وهي: « قرينة معنوية عامة تندرج تحتها أربع قرائن هي التعت والعطف والتوكيد والإبدال، وهذه القرائن المعنوية تتصافر معها قرائن أخرى لفظية أشهرها قرينة المطابقة، ثم أشهر ما تكون فيه المطابقة بين التابع والمتبوع هو العلامة الإعرابية، كما أنّ هناك قرينة أخرى توجد فيها جميعا هي الرتبة؛ إذ رتبة التابع هي التأخر عن المتبوع »⁽¹⁾؛ إذ تظهر هنا الطاقة التداولية والطاقة الدلالية والتركيبية، فالوظائف الدلالية « تعقد على مستوى البنية الحملية في حين أنّ الوظائف التركيبية والتداولية تلتحق لمباشرة عملها من خلال البنية الوظيفية التي أفردت خصيصا لها. »⁽²⁾

أ - التعت:

تكمن الوظيفة النحوية في التركيب الوصفي (النعتي)، في بيان الدلالة منه، فالنعت يمثل قيّدا في المنعوت فذكر الاسم مطلقا، فالنعت يفيد هذا الإطلاق من حيث تكميل حدّ المنعوت، وتبيان الصّفة، وتحديد ما تعلق به إذ: « يصف المنعوت، ويكون مفردا حقيقيا، وسببا، وجملة وشبه جملة. »⁽³⁾

ومثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورٌ مُسْلِمٌ. »⁽⁴⁾

جرى النعت مجرى المنعوت فصار النعت منصوبا مثل المنعوت، لأنّهما كالاسم الواحد فورد هنا النعت مُقيّدا للمنعوت "الصّعيد" في حدّ إطلاقه، وهذه وظيفة نحوية، وجرى معه في: الإعراب والتعريف والتنكير والتذكير والتأنيث.

النعت وإن كان فضلا منوط بوظيفة نحوية ممثلا لفظة " الطيّب "، فهو نعت للفظ " الصّعيد "، الذي ورد اسما للناسخ " إن "، وهذا بيان لفحوى الحديث النبوي الشريف، وإنّ ذكر التابع يزيد في إيضاح وتأكيّد المعنى

(1) تمام حسان: الجملة العربية معناها ومبناها، ص: 204.

(2) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989، ص: 136، 137.

(3) تمام حسان: الجملة العربية معناها ومبناها، ص: 204.

(4) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 249.

والقصد عن متبوعه، كما يتضافر النعت مع باقي التتابع في التّركيب الواحد لإيصال المعنى والإفهام، كما تعقد تضافرا مع القرائن الأخرى: كالعلامة الإعرابية والرتبة.

ب - العطف:

تبدو وظيفة القرائن التّحوّية في استلزام التابع لمتبوعه، كما تبدو هذه الأخيرة مؤدّية لوظيفة دلاليّة هي الإيضاح والتّبيين، في التّركيب اللّغوي وهذا سبيل لقصد المتكلم، وإتّما يعمد المتكلم لهذه القرائن للإفهام وتحصيل الفائدة من الخطاب.

يضيفي العطف على التّركيب وظيفة نحوية وهي التبعيّة في الحكم الإعرابي ولزومه مع تابعه ومتبوعه داخل التّركيب، ووظيفة معنويّة دلاليّة والعطف المعنوي يتمثل في: عطف البيان، فهو يُبين متبوعه ويوضحه ويخصّصه ويكون أوضح منه.

مثاله قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم : « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، أَوْ الْمُؤْمِنُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ حَظِيئَةٍ، نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - أَوْ نَحْوَ هَذَا - وَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ حَظِيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ. »⁽¹⁾

يتجلى عطف البيان في لفظ "المسلم" المعطوفة معنويًا في هذا التّركيب التّحوي لتوضيح المتبوع ممثلاً في لفظ "العبد"، ولزم التّركيب العطفى البياني حركة الرفع؛ لأنّ المتبوع ورد فاعلاً مرفوعاً، ويظهر قصد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من أن الوضوء استعداد للصّلاة، فأوضح لفظ "العبد" عطفاً على البيان، والتّوضيح لأنّ الوضوء لا يكون إلّا من مسلم أو مؤمن استعداداً للصّلاة، وهذا عطف بيان على الوصف.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 88.

ج- التوكيد:

تسند وظيفة التوكيد لقصدية المتكلم، وليبان فحوى تراكيبه، وهو من التوابع، فلا بد أن يذكر طرفاه في اللفظي، وفي المعنوي المعبر عنه بلفظي: "نفس" و"عين" « فاهتم اللغويون العرب نحاة وبلاغيين كما هو معلوم بدراسة البنات في إطار التفاعل بين بنية "المقال" ومقتضيات "المقام" ، فاقترحوا أوصافا لكل من ظاهرة "التخصيص" وظاهرة "العناية"، وظاهرة "التوكيد" وظاهرة "الحصر".⁽¹⁾

التوكيد ظاهرة وظيفية تُبين وتُفسر قصد المتكلم من جراء استخدامه لهذا التركيب التوكيدي ومثاله مبين في لفظة "كل" من الحديث السابق في قوله: « كلُّ خطيئةٍ »⁽²⁾، وهذا توكيد بالشرط ، فكان التوكيد المعنوي بلفظ "كل" جملة جوابه ، « وأنت تستطيع أن تقف عند الكلمة الأولى، وقد فهم الكلام بتمامه فهما ما، كما تستطيع أن تكتفي بالثاني والمعنى قد فهم أيضا، فإذا ضممت الكلمتين، أفدت التأكيد أو زيادة البيان»⁽³⁾، فيرد التوكيد في تركيب لغوي وظيفته النحوية إيصال المراد من الكلام فهو: « تمكين المعنى في النفس وتقويته، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات التي ترد في الكلام.»⁽⁴⁾

في قران الوظيفة النحوية مع الوظيفة الدلالية يُجسد التوكيد نفعية في التواصل لأن المنهج الوظيفي يعالج الظواهر اللغوية على أساس « أنّ للغة دورا تقوم به داخل المجتمعات البشرية، دور تمكين أفراد هذه المجتمعات من التواصل فيما بينهم ، وأنّ دور التواصل هذا حاضر في العلاقات الدلالية والتداولية القائمة بين مكونات العبارات اللغوية ومركبات وجملا ونصوصا»⁽⁵⁾، وهذا يشمل التركيب التوكيدي ووظيفته النحوية التركيبية لا تُبلّغ الفائدة إلا إذا دُججت في قصد المتكلم ونفعية للخطاب.

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 08.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 88.

(3) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1959، ص: 120.

(4) محمد حسين أبو الفتوح: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1995، ص: 13.

(5) أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص: 43.

د- البدل:

يتداخل البدل مع عطف البيان وظيفيًا ونحويًا، ويشير "تمام حسان" إلى ذلك بقوله: «أما ما هو أكثر صعوبة من ذلك دون شك فهو القفز العقلي من المبنى إلى المعنى لأن ذلك يحتاج إلى قرائن معنوية وأخرى لفظية ويصدق على كليهما اصطلاح "القرائن المقالية" [...] وتأتي الصعوبة [...] من أن المبنى الصرفي الواحد يصلح لأكثر من معنى.»⁽¹⁾

القرينة لها أثر في توجيه المعنى المقصود وهي الوظيفة الدلالية، ولها أثر في توجيه الوظيفة التحويلية، وهذا الأثر يكشفه التحو الوظيفي في كشفه عن «خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة تلك الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي»⁽²⁾، ونعبر عن هذا بالكفاية التحويلية المحيلة إلى الكفاية الدلالية، فالكفاية التداولية تظهر التركيب الإبدالي في كفايته التحويلية مبينا موضحا للبدل، وهو شقه الأول.

يتمثل هذا في قوله صلى الله عليه وسلم: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ؛ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا.»⁽³⁾

تظهر الوظيفة التحويلية في التركيب النبوي أن الاسم الذي يرد بعد اسم الإشارة يُعرب بدلا، لتحمل لفظة الإشارة "تلك" وظيفة المبدل منه مع وظيفة الإشارة، وعبارة "تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ"، «إشارة إلى مذكور حكما أي صلاة العصر التي أخرجت إلى الاصفرار [...] (يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ) أي ينتظرها جملة استثنائية بيان للجملة السابقة»⁽⁴⁾، يظهر قصد الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا التركيب الإبدالي، والتركيب الاستثنائي الذي لا محل له من الإعراب في مكروهية تأخير صلاة العصر، فوردت الجملة الإبدالية حاملة الخبر بأن صلاة العصر إذا أخرجت فهي صلاة المنافق، والذي أفاد ذلك هو اسم الإشارة "تلك"، المحتل المؤدّي وظيفة نحوية وهي الابتداء، ووظيفة دلالية وهي: الإشارة الإبدالية.

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 191.

(2) أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية، ص: 50.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 320.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 497.

نخلص إلى أنّ القرينة المعنوية الممثلة في التبعية قرينة تقوم بوظائف نحوية لأنّ استعمال هذه التراكيب: النعتية، والعطفية، والتوكيدية، والإبدالية مراعاة لحال المخاطب من منظور وظيفية التواصل والإرسال وتبليغ المقصد. يركب المتكلم من كلامه ما يقتضيه المقال والمقام وعلى ما يقتضيه الحال، «فالتمام المعنوي المدرك بما للألفاظ من دلالات معجمية شرط أساسي للتمام التركيبي»⁽¹⁾، فجملة (تلك صلاة المنافق) لئن كانت تامة بنيويا تركيبيا فهي جملة ناقصة معنويا دلاليا لغياب الوظيفة النحوية وانقطاع التمام التركيبي مع الجملة الاستثنائية، فعقد التركيب الإبدالي مع التركيب الاستثنائي علاقة وظيفية نحوية دلالية، ومنه تجلّى القصد في: مكروهية تأخير العصر.

3 - قرينة النسبة:

هي قرينة كبرى تندرج ضمنها قرائن معنوية فرعية، وهي: معاني حروف الجر ومعنى الإضافة⁽²⁾، وتُشكل النسبة وظيفية نحوية حين تشكل على التركيب اللغوي قيّدا عاما «على علاقة الإسناد أو ما وقع في نطاقها أيضا، وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية [...] ومعنى النسبة إلحاق»⁽³⁾.

يكن أثر قرينة النسبة بفرعيها: "الجر" و "الإضافة"، في الوظيفة النحوية وهي علامة الجر، وما تعنيه النسبة الملحقة على ركي الإسناد سواء الاسمي أم الفعلية، لتكون الوظيفة الدلالية هي الإلحاق، فالجر والإضافة وظيفتان نحويتان؛ إذ ترتبط هذه القرينة بالتركيب نحويًا لأنها تضطلع بقواعد «القالب النحوي الصرفية والتركيبية والتطريزية انطلاقا من المعلومات الواردة في البنية الإبداعية، بتحديد البنية المكونية التي تشكل فيما بعد دخلا للقواعد الصوتية التي تتكفل بتحقيقها صوتيًا»⁽⁴⁾.

(1) عبد السلام عيساوي: العلاقات المعنوية في البنية النحوية - مقارنة لسانية - جامعة منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2010، ص: 74.

(2) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 201.

(3) نفسه، ص: 201.

(4) أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص: 42.

أ - قرينة الإضافة:

التراكيب الإضافية هو « كل ملفوظ/مكتوب دون الجملة يُؤدّي تواصلًا ما تؤدّيه الجملة... وشبه الجملة كلّ عبارة دون الجملة تُعبر عن نقلة حوارية أو على الأقل عن فعل خطابي شأنها في ذلك شأن جملة كاملة.»⁽¹⁾

الوظيفة النحوية للتراكيب الإضافية تكمن في النسبة؛ أي أنّها تنسب شيئًا للعملية الإسنادية، أو أنّها تشارك الحيز الإسنادي، « فتكون النسبة في الإضافة بين المضافين الواقعيين في نطاق الإسناد »⁽²⁾، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَنْ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحَدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً.»⁽³⁾

تقيّد التراكيب الإضافية لنطاق الإسناد بأنّ نسبت لفظة " صَلَاةُ " إلى " الجماعة "، وورد المسند إليه معرفة بالإضافة، « لأنّه ليس للمتكلّم طريق إلى إحضاره في ذهن السامع أحصر منه، أي: يقصد إليه رغبة في الإيجاز.»⁽⁴⁾

يقوم التراكيب الإضافية مقام القيد للنطاق الإسنادي، وتكمن وظيفته النحوية في النسبة بحركة الجر، فالمضاف إليه المقصود بالنسبة قد يرد ضمن التراكيب اللغوية مؤدّيًا أغراضًا بلاغية، فقد « تكون الإضافة لتعظيم المضاف إليه.»⁽⁵⁾، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: « مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلَاةُ.»⁽⁶⁾

الإضافة إلى " الجنة " تشريف وتثويب، « وقد تفيّد الحث على فعل الشيء »⁽⁷⁾، كقوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورُ الْمُسْلِمِ.»⁽⁸⁾

(1) أحمد المتوكل: التراكيب الوظيفية، قضايا ومقاربات، ص: 108.

(2) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 203.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 411.

(4) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1996، ص: 211.

(5) نفسه، ص: 212.

(6) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 91.

(7) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص: 212.

(8) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 249.

- إنَّه عليه وسلَّم لما رَعَبَ المسلم في التَّيمم حين انعدام الماء أضاف الطَّهور للمسلم رفعا للحرص في أداء الصَّلَاة، فالإضافة كافية لبيان قوة التعلُّق بين المتضامنين (المضاف والمضاف إليه) على أنَّهما كالكلمة الواحدة (1) ، فورد المضاف مسندا إليه "مفتاح" ، والإضافة وظيفتها النحوية الجر في المضاف إليه "الجنة".
- وقع القيد في المضاف على الإسناد ، وشمل القيد النسبة " الجنة" ، ليدخل المضاف إليه حيز الإسناد، أو مشاركا في المسند إليه ، وهذا الارتباط عبَّر عنه النحاة فيقول المبرد: « فإذا أضفت اسما مفردا إلى اسم مثله مفرد أو مضاف، صار الثاني من تمام الأول وصار جميعا اسما واحدا وانجر الآخر بإضافة الأول إليه. » (2)

ب - قرينة حرف الجر:

- تُعرف هذه القرينة بنسبة الجر، فتجعل العلاقة الإسنادية علاقة نسبية ؛ إذ تنسب معنى الفعل إلى الاسم وتنسبه إليه، وتُعدّ حروف الجرّ « أدوات تعلُّق [...] على أنّ التعلُّق بين الجار والمجرور، وبين ما تعلق به إنّما يكون بمعنى الحدث » (3) لا بمعنى الزمن، كقول الرسول عليه وسلَّم: « إَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا. » (4)
- تعلّق اللَّبن بالشرب بواسطة حرف الجر " مِنْ " ، والتركيب النسبي هنا يعني شُرب لبن الإبل وبولها، فقامت الصلّة والتعلُّق بين فعل الشرب واللبن والبول ، فالتركيب المكون من (جار + مجرور) قيّد المسند، وهو الفعل اشربوا، وحدد جنسه وهو اللَّبن والبول في الإبل، وهي دلالة حديثة لا زمنية.
- النسبة تكمن في الحدث المتضمن في التّركيب وهو أحد محوري الإسناد، وتكمن في المجرور، فالوظيفة النحوية هنا: ممثلة في فائدة الجرّ أو النسبة داخل النطاق الإسنادي، وهذا ناتج عن الوظيفة النحوية للأداة (حروف الجر)، وهي: « حروف الإضافة لأنها تضيف معاني الأفعال؛ أي توصلها إلى الأسماء » (5)، يظهر من هذا

(1) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية، ص: 203.

(2) المبرد: المقتضب، الجزء الرابع، ص: 143.

(3) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 202.

(4) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 166.

(5) أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت 1206هـ): حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، 1427هـ، الجزء الثاني، ص: 302.

هذا أنّ الوظائف النحوية للتراكيب الإضافية بحروف الجر محتواة في معاني حروف الجر « ولكل حرف من حروف النسبة عدد من المعاني المتباينة [...] ظاهرة تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد.»⁽¹⁾

يُفسّر التركيب الإضافي وظيفيًا « بواسطة ما يُفهم بالحرف من نسبة هو في حقيقته إيجاد علاقة نسبية بين الجور وبين معنى الحدث الذي في علاقة الإسناد»⁽²⁾، كما في قول الرسول ﷺ في باب ما جاء في تأخير الظهر في شدة الحر: « إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ.»⁽³⁾

ورد التركيب الإضافي ممثلًا في جملة جواب الشرط إذا متعلقًا بما " فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ " « ومعنى "أبردوا" أحرّوا على سبيل التضمن [...] "عن" بمعنى "الباء" أو هي للمجازة ؛ أي تجاوزوا وقتها المعتاد»⁽⁴⁾، وأفاد التركيب الإضافي باستخدام الحرف " مِنْ " « مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ »؛ أي من سعة انتشارها وتنفسها، ومنه مكان أفح أي متسع، وهذا كناية عن شدة إسعارها [...] وقيل هو من مجاز التشبيه ؛ أي كأنها نار جهنم في الحر.»⁽⁵⁾

قد تتضافر الوظائف الدلالية لاستعمال الحرف الواحد فقد تفيد " مِنْ " "التعدية"، فيؤدّي هذا « توجيه المعنى الدلالي للجملة بشكل يجعلها تختلف عن جملة مستعمل معها الحرف "إلى" أو "عن" وما إلى ذلك من تغيير في استعمال الحرف.»⁽⁶⁾

لحروف الجر وظائف نحوية ودلالية: فالنحوية ممثلة في الجر والنسبة، والقيد الإسنادي والتعلق بالفعل، أما الدلالية فهي ثلاثين قرينة معنوية، ومعنى النسبة واضح في كل هذه القرائن كالبعضية والظرفية والتعليل والمجازة وانتهاء وابتداء الغاية والاستعلاء، والتشبيه.⁽⁷⁾

(1) تمام حسان: الجملة العربية معناها ومبناها، ص: 203.

(2) نفسه، ص: 204.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 315.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 487.

(5) نفسه، ص: 487.

(6) الصادق خليفة راشد: دور الحرف في أداء معنى الجملة، منشورات قار يونس، بنغازي، 1996، ص: 205.

(7) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 203.

تتضافر الوظائف النحوية والدلالية ضمن قرينة النسبة ممثلة في تركيب الإضافة، وتركيب حرف الجر؛ إذ يتعلق كلاهما بالنطاق الإسنادي، فيُقَيّد بهما، ومنه قرينة النسبة موجهة للمعنى حسب مقاصد المتكلمين، وأن التركيب في قرينة النسبة مبنى واحد بوظائف عدة.

وعليه لا بُدّ للمتلقي أن يكشف القصد ضمن التركيب بإحرازه الوظيفة النحوية داخله والقرينة المعنوية الموظفة في ذلك التركيب، لأنّ أثر القرينة يكمن في تحديد مقصد المتكلم لتوجيه الحكم النحوي، وتحديد وظيفتي الفاعل والمفعول.

2-6-2- القرائن اللفظية:

تنتقل عملية إنتاج الوظائف النحوية ضمن التركيب اللغوي وتفعيلها من درجة تفاعل القرائن وتتضافرها، سواء أكان تفاعل فيما بين القرائن الفرعية أم بين القرائن النوعية (المعنوية، اللفظية)، كما يُمكن هذا التضافر من تحديد وظيفتي الفاعل والمفعول، ويقتضي تحديد هاتين الوظيفتين، بالتعرف على نوعية التركيب ثمّ القرائن الفاعلة المتضافرة فيه وصولاً إلى قصد المتكلم، ولتوصيل هذا القصد على المتكلم مراعاة خطابه وحال تراكيبه؛ فإننتاج الخطاب يُبنى على منوال المتلقي.

يُبنى التركيب « من المستوى العلاقي نحو المستوى الصري - التركيبي ثمّ المستوى الفونولوجي مروراً في أغلب الأحوال بالمستوى التمثيلي، تُؤطرها المكونات المصاحبة وبالخصوص المكوّن السياقي، يحكم هذه العملية انعكاس المكوّن السياقي في مستويات المكوّن النحوي. »⁽¹⁾

تكمّن أهمية تضافر القرائن ضمن التراكيب اللغوية في تجاوزها للتركيب من ناحية البناء نحو الدلالة: بالكشف عن مكونات أربع وهي: المكون المفهومي، والمكون النحوي، والمكون الصوتي، والمكون السياقي⁽²⁾، تتجلى هذه المكونات في القرائن اللفظية، وبخاصة المكوّن السياقي، والقرائن اللفظية هي: العلامة الإعرابية، والترتبة، والصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، والأداة، والنغمة.

(1) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2012، ص: 46.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص العربية، ص: 17.

1 - العلامة الإعرابية:

العلامة الإعرابية من القرائن الكبرى في التركيب اللغوي العربي، وهي «أوفر القرائن حظا من اهتمام النحاة، فجعلوا الإعراب نظرية كاملة سموها نظرية العامل، وتكلموا فيه عن الحركات ودلالاتها والحروف ونيابتها عن الحركات، ثم تكلموا في الإعراب الظاهر والإعراب المقدر والمحل الإعرابي ثم اختلفوا في هذا الإعراب هل كان في كلام العرب أم لم يكن [...] من القدماء والمحدثين كلام في إنكار أن تكون اللغة العربية قد اعتمدت حقيقة على هذه العلامات في تعيين المعاني النحوية.»⁽¹⁾

تضافر القرائن يكشف مقاصد المتكلمين، فلا يمكن للعلامة الإعرابية أن تحدد المعنى بمفردها فلا وظيفة لها بدون عقد تضافر مع باقي القرائن، وهي «قرينة يستعصي التمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديرًا أو محليًا أو بالحذف، لأنّ العلامة العربية في كلّ واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة فيستفاد منها معنى الباب.»⁽²⁾

أراد "تمام حسان" بهذا أنّ القرينة لا وظيفة لها نحويا دون تضافرها مع البواقي من القرائن، والإعراب وعلاماته فرع من المعنى وهو «قرينة نحوية هامة تكشف عن قسط من المعنى، ولا يمكن لنا أن نصل إلى الانتفاع بهذه القرينة في النحو إلا إذا عرفنا الفارق الصرفي بين المعرب والمبني، ولا يتأتى لنا ذلك إلا عند تقسيم الكلم ونسبة بعضه إلى الإعراب والبعض الآخر إلى البناء.»⁽³⁾

الوظيفة التي تسند إلى الإعراب بيان علامات أو وحدات النمط التركيبي، وما تستدعيه من قرائن أخرى تقحمها في تفسير القصد والفهم من جراء إطلاق هذا التركيب في مجال تواصل، وهذا حين يتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، فالعلامة الإعرابية وظيفتها الفصل بين أقسام الكلم ولولاه «لكانت اللغة فريسة اللبس، من جهة أن الأقسام قد ينقل بعضها إلى استعمال بعض، فقد ينقل الفعل والوصف إلى العلمية، وقد ينقل الاسم إلى

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 205.

(2) نفسه، ص: 205.

(3) فاضل مصطفى الساقى: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص: 18.

الظرفيّة، وقد تستعمل المصادر كما تستعمل الأفعال [...] فيصبح من المهم مع هذا النقل أن نضع في الاعتبار هذه الظاهرة ليتضح لنا المعنى، ولا تختلط طوائف الكلم في الفهم.»⁽¹⁾

تُقام الوظيفة التّركيبية على العلاقات الدلاليّة، وهذا تضافر وظيفي بين وظيفتين: النحويّة والدلاليّة، وهذا مدعاة لرفع الإبهام من ذهن السّامع فيحل محله الإفهام، «وتنشأ عن البنية الإعرابية بنية وظيفية؛ وذلك بإدراج العلاقات الدلاليّة بين عناصر البنية الإعرابيّة»⁽²⁾، فيعقد اللفظ مع الوحدات التّركيبية في الخطاب علاقات « والإعراب هو مفتاح المعاني المغلقة في الألفاظ والمستخرج للأغراض الكامنة فيها»⁽³⁾، فالعلامة الإعرابيّة وظيفيّة في الاستعمال فالرفع للفاعليّة والنصب للمفعوليّة وتغيّرها نتاج لتغيّرات المقاصد والمعاني.

وتتمثل العلامة الإعرابيّة في التحليل الوظيفي-على رأي "محمد الأوراعي"- ب: "العامليّة اللفظيّة" و«أثر العامليّة اللفظيّة [...] في عامليتنا العلاقيّة أربعة أضرب وهي:

- عوامل الأحوال التّركيبية كالرفع والنّصب.
 - عوامل الوظائف النّحويّة كالفاعل والمفعول.
 - عوامل علامات الإعراب كالضمّة والفتحة.
 - عوامل تنضيد مكونات الجملة كترتيب الفاعل قبل الفعل أو العكس، يضاف إلى العوامل الأربعة نواسخ العلامات وهي صنفان: نواسخ علامة الرفع، ونواسخ علامة النصب.»⁽⁴⁾
- من الوجهة الوظيفيّة للعلامة الإعرابيّة الفاعليّة والمفعوليّة هما وظيفتان نحويتان، قد تكون العلامة الإعرابيّة، وبتضافرها مع قرائن صديقة، أن تكشف أو أن تكون الجهاز الكاشف لها.

(1) فاضل مصطفى السّاقى: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص: 17.

(2) محمد الأوراعي: نظرية اللسانيات النسبية، ص: 93.

(3) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 08.

(4) محمد الأوراعي: اللسانيات النسبية، ص: 109.

في مثال ذلك حديث الرسول ﷺ في باب ما جاء من أحق بالإمامة: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَكْبَرُهُمْ سِنًا، وَلَا يَوْمُ الرَّجُلِ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يُجْلَسُ عَلَيَّ تَكْرِمَتِهِ [في بيته] إِلَّا بِإِذْنِهِ.»⁽¹⁾

إن تعدد وتغيّر العلامة الإعرابية، فليتناسب هذه العلامات واستدعائها مع المكونات التركيبية، وهي تعقد مع المكونات التركيبية علاقتين وهما:

أ - علاقة الإسناد:

هي التي تقوم بتركيب «المكونين التووين، والمتشخصة في تطابقهما، والعاملة فيهما لحالة الرفع التركيبية.

ب - علاقة الإفضال:

هي التي تركب فضلة الجملة إلى نواتها وتشخص في انتفاء المطابقة بين طرفيها، وتعمل حالة النصب في الفضلات، مهما تعددت واختلفت وظائفها النحوية.»⁽²⁾

وإعراب الحديث الشريف السابق بشرح الأضرب الأربعة يمكن أن نجعل عوامل الإعراب ونواسخ علاماته تحت مصطلح "مؤثر الإعراب المتشعب."⁽³⁾

تتمثل الأحوال التركيبية في الرفع: ورد في بداية الحديث الشريف الفعل المضارع "يَوْمُ": مرفوعا في التركيب، ونوضحه بالشكل الآتي:

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 442.

(2) محمد الأوراعي: اللسانيات النسبية، ص: 133.

(3) نفسه: ص: 133.

" يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ "

* عوامل تنضيد مكونات الجملة، الترتيب:

القوم: م به - مقدم.

أقروهم: فاعل - مؤخر.

* عوامل نواسخ العلامات:

- ناسخ علامة الرفع:

" كانوا في السنة سواءً "

كان: ناسخ - الواو: ضمير متصل في محل رفع اسم

كان على الفاعلية.

سواءً: خبر كان مرفوع.

- يوم: فعل مضارع مرفوع ← حالة تركيبية

- أقرو: فاعل مرفوع ← مضاف إليه حالة تركيبية

- القوم: مفعول به منصوب ← حالة تركيبية

* الوظائف النحوية:

- الفاعل: أقرو ← هم.

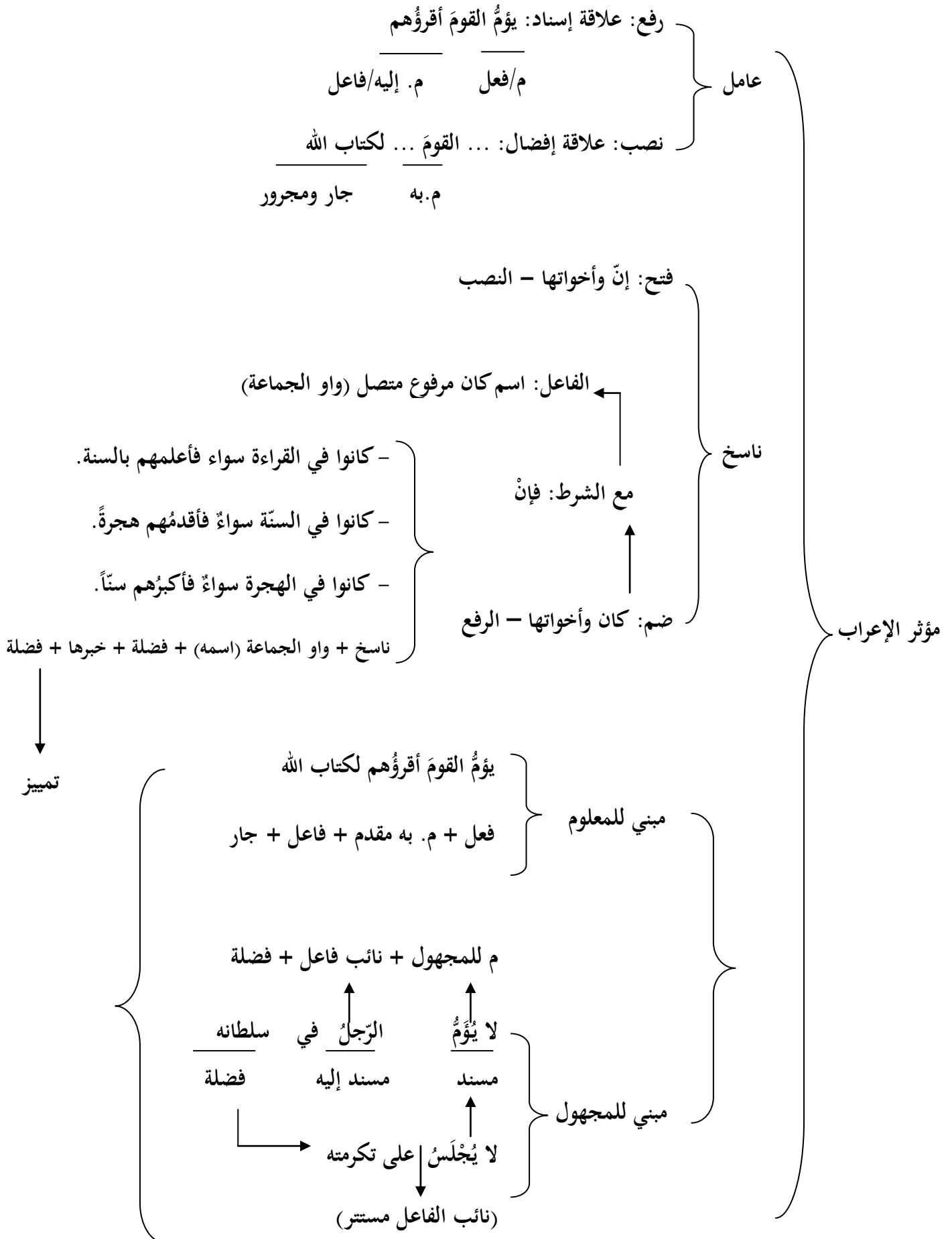
- المفعول به: القوم

* علامات الإعراب:

- الفاعل: مرفوع ← علامة الرفع: الضمة ← أقروهم

- المفعول به: منصوب ← علامة النصب: الفتحة ← القوم

ونضيف الترسيمة الآتية :



ومنه: «الرفع حالة تركيبية وهي مرادفة لمعنى النواتية في مقابل معنى الرضية، عاملها علاقة الإسناد وعلامتها الضمة أو ما ينوب فيها، وقابل الرفع والضممة كل مركب عوض أحد المتساندين، والنصب حالة تركيبية معناها الرضية عاملها علاقة الإفضال وعلامتها الفتحة، وقابلها كل مركب عوض عنصر الفصلة.»⁽¹⁾

يُبيّن "المتوكل" أن وظيفتي "الفاعلية" و"المفعولية" من الوظائف التركيبية التي تتصافر والوظائف الدلالية، وبهما تتصافر القرائن في تحديد المقاصد وفهم التراكيب «فتسند هاتان الوظيفتان في المستوى الصرفي - التركيبي إلى مُكوّنين حاملين لوظيفة دلالية (منفذ، متقبل، مستقبل...)» واردة من المستوى التّحتي التّمثيلي باعتبارها تحدد دور المكوّن في الواقعة (عمل، وضع، حالة) الدّال عليها المحمول.⁽²⁾

ومنه تكون العلامة الإعرابية دالة على المعنى أو دلالية في حضورها التركيبية؛ إذ الإعراب هو: «عبارة عن المجهول آخر الكلمة مبنياً للمعنى الحادث فيها بالتركيب من حركة أو سكون، أو ما يقوم مقامهما، فالإعراب موضوع للإبانة عن وظائف مفردات التركيب أو بيان منزلتها منه، وهو صوت يصحب آخر الكلمة المعربة في الكلام المنطوق ورمز أضيف إلى الحرف المكتوب»⁽³⁾، فالعلامة الإعرابية لها علاقة بالمعنى وباعتبارات عدّة: المرسل، المتلقي... فالمعنى «الذي يُؤثر في العلامة فيجعلها مستقرة في شكل معين»⁽⁴⁾

تمثل لهذا بحديث الرسول ﷺ في باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة: «مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامٌ نِصْفُ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامٌ لَيْلَةٍ.»⁽⁵⁾

ورد التركيب هنا شرطياً، لأنّ الرسول ﷺ اختار هذا التركيب بالدلالة التي تفي بالغرض المقصود، وعلامة الإعراب في اسم الشرط ساكنة (من) متبوعة بجملة فعلية وهي جملة الشرط، متمثلة: "شَهِدَ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ" "فشهد" فعل مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، وهذه الوظيفة النحوية الفاعلية

(1) محمد الأوراغي: اللسانيات النسبية، ص: 134.

(2) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص: 112.

(3) محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، الطبعة الأولى، 2005، ص: 151.

(4) عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب، القاهرة، 2002، ص: 62.

(5) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 421.

أسندت إلى المؤمن وهو "الْمُنْفَذ" في الوظائف الدلالية و"العشاء" مفعولا به، وهي وظيفة المفعولية وهو "الْمُتَقَبَل" في الوظائف الدلالية.

"الواقعة" الدلالية في التّركيب هي: عمل عبادة، الدعوة والترغيب لصلاة الجماعة ممثلة بصلاة العشاء، والنتيجة "قيام نصف ليلة" وهي جملة جواب الشرط، ثمّ الترغيب بصلاة الفجر مع العشاء جماعة في جملة شرطية معطوفة "من صلى الفجر والعشاء"، والثواب "قيام ليلة".

يكون الرسول ﷺ بهذا التركيب الشرطي قد رغب ودعى، والجزء هو القصد الأصلي لصلاة الجماعة، ويكون المتلقي قد نال ثوابه بإنجازه هذا العمل مثلت العلامة الإعرابية وطبيعة التركيب الشرطي هي الوظيفة في إيصال المعنى فتحدد بها الفاعل من المفعول واستيعاب الواقعة وتبليغ القصد.

العلاقة القائمة بين العلامة الإعرابية والقصد علاقة (المرسل، والمتلقي) «علاقة استدلال وتأثير تنطلق من العلامة، وذلك حينما تُمَيِّز بين المعاني النحوية المختلفة، كالفاعلية والمفعولية والابتداء والخبر وما شابهها، وتكون مجردة سلفاً لأنّها مقروءة أو مسموعة، وهي مؤثرة بما تحدد من معنى»⁽¹⁾

نلاحظ في الحديث تضافر الوظائف النحوية التركيبية مع الوظائف التداولية والوظائف الدلالية، ولم يكن للعلامة الإعرابية وظيفة نحوية إلا بتضافر قرائن أخرى، وهي ممثلة في قرينة النسبة: الإضافة في قوله: "نصف ليلة" و الجار والمجرور "في جماعة، كقيام ليلة"، وقرينة التخصيص ممثلة في المفعول به: "العشاء" والمفعولية أسندت إلى "الفجر" المعطوف على لفظ "العشاء" عطف مفعولية.

نلاحظ بلاغة التراكيب النحوية النبوية في الدعوة إلى العبادة والدين الإسلامي رغبة في الثواب، وهي تلخص معنى النفعية من الكلام.

تُمثّل العلامة الإعرابية في شكلها وفي وظيفتها النحوية: البنية السطحية والبنية العميقة في النحو التوليدي التحويلي ويسمى الإعراب في البنية السطحية إعراباً بنويّاً، ودلاليّاً في البنية العميقة « فالإعراب الملازم يقوم أساساً على العلامة المحورية بين الواسم والموسوم، ويشترط دائماً وجود هذه العلاقة، كما أنه يُسند في البنية

⁽¹⁾ عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، ص: 62.

العميقة، أما الإعراب البنيوي فمستقل عن هذه العلاقة ويُسند في البنية السطحية»⁽¹⁾، ولهذا تكون العلامة الإعرابية دلالية وشكلية، ويمكن أن « نعتبر الإعراب الدلالي إطاراً نظرياً عاماً، أساسه بنية عامليّة، وما الإعراب البنيويّ أو نحو الحالة إلّا جزءاً ممثلاً له.»⁽²⁾

إنّ العلامة الإعرابية قرينة لها وظائف نحوية ومن شأنها تحديد وظيفتي الفاعل والمفعول، ومعرفة الفاعل من حركته (الرفع) ومعرفة المفعول من حركة (النصب) « ويقسمها "المتوكل" إلى ثلاث حالات إعرابية: حالتان إعرابيتان وظيفيتان وحالة إعرابية بنيوية، الحالتان الوظيفتان هما حالتا "الرفع" و"النصب" أما الحالة الإعرابية "البنيوية"، فهي الحالة الإعرابية "الجر" [...] وتُسند الحالات الإعرابية إلى المكونات انطلاقاً من المعلومات المتوافرة في البنية الوظيفية للجملة.»⁽³⁾

الإعراب عند "المتوكل" إعرابان « إعراب بنيويّ وإعراب وظيفيّ، تُسند للإعراب البنيويّ صرفات معينة، أدوات (إن وزمرتها)، وحروف وأفعال مساعدة (كان وزمرتها) وتراكيب معينة كالإضافة. أمّا الإعراب الوظيفي فتسند الوظائف التي تحملها المكونات.»⁽⁴⁾

الحالات الإعرابية تُسند « إلى مكونات الجملة بمقتضى وظيفتها الدلالية أو وظيفتها التركيبية أو وظيفتها التداوليّة، وتتفاعل الوظائف الثلاث (الوظيفة الدلالية والوظيفة التركيبية والوظيفة التداوليّة) في تحديد الحالات الإعرابية بالشكل الآتي:

- إذا كان المكوّن حاملاً لوظيفة دلالية تُسند إليه الحالة الإعرابية النَّصب أو الحالة الإعرابية الجرّ إذا كان مسبوقة بحرف جر بمقتضى وظيفته الدلالية.

(1) محمد الرحالي: تركيب اللغة العربية، مقارنة نظرية جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2003، ص: 29.

(2) عبد السلام عيساوي: العلاقات النحوية في البنية النحوية، ص: 77.

(3) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 33، 34.

(4) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 98.

- إذا كان المكوّن حاملاً لوظيفة تركيبية بالإضافة إلى وظيفته الدلالية تُسند إليه الحالة الإعرابية "الرفع" إذا كان فاعلاً، أو الحالة الإعرابية التّصب إذا كان مفعولاً بمقتضى وظيفته التركيبية بمعنى أنّ الحالة الإعرابية التي تقضيها الوظيفة التركيبية "تخفي" (Masks) الحالة الإعرابية التي تستوجبها الوظيفة الدلالية.»⁽¹⁾

التركيب الوظيفي هو الذي به يتحقق به الإفهام من القائل والفهم من السّامع « يقع ذلك بين المخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب والآخر التصريف، هذا فيمن يعرف الوجهين، فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهام السّامع بوجه يطول ذكرها من إشارة وغير ذلك. وإنما المَعوّل على ما يقع في كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيرها من الكلام المشترك في اللفظ.»⁽²⁾

يرتبط الإعراب بالقصد بالنسبة للمتكلم وللمتلقي، وبه « تُمَيِّز المعاني ويُوقِف على أغراض المتكلمين... وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يُفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني.»⁽³⁾

هذا يعني أنّ اختلاف الحركات وتغيّرها داخل التركيب يلحقه تغيّر في المعنى والمقاصد المرجوة « وإذا لم يكن للمعاني أثر في أحوال أواخر الكلمات، فلماذا اختلفت الكلمات في حال الفاعلية والمفعولية والإضافة.»⁽⁴⁾

تؤثر العلامة الإعرابية على التركيب اللغويّ بأربع مستويات: المستوى الصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي؛ إذ لا يستقيم المعنى الوظيفي ولا تُوفى المقاصد إلى متلقيها إلاّ بالعلامة الإعرابية مُتضافرة مع قرائن أخرى، محدثة تضافراً آخر بين الوظائف التركيبية (الفاعلية والمفعولية) والوظائف الدلالية (منفذ، ومتقبل، ومستقبل، وحدث، وزمان، ومكان)

أثر العلامة الإعرابية في التركيب النبويّ جليّ، فمقاصد الرّسول صلى الله عليه وسلم من أحاديثه نحو تبصير المؤمنين بتعاليم الدين الإسلامي بتراكيب أمرية، وشرطية... منوطة بعلامة إعرابية لفتح معانيها.

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 19.

(2) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ): الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997، ص: 143.

(3) نفسه، ص: 143.

(4) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1986، ص: 250.

ترتبط العلامة الإعرابية بقرينة "الرتبة" ، ويكمن هذا الارتباط في معرفة تموضع المكوّن النحوي داخل التركيب، ومن تقدّم ومن تأخر، وما وظيفة تغيّر رُتب التركيب اللغوي؟

2- قرينة الرتبة والوظيفة النحوية:

تخدم قرينة الرتبة التركيب وظيفيًا في انتظام التركيب وفق قواعد النحو « واعلم أنّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو»⁽¹⁾، ومفادها أنّ التركيب اللغوي، يتموضع داخله مكونات نحوية، فينتج عن هذا التموضع معانٍ نحوية يعمد بها المتكلم نحو السامع، والرتبة « قرينة لفظية وعلاقة جزأين مرتبين من أجزاء السياق، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه.»⁽²⁾

وللرتبة شقين:

- شق نحوي: وهو الوظيفة النحوية (رتبة الفاعلية والمفعولية، رتبة المسند والمسند إليه (المبتدأ والخبر).

- شق بلاغي: وهي الوظيفة البلاغية متمثلة فيما يدرسه البلاغيون في باب "التقديم والتأخير" « وهي دراسة لأسلوب التركيب لا التركيب نفسه.»⁽³⁾

للرتبة علاقة بالمقاصد، فإن قدّم المتكلم أو أخرّ مُكوّنًا نحويًا، فلوظيفة ارتضاها في تركيبه نحو متلق؛ إذ « لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة إن لم يقدم فيه ما قدم ولم يؤخر ما أخر.»⁽⁴⁾

يقودنا هذا إلى أنّ الرتبة لها وظائف نحوية ويعتمد عليها في تمييز المكونات النحوية في غياب القرائن الأخرى، كما قد تتضافر مع بواقي القرائن في تحديد الوظائف النحوية والمعاني التركيبية؛ لأنّ مواقع تموضع المكوّنات النحوية إذا ما حُدّدت من شأنها كشف ماهية هذه المكونات ، ومنه الوصول إلى المقاصد وإنجاز المطلوب من فحوى التركيب، والرتبة أنواع:

(1) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 81.

(2) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 209.

(3) نفسه، ص: 207.

(4) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 337.

أ - الرتبة المحفوظة:

تُكشف الرتبة داخل الجملة « عن طريق بناء بنيات ثلاث: بنية حملية، ثم بنية وظيفية ثم بنية مكوّنية بواسطة تطبيق مجموعات ثلاث من القواعد: قواعد الأساس، وقواعد الإسناد وقواعد التعبير»⁽¹⁾

مجموع هذه البنيات وهذه القواعد يحدد ترتيب المكونات داخل التّركيب اللّغوي. والرتبة المحفوظة تعني « موقع الكلمة الثابت متقدما أو متأخرا في التّركيب الكلامي، بحيث لو احتل هذا الموقع لاحتل التّركيب باختلاله وعلى هذا الأساس تُعتبر الرتبة المحفوظة [...] من الظواهر الشكلية التي بواسطتها يمكن تحديد موقع الكلمة بين أقسام الكلم، كما يمكن تحديد معنى الأبواب النحوية وبالتالي معرفة وظائفها»⁽²⁾

استجابة لمبدأ الوظيفة النحوية في التّركيب المرتب رتبة أصلية (محفوظة)، فلا سبيل إلى التّغيير في رتبة المكوّنات النحوية، فالمتكلم إذا ما أراد تبليغ القصد يراعي الخصائص النحوية للتّركيب في رتبة المكونات، « ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها»⁽³⁾

الرتبة وظيفة تستوجب بنية أصلية قارة يجري بها الكلام على تركيب على بنية وظيفية ثم تستقر ضمن بنية مكوّنية، وبذلك تتحقق للرتبة المحفوظة وظيفيتها بموجب تفاعل الوظائف النحوية كما رُتبت المكونات ترتيبا أصليا، والرتب المحفوظة كثيرة نذكر منها:

1 - تقدّم الموصول على الصّلة:

للرتبة وظيفة نحوية في الجملة الموصولة؛ إذ تُحفظ رُتب مكوناتها، فالمكوّنات مقيدة وبه تنشأ عن البنية المرتبة تبعا لما يقتضيه الاسم الموصول بجملة صلة الموصول وظائف نحوية وعلاقات دلالية تفيدها رتبة الاسم الموصول مع جملته، علاقة لزوم تقدم الاسم الموصول تعمل في التّركيب بثلاث بنيات: حملية، وظيفية، ومكوّنية،

(1) أحمد المتوكل: الوظائف في اللغة العربية، ص: 23.

(2) فاضل مصطفى الساقى: أقسام الكلام العربي، ص: 186.

(3) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 208.

ممثلاً في قول الرسول ﷺ في باب ما جاء في السهو عن وقت صلاة العصر: «الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ.»⁽¹⁾

إنّ الترتيب في الجملة الموصولة، قد جاء ليبيّن فضل صلاة العصر في وقتها وهي الوظيفة الدلالية من التركيب، وهي تمثل البنية الوظيفية، في حين يمثل لفظ "الذي" الاسم الموصول وجملة (صلة الموصول) "الذي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ" البنية الحملية و"الحفاظ على صلاة العصر" في وقتها يمثل البنية المكونية.

كما تمثلها جملة «فَكَأَنَّمَا وُتِرَ» على بناء المفعول أي سلب وأخذ (أهله وماله) بنصبهما ورفعهما، قال الحافظ: هو بالنصب عند الجمهور على أنّه مفعول ثانٍ لوتر، وأضمر في "وتر" مفعول ما لم يُسمَّ فاعله، وهو عائد إلى الذي فاتته، فالمعنى أُصيب بأهله وماله وهو متعد إلى مفعولين.⁽²⁾

تظهر الوظائف النحوية ممثلة في: الفاعلية وفحواها: فوات صلاة العصر أو السهو عنها، والمفعولية في أخذ: الأهل والمال وسلبهم، وقد تضافرت قرينة رتبة الموصول مع الصلة مع قرينة معنوية ممثلة في قرينة النسبة "صلاة العصر" في نوعها الإضافي، فوردت "صلاة" مضاف والعصر مضاف إليه.

أفادت الجملة الموصولة معنى الشرط، وأفادت جملة صلة الموصول جملة الشرط، وجملة "فَكَأَنَّمَا" جملة جواب الشرط، شرط فوات صلاة العصر جوابه: سلب المال والأهل.

2 - تقدّم فعل الشرط على جوابه:

الأصل في الجملة الشرطية أن تكون رتبة فعل الشرط هي الأسبق على جوابه، وهذا الترتيب أصل في التركيب الشرطي واختلاله يُؤدّي إلى اختلال معنى الشرط، فتضيع الفائدة ولا يحصل القصد، ومنه قول الرسول ﷺ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا.»⁽³⁾

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 343.

(2) المباركفوري: تحفة الأحمدي: ص: 522، 523.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 347.

ومن هذا الترتيب تتحدد الوظائف النحوية الفاعلية والمفعولية من البنية المكوّنة الفاعلية: ممثلة في فعل الشرط "نسي" وهو متعلق بالوظيفة الدلالية (المنفذ)، ممثلة في الذي يقوم بفعل النسيان، والمفعولية ممثلة في المفعول به "صلاة"، والرتبة وظيفتها هنا في الإتيان بفعل الشرط متبوعا بجوابه " فلْيُصَلِّهَا"، واحتوى فعل جواب الشرط على فاعل في قضاء الصلاة، و" الهاء" مفعولا به، وجملة الشرط أُرِدَّتْ بشرط ثان ترتيبيا ممثلا في " إِذَا ذَكَرَهَا"، فلا يُصَلِّ الرَّجُلُ صَلَاةً وَيَقْضِيهَا عَلَى نَسْيَانٍ إِذَا لَمْ يَذْكُرْهَا.

3 - تقدّم حرف الجرّ على المجرور والمُضَاف على المُضَاف إليه*:

وهذا تجسيد لتضافر قرينتين: قرينة لفظية الرتبة، وقرينة معنوية النسبة: فالنسبة ممثلة في (حرف الجر على المجرور والمُضَاف على المُضَاف إليه)، وهما يمثلان شبه الجملة وترتيبها أصلي في التركيب، ومثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة: « بَشَّرَ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. »⁽¹⁾

تظهر الجمل صنف: جار + مجرور في: - في الظلم.

- إلى المساجد.

- بالنور.

ورتبة حرف الجرّ على الاسم المجرور أفادت وظائف نحوية، في نسبة الفاعلية وبيان وظيفة دلالية ممثلة بالترتيب: الحال، والمكان، والحدث، فنلاحظ تضافر قرائن دلالية وتركيبية ضمن قرائن لفظية ونحوية، والوظائف نفسها أفادتها الجمل صنف: مضاف + مضاف إليه: - بالنور التام. - يوم القيامة.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 423.

* للتوسع في الأصناف التركيبية للرتبة المحفوظة، ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 208، ينظر: كوليزار كاكل عزيز القرينة في اللغة العربية: ص: 105، 106.

أُضيفَ "التور" وهو محكوم برتبة أسبقية الباء، التي أفادت وظيفة الملك ملك التور للمصّلين في "الظلم" إلى لفظة "التام" المضاف إليه، كما بيّن الظرف "يوم" تضافر قرينة التخصيص ممثلة في مفعولية المفعول فيه إلى التّركيب بإضافته إلى لفظ "القيامة".

أفاد صنف الجملة المضاف والمضاف إليه: الجزاء والثواب، كما تظهر قرينة العلامة الإعرابية في رتبة شبه الجملة بصنفيها: الجار والمجرور + المضاف والمضاف إليه، فالرتبة هي القرينة اللفظية الكاشفة لمقاصد المتكلمين.

ب - الرتبة غير المحفوظة (الحرّة):

وظيفة الرتبة ضمن الوظائف النحوية التّركيبية تكمن في الأداء الدليلي، فهي دليل السّامع لقصد المتكلم، وآلية المتكلم في رصف مكونات تركيبه حسب المتلقي؛ إذ « يُقال عن مجموعة من العناصر بوجه عام إنّها مرتبة، إذا كانت تشكل سلسلة (Sequence)، تتوالى وحداتها خطياً »⁽¹⁾، كما هو الشأن في تراكيب اللغة العربيّة، إنّ هذا التسلسل وهذا التوالي يمكن أن يكون محايداً للأصل.

هذا الأخير يمثل الرتبة الحرّة « التي لا تلتزم موقعا ثابتا في التّركيب النحوي، وتقع في حيّز حكم الجواز في التقسّم والتأخير »⁽²⁾، فهي حرّة في اتخاذ مواقعها في التّركيب إنّ تأخرا أو تقدما مع الحفاظ على العلامة الإعرابية لأنّها « تتجاذب مع البناء أكثر ممّا تتجاذب مع الإعراب [...] وأنّ عدم وجود قرينة العلامة الإعرابية في المبنيات قد جنح بها إلى قرينة الرتبة، وجعل الرتبة عوضا لها من العلامة الإعرابية [...] وقد يطرأ على الرتبة غير المحفوظة من دواعي أمن اللبس ما يدعو إلى حفظها.»⁽³⁾

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 221.

(2) حيدر جاسم جابر الدينناوي: القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2015، ص: 89.

(3) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 208، 209.

قد يعترض التركيب مكونات نحوية يتعذر ظهور حركتها الإعرابية في آخرها، فينجم عنه إبهام في الدلالة والقصد، فيجب أن يفهم التركيب على ترتيبه الأصلي، « ويظهر أن بين الرتبة النحوية وبين الظواهر الموقعية رحماً موصولة، لأنّ الرتبة حفظ للموقع، والظاهرة الموقعية هي تحقيق مطالب الموقع على رغم قواعد النظام.»⁽¹⁾

الرتبة بنوعيتها شكلت موقعا ومنحى « في نظام اللّغة لا في استعمالها ؛ لأنّها في الاستعمال معرضة للقواعد النّحوية من حيث عود الضمير، ثمّ للاختيارات الأسلوبية من التقديم والتأخير.»⁽²⁾

الرتبة الحرّة تتخذ من المواقع موضعا لها في التركيب ، وتحتكم بالنظام اللّغوي و سلطة المتكلم، وتأتي لبيان المقاصد، ومن بين هذه الرتب الحرّة « رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة الضمير والمرجع، ورتبة الفاعل والتّمييز بعد نعم ، ورتبة الحال والفعل المتصرف ، ورتبة المفعول به والفعل.»⁽³⁾

لابدّ من الإقرار أنّ الوظيفة النّحوية (الفاعلية والمفعولية) تظهر من تغيّرات الموقع التركيبيّ بفعل المتكلم في قصده لمفهوم معين، ومعرفة استعمالات هذه القرينة يزيل الإبهام ويدعم الفهم ضمن مليحة نحوية وظيفية ونُحفة أسلوبية ونذكر منها:

1 - تقدّم الخبر عن المبتدأ:

إنّ الوظيفة التّداولية مطبوعة في التركيب إن حُفظ أم تغيّر في رتبة مُكوّناته، وهذا التقديم والتأخير في مواقع الكلم يسببه قصد المتكلم.

من هنا تُوصف الرتبة بنوعيتها بأنّها وظيفية ؛ إذ يلزم هذا التقديم والتأخير المتلقي البحث في نية المتكلم جراء إحداثه تغييرا في رُتب المكوّنات التركيبية، كما تقوم الوظيفية باتخاذ الرتبة آلية تداولية، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم في أبواب عدّة:

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 208.

(2) تمام حسان: البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنصّ القرآني - عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م، ص: 94.

(3) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 208.

- باب ما جاء في كراهية الإسراف في الوضوء بالماء: « إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ: الْوَلَهَانُ فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ. »⁽¹⁾

- قوله صلى الله عليه وسلم: في باب المسح على الخفين للمسافر والمقيم: « لِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةٌ وَلِلْمَقِيمِ يَوْمٌ. »⁽²⁾

- قوله صلى الله عليه وسلم: في باب ما جاء أن تحت كل شعرة جنازة: « تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٌ فَاعْسِلُوا الشَّعْرَ، وَأَنْقُوا الْبَشَرَ. »⁽³⁾

- قوله صلى الله عليه وسلم: باب في ما جاء في إقامة الصفوف: « مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ إِقَامَةُ الصَّفِّ. »⁽⁴⁾

ورد الخبر في هذه الأحاديث مقدّما، وللرسول صلى الله عليه وسلم غاية في ذلك وقصد لمعشر المسلمين، وأنّ المكوّن المقدم يكون هو المقصود بالكلام، وهو الحمل أي الخبر الجديد.

في الحديث الأول تقدم الخبر (إنَّ) على اسمها والقصد منه التحذير لما سيقع للمؤمنين أثناء الوضوء من الشيطان والوسواس، وهذا التحذير مبين بفعل الأمر " فَاتَّقُوا... "، لاجتناب الشيطان عند الوضوء ومنه تجنب الوسواس، لأنّ صحّة الصلاة من صحّة الوضوء.

أمّا الحديث الثاني تقدّم الخبر ، وهو على شكل شبه جملة: " تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ " على المبتدأ: " جَنَابَةٌ " لقصد التبيين والتنوير كيفية الغسل، فبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم محلّ الجنابة فقدم الخبر الذي حمل معلومة مفادها أنّ "تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ" ، فنّبّه المؤمن على غسل الشّعْر ونقاء البشرة، فهو يمثل الوضوء الأكبر، والوضوء للصلاة والجنابة مبطلّة لها، فوجبت الطهارة.

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 150.

(2) نفسه، ص: 208.

(3) نفسه، ص: 223.

(4) نفسه، ص: 426.

أما الحديث الثالث ورد الخبر مقدما عن المبتدأ قصد التيسير والرخصة؛ فلا يقع المسافر في الحرج حين الصلاة، فرخصة المسافر المسح على الخفين ثلاثة أيام، والمقيم يوم.

أما الحديث الرابع جاء فيه تقديم الخبر عن المبتدأ من أجل القبول، وصحة الصلاة، فورد الحكم حكم صحة الصلاة خبرا مقدما " مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ " ، "إقامة": مبتدأ، "الصف": مضاف إليه، فالصلاة تتم وتصح وتقبل بإقامة الصف ، فهو الخبر من تمامها، والقصد من هذا الترغيب في مكملات ومتممات الصلاة ، فلا تتم الصلاة والصف أعوج.

تكمن الوظيفة في تراصف المكونات التركيبية: نحواً ودلالةً وتداولاً، والدليل على ذلك المقاصد النبوية المرجوة من جراء تقديم الخبر، والاهتمام بتبليغ المكون المقدم.

تظهر الوظيفة النحوية بألية تداولية مثلة في الرتبة وفي تبليغ المقاصد، وما يُرتجى من الرتبة الحرّة، إنما هو إيصال القصد والفهم والإفهام.

2 - تقديم المفعول به عن الفاعل:

تتضافر قرينة الرتبة في تحديد المقاصد وفحوى الخطاب مع قرائن أخرى: أبرزها العلامة الإعرابية؛ إذ يرتبطان بعنصر الدلالة، فلا تغيير في مواقع التركيب إلا لدلالة، ومنه يكون الإعراب دلاليا، فالتركيب له رأس ولواصق « ورتبة اللواصق التي ترتبط صرفيا بالرأس الحامل لها تعكس رتبة العمليّات التركيبية التي ينتقل هذا الرأس بموجبها للاتحاق بهذه اللواصق في التركيب. »⁽¹⁾

يظهر من هذا وظيفة الفاعلية والمفعولية، في تغير رتبتيهما، وحرية الرتب لا تعني تغيير الوظيفة النحوية للمكون النحوي، فالحكم بالإعراب به يتحدد بنيته الصرفية ، ومنه يتحدد موقعه فالحكم « الغالب الأعم أن تتحدد صيغة المكون الصرفية أولا ثم يستند إليه موقع معين داخل الجملة أو داخل المركب على اعتبار أن يحتفظ بنفس الصيغة أيّا كان موقعه. »⁽²⁾

(1) محمد الرحالي: تركيب اللغة العربية، مقارنة نظرية جديدة، ص: 66.

(2) أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص: 42.

يحتفظ المكوّن التحويلي على الوظيفة، فوظيفة المفعول أو المفعولية تبقى منوطة بمكوّنها نحواً وصرفاً ودلالة في أي موقع سواء تقدّم أم تأخر.

بالنظر إلى مفهوم الرتبة وعلاقتها بالإعراب والدلالة تتحدد الوظيفة من تقدم المفعول به عن الفاعل، لأنّ العلاقة بينهما معمول وعامل.

قد يأتي المفعول به مقدماً عن الفاعل من أجل التشويق، ففي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء من أحق بالإمامة يقول: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...»⁽¹⁾

تقدّم المفعول به وهو المعمول وتأخر الفاعل وهو العامل فيه، لأنّ قصد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديث التشويق لمن يحق له الإمامة: "القوم" مفعولاً به.

و"أَقْرُوهُمْ": فاعل + مضاف إليه، والذي دلّ على ذلك الحكم الإعرابي ولواصق الفاعل والمفعول المضمرة والظاهرة؛ إذ يمثل رأس الجملة الفعل: "يَوْمٌ".

الرتبة تقديم وتأخير مع الحفاظ على وظيفة المكون الدلالية، وهذه الرتبة من رتبة قبلية إلى بعدية؛ إذ أنّ « مجال الجملة في العربية [...] رأس (فعل، اسم...) مشفوع بـحيّزين، حيّز قبلي (أو صدر) وحيّز بعدي (أو عجز)»⁽²⁾ ومثل لذلك التركيب بالترسيم الآتي:

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 441.

(2) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص: 103.

3 - قرينة الربط:

يمثل التركيب مسرح الوظيفة ومرتعه؛ إذ تمثل الوظيفة الفائدة النحوية والدلالية والتداولية أساساً، وهذا المعتمد لدى اللسانيين في تحليلهم التراكيب اللغوية بالنظر إلى الأداءات التواصلية من منظور القواعد النحوية.

والربط قرينة لفظية وظيفية تركيبية تقوم على « اتصال أحد المترابطين بالآخر»⁽¹⁾، هذا الاتصال يشكل علاقة دلالية؛ إذ « المعنى كامنٌ في وعاء من الألفاظ، وأنّ المعنى هو سيد اللفظ، فاللفظ لا يخرج عن كونه خادماً للمعنى، أو مجرد وسيلة اتفق عليها أفراد الجماعة اللغوية للوصول إلى غايتهم من اللغة، وهي وضوح المعنى وأمن اللبس»⁽²⁾، وتبليغ المقاصد.

كما تعقد قرينة الربط بوظائف نحوية يعتمد عليها في الفهم والإفهام كما تُنشئ علاقات وتبرز أخرى مثل: « إبراز العلاقات السياقية بين المعاني فهي علاقات معنوية فالجملة تركيب يحفل بالتفاعل بين المعاني الجزئية .

غاية هذا التفاعل تكوين معنى دلالي واحد تُفيدة الجملة»⁽³⁾، ضمن هذا التفاعل تبرز الوظائف: النحوية والدلالية والتداولية، وتعيين نوعية الوظيفة داخل جملة أو بين جمل يكون بأنظمة ثلاثة هي: الارتباط والربط والانفصال⁽⁴⁾، تتضافر قرينة الربط، بقرينة الأداة ضمن نظرية تضافر القرائن، إلا أنّ من الباحثين من يرى أنّ الربط « يتميز عن سائر القرائن اللفظية بأن يُنشئ علاقة نحوية سياقية بين مكونات الجملة أو بين الجمل، وليس باستطاعة القرائن اللفظية الأخرى القيام بذلك»⁽⁵⁾، لكنّ الظاهر أنّ الربط لا يستغني عن الأداة والعلامة الإعرابية.

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 213.

(2) مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 157.

(3) نفسه، ص: 157.

(4) ينظر: نفسه، ص: 157.

(5) نفسه، ص: 158.

كما أنه جزء من علاقة الإسناد والترتبة ومن حالات الربط « أن يتم بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره ، وبين الحال وصاحبه ، وبين المنعوت ونعته ، وبين القسم وجوابه ، وبين الشرط وجوابه إلخ... »⁽¹⁾ ونذكر من هذه الحالات التركيبية مايلي:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ. »⁽²⁾

ويقول صلى الله عليه وسلم : « جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِذَا تَوَضَّأْتَ فَانْتَضِحْ. »⁽³⁾

ويقول صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَدَانَ سَبْعَ سِنِينَ مُحْتَسِبًا كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ. »⁽⁴⁾

تظهر وظيفية الربط من خلال العلاقات السياقية بين المكونات النحوية: فالعلاقة بين المبتدأ " الدُّعَاءُ " وخبره الجملة الفعلية "لَا يُرَدُّ"، علاقة ارتباط على سبيل الإسناد والوظيفة النحوية بين الخبر "لَا يُرَدُّ"، وشبه الجملة الظرفية "بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ" علاقة ارتباط على سبيل الظرفية الزمانية.

تظهر العلاقة النحوية بين الفعل والفاعل " جَاءَنِي " والفاعل "جِبْرِيلُ" ووظيفة فاعلية على سبيل الإسناد والمفعولية في الضمير الرابط بين الفعل والمفعول به في " جَاءَنِي "، والإعراب المحلي للضمير أفاد المفعولية بالإضافة إلى الرتبة المقيدة للمفعول به إذا كان ضميرا فيتقدم عن الفاعل.

كلّ الجملة الفعلية على علاقة ربط بجملة القول وهذه الأخيرة مرتبطة بجملة النداء ، والربط يتواصل بجملة الشرط " إذا": الأداة وجملة الشرط على علاقة نحوية دلالية بجملة جواب الشرط والربط بين الجملتين بالأداة "الفاء" جملة الشرط: " تَوَضَّأْتَ " والأداة "إذا"، جملة جواب الشرط: " فَانْتَضِحْ "، "الفاء": رابط على سبيل العلاقة السياقية الشرطية.

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 213.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 408.

(3) نفسه، ص: 139.

(4) نفسه، ص: 396.

الوظيفة النحوية بين الفعل ومتعلقه في الحديث الثالث: بين "أذن" و"مُحْتَسِبًا" وظيفة ارتباط على سبيل التفسير، ويمتد الارتباط إلى جملة مبنية للمجهول وهي جملة جواب الشرط "مَنْ أَدَّنَ"، "سَبَع": تمييز تفسير المدة، "مُحْتَسِبًا": بيان للحال، الجواب: "بِرَاءةٍ مِنَ النَّارِ".

تجلى الربط في عود الضمير في الفعل "تَوَضَّأَتْ" العائد على المنادى "مُحَمَّدُ" في الحديث الثاني، وعليه: فالربط قرينة نحوية تركيبية تقوم بوظائف متعلقات المكونات النحوية داخل الجملة أو بين عدة جمل، وهي قرينة ذات قيمة تداولية ونحوية ودلالية، وهي المعين في الكشف عن العلاقات السياقية ضمن التراكيب اللغوية.

4- قرينة التضام:

تكمن الوظيفة عامة في هذه القرينة في معنيين "التوارد" و"التلازم"، كما أوردها "تمام حسان"، أما التوارد فيمثل الوظيفة البلاغية للتضام، وهو «الطرق الممكنة في رصف جملة ما فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديمًا وتأخيرًا وفصلاً ووصلاً»⁽¹⁾، وهي وظيفة بلاغية ميدانها تحليل التركيب اللغوي من الناحية الجمالية.

أما التلازم فيمثل الوظيفة النحوية للتضام، وهو «أن يستلزم أحد العناصر التحليلين النحويين عنصراً آخرًا»⁽²⁾، ومعنى ثالث وهو ناتج عن التلازم وهو التناهي: وهو أن يتنافى أحد العناصر فلا يلتقي بالآخر.⁽³⁾

التضام هو استدعاء «الكلمة كلمة أخرى في السياق أو الاستعمال، أو هو إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى من معنى أيها»⁽⁴⁾، ويطلق عليه "قرينة" «الاستدعاء الوظيفي»⁽⁵⁾.

إنّ الوظيفة النحوية للتضام تظهر في حتمية ذكر أحد العناصر المتلازمين، وإن حذف واستتر فبقريئة دالة يُكشف، فالتضام حالة من «الأشياء المتلائمة معا ينبغي أن تكون معا، تفوق كل قواعد بناء الجملة (Syntax)

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 216.

(2) نفسه، ص: 217.

(3) ينظر، نفسه، ص: 217.

(4) فاضل الساقى: أقسام الكلم العربي، ص: 196.

(5) محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 2007، ص: 341.

الأخرى؛ إذ تكون الألفاظ متألّفة بطريق قريبا زمانا ومكانا، فتحقق حالة القرب في الزمان إذا كانت الرسالة شفهيّة وتحقق حالة القرب في المكان إذا كانت الرسالة مكتوبة.⁽¹⁾

هذا التلاؤم في التّركيب تقوم به المكوّنات النّحويّة إن تجاوزا أو تلازما فينتج عنه بروز للوظائف الدلالية: دلالة الزمان ودلالة المكان ومنه نذكر:

أ - تضام المنادى وحرف النداء:

يشكل التّضام وظيفة نحويّة تداوليّة دلاليّة إثر تآلف المكوّنات النّحويّة داخل تركيب كلامي، «إنّ الكلمة التي تأتي بعد حرف النداء لا تكون إلاّ اسما، والعلاقة بين حرف النداء والمنادى علاقة تضام.»⁽²⁾

ومثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ لَا تُؤَخَّرُهَا: الصَّلَاةُ إِذَا آتَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالْأَيْمُ إِذَا وَجَدَتْ لَهَا كُفْمًا.»⁽³⁾

تظهر علاقة التّضام في هذا التّركيب (جملة النداء) في الاستدعاء الوظيفي؛ إذ يستدعي حرف النداء المنادى، فالتركيب يفتقر فائدة ومعنى بذكر لازم دون لازمه، وإهمال الآخر وهذا «معناه أنّ اللفظ لا تتمّ به الفائدة؛ إذ لا يكون صالحا للورود بمفرده وإنما يحتاج إلى ضميمة تتمم معناه»⁽⁴⁾، فحرف النداء: "يا" استدعي وظيفيًّا المنادى "علي"، والقصد من الحديث النبوي الشريف: تنبيه المتلقي على عدم تأخير: الصلاة، والجنّازة وزواج الأيم.

(1) مصطفى حميدة: نظام الربط والارتباط، ص: 32.

(2) فاضل الساقى: أقسام الكلم العربي، ص: 196.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 335.

(4) أحمد خضير عباس علي: أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، 2010، ص: 246.

ب - تضام الاسم المضاف والمضاف إليه:

إنّ التّركيب في رصف وحداته النّحويّة يخضع للسياق ، وسياق الاسم المضاف أنّه يفتقر لمضاف إليه ليصلح التّركيب سياقيا انطلاقا من علاقة التّضام والتّلازم بين الاسم المضاف والمضاف إليه.

ومثاله قول الرّسول عليه وسلّم: « الْوَقْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَالْوَقْتُ الْآخِرُ عَفْوُ اللَّهِ. »⁽¹⁾

إنّ العلاقة التّلازميّة بين المتضاميين " رِضْوَانُ " : مضاف، " الله " : مضاف إليه، " عَفْوُ " : مضاف، " الله " :

مضاف إليه قد أصلحت التّركيب سياقيا دلاليًا بترادف متلازمين (مضاف ومضاف إليه) داخل التّركيب الإضافي، فالاسم المضاف « يتطلب مضافا إليه ولا تكون الإضافة المحضة إلا مع الأسماء ، والعلاقة بين المضاف والمضاف إليه الظاهر علاقة تضام، وفي استخدام التضام كعلاقة شكلية لتفريق بين الأقسام نلاحظ أن المضاف لا يكون من الضمائر »⁽²⁾، فالوظيفة النّحوية بين الوحدات المتلازمة هي وظيفة التّضام، وبها يستقيم التّركيب سياقيا ودلاليًا، وتداوليًا، والوظيفة النّحوية إذ تروم الاستدعاء الوظيفي داخل التّركيب في علاقاته السياقية والدلالية، ليستقيم التّركيب تداوليا بأنّ يحدث القصد والنفعة والفائدة أثناء استعماله.

ج - تضام الفعل والحروف:

استعمال الوحدات النّحويّة ضمن تراكيب من وحي المتكلم هو الذي يقدر مناسبة أفعاله المستعملة للحروف الملائمة، والفعل في التّراكيب الكلاميّة « يحتاج إلى ضمائم خاصة به، فهو التّضام مع (قد) و(سوف) و(لا) الناهية و(لم) و(لن). »⁽³⁾

مثاله قول الرّسول عليه وسلّم : «عن أبي هريرة قال: دخل أعرابي المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فصلّى، فلما فرغ

قال: "اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا."

فالتفت النبي عليه وسلّم فقال: «لَقَدْ تَحَجَّرَتْ وَأَسْعَا» ، فلم يلبث أن بَالَ في المسجد، فأسرع إليه الناس.

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص:

(2) فاضل الساقى: أقسام الكلم العربي، ص: 197.

(3) نفسه، ص: 197، 198.

فقال عليه وسلم: « أَهْرَيْقُوا عَلَيْهِ سَجَلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ دَلَوْا مِنْ مَاءٍ . »

ثم قال: « إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ. »⁽¹⁾

استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم للفعل: "تَحَجَّرَتْ" مع ضميمه: "لقد"، ردُّ على الأعرابيِّ حين دعى بالرحمة له وللرسول عليه وسلم ، والرحمة واسعة ، و"قد" تفيد التحقيق في معنى "تَحَجَّرَتْ": ضَيِّقَتْ، واستعمل ضميمة الفعل: "لم" في "تُبْعَثُوا" ردا على أصحابه لفعالهم لما قام به الأعرابي داخل المسجد، فالدين المعاملة وهو دين اليسر.

التضام قرينة نحوية ووظيفة نحوية لها أثرها الدلالي والسياقي الذي يكمن في الاستدعاء الوظيفي لأحد العنصرين المتلازمين، وهو موزع في تراكيب اللغة العربية، ولا يقتصر على تضام الوحدات النحوية مفردة، بل يشمل تضام الجمل كجملة الشرط وجملة جواب الشرط، وجملة الصلة وجملة صلة الموصول، وجملة القسم وجوابه، ولا يشترط التلازم ذكر العنصر الملازم، فقد يحذف ويدل عليه بقرينة نائية ، وهو في هذه الحالة يستدعي قرينة أخرى فتتضافر معه في بيان القصد وإحداث الفائدة من التركيب الكلامي.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 300.

5- قرينة الأداة:

تؤدي الأداة وظيفتين إحداهما نحوية والأخرى دلالية، أما الأولى تتجسد حين الربط بين متلازمين بأداة، وأما الثانية حين الدلالة على معنى في غيرها، والأداة « كلمة تستعمل للربط بين الكلام أو الدلالة على معنى في غيرها »⁽¹⁾، والأداة لا تدلّ على معنى في نفسها، فهي تستدعي وظيفيًا لازمها للدلالة والفائدة، تكمن وظيفية الأداة في نوعيها:

أ - الأدوات الداخلة على الجمل:

هي أدوات أسلوبية رتبها عموماً الصدارة ومنها: أدوات الجمل النواسخ، وأدوات التفي والتأكيد والاستفهام والنهي والترجي والعرض والتحضيض والشرط، والتعجب والنداء.⁽²⁾

ومثالها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ. »⁽³⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بِيُولٍ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا. »⁽⁴⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ. »⁽⁵⁾

تتجلى وظيفية الأدوات في: الأثر الذي أحدثه في التركيب، والقصد الذي يرومه المتكلم منها، فالرسول صلى الله عليه وسلم نفى الوضوء لعدم ذكر الله، و" لا " الأداة النافية للجنس، ومنه يفهم أنّ أوّل الوضوء: البسمة أو ذكر اسم الله.

نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن استقبال القبلة لا بغائط ولا ببول، كما نفى عن استدبارها، لقصد شرف القبلة وقيمته الدينية وأنها اتجاه للصلاة والعبادة، فلا تستقبل بذاك ولا تستدبر، وأفاد الناسخ " إن " التوكيد وفحواه أنّ

(1) مصطفى النحاس: دراسات في الأدوات النحوية، شركة الربيعان، الكويت، الطبعة الأولى، 1979، ص: 11.

(2) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 224، 225.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 114.

(4) نفسه، ص: 95.

(5) نفسه، ص: 158.

الماء ظهور لا ينحس إلا بأحكام، فالنفي والنهي والنسخ أدوات تحتاج لضمائم لتحقيق الوظيفة النحوية؛ إذ ارتبط النفي بالاسم الذي بعده، وارتبط النهي بالفعل الذي بعده وارتبط النسخ باسمه.

تكمن الوظيفة الثانية في دلالة الأدوات على معنى في غيرها، فدّل النفي بـ: "لا" النافية عن الجنس حين ارتبط باسم وهو اسمها ودلّ النفي بـ: "لا" النافية حين ارتبط بفعل، ودلّ النسخ عن التوكيد حين ارتبط ومنسوخه، ومنه « لكل أداة من هذه الأدوات ضمامها الخاصة، فهي تتطلب بعدها شيئاً بعينه فتكون قرينة متعددة جوانب الدلالة، حيث تدل بمعناها الوظيفي وموقعها وبتضامنها مع الكلمات الأخرى، وبما قد يكون متفقاً مع وجودها مع علامات إعرابية على ضمامها». ⁽¹⁾

ب - الأدوات الداخلة على المفردات:

هي أدوات تركيبية رتبها التقدم دائماً، ومنها: حروف الجر والعطف والاستثناء والمعية والتنفيس والتحقيق والتعجب والتقليل والابتداء والنواصب والجوازم وهذه الأدوات أيضاً ضمامها الخاصة، فوظيفتها النحوية تكمن في المكون النحوي الذي تتطلبه. ⁽²⁾

مثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الصُّبْحِ رُكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الصُّبْحَ، وَمَنْ أَدْرَكَ مِنَ الْعَصْرِ رُكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْعَصْرَ. » ⁽³⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لَا تُشَوِّنَنَّ فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ. » ⁽⁴⁾

إنّ الوظيفة التي تُؤدبها الأدوات في المفردات تمتد لإنشاء علاقة سياقية؛ إذ تفتقر الأداة لدلالاتها خارج سياق التركيب الكلامي، فتتضافر الحروف والأدوات الداخلة على الجمل وعلى المفردات لأداء الوظيفة النحوية والدلالية معا مؤثرة بذلك على سياق التركيب حسب قصد المتكلم.

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 225.

(2) ينظر: نفسه، ص: 225.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 362.

(4) نفسه، ص: 380.

دلت الأداة "أن" على النصب نحوياً في الفعل المضارع "تطلع"، ودلت دلالياً هي والفعل على مصدر مؤول حل محل المضاف إليه، والعطف بالأداة "و" بين الجملتين يجعلها تأخذ الإعراب نفسه، فكانت الدلالة في الأداة "أن تطلع" على إدراك صلاة الصبح، والدلالة في "أن تغرب" على إدراك صلاة العصر.

أما الحديث الثاني فنلمح تضافاً بين الأداة الداخلة على الجمل، وهي: "لا" الناهية على الفعل "تُشَوِّبَنَّ"، فقد نهي الرسول ﷺ عن التثاؤب ثم استثنى التثاؤب في صلاة الفجر، فدل ذلك النهي والاستثناء عن قصد الرسول ﷺ والمستثنى عبّر عنه بحرف جر واسم مجرور "في صلاة"، فنلاحظ وظيفة النهي، والاستثناء والجر في تضافر ضمن تركيب بوظيفتين نحوية ودلالية لتحقيق القصد.

الأداة بصبغتها الوظيفية النحوية تؤثر في المعنى التركيبي وتوجهه بحسب مقاصد المتكلمين وكيفية استعمالها ضمن تركيب لغوي نحو متلقين.

يشكل النفي حيزاً دلالياً داخل التركيب الذي يختلف باختلاف نمط العنصر الذي تنصب عليه الأداة النافية، يمكن أن ينصب النفي بوجه عام على أحد عناصر الجملة التالية: الحمل بكامله، أو أحد مكونات الحمل (محموله أو أحد موضوعاته) أو أحد لواحقه، أو القوة الإنجازية المواكبة للحمل، أو جهة الحمل.⁽¹⁾

حين يُنفي الحمل كله مثل قول الرسول ﷺ في الحديث الأول، وحين ينفي أحد مكوناته مثل قوله عليه وسلم في الحديث الثاني، وحين تنفي القوة الإنجازية المواكبة للحمل مثل قوله عليه وسلم في الحديث الثالث، وتتضافر قرينة الأداة في هذا مع قرينة التنغيم:

- لا وضوء ← نفي الحمل بكامله، نفي جهة الحمل.

- لا تستقبلوا ← نفي مكونات الحمل: القبلة تكون للعبادة، ولا تكون لقضاء الحاجة.

- لا يُنجسُهُ ← نفي قوة إنجازية مواكبة للحمل: "الماء".

(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية - مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية - منشورات عكاظ، الرباط، 1993، ص: 92.

المقصود بنفي الجهة للحمل " « الموقف الذي يتخذه المتكلم إزاء الواقعة التي يدل عليها الحمل »⁽¹⁾ ، وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم إزاء واقعة عدم تسمية أو ذكر اسم الله في الوضوء موقف الرفض، لعدم صحة الوضوء بدون ذكر اسم الله.

6- قرينة الصيغة:

يُوصف التّركيب النّحوي بصيغته فهي مقياسه ووزنه على معاني التّركيب في الواقعة الدال عليها المحمول، وبما أن الصّيغة قرينة نحويّة فهي تحمل وظيفة دلاليّة وأخرى تداوليّة؛ إذ اختلاف الصّيغ داخل التّركيب سبيل للمتلقّي، ليعلم نية المتكلم من استعمال صيغ دون غيرها.

عناصر التّركيب الكلامي تتوالى رصفاً، قياساً بقرينة الصّيغة وحسب السّياق الواردة فيه، وما تحمله من معلومات؛ إذ يرتبها المتكلم بناءً على حالة المتلقّي، وبناءً على أثر قرينة الصّيغة في إنجاح إيصال القصد والإفادة، ذلك أن « إنتاج الخطاب ينطلق من القصد إلى النطق مروراً بالصياغة الصرفيّة - التّركيبية، وكأنّ تأويله يتّخذ الاتجاه المعكوس حيث الانطلاق من المنطوق فتفكيك الصّيغة، ثمّ الوصول إلى القصد فيتوقع من كلّ نظرية وظيفيّة أن تصوغ جهازاً واصفاً متكاملًا يفي برصد عمليّتي الإنتاج والتأويل معا.»⁽²⁾

القرينة الدّالة على القصد هي قرينة الصّيغة، لأنّ المتكلم هو من يختار صيغة تراكيبه لتفي له بغرضه، ومسرح الوظيفيّة للصيغة بنية التّركيب الكلامي، فهي قرينة نحويّة كاشفة للمعاني والمقاصد ضمن تركيب أختيرت عناصره النّحوية عن عمد.

تُعرّف الصّيغة بأنّها « القلب الذي تصاغ الكلمات على قياسه »⁽³⁾، والمكونات النّحوية لها علاقة: صرفية وأخرى معجميّة وثالثة سياقيّة، والصّيغة « مصدر اشتقاق الجملة حسب النّحو الوظيفيّ "إطار حملي" يمثل المعلومات الآتية: المحمول ومقولته التّركيبية وعدد محلات موضوعات المحمول، وقيود الانتقاء التي تخضع لها

(1) أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية - مقاربات وظيفية لبعض قضايا التّركيب في اللغة العربية - ص: 96.

(2) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 42.

(3) فاضل السّاقى: أقسام الكلم العربي، ص: 148.

الموضوعات الوظائف "الأدوار" الدلالية التي يأخذها كل موضوع [...] والأطر الحملية صنفان: أطر حملية "أصول" تتضمن المحمولات غير المشتقة من محمولات أخرى، وأطر حملية "مشتقة".⁽¹⁾

إنّ الوظيفة النحوية لقريئة الصيغة تلغي المعنى المعجمي للمكوّن النحوي إذا ما حل سياقاً داخل تركيب ، والصيغ الصرفية مكونات نحوية لا تكفي لإزالة اللبس فوجب تضافها مع قرائن أخرى: كالرتبة والأداة والعلامة الإعرابية للوصول إلى القصد المراد من التركيب.

ونذكر من أمثلتها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ. »⁽²⁾

دلّت صيغة الفعل المبني للمجهول على أنّ المكوّن النحويّ الذي بعده هو نائب فاعل، والإطار الحملي للفعل المبني للمجهول يُصنّف ضمن الأطر الحملية المشتقة، وقد مثلت صيغة الفعل المبني للمجهول حملاً للتركيب فالصلاة غير مقبولة لانتفاء شرط الطهور، ولا الصدقة تقبل من غل.

ويبرز تضافر الصيغة مع قريئة الأداة والعلامة الإعرابية، في إعراب الفعل المبني للمجهول والأداة حرف الجر، لأنّ بعد حرف الجر صيغة يرد اسماً ومثاله من: حرف جر، غلول: اسم مجرور، ولأنّ الجر من صيغ الأسماء ومختص به.

الصيغة قريئة وظيفية نحوياً ودلالياً؛ إذ تدلّ وتحدد نوع الأداة المصاحبة لها داخل التركيب ، ومثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلِ الْأَصَابِعَ. »⁽³⁾

صيغة التركيب حددت نوع الأداة " إذا " فهي موصولة بفعل فدلّت على الشرطية ، وإن كانت موصولة باسم تأخذ دلالة أخرى.

(1) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية، ص: 120.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 86.

(3) نفسه، ص: 127.

ينطبق هذا على أنواع التراكيب في اللغة العربية: فالصيغة الصرفية تُنبئ عن علاقاتها السياقية، ومنه تتحدد وظيفية الصيغة النحوية ودلالاتها بأن لها أثر نحوي⁽¹⁾، يتمثل في علاقاتها السياقية فالمطلوب أن يكون الحال صفة مشتقة، وأن يكون التمييز اسم نكرة جامد.

ومثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَدَّنَ سَبْعَ سِنِينَ مُحْتَسِبًا، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ. »⁽²⁾

التمييز "سبع": اسم نكرة منصوب جامد يُفسر إهاما، فقد فسر مدة الآذان، والحال "مُحتسباً": صفة مشتقة من الفعل: يحتسب منصوب دلت على هيئة المؤذن.

الصيغة من القرائن النحوية التي بها يُكشف المعنى، وتهدى المتلقي لبلوغ القصد، كما تُعين المتكلم في تحصيل الإفهام.

⁽¹⁾ ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 210، 211.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 396.

7- قرينة التنعيم:

الوظيفة النحوية التي تؤديها قرينة التنعيم هي: تحديد أصناف الجمل إلى أنماط تركيبية أسلوبية، وهي بذلك الفيصل في تحديد مراد المتكلم إن متعجبا أو مستفهما أو مؤكدا... فالتنعيم «منحى نغمي خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي، كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي»⁽¹⁾

تشكل قرينة التنعيم شكلا صوتيا ضمن الجملة في علاقة سياقية مُشكّلة هيكلًا تنغيميا، «فالهيكلي التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهنّ يختلفن من حيث التنعيم عن الجملة المؤكدة، فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة، فأؤها وعينها ولامها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض»⁽²⁾

التنعيم صنفان «تنعيم يصاحب الوسائل الصرفية والتركيبية في الانعكاس البنيوي دعما لها، وتنعيم يكفل وحده تحقيق سمة من السمات التحتيّة العلاقيّة أو التمثيليّة»⁽³⁾

التنعيم المصاحب هو المختص بنغمة المكوّن النحوي وحده. أمّا التنعيم التمثيلي العلائقي فهو الذي يختص بنغمة تركيب بكامله، ومنه يتحدد نوعه: نداء، أو استفهام، أو تعجب، أو أمر...

قد تكون قرينة التنعيم ملاذا يلجأ إليه المتكلم لبيان وظيفتين نوع التركيب نحويا، ودلالة المتكلم جراء تنعيم التركيب، وهي وظيفة أسلوبية سياقية، فالتكلم يث أحاسيسه وانفعالاته إن: حزنا أو فرحا أو كرها، اندهشا أو غضبا...

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 226.

(2) نفسه، ص: 226.

(3) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، ص: 99.

التنغيم أنواع ثلاثة:

أ - نعمة صاعدة:

مسرحها الأمر والترغيب والتعجب والإثارة والغربة والإهانة...

ومثالها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَأُتَسَنَّجُوا بِالرَّوْثِ، وَلَا بِالْعِظَامِ فَإِنَّهُ زَادَ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْجِنَّ.»⁽¹⁾

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ.»⁽²⁾

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»، فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ.» وفي رواية: «فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ ثَلَاثًا.»⁽³⁾

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْوَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ.»⁽⁴⁾

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا.»⁽⁵⁾

يتعلق التنغيم بحالة المتكلم ولهذا وجب متابعة «صوت المتكلم في التغيرات الطارئة عليه أصواتها بما يلائم توقعات النفس الإنسانية للتعبير عن الحالات الشعورية»⁽⁶⁾؛ إذ يُكوّن التنغيم وظيفة نحوية دالة على مقاصد وأهداف دلالية تداولية.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 107.

⁽²⁾ نفسه، ص: 111.

⁽³⁾ نفسه، ص: 140.

⁽⁴⁾ نفسه، ص: 150.

⁽⁵⁾ نفسه، ص: 166.

⁽⁶⁾ محمد حسين الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000، ص: 27.

قصد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديث الأول: النهي، فنعمة النهي مصحوبة بالأمر دلت على أن الاستنجاء لا يصح بالروث ولا بالعظام لأنّه زاد الإخوان من الجن، وورد التنغيم في الحديث الثاني بغرض الترغيب بالتطّيب عند كل صلاة رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أبدى شفقتة على أمته إلا أنه لا يمنع ذلك .

أدى التنغيم وظيفته العرض بالأداة "ألا" إلى الترغيب والجذب نحو الحسنات وبهم تمحى الخطايا ، والرسول صلى الله عليه وسلم جعل هذه الأسباب في تركيب مشوّق حتى يهجم الصحابة على فائدته: فإسباغ الوضوء وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، رفعٌ للدرجات ورباط للإيمان والتّعبد، ويظهر التنغيم في الحديث الأخير ممثلاً بالأمر، حين حدّر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين من شيطان الماء، وهو: "الولهان" تجنباً للوسواس، كما نراه يدعو بفعل الأمر في تركيب منعّم إلى الاستفادة من الأنعام "الإبل" خاصة: ألبانها وأبوالها لما فيها من شفاء.

التنغيم يأخذ مجرى معين جراه تحديده لنوعيّة التركيب ، ومنه تظهر الحالة الشعوريّة للمتكلّم، فيبين القصد والمعنى المرجو منه، ويتصاعد التنغيم في هذه الأنواع من التراكيب حسب حالة المتكلّم والموقف الاجتماعي.

ب - نعمة هابطة:

مسرحتها التمني والتهكم وإظهار الأسف والحزن والندم، وينخفض الصوت فيها من أعلى إلى أسفل. ومنها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا لَأَسْتَهَمُوا عَلَيْهِ. »⁽¹⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَا هَذَا فَكَأَن لَأُيَسْتَرَّ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَا هَذَا فَكَأَن يَمَشِي بِالنَّمِيمَةِ. »⁽²⁾

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 424.

⁽²⁾ نفسه، ص: 163.

وقوله عليه وسلم: « تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقَرَّ أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. »⁽¹⁾

إنّ الأثر الدلالي الذي أحدثه قرينة التنغيم يكمن في الاهتداء إلى قصد المتكلم، ويتغير مستوى التنغيم، بتغير معنى التركيب وبه يتغير القصد منه.

التنغيم موجه دلالي ومحدد نحوي، وكاشف تداولي، والرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ يستعمل التنغيم بتركيب التمني في الحديث الأول باستخدام الأداة " لو " في إدراك الأجر والثواب الكبيرين في نداء الصلاة، وأدائها في الصف الأول، ويُعبّر عن عظمة هذا الثواب في أنهم لو علموا به لاستهوا عليه، « فالتنغيم قرينة صوتية كاشفة عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير التحويلي الدلالي. »⁽²⁾

يُبدى الرسول صلى الله عليه وسلم أسفه وحزنه على اللذين وقف بقبرهما؛ إذ قال أهما يعذبان، ومحلّ الحزن والأسف أهما لا يعذبان في ذنب كبير، فالاستهزاء بالذنب مهما صغر يُحاسب عليه الناس، أحدهما: لا يستتر من بوله، وهذه دعوة إلى عدم الاستهزاء بصغر الذنب، والآخر يمشي بالنميمة، فالمؤمن مستور وساتر، ولا يُحدث الناس بالسوء ولا مشاء بنميم.

التنغيم أظهر تركيب التمني بقصد التوبة، وغرض الإعراض عن صغائر الذنوب، فحددا حالة الرسول صلى الله عليه وسلم الحزن والأسف.

يمكن للتنغيم كما سبق أن يُعبّر على أكثر من حالة نفسية،

تجدر الإشارة إلى أن التنغيم في التراكيب الكلامية يصعب تحديده، ففي هذه الأحاديث يمكن أن تكون بنغمة هابطة والصوت فيها ينخفض من أعلى إلى أسفل فيؤدي بذلك مقاصد جمّة يعسر تحديدها.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 320.

⁽²⁾ محمد حماسة عبد اللطيف: النحو و الدلالة، ص: 150.

ج- نعمة مستوية:

مسرحها الخبر والتقدير، النصح والإرشاد والنداء المحض⁽¹⁾، منها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ».⁽²⁾

ويقول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْوُضُوءَ لَا يَجِبُ إِلَّا عَلَى مَنْ نَامَ مُضْطَجِعًا، فَإِنَّهُ إِذَا اضْطَجَعَ اسْتَرَحَّتْ مَفَاصِلُهُ».⁽³⁾

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ».⁽⁴⁾

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي يُمَيِّنُونَ الصَّلَاةَ، فَصَلِّ الصَّلَاةَ لَوْفَتِهَا فَإِنَّ صَلَاتِكَ

لَوْفَتِهَا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً، وَإِلَّا كُنْتَ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ».⁽⁵⁾

يُعَدُّ التَّنْغِيمُ ضَمِيمَةً مُوسِيقِيَّةً صَوْتِيَّةً، وبه «يَحْتَفِظُ النَّصُّ بِدَلَالَةِ النَّعْمَةِ وَبِالْمَوْقِفِ الْاجْتِمَاعِيِّ»⁽⁶⁾، ويبرز

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديث الأول - بدلالة التنعيم - موقف المقرر بأنَّ الوضوء مفتاح الصلاة.

يُخْبِرُ وَيَقْرُرُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم، فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي أَنْ لِلْمُؤْمِنِ رِخْصَةً التَّيْمِمِ بِالصَّعِيدِ الطَّيِّبِ، إِذَا غَابَ الْمَاءُ

وهو شرطه، ونلمح إلى جانب الإخبار والتقدير، نصحا وإرشادا مصاحبا ببدء في الحديث الثالث فالرسول

صلى الله عليه وسلم يخاطب "أبا ذر" فيناديه: "يا أبا ذر"، ثم تلى التركيب تباعا بمعاني المحافظة على الصلاة، وأن تؤدي

لوقتها، حتى وإن قضيت صلاتك فصلي مع الجماعة فتُحَسَّبُ لَكَ نَافِلَةٌ، وهو نداء خاص في عِلْمِيَّتِهِ لِأَبِي ذَرٍّ،

لكن في عمومته لمعشر المؤمنين، وقصد الرسول صلى الله عليه وسلم من تخصيص النداء عموم فحواه على الناس.

(1) ينظر: حيدر جاسم جابر: القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية، رسالة دكتوراه، ص: 101.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 169.

(3) نفسه، ص: 170.

(4) نفسه، ص: 249.

(5) نفسه، ص: 345.

(6) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 227.

وظيفة التنعيم أمنت اللبس وأوضحت المعنى وحددت نوعية التركيب المستعمل، وأظهرت القصد، ويستوي التنعيم عادة في هذه الأنواع من التراكيب بالنظر لنفسية المتكلم ومقتضيات الأسلوب.

ومنه نخلص إلى أن الوظائف النحوية:

- تتمثل في وظيفة الفاعلية والمفعولية على وجه الخصوص، أما على وجه العموم فكل مكون نحوي منوط بوظيفة فالتمييز مثلا وظيفته التفسير وبيان الإبهام والغموض، والحال وظيفته بيان هيئة صاحب الحال.
- الوظائف النحوية تُنشئ علاقات سياقية دلالية تداولية وتعقد تضافرا مع الوظائف الدلالية والوظائف التداولية.
- لا يمكن للمنهج الوظيفي أن يستغني عن الوظائف النحوية فيها يُكشف عن دلالة التركيب ومقاصده.
- الوظائف النحوية تُحدد الفائدة من الجملة، وهي النظام الذي به يتم معناها.
- العلاقة بين الوظائف النحوية والدلالية والتداولية علاقة تأثير وتأثر.
- مسرح الوظائف النحوية: القرائن اللغوية اللفظية منها والمعنوية.
- تمثل كل قرينة وظيفة نحوية، ويمكن أن تتضافر هذه الوظائف النحوية إسناد، وتخصيص، و تبعية وعلامة إعرابية، ورتبة، وتنعيم، وتضام، وصيغة لخدمة التركيب من جانبيين: الدلالي والتداولي.
- تقوم الوظائف النحوية بما يُسمى بالاستدعاء الوظيفي؛ إذ تستدعي المكونات النحوية وظيفيا مكونات نحوية أخرى يقتضيهما التركيب: لإتمام دلالة التركيب و نفعيته.
- تُعدّ الوظائف النحوية نظاما في استواء واستقامة التركيب دلاليًا وتداوليًا.
- تُؤثر وتتأثر الوظائف النحوية بنوعية التركيب وقصد المتكلم، وتوجه التركيب الوجهة التي يرتضيها المتكلم نحو متلقيه.

- إن الوظيفة بطابعها النحوي هي « المعنى المحصل من استخدام الألفاظ أو الصورة الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي. »⁽¹⁾

- تُستخدم الوظائف النحوية مكوناتها النحوية في مجالين: مجال الصياغة ، وتهتم بصوغ القصد من الخطاب وفحواه وذلك بصوغ الخصائص التداولية والدلالية، ومجال التعبير: بتطبيق قواعد صرفية - تركيبية وقواعد صوتية.⁽²⁾

⁽¹⁾ فاضل الساقى: أقسام الكلام العربي، ص: 203.

⁽²⁾ ينظر: أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، ص: 62.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: الوظائف الدلالية في تراكيب الحديث النبوي الشريف:

- 1 - الدلالة الوظيفية.
- 2 - الوظيفة الدلالية والسياق.
- 3 - علاقات الوظائف الدلالية.
- 4 - الوظائف الدلالية: الدور والمستوى.
- 5 - مكونات الوظائف الدلالية: تمثيل وتطبيق.
- 6 - تصور "راي جاكندوف" للوظائف الدلالية.
- 7 - تصور "أحمد المتوكل" للوظائف الدلالية.
- 8 - أنماط الجمل والوظائف الدلالية.

توطئة:

تعدُّ الدلالة علمًا من علوم اللغة، الذي يُخضع التركيب لدراسة علمية في معناه، فهو يُحلل التركيب من نواحي عدّة من الناحية النحوية، والناحية التداولية، والوظيفية، فالتركيب الكلامي محمّل بالمقاصد ونوايا المتكلم ولا سبيل لاستيعابها إلاّ بعلم الدلالة، ومنه تظهر العلاقة بين الدلالة والتركيب الكلامي علاقة تكاملية، إنّ هذا التضافر بين التركيب والدلالة تضافر وظيفي، فخلو التركيب من الدلالة يؤدّي إلى خلوه مقصدًا وتداوليًا، وبالتالي انعدامه تواصلًا، ومنه الدلالة هي أساس بناء التركيب.

إنّ الغاية من علم الدلالة وظيفيًا - أي علاقتها بالاستعمال - هي الفهم والإفهام وتحقيق القصد في ذهن المتلقي، وهو جوهر الوظيفة التي تركز على القصد والمراد من التركيب، فالتركيب الناجح دلاليًا صفة في الكلام تُحدث حين يدرك المتلقي قصد المتكلم.

3-1- الدلالة الوظيفية:

المقصود بالدلالة الوظيفية ذاك التداخل بين الدلالة والتداولية النفعيّة في حيّز الاستعمال للتراكيب الكلامية، وهذا ما يسمى بـ: "التداولية الدلالية"، التي تُخضع التركيب لتحليل الدلالي والتداولي، فيكون «تحليل الدلالة الخطائية دلاليًا وتداوليًا، فالدلالية تركب مجموع القواعد المنشئة للدلالة والمفسّرة لها في حين أنّ التداولية تشمل مجموع القواعد التي تجعلنا في حالة تواصل بطريقة مناسبة ومرضية»⁽¹⁾

لئن كان التداخل بين علمي الدلالة والتداولية قاسمًا مشتركًا للتركيب الكلامي، فإنّ الوظيفية تقتضي اختلافًا بينهما: وهو: أنّ الدلالة تدرس المعنى وتنظر في كيفية تركيبه وقواعده المنشئة له، والتداولية تدرس كيفيات وضع هذه الدلالة المنشئة في تركيب كلامي لإخراجه للاستعمال والتواصل، لما يراه المتكلم مناسبًا لمتلق.

ويُستتبع القول بالتداخل بين علم الدلالة والمدرسة التوليدية عند "تشومسكي" القول بعلاقة وظيفية بينهما وبين النحو، بصفة أنّ الدلالة أساسًا تطورت حين ظهرت المدرسة التحويلية التوليدية؛ إذ الدلالة دعامة للمنهج التوليدي، والنحو دعامة للمنهج التحويلي. وهذا أساس المنهج الوظيفي التداولي، إذ يجعل التركيب قابلاً للتواصل.

(1) صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص: 26.

إنّ اقتران الدلالة بالتحو شرط ضروري في الوظيفة الدلالية، بمعنى أنّ التراكيب الكلامي دون هذا التضافر -تضافر الوظائف الدلالية والنحوية- يفقد كلّ القيم التواصلية ضمن حيّز الاستعمال، بل إن انتفاء هذه العلاقة يجعل التركيب غير قابل للتواصل، وهذا الربط بين الوظائف الدلالية والتحوية نجده عند- تشومسكي- إذ يقوم منهجه على مزج التركيب (النحو) بالمعنى (الدلالة)، ثمّ تطور هذا التضافر مع "كاتس وفودور"- حين ركزا على الاقتران المعجمي أو المصاحبة المعجمية مع الدلالة (المعنى)، فحسبهما هي السبيل لتفسير معنى الجملة.⁽¹⁾

وظيفيًا لا غنى للدلالة عن التحو، ولا غنى للتحو عن الدلالة، فهذه العلاقة الوظيفية هي التي تمنح التركيب الكلامي مقبوليته وصلاحيته التواصلية التداولية.

إنّ الدلالة هي أساس بناء التركيب اللغوي، والنحو وسيلته لتحويل تركيب المعنى إلى تركيب سطحي، ويتمثل هذا الأساس في نظرية العامل والربط وهي مُشكلة من ثلاثة أبنية: «البنية العميقة والبنية "س" والبنية السطحية، تضم البنية العميقة قواعد الأساس والثبنا، وقواعد الأساس تهتم بالمقولات التحوية وتوزيعها، أمّا الثبنا فتضم البنية الدلالية التي تشمل المحمول والموضوع أو الموضوعات الأساسية التي يتطلبها المحمول، أمّا البنية "س" فتضم قواعد الإسقاط الموسع والحالة وحرك، وتضم البنية السطحية البنية المنطقية والبنية الصوتية»⁽²⁾، ووظيفة هذه البيانات في تضافر دلاليّ نحويّ.

الدلالة في حركة تطورها دلالة معجمية ثمّ مُزجت بدلالة الجملة ثمّ دلالة التركيب دليل على وظيفية الدلالة تداوليًا؛ فقد أصبحت تعني بصلاحيّة التركيب استعمالًا وتواصلًا، وهذا مُثبت في نظرياتها، ولاسيما نظرية الحقول الدلالية والنظرية السياقية.

ترتبط الدلالة بعلم التخاطب، فتعنى هي بالمعنى ويعنى هو بالاستعمال ويذكر هنا جهود علماء الأصول في تحليل الخطاب الشرعي دلاليًا، فقد فرقوا بين «علم الوضع، والاستعمال، فكل من الوضع والدلالة يدرس المعنى بمعزل عن السياق، وكل من الاستعمال والتخاطب يدرس اللغة في سياقها الفعلية»⁽³⁾.

ويُميّز بين حقول علم العلامات، وهي ثلاثة:

(1) ينظر: صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والتحو، توزيع مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ص: 05، 06.

(2) نفسه، الدلالة والتحو، ص: 06.

(3) محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004، ص: 14.

- النحو: علم يدرس العلاقات بين العلامات اللغوية.

- الدلالة: علم يدرس علاقتها بالأشياء.

- التخاطب: علم يدرس العلامات بمفسريها.⁽¹⁾

يكمن الفرق بين علم الدلالة وعلم التخاطب - إذا أسقطنا علم التخاطب على التداولية - في « الفرق بين الجملة والمقولة، وهو فرق ناشئ عن التمييز بين اللغة والكلام، فبينما تنتمي الجملة (التي هي كيانات لغوية مجردة) إلى اللغة تنتمي المقولات (التي هي تجليات فعلية وتحققات وتجسّدت عملية للجمل إلى الكلام، ولعل من نافلة القول هنا: أن نُشير إلى أنّ معاني الجمل هي موضوع علم الدلالة، في حين أنّ معاني المقولات هي موضوع علم التخاطب.»⁽²⁾

يتضح ارتباط علم الدلالة والتداولية، فالدلالة تشمل حيزين:

حيز: معاني التراكيب الكلامية، وحيز: استعمال وتجسيد وتحلي فعلي عملي للتراكيب الكلامية، وهذا وثاق وظيفي وصلبي بين علم الدلالة ومقاصد المتكلم، فالتركيب ذو حيزين حيز معاني وحيز استعمال وتجسيد، وهذه قدرة لغوية يُخرُج بها المتكلم تراكيبه نحو متلقين.

إنّ الفائدة من التّصاغر الوظيفي القائم بين: الدلالة، والنحو والتداولية هي « معرفة كيفية حصول التّفاهم بين المتخاطبين، وتشمل مسأله كلّ العناصر التي تُسهّم في إحداث التخاطب من وضع واستعمال وقرائن، وأنواع الدلالة المختلفة، والنّظريات الدلالية ذات الصّلة بالاستعمال والسيّاق، أمّا مبادئه فهي قضايا اللغة المختلفة التي تبحث في فقه اللغة والصرف والنحو والبلاغة واللّسانيات وتحليل الخطاب والتّص، وعلم الأصول وعلم التّفسير، وعلم الحديث والمنطق والفلسفة.»⁽³⁾

(1) ينظر: محمد محمد علي يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص: 13، 14.

(2) نفسه، ص: 14.

(3) محمد محمد علي يونس: علم التخاطب الإسلامي - دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص - دار المدار الإسلامي، 2006، إفريقيا، الطبعة الأولى، 2006، ص: 08.

لقد أثمر هذا التلاحق الوظيفي بين الدلالة والنحو والتداولية عن وظيفية الدلالة، بما يُسمى بالوظائف الدلالية، وهو نتاج المنهج الوظيفي ضمن النحو الوظيفي، وندرجها بمفهوم الكفاية، وهي ثلاث كفايات مترابطة متكاملة:

أولاً: الكفاية التداولية:

علاقتها بالوظائف الدلالية حين استعمال التراكيب، باستكشاف العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، وعلاقة هذه الخصائص بالقواعد التي تحكم التواصل اللغوي، فهي ليست منعزلة بل إنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق تحدده العبارات السابقة، وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب.

ثانياً: الكفاية النفسية:

هذه ترتبط بالوظائف الدلالية بثنائية الإنتاج والفهم، فهي نماذج إنتاج ونماذج فهم، تُعنى الأولى بكيفية بناء المتكلم التراكيب والعبارات اللغوية ونطقها، وتُعنى الثانية بتحديد طرائق تحليل المخاطب للتراكيب اللغوية وتأويلها.

ثالثاً: الكفاية التمطية:

ترتبط بتطور الوظائف الدلالية، فلا تكون ذات نفع إلا إذا أطرقتها مجموعة من الفرضيات النظرية، ولا تكون النظرية اللسانية ذات جدوى إلا إذا كشفت عن مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النطاق⁽¹⁾، كخدمة نظرية الأفعال الكلامية للوظائف الدلالية.

يُشكل النحو الوظيفي مع علم الدلالة « قدرة تواصلية تضم إلى جانب الملكة اللغوية ملكات أخرى معرفية (أو مفهومية) واجتماعية ونطقية وإدراكية (حسية) ، يرمي إلى تحقيق هدف أسمى هو صوغ نموذج لمستعمل اللغة، تتعدد قوابله وتختلف بتعدد واختلاف الملكات المكونة للقدرة التواصلية.»⁽²⁾

(1) ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 66، 67، 68.

(2) نفسه، ص: 66.

في حين أنّ هدف الدلالة الوظيفي هو مزج المعاني لدى التراكيب في قوالب صالحة للاستعمال التواصلي مراعية في ذلك لمقاصد المتكلمين وحالة المتلقين؛ لأنّ التراكيب الكلامية تُصاغ من القصد إلى النطق فالفهم والتأويل. وجب إيراد علاقة الوظائف الدلالية بالسياق، وهو حالة التراكيب الكلامية أثناء استعماله في موقف أو مقام سواء كان ظرفياً أم فعلياً أم وجودياً أم مرجعياً⁽¹⁾، فالسياق والدلالة تشكيل لهوية المتخاطبين ولحيطهم المادي، والمكاني، والزمني، الذي تجرى فيه الأحاديث، إنّ هذه العلاقة تجسّد للوظائف الدلالية من وظيفة: المكان، والزمان، والحالة، وهو موضوع الدلالة الوظيفي.

3-1-2 - الوظيفة الدلالية والسياق:

تحدد الوظيفة الدلالية من نوع السياق الذي ترد فيه :

أ - السياق المقامي⁽²⁾:

له بعد دلاليّ تركيبّي ويتّصل بالأحوال المنعكسة في الصياغة اللغوية، ويشكل تأثيراً في التركيب اللغويّ فينتج بموجبه مؤدياً عملاً لغويّاً، ومن أمثله مقام التأكيد ومقام الحذف ومقام الإثبات.

ب - السياق الحالي⁽³⁾:

الحال وظيفة من الوظائف الدلالية، وهو سياق ضمن تركيب كلامي بكيفية مخصوصة، ويتعلق بالمخاطب خاصّة؛ لأنّ التراكيب تُنتج منوالاً لحالة المتلقي ومن أمثله: حال الإنكار ويكون فيه سياق التركيب مُدعماً بالحجج، وحال خلوّ الذهن.

يكون سياق التركيب إثباتاً لمحمول جديد (معلومة)، وحال التردد وسياقه يكون قطعاً للشك باليقين. للسياق تأثير على الوظائف الدلالية منحي وهدفاً وقصداً، وتركيباً.

وهو ما أشار إليه "أحمد المتوكل" بسياق الاستعمال.⁽⁴⁾

(1) صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، ص: 146.

(2) نفسه، ص: 149.

(3) نفسه، ص: 149.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص: 22، 23.

والوظائف الدلالية تتصل بالتركيب الكلامي بمستويين: مستوى مقام القول، مستوى حال المخاطب⁽¹⁾، والرّسول عليه وسلّم في أحاديثه يراعي حال أصحابه فينتج حديثه على ذلك، كما يراعي المقام، وهو من أوتيّ جوامع الكلم، ولتمثيل الوظيفي الدلالي للسياق، والبنيات الثلاث للمدرسة التوليدية.

يقول الرّسول عليه وسلّم في باب الإمامة: «إِذَا أُمَّ أَحَدَكُمْ النَّاسَ، فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ، فَإِذَا صَلَّى وَخَدَّهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»⁽²⁾، تركيب الحديث العام: تركيب شرطي وورد التركيب الأول بدلالة الشرط العام والثاني بتركيب خاص يدخل في عموم الأول.

جملة الشرط في التركيب الأول: "إذا" الأداة، والجملة: "أُمَّ أَحَدَكُمْ النَّاسَ" الفاء: رابطة، وجملة جواب الشرط: "فَلْيُخَفِّفْ" ، وورد سبب التخفيف في تركيب مؤكد بـ: "إِذَا" مقترن بالفاء السببية: وعليه أن يُخَفِّف الإمام على الإطلاق الصلّاة ، لأنّ المصلين أصناف: صغير وكبير، ضعيف ومريض، وتركيب الشرط الخاص خصّ الإمام بحرية الصلّاة بشرط إذا صلى وحده ومنه:

- **القصد:** قصد الرّسول عليه وسلّم بهذا الحديث مراعاة حال الناس وهم بصفة المأموم في الصلّاة، فتكون مخففة « والتخفيف إنّما يكون في القراءة لا في الركوع والسُّجود. »⁽³⁾

- **نحو التركيب:** تركيب شرطي، وفعل مضارع مجزوم وأداة، ملحق بتركيب شرطيّ تابع للأول، ووظيفة الفاعلية: الإمامة، ووظيفة المفعولية: "الناس"، قرائن لغوية معنوية: إسناد، ولفظية: علامات إعرابية وتضام...

- **دلالة التركيب:** للإمام: وظيفة "المنفذ"، الناس: مُسْتَقْبِلٌ أو مُسْتَفِيدٌ، المكان: مطلق شرطه أن تجوز فيه الصلّاة، الزّمان: أوقات الصلّاة، الحال: حال ترخيص، والغرض منها: ترغيب الناس في الصلّاة وآدائها ، والدّي بين هذه الوظائف هو:

(1) ينظر: صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، ص: 150.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 444.

(3) الكشميري : العرف الشذي، ص: 235.

- السياق:

سياق ظرفي متمثل في: ظرف الإمامة للصلاة والأداء، وسياق فعليّ متمثل في الالتزام بالفعل وهو الحكم بأخذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوب "فَلْيُخَفِّفْ"، ومسرحه فعل الأئمة للتخفيف لوجود علة، وسياق وجودي لوجود علة الفعل وهي وظيفة دلالية تدلّ على المستفيد وهم الناس وصفتهم: الصّغير والكبير الضعيف والمريض، وسياق مرجعيّ متمثل في المرجع الديني لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

سياق مقاميّ متمثل في مقام التوكيد فالرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بالشرط الجازم تخفيف الصلاة متبوعا بعلّة تفسّر الحكم بأداة توكيد: "إن"، ويصحبه مقام الإثبات، وسياق حاليّ متمثل في محمول جديد للأئمة والتخفيف في الصلاة (صلاة الجماعة)

تظهر الوظائف الدلالية للتركيب النبوي الشريف في أنّ التركيب ذو حيزين: حيز المعاني، وحيز استعمالها يكمن الأول: في الإدراك والفهم وتبليغ القصد بمستوى مقام القول، ويكمن الثاني في تجسيد المعاني وتجليها حين يقوم الأئمة بتخفيف الصلاة بمستوى حال المخاطب المقصود بالاستفادة، وهم المصلون.

البنية العميقة للتركيب النبويّ في هذا الحديث: في تركيب الشرط جملته وجوابه وإعرابه ومكوناته النحويّة وما تحمله من دلالات ومحمول وموضوع.

دلالة التركيب الشرطي: محموله متمثل في تخفيف صلاة الجماعة؛ لأنّ الناس أصناف والموضوع موضوع إمامة وصلاة جماعة، وتمثلت البنية السطحية في منطق التركيب وشكله الصوّتي والنحوي والمعجمي، وهي بنيات دلالية وظيفياً حين استعملت في تواصل نفعي.

بناء على العلاقات التي تقيمها الوظائف الدلالية لمتعلقات التركيب من معاني حرة ومعاني قيد الاستعمال ضمن التركيب الكلاميّ يمكن أن نرصد ثلاث خصائص:

- تحدد الوظائف الدلالية السمة النفعية للتركيب الكلاميّ بتفعيل السياق وأنواعه.
- تحقق الوظائف الدلالية القصدية للتركيب الكلامي بتفعيل المكونات النحويّة خدمة لغرض تواصلية.
- تمنح التركيب الكلامي قوة إنجازية بمراعاة حال المخاطبين.

3-3- علاقات الوظائف الدلالية:

ترتبط الدلالة من منظور وظيفي: باللسانيات الوظيفية وبفلسفة اللغة، وعلم النفس ويمكن أن نوجز هذا الارتباط في التساؤل التالي:

«- ماهي طبيعة المعنى (الدلالة) في لغة البشر بحيث نستطيع أن نتحدث عما ندركه بحواسنا وعمّا نفعله؟

- ماذا تكشف بنية اللغة الطبيعية النحوية من طبيعة الإدراك الحسي والعرفان؟»⁽¹⁾

إنّ التساؤل الأول:

في ماهية طبيعة المعنى ضمن التراكيب اللغوية التي ينتجها المتكلمون ضمن مقامات مختلفة، تحيل إلى القصدية الإبداعية، وهذا كامن في قدرة توصيل القصد المدرك وحلوله في ذهن المتلقي محلاً يجعله يتفاعل فينفع، وكامن أيضاً في كيفية استغلال المعنى بتراكيب مخصوصة، ترجمة وإجابة لما يريد أن يفعله المتكلم حين استعماله هذه الدلالات والمعاني في هذه التراكيب دون غيرها.

أما التساؤل الثاني:

المتكلم يختار ما يخدمه نفعاً، وما يحققه قصداً من المكونات النحوية؛ إذ هذه الأخيرة حاملة لمعاني ودلالات التراكيب، فهي الكاشف عن دلالة التركيب الموحدة عن القصد، وهذا راجع لعنصر الإدراك اللغوي لدى المتكلم، فهو يدرك حسياً ما يحتاجه من مكونات ووحدات وأدوات نحوية، كما يدرك وظيفياً ما يناسب من متلق لآخر فمنه المنكر المعاند والشاك المتردد، والمصدق للكلام، فطبيعة المتلقي يُدركها المتكلم، وطبيعته من طبيعة ونوعية التركيب والوحدات النحوية.

حقيقة القول أنّ الدلالة الوظيفية مسرحها المتكلم، والمتلقي، والقصد والإبلاغ، والمكونات النحوية وثنائية الفهم والإنتاج، وتحقيق الهدف والإفادة.

⁽¹⁾ راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، ترجمة: عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص: 47.

3-4- الوظائف الدلالية: الدور والمستوى: نطلق في ذلك من الأدوار الدلالية والمستوى الذي

تُمثله.

أما الأدوار الدلالية في النحو الوظيفي هي: (منفذ، ومتقبل، ومستفيد، ومستقبل، وهدف، وأداة، وزمان، ومكان، وحالة، ووضع...)، فالتركيب اللغوي دلاليًا يقوم بهذه الأدوار فيدل وظيفيا على الذي نَقَدَ والذي تَقَبَّلَ والذي استقبل واستفاد وزمن هذا ومكانه وحالته؛ إذ يحتوي التركيب الكلامي على معلومات فإن كانت جديدة على المتلقي تسمى: المحمول والتي يدل عليها هو الحمل، وإن كانت معلومة ومعروفة مسبقا تسمى موضوعا، وللحمل الدال عن المحمول حدود، هذه الحدود تُسند لها الوظائف الدلالية

يرى "أحمد المتوكل" أن الوظائف الدلالية محصورة من حيث التعيين ومن حيث المستوى ومستواها هو المستوى التمثيلي، ولتوسيع مجال ومستوى الوظائف الدلالية يصبو النحو الوظيفي «إلى تحقيق مطمحين توسيع مجال الوصف ونقله من الجملة إلى النص من ناحية. وتبني افتراض التماثل البنيوي بين مختلف أقسام الخطاب (مركب اسمي، جملة، نص) من ناحية ثانية»⁽¹⁾، من حيث المستوى «بتعيين أن تفرز النظرية وظائف دلالية ترصد العلاقات التي بها تقوم لا في المستوى التمثيلي فحسب، بل كذلك في المستوى العلاقي (الإنجازي الوجهي)»⁽²⁾

خلاصة القول لا تنحصر الوظائف الدلالية في تحققها على التركيب اللغوي فحسب بل تتعداه إلى الجملة والخطاب والنص، لأنّ الدلالة في التراكيب الخطائية مترابطة النشأة والدلالة تشمل كل تراكيب النص، كما لا تنحصر في المستوى التمثيلي فحسب بل تتعداه إلى المستوى العلاقي الإنجازي الوجهي، وهذا توسع للوظائف الدلالية من تركيب المعاني إلى التجسيد الفعلي حين الاستعمال بالنظر إلى المكونات النحوية الوجهية حين تكون خادمة للمعاني والدلالات التي تحملها مع القصد.

ويرى "صلاح فضل" أنّ الدلالة «لا تقتصر على معنى كل عنصر من العناصر التي تدخل في تكوين العمل الأدبي، ولا على شبكة العلاقات المتبادلة بينها بل لا بدّ أن تشمل طريقة أدائها لوظائفها، وكيفية انتظامها في هذا النسق لتحقيق فاعلية جمالية خاصة»⁽³⁾

(1) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 106.

(2) نفسه، ص: 106.

(3) صلاح فضل: إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ص: 05.

هذا يعني أنّ التّركيب اللّغويّ يُبنى أساساً على دلالة الاستعمال وظيفياً حين التّواصل؛ إذ تقيم الوظائف الدلالية علاقات متبادلة بين المكونات التّحوّية وتُقيم ربطاً بين دلالة كلّ عنصر محتوى في التّركيب اللّغوي؛ فتنظم تراتبياً وتركيبياً ودلالياً تواصلياً تداولياً؛ لأنّ الألفاظ حاملة للدلالة يأتلف بعضها مع بعض « لتكوّن وحدات كبرى مثل الجمل أو النّصوص، ويحصل المعنى من التّأليف بين هذه الألفاظ، وعلى هذه المعاني أن تحترم شروط الصدق، ويتم ذلك حسب قواعد التّأويل، كما أنّ هذه الرّؤية تؤكد وجود فرق بين دلالة العبارة اللّغويّة النابعة من البنية ودلالة الاستعمال أو السّياق.»⁽¹⁾

هذا ما يُفسّر علاقة التّركيب اللّغوي بالدلالة ووظائفها، وهو تضافر تركيبّي دلاليّ لتحقيق القصد والفائدة، ويمثّل انتقالاً لسانياً من البنية التركيبية إلى البنية الدلالية، كما تتضافر المستويات التي تمثّل التّركيب لخدمة التّواصل وتحقيق التّفعية، وهي المستوى الصوتي، والمستوى التركيب، والمستوى الدلالي؛ إذ « يُعتبر المكوّن التركيب في التّماذج التوليدية التّأويلية المكوّن المركزيّ الذي يختص بالتوليد، بينما يقومون المكونان الآخران بوظيفة التّأويل.»⁽²⁾

يرى "جاكندوف": أنّ هذا إهمال للمستوى الدلالي فاقترح بديلاً سماه: الهندسة الثلاثية؛ إذ يجعل من المكوّن الدلاليّ هو الأساس لقيام التّركيب بالتّواصل⁽³⁾، فالدلالة من صنع الفرد يُركّبها حسب قصده، ويُنعّمها خدمةً لهدفه، وما التّركيب إلّا خادماً وحاملاً للدلالة.

إنّ البنية التّصورية (الدلالة) ووظائفها التداولية، إنّما تتحقق بألفاظ التّركيب فالمعنى تحمله الألفاظ، فهو يمثل المجال الذهني المجرد واللفظ يمثل المجال الحسيّ الماديّ.

ومنه: « اللفظ هو المنطوق الذي يتكلم به اللسان أيّما كان قدره وكمّته، وهو شكل ويقابل المعنى، وبناء على ذلك أيضاً؛ فاللفظ هو أداة الإشارة إلى هذه الفكرة الذهنية المجردة، وهو الحامل لها والمعبر عنها، أيّ أنّه أداة أداء الدلالة أو المعنى، وأهمّ سمة مميّزة له أنّه منطوق وأنه شكل.»⁽⁴⁾

(1) منية لعبيدي: التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف: 1983، منشورات علامات، مكناس، المغرب، الطبعة الأولى، 2013، ص: 56.

(2) نفسه، ص: 55.

(3) ينظر، نفسه، ص: 56.

(4) عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة - دراسة نحوية للفظ والمعنى - دار غريب، 2002، ص: 17.

الدلالة في طابعها الوظيفي التداولي هي محور الدراسة اللسانية، والدليل أنّ الألفاظ خادمة لها؛ إذ تحملها ونشئ بها علاقات بما يجاورها فتكون دلالة مقصودة من متكلم نحو متلق مخصوص، وهذا سبيله إلى ما يسمى "بالتحليل الدلالي" للتركيب الكلامي؛ إذ يشمل هذا التحليل فرعين «أحدهما يعني بيان المعاني المعجمية للمفردات، والآخر يهتم ببيان معاني الجمل والعبارات والعلاقات بين أجزائها، وهو ما يسمى بالمعاني النحوية»⁽¹⁾

الدلالة الوظيفية تُبيّن المعنى المعجمي للفظ، وتهتم بالدلالة التركيبية، والعلاقات التي تقيمها المكونات النحوية، كما تُعالج التركيب وألفاظه و"الأثر النفسي"⁽²⁾ الذي تُحدثه في المتلقين بعمد المتكلم.

من هذا المنطلق نستطيع القول: إنّ الدلالة إنّما تتحقق وظائفها حين تحمل اللفظ دلالات مقصودة مخصوصة بسياق موجهة لمتلق، فالدلالة هو المركز الأساسي لتحقيق مآرب تداولية تواصلية، وما الألفاظ والتراكيب إلّا شكل لها وتحميد من الصور الذهنية إلى الصورة اللفظية، وهذا تضافر تداولي وظيفي بين التراكيب والدلالة لجعل الكلام ضمن حيز المقبولية التواصلية والقصدية الإبداعية.

الوظائف الدلالية في مستواها التصوري «تعتبر نسقا تمثيلا يهّم اللغة ويتجاوزها في حد ذاتها، وعليه يقوم التفكير والتخطيط وتكوين المقاصد وفهم الجمل في سياقاتها مع ما يرتبط بذلك من اعتبارات تتعلق بالمعلومات الذريعية وبالمعرفة الموسوعية»⁽³⁾

حقيقة القول إنّ الوظائف الدلالية تتحقق ويتوصل إليها ضمن الهندسة النحوية التي تقوم على التحليل الدلالي بمستويات ثلاثة: نحوي، وصوتي، ودلالي.

أصبح من الواضح تجسيد الوظائف الدلالية داخل التراكيب الكلامية بعلاقة «الإسقاط بين البنية التركيبية والبنية التصورية (الدالية)، علاقة متعددة بمتعدد وليست علاقة واحد بواحد لأنّها علاقة بين بنيتين تقومان على مجموعتين مختلفين من الأوليات»⁽⁴⁾

(1) عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة - دراسة نحوية لفظ والمعنى - ، ص: 16.

(2) عادل فاحوري: علم الدلالة عند العرب - دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة 1، 1985، ص " 07.

(3) محمد غاليم: النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحليل جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2007،

ص: 17.

(4) محمد غاليم: النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة ، ص: 17.

تفرض الوظائف الدلالية هندسة جديدة تجعل من المكوّن الدلاليّ هو المركز بدل المكوّن التركيبيّ لأنّ التّطبيقات الدلالية تُعتبر أنّ « للدلالة بنيتها التأليفية المستقلة غير التابعة كلياً للتركيب، ومن ثمة لا يمكن اشتقاق التأليف الدلاليّ من التركيب عن طريق عمليات تركيبية، للنقل أو الحذف، بل لابدّ هنا كذلك من مكوّن قائم على القيود للربط بين التركيب والدلالة.»⁽¹⁾

انطلاقاً من هذه الرؤيا تظهر قيمة الوظائف الدلالية، ويمكن عدّها من الغايات التداولية؛ لأنّ هذه الوظائف هي التي تُمكن الإنسان من التّكلم واستعمال اللّغة بمختلف تراكيبها خدمة لأغراضه التّواصلية ومقاصده، وتتمين الوظائف الدلالية وظيفياً وفعالياً؛ لأنّ دلالات التركيب التي يستعملها المتكلم غير محدودة، وتتحدد حين تتعلق بقصد وهدف وإفادة، حسب إرادة المتكلم، وهو ربط بين الدلالة والنفعية في التّواصل.

3-5- مكوّنات الوظائف الدلالية: تمثيل وتطبيق:

إنّ الوظيفة الدلالية « نسق مركزيّ من أنساق الذهن، وهي ليست جزء من اللّغة في حد ذاتها، بل هي البنية الذهنية التي ترمز لها اللّغة في صورة قابلة للتّواصل [...] بل هي أيضاً مرتكز الاستنتاج والارتباط بالإدراك والفعل غير اللّغويين.»⁽²⁾

إنّ التّعلق الدلاليّ باللّغة من حيث التّرميز من شأنه أن يُحدد طبيعة المكونات للوظائف الدلالية؛ إذ يمكن رصد الوظائف الدلالية ومكوناتها انطلاقاً مما « تُحيل عليه التّعابير اللّغوية ف: "رجل" أو "طاولة" يُحيلان على شيء و"هنا" أو "هناك" يُحيلان على مكان و"من هنا إلى هناك" تُحيل إلى مسار، و"افعل هذا" تُحيل على عمل و"ما وقع هو أن..." تُحيل على حدث، و"بانتباه" تُحيل على كيفية و"فرسخ" و"رطل" يُحيلان على مقدار و"فرح" يُحيل على حالة و"في الخامسة" تُحيل على زمن.»⁽³⁾

تُعدّ هذه الإحالات هي الوظائف الدلالية داخل التركيب الكلامي، وتُعدّ هذه الوظائف أدواراً، فهي وظائف دلالية تُسند إلى وظائف أخرى (منفّذ، ومستقبل، ومتقبل، ومستفيد...).

(1) محمد غاليم: النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ص: 19.

(2) نفسه، ص: 33.

(3) نفسه، ص: 34.

لعل نظرة إجمالية لحد الدلالة الوظيفية في التراكيب الكلامية المخصوص تسلمنا إلى القول بوجود خلفيات ثلاث تُوجّه وتُسند الوظائف الدلالية لأصحابها:

- الخلفية التركيبية (النحوية) التي تجعل الوظائف الدلالية حدسية مادية في تراكيب متفق متعارف عليها تواصلياً.

- الخلفية الصوتية وتظهر عبر تنعيم التراكيب الكلامية ونبره، فهي تُوجّه الدلالة وظيفياً، فنطق الكلمة أو التراكيب، صفته وقوته من الركائز التي اعتمدت في فهم السياق وتوصيل القصد؟

- الخلفية الدلالية والتي تبلور فيها مفهوم التداولية التفعيلية بشكل يُنم عن وظيفية التراكيب الكلامية، وفق استعمال مخصوص وهدف منشود وقصد مطلوب.

لعله يصح لنا القول بأن دراسة حدّ الوظائف الدلالية يُسلمنا إلى تحليل ما يعثور التراكيب الكلامية من تضايف وظيفية: الوظائف التركيبية (النحوية)، والوظائف الدلالية والوظائف التداولية، باعتبارها متعلقة وظيفياً في الاستعمال، وتنظيمياً في القصد والتبليغ.

مرد هذا إلى أنّ الوظائف الدلالية تُسند لها الوظائف النحوية، فالفاعلية وظيفة نحوية تُسند إلى وظيفة دلالية: المتقبل، والمستقبل، والمستفيد... حسب السياق، وتنظم الوظائف الدلالية والنحوية والتداولية لخدمة: مقبولة التراكيب استعمالاً وقصداً لتجسيد موقف تواصلية.

إنّ تأثر التراكيب اللغوية بالوظائف النحوية والدلالية والتداولية من شأنه أن يُشكل تضايفاً يُفضي إلى استمرار التواصل، كما سيتبين لنا عبر تحليل تراكيب الحديث النبوي الشريف في الكشف عن خدمة وظائف لوظائف بعلاقة قصديّة إبلاغية استعمالية (تداولية).

من الطبيعي أن يكون التراكيب اللغوية بخاصة التراكيب النبوية ذات مقبولة من أنواع المتلقين وحالاتهم، أدى هذا التضايف الذي تخضع له التراكيب إلى بلوغ المتكلمين مراميهم من الاستعمال.

إذا كان هذا التضايف قائماً داخل التراكيب نحواً ودلالة فإنّ تجسيده يظهر تداولاً بين متكلم ومتلق وقصد وغاية منشودة، أو بوجه حصري، إذا اعتبرنا أنّ الوظائف الداخلة في التراكيب تعود بتضايفها بفائدة إما على قصد المتكلم، أو على كيفية إخراجها استعمالاً على متلق، وهذا تزواج وظيفي بين: النحو والدلالة والتداولية.

يقودنا هذا إلى أن الدلالة بوظائفها وتضارفاً مع باقي الوظائف، تقيم علاقات ونعني بهذا «علاقة الكلمة بالعالم الخارجي الكلمة - غالباً - تُشير إلى كائن موجود في العالم الخارجي، قد يكون إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً أو مكاناً.»⁽¹⁾

تقيم الدلالة مسارحاً تتجسد فيها فالتركيب يحمل دلالة في ظاهره، والمتكلم يحمل دلالة في قصده، وللكشف عنها يُعوّل على حالة المتكلم وموقفه وعلاقته بالمتلقي، ونعم تركيبه الكلامي، والمتلقي يحمل دلالة في مدى فهمه لقصد المتكلم، ومنه نورد نوعي التركيب دلاليًا:

- التركيب الدال: وهو الذي يُشير إلى الموجود الخارجي المعين.

- التركيب المدلول (عليه): وهو الموجود الخارجي المحدد الذي يُشير إليه التعبير الدال والعلاقة بينهما: دلالة⁽²⁾

و نمثل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لَمَّا سُئِلَ: أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هُوَ الطَّهُّورُ مَأْوُهُ الْحَلُّ مَيْتَتُهُ.»⁽³⁾

يتمثل التركيب الدال في: "هُوَ الطَّهُّورُ" و"الْحَلُّ مَيْتَتُهُ"، والكلمتين اللتين حملتا الدلالة هما: "الطَّهُّورُ" و"الْحَلُّ"، وهذه دالة تركيبية تُشير إلى مدلول عليه معين وهو البحر: "فالطَّهارة والحل" إشارة إلى موجود خارجي وهو ماء البحر جوازه للوضوء.

الدالة هنا بثلاث أقطاب: قطب تركيبية: وهو فحوى ودلالة المتلقي السائل عن صحّة الوضوء بماء البحر، وقد دلّ اسم الإشارة على الشيء "المدلول"، وهو البحر، فهذا التركيب: محمول دلالاته الجديدة للمتلقي: جواز الوضوء بماء البحر، وجواز أكل ميتته.

(1) محمد علي الخولي: علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة: 2001، ص: 25.

(2) نفسه، ص: 26.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 162.

3-6- تصور "راي جاكندوف" Ray Gakendov للوظائف الدلالية:

تعدّ الموجودات المشار إليها بالتركيب الدال على أشياء والدلالة هي العلاقة بينهما، فتشمل "دالة" وهي تُوازي "مفهوم الوظيفة"، والدالة تكون مسندة لرأس معجمي، والرأس في التركيب هو الدال عن المحمول، والمحمول يدلّ على موضوعات.

الموضوعات تدلّ على محلات « وتُملأ محلات الموضوعات عن طريق تأويلات المكونات التركيبية الكبرى التي فرعت مقوليا بدقة »⁽¹⁾، ويمكن أن تكون المحلات ثلاثة أو أربعة؛ إذ تُشكل الوظائف الدلالية بمصاحبة الوظائف النحوية كالفاعلية والمفعولية.

العلاقة بين الدلالة والتركيب هي السبيل لاكتشاف الأدوار الدلالية « فلكلّ مُركب رأس ولكل رأس مُخصّص ولكلّ رأس مُتمم أو فضلة، وكلّ المركبات تخضع لرأس عامل متحكم ، ولهذا الرأس إسقاط أدنى وإسقاط أوسط وإسقاط أعلى وإسقاط موسع.»⁽²⁾

الوظيفة الدلالية يقوم بها مكّون نحويّ ضمن مقولات معجمية أو أقسام الكلام مثل: الاسم، والفعل والصّفة والحرف والأداة، كما يقوم بها المقولات التركيبية مثل: المركب الاسمي والمركب الفعلي والمركب النعني والمركب الحرفي والجملة⁽³⁾ ، وهذا مفاده أنّ « كلّ مقولة تركيبية تحتوي على رأس يمثل عنصرا في مقولة معجمية.

لكلّ مقولة معجمية مقولة تركيبية عليها تمثل المحورات الممكنة لهذه المقولة المعجمية»⁽⁴⁾، فالرأس المعجمي يُمثل مكّونا نحويّا بوظيفة دلالية، وتمثل هذه الوظيفة: من محمول يحمل موضوعات، ويمكن أن تمثل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أَمْنِي جِبْرِيْلُ [عليه السلام] عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ [...]»⁽⁵⁾

وتُقدم مخططا يمثل التركيب السابق من الحديث الشريف دلاليّا حسب الوظائف:

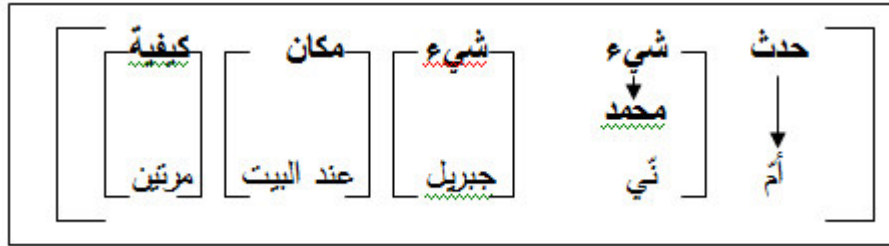
(1) راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، ص: 144.

(2) منية لعبيدي: التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف ، ص: 124.

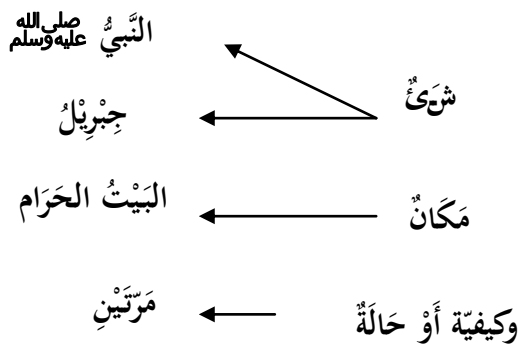
(3) نفسه، ص: 125.

(4) نفسه، ص: 125.

(5) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 302.



الملاحظ أن الفعل: "أم" يمثل رأس التركيب، حيث يُوظف دلاليًا: فاعلا (فاعلية)، والوظيفة الدلالية: المنفذ، ومفعولا ضميرا (غير مباشر) (المفعولية)، ووظيفته الدلالية: المتقبل، ومركبا إضافيا " عند البيت "، ووظيفته الدلالية دلالة المكان، وقد أدى رأس الجملة (أمّني) وظيفة دلالية وهي: الحركة، وهي وظيفة مُرتبطة بثلاث موضوعات متمثلة في:



نخلصُ إلى أنّ الفعل "أم" عبّر عن دالة دلالية بها تناظر وظيفي بين الموضوعات الثلاثة ضمن [حدث]، إذ تناسبت وظيفة الفاعل والمفعول به، مع توافق مع المركب الإضافي في وظيفة: المكان والكيفية والمسار.

إنّ الدالة في صبغتها الوظيفية ترسم ترابط المقولات الأنطولوجية* الكبرى عندما تُملأ محلات

موضوعاتها. (1)

(1) راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، ص: 148.

* الأنطولوجية: فرع من الفلسفة بمعنى الكينونة أو علم الوجود.

بين النحو والدلالة نظرية تسمى: " نظرية التوافق " بين علمي النظم والدلالة؛ إذ تقدم هذه النظرة قرينة تمهيدية تدعم البيان الصوري، إذ تُناسب المركبات الاسمية في تلك النظرية المكونات التصورية غير المفيدة بالمتغيرات ، وتُناسب الأفعال دوالاً تملأ محلاتها موضوعات بمقولات نظمية فُرعت مقولياً وظيفياً بطريقة دقيقة.⁽¹⁾

الوظيفة الدلالية والنحو نظرية تُجسد إستراتيجية تواصلية نفعية، وبعبارة أخرى: الوظائف الدلالية تستخدم المكونات النحوية استخداماً يستطيع أن يُوجّه مقاصد الـمُتكلّم ومراده نحو متلق، وبالفعل يقيم المرء كلامه على مسلمات دلالية.

تتوافق الوظائف الدلالية والتداولية وضمن القواعد الدلالية للاستدلال اللغوي وضمن القواعد التداولية للتفاعل اللغوي، فكلاهما يمثل « قواعد لمعالجة الأبنية التصورية، وهما يتعاملان مع البديهيّات نفسها ومع مبادئ التوافق نفسها. »⁽²⁾

يتمثل هذا التوافق الثلاثي بين: الوظائف الدلالية والنحوية والتداولية في مفهوم الدالة « الذي يعتمد على خلفيّة منطقيّة متمثلة في منطق المحمولات [...] القائم أساساً على الدالة (Function) التي تتعلق بها ثلاث موضوعات هي "المصدر" و"الشيء" و"المحل". »⁽³⁾

تُقيم الدالة علاقة « بالبنية الداخلية للموضوعات The internal structure ، وهذه البنية هي عبارة عن اسقاط دالة موضوع أو أكثر على مكون رئيسي من المكونات التصويرية »⁽⁴⁾ ، كما تُوضّح الأمثلة الآتية:

(1) ينظر: راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، ص: 165.

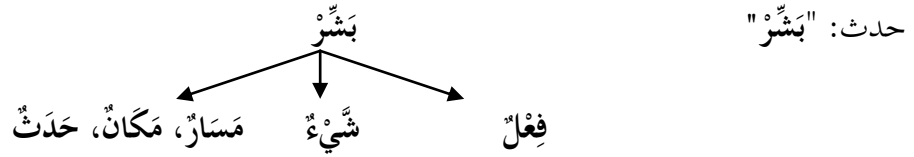
(2) نفسه، ص: 207.

(3) منية لعبيدي: التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف، ص: 133.

(4) نفسه، ص: 133.

1 وظيفة الحدث:

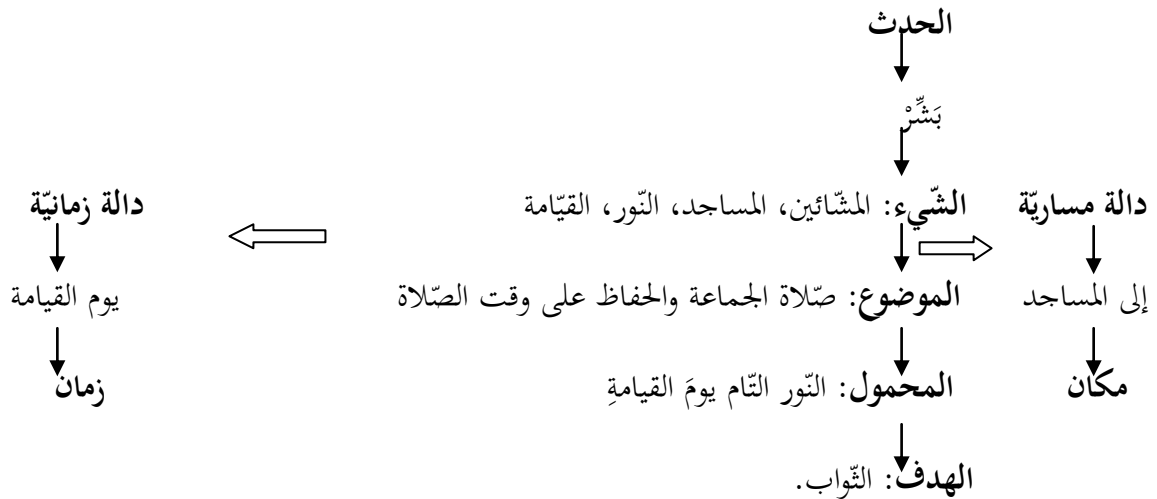
تقوم الوظيفة الدلالية (الحدث) على عدة دالات، وتتغير بتغير الفعل وتتعدد به.



مثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « بَشَّرَ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »⁽¹⁾

قام الفعل "بَشَّرَ" وهو فعل أمر بوظيفة الحدث، وهو متمثل في التبشير، ومثَّل "الْمَشَائِينَ" إشارة إلى شيء، وقام التركيب الإضائي: "فِي الظُّلَمِ" بتحديد المسار الزمني.

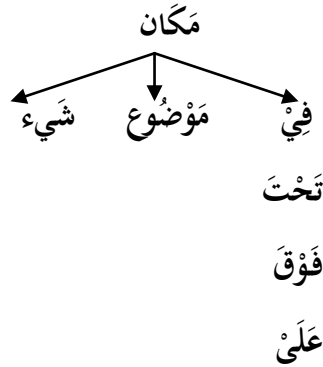
مثَّل التركيب الإضائي الثاني: "إِلَى الْمَسَاجِدِ" بتحديد المكان والمسار المكاني، وقام التركيب الإضائي الثالث بتحديد وظيفة الحدث: "بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". كما أنَّ "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" حدد مسارا زمنياً، فالفعل "بَشَّرَ" يُمثَل "حدثاً أولاً"، وتُمثَل "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" حدثاً عاماً وهو النتيجة، ومصدره: الصَّلَاةُ في وقتها (الفجر). تُمثَل الشيء في: الْمَشَائِينَ، الْمَسَاجِدِ، النُّورِ، والحل تُمثَل في زمان التركيب ومساره المكاني كما يتبين من الشكل الآتي:



⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 423.

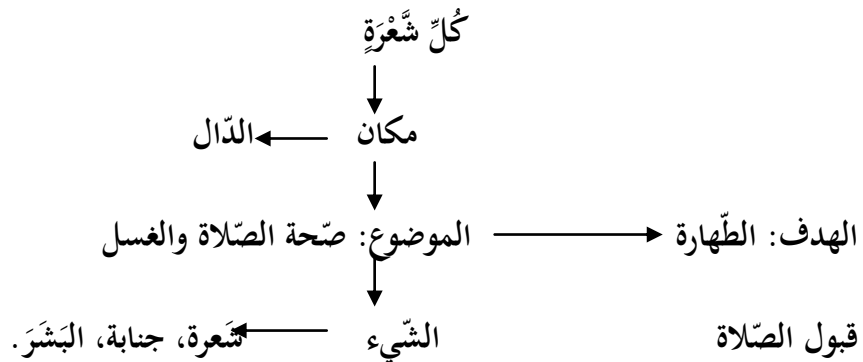
2 وظيفة المكان:

تقوم هذه الوظيفة على دالة مكان وموضوع، ويعتمد في تحديدها على معاني ودلالات حروف الجر:



مثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٌ، فَأَغْسِلُوا الشَّعْرَ وَأَنْقُوا الْبَشَرَ.»⁽¹⁾

دلّ ظرف المكان "تَحْتَ" على مكان الجنابة، وهي مانع للصلاة، فوجب غَسْلُ الشَّعْرِ والبشرة لصحة الصلاة وتمثيله:

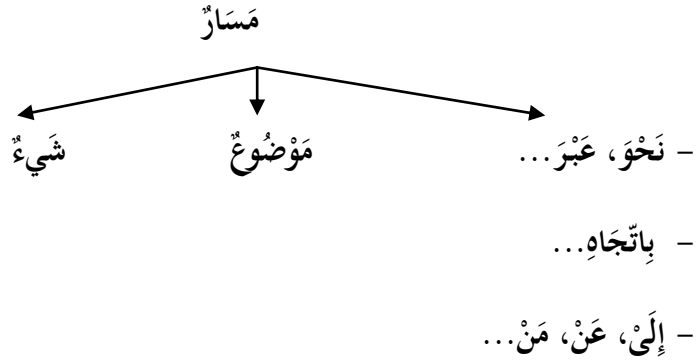


قام الفعل "اغسلوا" و"انقوا" بوظيفة الحدث والحركة، فالمكوّن الرئيسي هو "الجنابة" ومكانها "تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ"، والحدث تتمثل في الغسل والنقاء وهي أشياء موجودة في العالم الخارجي.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 223.

3 وظيفة المسار:

تقوم هذه الوظيفة على دالة مسار وموضوع ، ويعتمد في تحديدها على دلالات حروف وكلمات:

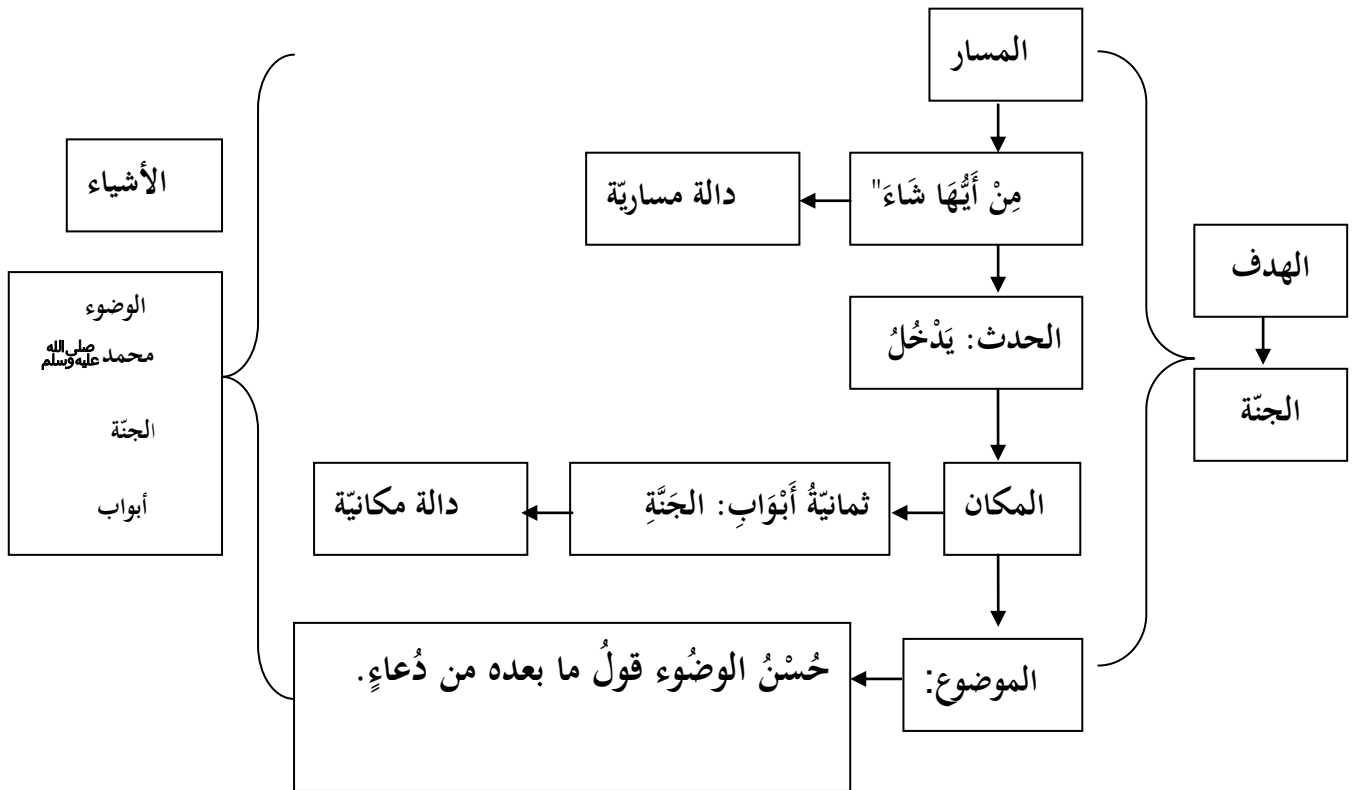


مثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: في باب فيما يُقال بعد الوضوء: « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ

أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَائِبِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فُتِّحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ». (1).

دلّ حرف الجر في التركيب الأخير من الحديث الشريف " مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " عن مسار المؤمن الحَسَنِ الوضوء، المقوَال لما ورد في الحديث بعد الوضوء، ودلّ الفعل " يَدْخُلُ " عن حدث المسار، ودلّ " ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ " عن مكان وهو "الجنة"، وتمثل له بالترسيمة الآتية:

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 145، 144.



4 وظيفة الحالات:

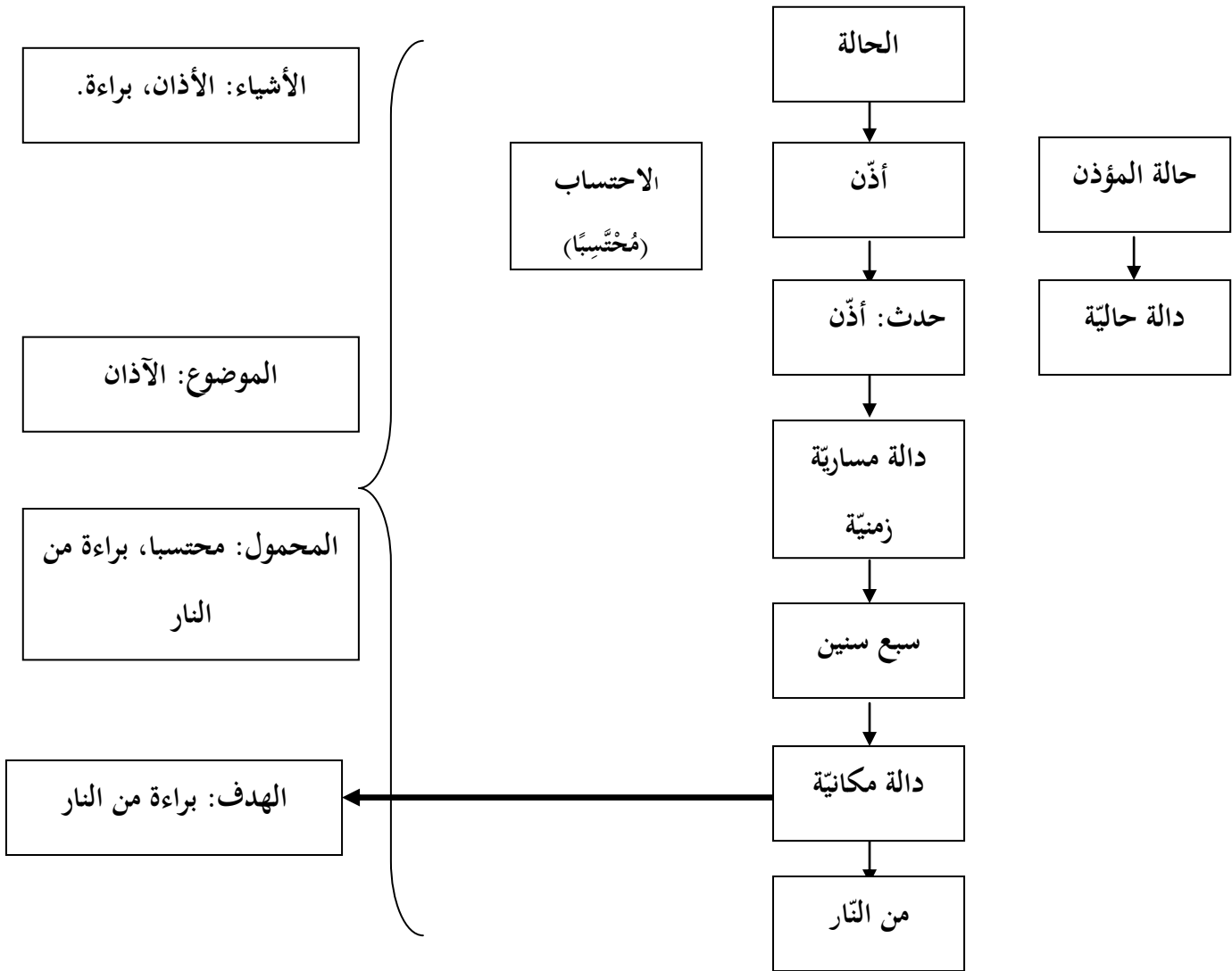
تقوم هذه الوظيفة على عدة دالات منها: الأماكن والأزمنة، والذي يُعين في تحديدها هو الفعل، فالأفعال بعضها يؤدي وظيفة الحدث وبعضها يؤدي وظيفة الحالة.

ومثاله قول الرسول عليه وسلم: « مَنْ أَدَّنَ سَبْعَ سِنِينَ مُحْتَسِبًا كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ. »⁽¹⁾

دلّ الفعل: "أَدَّنَ" على وظيفتين "أَدَّنَ" ← حدث.
 ← حالة.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 396.

تتمثل الأولى في حدث الآذان، والثانية حالته وهو يُؤذّن، والذي يُبيّن الحالة في الفعل الحدث. وصاحبه هو الحال "مُحْتَسِبًا" المكوّن النَّحوي، وهو المكوّن الدلالي الرئيسي، وموضوعه: الآذان ومحموله: الآذان بالاحتساب والبراءة من النار، وتمثله بالترسيمة الآتية:



إنّ الدوال تتألف كما تتألف الوظائف الدلالية، فتعدّ الأفعال دالات دلالية، ولكن دون إهمال الفواعل والمفعولات، فالعنصر المشترك هو الدالة⁽¹⁾ في بعض التراكيب الكلامية التي تدلّ على حدث، على حالة، على مسار، على مكان، على هدف، وهو البراءة من التار.

نلاحظ تألفاً معجمياً تركيبياً بين المقولات المعجمية والمقولات التركيبية؛ إذ لا تُؤدّي المقولات المعجمية دلالة أو وظيفة، وهي خارج التركيب الكلامي وعليه، إنّ الوظائف الدلالية « تتحول إلى مقولات أنطولوجية رئيسية عند ملء مواضع الموضوعات، فالوسيلة الشكلية التي يعتمدها "جاكندوف" هي بنية الوظيفة الموضوع، ولكن باعتماد مدى أغنى من الوظائف، وهو ما جعله يمثّل الجمل دون خسارة الدقة التعبيرية، ودون قلب الوظيفة في العناصر الاعرابية.»⁽²⁾

تتغيّر الدالات بتغيّر الوظيفة، فنجد: دالة الحدث، دالة المسار، دالة المكان، دالة الحالة، ويضيف "جاكندوف" دالة أخرى أسماها: ب: "الدالة الجعلية"⁽³⁾: وهي التي يجتمع فيها سبب الذي يطابق منفذاً وحدثاً، والمنفذ والحدث يمثلان ثنائياً هذه الدالة.

قد تتضافر أنواع الدوال المذكورة آنفاً خدمة للوظيفة الدلالية الهدف، وقد لا يذكر السبب (المنفذ) (الفاعل) في التراكيب الكلامية، فتسمى تراكيب "موصوفة"⁽⁴⁾، فهي تصف ورود وقوع الحدث دون سبب، أمّا التراكيب الجعلية تصف "فاعلاً" يسبب "الأحداث"⁽⁵⁾ في الجمل، ويمكن أن نمثّل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَفْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...»⁽⁶⁾

دلّ الفعل "يَوْمُ" على حدث الإمامة، وهو يُشكل مُركباً فعلياً دالاً عن حدث، ودلّ "الفاعل" المنفذ على سبب "أفروهم" وهو يشكل مُركباً اسمياً دالاً عن سبب، فالقراءة لكتاب الله حجّة لهم بالحق في الإمامة،

(1) منية لعبيدي: التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف، ص: 139.

(2) نفسه، ص: 141.

(3) راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، ص: 312.

(4) نفسه، ص: 312.

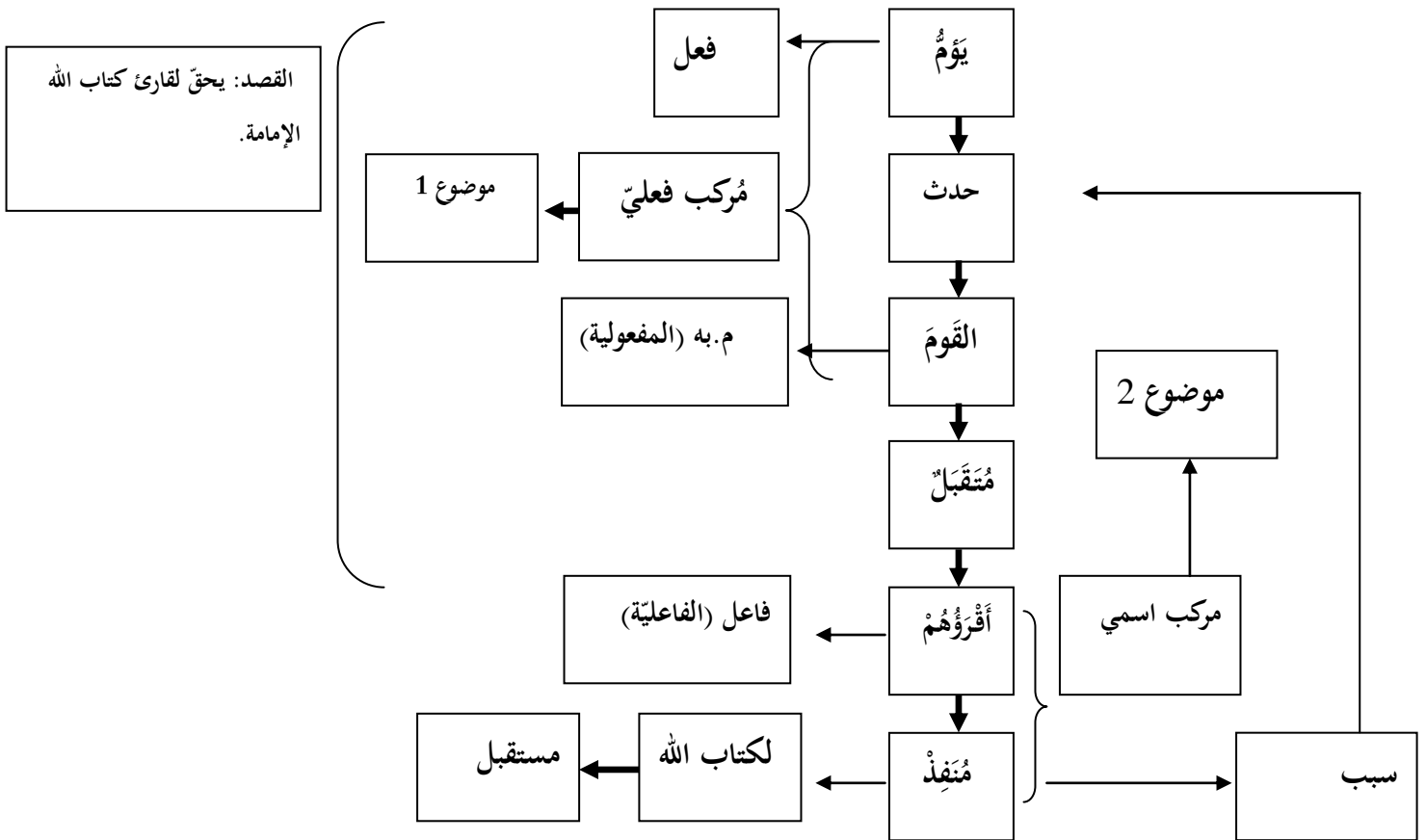
(5) نفسه، ص: 312.

(6) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 441.

فاقتضى أن يكون الموضوع الأول للدالة الجعلية دائما حدثا، والموضوع الثاني "سبب"، وبهذا تُفقد الوظائف الدلالية أن: "أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ" حَدَثٌ فِي الْمَوْضُوعِ ؛ إذ تحتكم الدالة الجعلية لإرادة وقصد المتكلم، فالقصد

«خاصية اختيارية بالنسبة إلى العامل، وهي لا تحتاج إلى تمثيل إضافي باعتبارها جزءا من الدالة جعل.»⁽¹⁾

وتمثل للدالة الجعلية بالمنخطط الآتي:



الوظائف الدلالية في تصور "جاكندوف" متمثلة في البنية التصورية وتحليل مكوناتها، ولا سبيل لذلك إلا بإعمال نظرية "قواعد التوافق"، فهي نظرية تُحدد العلاقة بين الوظائف النحوية والوظائف الدلالية، كما يُضيف قواعد سلامة البناء الدلالي.

⁽¹⁾ راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، ص: 314.

الوظائف الدلالية تستخدم الوظائف النحوية لتجسيدها، فلكل وظيفة نحوية استخدام وتطبيق لوظيفة دلالية، وهذه التقابل مصنف ومتقابل (واحد بواحد) (وظيفة بوظيفة)، وأورد "جاكندوف" قيود الوظائف الدلالية:

1 -التعبيرية:

يشترط في الوظائف الدلالية شرطان:

الملائمة والقدرة في الدلالة عن كل معاني التراكيب التي تحتويها اللغة الطبيعية.

2 -الكونية أو الكلية:

وهذا في الترجمة، فالوظائف الدلالية من شأنها ترجمة جملة من لغة إلى أخرى حين تتقاسم الحملتان الوظائف الدلالية نفسها.

3 -التألفية:

تعمل الوظائف الدلالية على التأليف بين معاني الوحدات المعجمية، للحصول على فائدة الجملة وقصد المتكلم وتحقيق الهدف.

4 -الخاصيات الدلالية:

تُحدد الوظائف الدلالية خاصية كل تركيب كلامي في بنيته الداخلية العميقة: كالترادف والتناقض... لتحقيق الفائدة من التوظيف الدلالي لهذه الخاصيات.⁽¹⁾

⁽¹⁾ ينظر: منية لعبيدي: التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف، ص: 74 وما بعدها.

3-7- تصور "أحمد المتوكل" للوظائف الدلالية:

إنّ كلّ تركيب يقوم على وظائف، وهذا ما يُسميه "أحمد المتوكل" "مبدأ استقلال التركيب" ومفاده أن يستقل «التركيب عن غيره دلالة وتداولاً، وإنّما يشكل الأمر حين يُراد معالجة هذه المعطيات في نظريّة كمنظريّة النحو الوظيفيّ تحاول الربط بين سمات البنية التركيبيّة باعتبارها سطحيّة والسمات الوظيفيّة المحددة في البنية التداوليّة أو البنيتين التداوليّة والدلاليّة»⁽¹⁾.

يتفرد كلّ تركيب بوظائف نظر لبنيته، والوظائف الدلالية تتوزع تغيّراً تبعاً لتغيّر التركيب، ولكلّ تركيب تفاعله الوظيفي إنّ نحوياً أو دلاليّاً أو وظيفيّاً، فالتفاعل القائم بين الوظائف النحويّة والوظائف الدلاليّة والتداوليّة يُميّز الدلالة التركيبيّة الأساسية للتركيب اللّغويّ.

يُوَازي "المتوكل" بين مفهوم الوظائف الدلالية ومفهوم "الوظائف المواكبة" فهي عنده: «الوظائف الدلالية التي يتمّ تحديدها في المدخل المعجمي ذاته، علماً بأنّ المدخل المعجمي في النحو الوظيفيّ إطارٌ حمليّ تُحدّد فيه صورة المحمول المجرد وموضوعاته والقيود الانتقائيّة التي يَفْرَضُها على موضوعاته، والوظائف الدلالية التي تحملها هذه الموضوعات»⁽²⁾.

المواكبة سمة الوظائف الدلالية فهي «تواكب الحدود الموضوعات في جميع التراكيب التي يُدرج فيها المحمول»⁽³⁾، ولأنّ التواكب في الحدود والموضوعات بالوظائف الدلالية يُواكبه أيضاً الوظائف التركيبيّة؛ إذ حدّد الإطار الحمليّ للتركيب يحملان وظيفيّتيّ الفاعليّة والمفعوليّة فهي: وظائف دلالية: المنفذ والمتقبل.

يُنشئ التركيب علاقات داخل البنية يُسميها "المتوكل" العلاقات الوظائف، وهيّ علاقات ترابط بين مُكوّنات التركيب الكلاميّ «فهيّ علاقات بنويّة تقوم بين عناصر البنية الواحدة، هذه العلاقات فئات ثلاث:

- علاقات أو وظائف دلالية.

- علاقات أو وظائف وجهيّة.

(1) أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص: 40.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 122.

(3) نفسه، ص: 122.

- علاقات أو وظائف تداولية»⁽¹⁾ ، والوظائف الدلالية بهذه العلاقة «تحدد الأدوار التي تُسند إلى الحدود

بالنظر إلى الواقعة الدال عليها الحمل، وتُسند هذه العلاقات إلى الحدود الموضوعات: (المنفذ والمتقبل

والمستقبل)، كما تُسند إلى الحدود اللواحق (كالزمان والمكان والعلة والمصاحب).»⁽²⁾

تعمل هذه الوظائف والعلاقات في البنية التحتية ضمن نظرية النحو الوظيفي على اعتبار أن البنية

التي تحتية؛ أي التمثيل الدلالي التداولي هي ما يُشكل علاقة وظيفية بين مختلف مكونات التركيب الكلامي، في حين

تعمل الوظائف الوجهية في البنية السطحية للتركيب اللغوي.

حسب النحو الوظيفي: يتعلق التركيب بثلاث بنيات وثلاث أنساق من القواعد:

أما البنيات: "البنية الحملية"، "البنية الوظيفية"، "البنية المكونية"، وأما القواعد: "قواعد الأساس"، "قواعد إسناد

الوظائف"، "قواعد التعبير"، حيث «يمد الأساس مكونات النحو الأخرى بأطر حملية، تمثل فيها المحمول الجملة

ومقولته التركيبية (فعل، اسم، صفة. ..) ومحلات موضوعاته، والوظائف الدلالية التي تحملها هذه المحلات بالنظر

إلى الأدوار التي تلعبها بالنسبة للواقعة الدال عليها المحمول وقيود الانتقاء المفروضة عليها.»⁽³⁾

ومنه مسرح الوظائف الدلالية هو: البنية الحملية.

إنّ العلاقة بين البنية الحملية والوظائف الدلالية علاقة وظيفية تسعى من خلالها إلى تحقيق التواصل؛

فالتركيب اللغوي أنماط مختلفة كالتركيب: الشرطي والإضائي والاسمي، والفعلية... وغيره؛ إذ يُحدد نمط التركيب

الحمل ومحموله بمجموعة من الوسائط: موضوع المحمول وهدفه، الحدود ووظائفها، وتجدر الإشارة إلى أنّ: موضوع

التركيب وهدفه يحددان بنيته ووظيفته، بأسلوب آخر:

يأخذ التركيب اللغوي البنية والهدف والموضوع والوظيفة بما يُناسب ويخدم القضية، ومنه- من وجهة نظر

الوظائف الدلالية- يتكون التركيب من مكونات وهي: الواقعة، والحمل، والمحمول، والحدود، والموضوع، ورأس،

ونواة.

(1) أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص: 29،30.

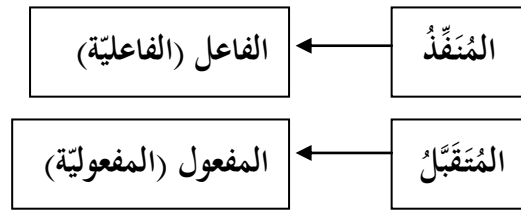
(2) نفسه، ص: 30.

(3) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 07.

ضمن نظرية النحو الوظيفي تتجسد هذه المكونات الدلالية على شكل وظائف دلالية وفق قاعدتين: قواعد نقل ، قواعد إسناد.

(1) أما قواعد النقل: فهي « قواعد مسؤولة عن نقل البنية التحتية (التداولية) و (الدلالية) إلى بنية صرفية» (1) تركيبية، وهذه القواعد تعمل في كيفية نقل البنيات الثلاث إلى تركيب كلامي قابل للتواصل، وهي: البنية الحملية (الدلالة) والبنية المكونية (النحو) والبنية الوظيفية (التداولية).

أما قواعد الإسناد فهي سلمية الإسناد، وهي «الإجراء الذي يلحق سمة ما (وظيفة أو حالة إعرابية أو غير ذلك) بمكون ما، وفقا لشروط معينة فيما يخص الوظائف» (2)، فمثلا: الوظائف الدلالية تُسند إلى الوظائف التحوية سلميا:



ثم تُسند سلميا إلى الوظائف التداولية (البؤرة والمحور...)

ما يُنبئ عنه هنا هو أنّ هذه «القواعد لم تحظ لحدّ الآن في النحو الوظيفي بالاهتمام اللازم، القواعد التي تظلم بنقل الحدود باعتبارها بنيات منطقية دلالية إلى مركبات، باعتبار هذه البنيات بنيات تركيبية صرفية.» (3)

الحق أنّ هذا النقل من البنية الحملية (الوظائف الدلالية) إلى البنية المكونية (الوظائف النحوية) نقل ذاتي يخضع إلى قصد ومراد المتكلم ، إضافة إلى ذلك تجسيد الوظائف الدلالية ضمن تركيب كلامي يبدأ بعمل البنية الحملية باتخاذ إطار حملي للتركيب، وهو بدوره يُحدد السمات الأساسية للمحمول.

(1) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 67.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 121.

(3) أحمد المتوكل: البنية والوظيفة، ص: 31.

تدخل البنية الحملية في إدماج مكونات الحدود معجميًا مفرداتيًا، ثم تُخصَّص الحمل وحدوده، فتكوّن وظائف وتُبنى دلالتها⁽¹⁾، « وتتخذ البنية الحملية دخلا لقواعد إسناد الوظائف (التركيبية ثم التداولية)، وقواعد مخصَّص الحمل فتحصل بذلك بنية وظيفية متوافرة فيها جميع المعلومات التي يستلزمها بناء البنية المكونية⁽²⁾ »، يعني هذا أنّ الوظائف الدلالية لها وظائف على البنيات الأخرى حتى تُحدّد شكلها التواصلي ومحتواه المُضوي.

ونمثل لهذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « مَنْ تَوَضَّأَ عَلَيَّ طَهَّرَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ. »⁽³⁾

ورد نمط التركيب:

تركيب شرطي ← جملة الشرط: "مَنْ تَوَضَّأَ عَلَيَّ طَهَّرَ."

جملة جواب الشرط: "كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ."

المتقبل: "المؤمن" في جملة

جواب الشرط

المنفذ: المؤمن، الله

في جواب الشرط.

- هدف التركيب: نوال الثواب (عشر حسنات).

- قصد الرسول صلى الله عليه وسلم: الاستعداد للصلاة، والطهارة.

- البنية الحملية (الدلالية): وضوء المسلم على وضوء به ثواب.

- البنية المكونية: تركيب شرطي: أداة + جملة شرط + جملة جواب.

- البنية الوظيفية التداولية: طهارة المسلم ودوامه عليها.

(1) ينظر: أحمد المتوكل: البنية والوظيفة، ص: 23.

(2) نفسه، ص: 23.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول: ص: 152.

يعين النحو الوظيفي:

أ - مكونات الوظائف الدلالية:

1 **الحمل:** هو موضوع التركيب «سواء أكان عالم الواقع أم عالما من العوالم الممكنة في شكل حمل، ويتألف من محمول وعدد معين من "الحدود".»⁽¹⁾

2 **المحمول:** هو الذي يدل على واقعة و« ينتمي تركيبيا إلى مقولة الفعل أو مقولة الاسم أو مقولة الصفة.»⁽²⁾

3 **الحدود:** هي الدالة على المشاركين في الواقعة، وهي نوعان:

أ - **حدود موضوعات:** هي الدالة على الذوات المساهمة في الواقعة: كالذات المنفذة، والذات المتقبلة والذات المستقبلية.

ب- **حدود لواحق:** هي الدالة على الظروف المحيطة بالواقعة: كالزمان والمكان والعلة والهدف.

4 **الواقعة:** وهي مرتبطة بدلالة المحمول ودلالة الحدود، «وتكون الواقعة إما (عملا) أو حدثا أو وضعاً أو حالة.»⁽³⁾

5 **المنفذ:** هو الذي يدل على الذي نفذ الواقعة، وتقابل وظيفة "المنفذ" دلاليًا وظيفة الفاعل نحوياً (الفاعلية).

6 **المتقبل، المستفيد، المستقبل:** هو الذي يدل على الذي تقبل، أو استفاد أو استقبل الواقعة حسب سياق التركيب الكلامي وقصد المتكلم، ودلالة الحمل والمحمول. ويمثل المنفذ والمتقبل والمستفيد والمستقبل: نوع الحدود والموضوعات، وتقابل وظيفة المتقبل دلاليًا وظيفة المفعول نحوياً (المفعولية).

7 **المكان:** يمثل لاحقة للحد فيكشف عن مكان الواقعة.

8 **الزمان:** يمثل لاحقة للحد فيكشف عن زمان الواقعة.

ويتعلقان بالدلالة وظيفياً عن المحمول الدال عن الواقعة.

(1) أحمد المتوكل: البنية والوظيفة، ص: 30-31.

(2) نفسه، ص: 31.

(3) نفسه، ص: 31.

ونمثل لهذه الوظائف الدلالية بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ.»⁽¹⁾

يظهر نمط التركيب ب: "لا" الناهية على شكل: لا + فعل مضارع، والوظيفة الدلالية لأداة النهي "التوكيد" لحمل الجملة وهو قراءة القرآن، والمحمول: "لَا تَقْرَأُ"، والمنفذ: "الْحَائِضُ" و "الْجُنُبُ"، وورد المنفذ الثاني معطوفاً بالنهي (...وَلَا الْجُنُبُ)، ومنه تظهر الوظائف الدلالية على الشكل الآتي:

الحمل: تتمثل في موضوع التركيب القراءة: قراءة القرآن، ويتألف من محمول: وظهر على شكل مقولة فعلية "لَا تَقْرَأُ"، وقد دلّ على واقعة: حكم قراءة القرآن.

أما الحدود: وردت الحدود الموضوعات ممثلة في:

المنفذ - الْحَائِضُ } المتقبل: "شَيْئًا" دال على عدم قراءة شيء من القرآن.
- الْجُنُبُ } ادالياً: المتقبل هو القرآن.

الحدود اللواحق: وردت ممثلة في ظرف الزمان المتعلق بحالة القارئ للقرآن، فتحرم قراءته في تلك المدة الزمنية حتى تُحَقَّق شرط الطهارة، كما يمثل هذا حد العلة ممثلاً في: لا يقرأ القرآن بعلة الحيض والجنابة، ويقودنا هذا إلى حدّ الهدف وهو ممثل في قصد الرسول صلى الله عليه وسلم يُقرأ القرآن بطهارة فلا يصح من الحائض ولا من الجنب لانعدام الطهارة. أما حدّ المكان فهو مطلق غير محدد في المسجد في البيت...

وهذا التحليل الدلالي يرتكز أساساً على:

- صورة المحمول.

- جملته التركيبية (فعل، اسم، صفة)

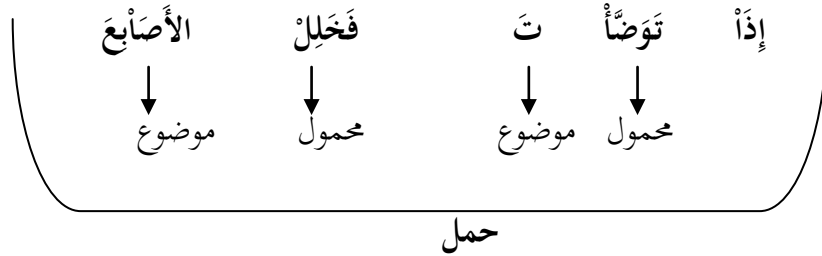
- عدد محلات حدوده.

- قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات حدوده الموضوعات.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول: ص: 268.

- الوظائف الدلالية التي تحملها الحدود بالنظر إلى دورها في الواقعة الدال عليها المحمول. (1)

والمخطط الآتي يوضح ذلك: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلَّلِ الْأَصَابِعَ.» (2)



في الجملة يظهر نوع التركيب شرطي ممثلا في: الأداة " إِذَا"، جملة الشرط: " تَوَضَّأْتَ"، الفاء: رابط، " خَلَّلِ الْأَصَابِعَ": جملة الجواب.

يدل المحمول "تَوَضَّأْتَ" على واقعة معينة وهي كيفية الوضوء بتحليل الأصابع على سبيل الصحة والاتقان، ويشترك في هذه الواقعة ذات مطلقة ضرورية، وهي الذات المنفذة: المؤمن الذي يتوضأ من أجل الاستعداد للصلاة.

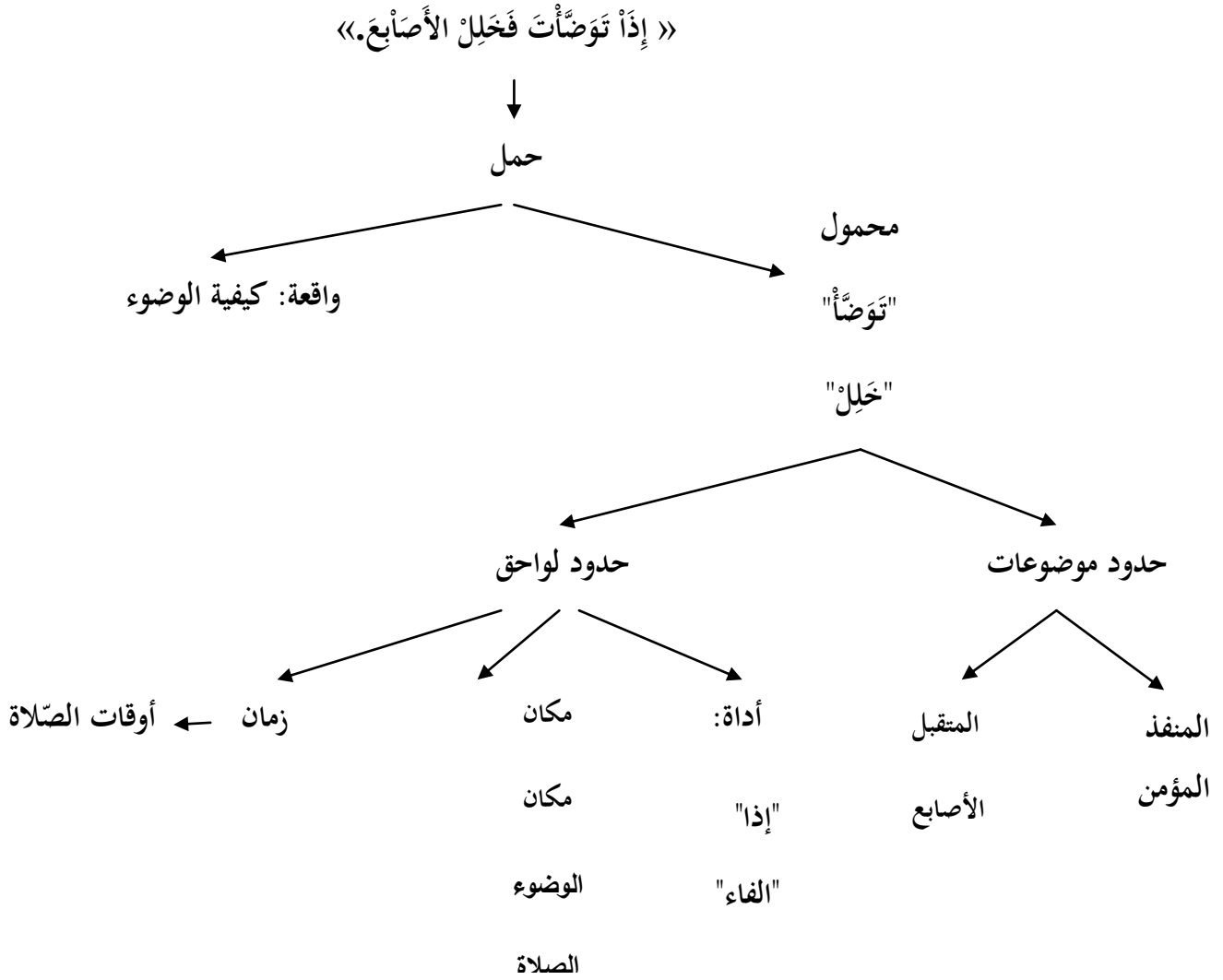
يدل المحمول " خَلَّلِ" على واقعة مخصصة، وهي بلوغ الماء بين الأصابع، ويشترك في هذه الواقعة الذات نفسها المؤمن.

يدل المحمولان: (تَوَضَّأْتَ) و(خَلَّلِ) على الذات المتقبلة، وهي " الْأَصَابِعَ"، وتحدد الواقعة التي دل عليها المحمول الظرفين الزماني والمكاني المشاركين في الواقعة حدودا لواحق "أوقات الصلاة" ومكانها، وهي حدود لا تقتضيها الواقعة.

ونبين ذلك بالترسيمة الآتية:

(1) أحمد المتوكل: البنية والوظيفة، ص: 33، 32.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 127.



يقسم "المتوكل" الحدود إضافة إلى التقسيم السابق: حدود موضوعات، وحدود لواحق. إلى: حدود وجهية وحدود غير وجهية، تكون الأولى إجبارية والثانية اختيارية، وهو تقسيم مرتكز على مفهوم "الوجهة"؛ إذ يدلّ محمول الحمل على واقعة تكون إمّا عملاً، أو حدثاً، أو وضعاً أو حالة، فيكشف عن الواقعة التي يدلّ عليها محمول الحمل حسب وجهة معينة؛ أي حسب وجهة أحد الحدود، فإن كانت الحدود داخلة ضمن الوجهة فهي حدود وجهية، وإن كانت خارج مجالها فهي حدود غير وجهية.⁽¹⁾

تنقسم الوجهة إلى منظورين «التي تقدم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل: المنظور الرئيسي»، و"المنظور الثانوي"⁽²⁾، وتمثل لذلك بقول الرسول ﷺ: «لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ».⁽³⁾

تظهر الوجهة المقدمة انطلاقا من (حُكم القراءة: قراءة القرآن).

- منظور رئيسي: يُشكل الوجهة في هذا التركيب (الحد المنفذ، الحائض، الجنب).

- منظور ثانوي: يشكل الوجهة: الحد المتقبل: "شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ".

إنّ هذا التشكيل والتجسيد للوجهة: وجهة الوقعة بُني على وظيفتين دلالتين وهما المنفذ والمتقبل، وهما وظيفتان اجباريتان؛ إذ لا يصلح التركيب دونهما؛ فالتكلم يبني بهما وجهته الكلامية، أما الوظائف غير الوجهية، فهي اختيارية متممة لدلالة التركيب، فالتكلم يختار ما يخدمه من هذه الحدود ويدرجهها وظيفياً مع الوظائف الضرورية التي تقتضيها الواقعة وتمتاز بخاصيتين:

- «خضوعها لقواعد التوارد: فالمنفذ وظيفياً يلزمه متقبل.

- امتناع حذفها لسلامة التركيب من اللحن فيضيع القصد».⁽⁴⁾

تعكس الحدود القوة الدلالية والوظيفية التراكيب اللغوية، كما تلبي مقاصد المتكلمين في ثلاث محطات: قوة الحدّ الدلالية الإحالية، قوة الحدود التخصيصية الدلالية، قوة الحد التوجيهية.

(1) ينظر: أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 18، 19، 20.

(2) نفسه، ص: 18.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 268.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 18، 19.

ب - قوى الحدود:

1 - قوة الحد الإحالية:

المقصود بمصطلح "قوة" الوظيفة الدلالية، إضافةً إلى وظائف الحدود الدلالية المعروفة للواحد منها والواصلق، ووظائف أخرى كالإحالة؛ إذ تقوم الحدود بالإحالة «على ذوات في العالم الخارجي المعني بالأمر، ويكون المحال عليه إما "عاماً" أو "خاصاً"، وإما مجموعة من الذوات أو ذات واحدة.»⁽¹⁾

هذه تمثل نقطة تلاقي وتضافر الوظائف الدلالية والتداولية، إذ الإحالة في النحو الوظيفي تُعدُّ «فعلاً تداولياً يتوخى منه المتكلم جعل المخاطب يتعرف على المحال عليه، وتتم هذه العملية عن طريق الإضافات التي يعتبرها المتكلم تُقرب المخاطب من التعرف على الذات التي يقصد الإحالة عليها»⁽²⁾، وتمثيل هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَأَلَهُ.»⁽³⁾

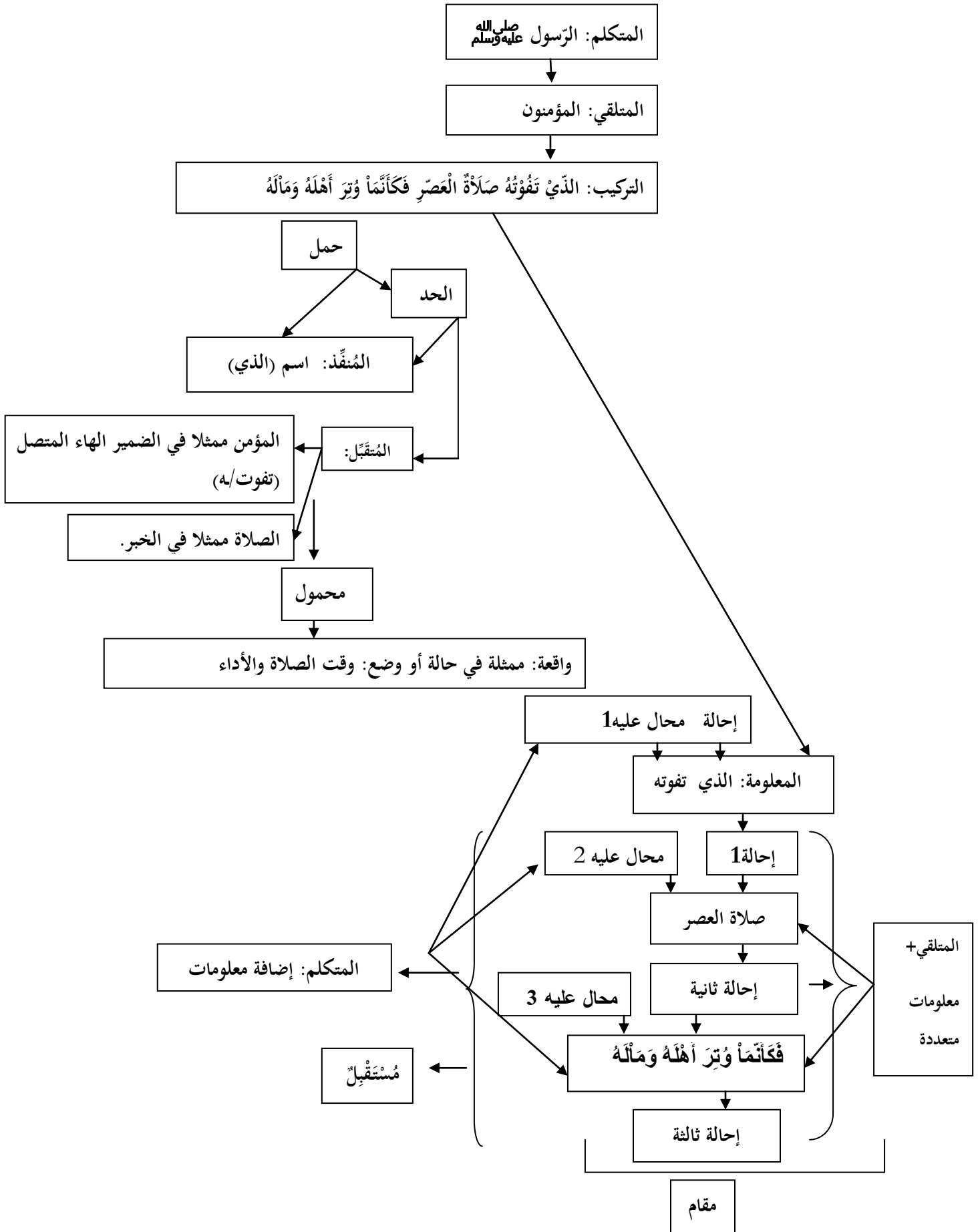
التراكيب التي بُنيَ عَلَيْهَا الحديث: الَّذِي / تَفُوتُهُ، صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَأَلَهُ.

يحمل التركيب الأول معلومة يحملها الحد رأس المحمول الاسم (اسم الموصول) (الَّذِي)، وهي معلومة غير كافية لذهن المتلقي حتى يتعرف على المحال عليه، فيحتاج المتلقي إلى قوة إحالية ممثلة في صلة الموصول (تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ .) ممثلة في التركيب الثاني، ويؤدي الحد (الَّذِي) وظيفة دلالية إضافة صلة الموصول معلومة أولى تحتاج إلى قوة إحالية ثابتة، فالجملة الموصولة احتاجت إحالة ثابتة يطلبها المتلقي قصداً وفهماً، ممثلة في التركيب الثالث "كَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَأَلَهُ." ونوضح ذلك بالمخطط الآتي:

(1) أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص: 33.

(2) نفسه، ص: 34.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 343.



نخلص إلى أن توظيف الإحالة باستعمال الحدود قوة دلالية تركيبية ترتكز على المقام والعلاقة التواصلية بين المتكلم والمتلقي، « ويتجلى هذا الارتباط في كون الفعل الإحالي ينجح تارة بعد إضافة معلومات متعددة ، وتارة دون إضافة أيّة معلومة إذا كان تعرف المخاطب على المحال عليه لا يقتضي ذلك.»⁽¹⁾

2 - قُوَّةُ الحَدِّ التَّخْصِصِيَّةِ:

هي وظيفة دلالية للحدود تكون هذه القوة خادمة للقوة الأولى قوة الحدّ الإحالية، تطبيقا لتضافر الوظائف داخل البنية الحملية، وترتبط هذه القوة ببنية التركيب الحملية، وتمثل في « شكل سلسلة من التقيدات تقوم بدور الحصر التدريجي للمجموعة المحال عليها»⁽²⁾، ليصل المتلقي بطريقة مخصصة تدريجية لمقاصد المتكلم، ومثل لذلك بالحديث السابق: « الَّذِي تَفُوُّتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَأَلَهُ.»⁽³⁾

التركيب " الَّذِي تَفُوُّتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ " ، حدّ باسم الموصول (الَّذِي)، تركيب مركب من مخصصين اثنين "الَّذِي" اسم الموصول، وجملة صلة الموصول " تَفُوُّتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ " هما مقيدان تدريجيان للتركيب المحال عليه الحد: "فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَأَلَهُ".

الحديث تدرّج في الإحالة على القضية بالمُقَيِّدِينَ الاسم الموصول وجملته، وهي قوة وظيفية للحدّ دلالية تداولية لبيان قصد المتكلم وتلبية حاجات المتلقي تواصليا، وتعتمد قوة الحدّ المخصصية من عنصريين: « مخصّص الحدّ أو مجموعة المخصصات ، مقيد أو سلسلة من المقيدات.»⁽⁴⁾

يشترط في مخصّصات الحدود أن يقوم كلّ عنصر بوظيفة " تعديد أو تسوير أو تعيين " على الذي يُجِيل عليه الحدّ من ذات أو مجموعة ذوات الدالّ عليها الحد.

(1) أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص: 34.

(2) نفسه، ص: 35.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 343.

(4) أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص: 35.

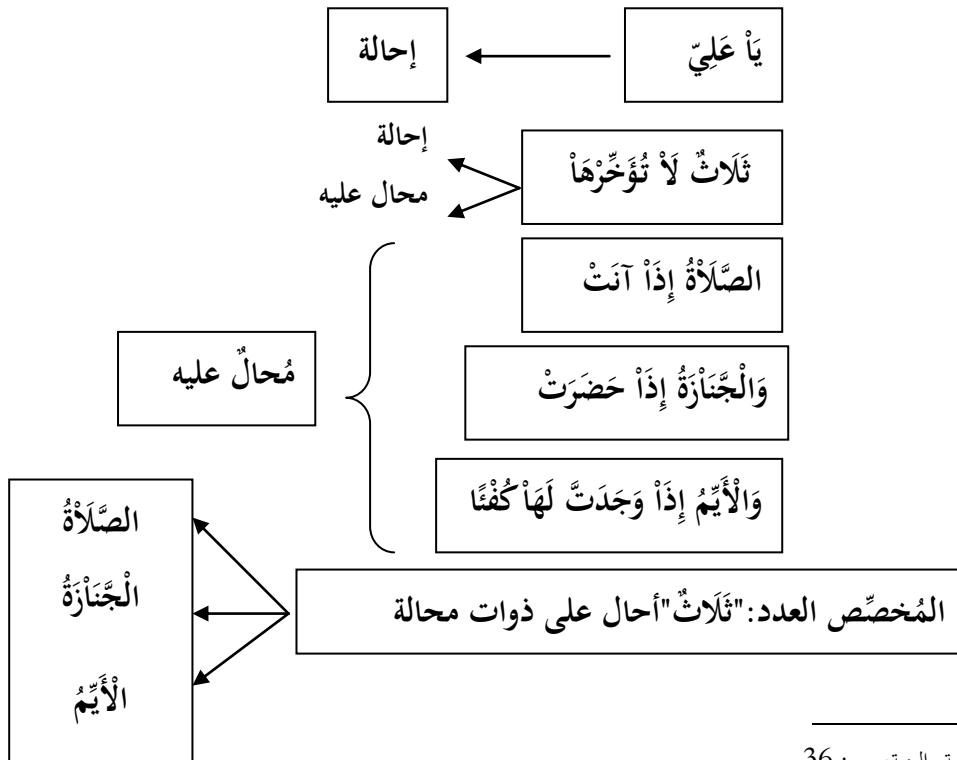
يحدد "المتوكل" مخصصات الحد التي تقوم بهذه الوظيفة أو الوظائف الثلاثة في أربعة مخصصات نذكر منها ثلاثة: المعددات، الأسوار، أداتا التعريف والتذكير، وأسماء الإشارة. (1)

أ - المخصص المعدد:

يقوم هذا المخصص بوظيفة تخصيص الحد من حيث العدد، فيقيده بعدد، وهي مفردات قائمة الذات كالأسماء، الأعداد "ثلاثة" و"أربعة" و"خمسة"، ولواصق تلحق بالاسم المعدد كلاصقة المثني ولاصقة جمع المذكر السالم مثلاً.

تمثل لهذا النوع المخصص بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « يَا عَلِيّ ثَلَاثٌ لَا تُؤَخَّرُهَا: الصَّلَاةُ إِذَا آتَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالْأَيْمُ إِذَا وَجَدَتْ لَهَا كُفْمًا. » (2)

يظهر نوع التركيب ندائي، وتمثل الحد المخصص في لفظة "ثلاث"، فخصصت الذوات عددا وهي: الصلاة، والجنازة، والأيم، لأنه قام بتخصيص المتقبل (وهي مجموعة ذوات) على الذي أحال عليه الحد، فالاسم العدد أحال على الذوات الثلاثة تدريجياً، وتمثل بالمخطط الآتي



(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص: 36.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 335.

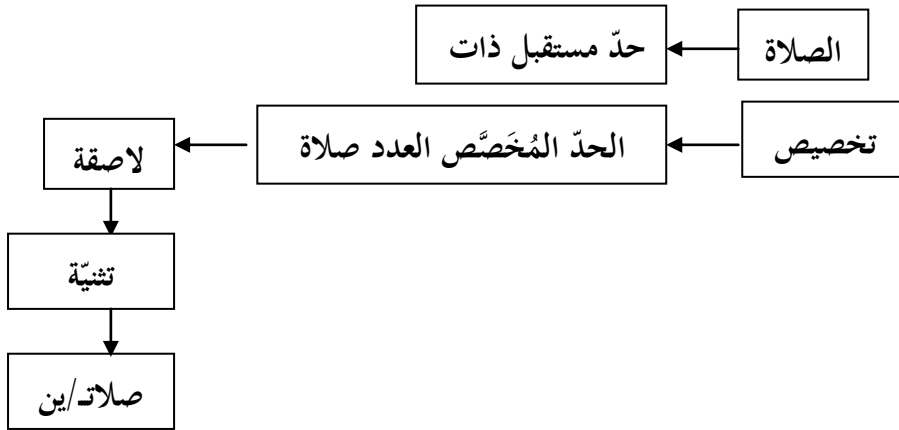
صلى الله عليه وسلم: «مَنْ جَمَعَ بَيْنَ

يُؤَدِّي الْمُخَصَّصَ لاصقة دور وظيفي تلحق الاسم المعدد كما في قوله

الصَّلَاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُدْرِ فَقَدْ أَتَى بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْكِبَائِرِ.»⁽¹⁾

يظهر الحدّ المُخصَّص للعدد في التراكيب الشرطي في الحدّ المتقبل (الصَّلَاتَيْنِ)، بتأدية الدور الوظيفي

الممثل في التثنية، والشكل الآتي يوضح ذلك:



إنّ الذي يُحدد المُخصَّص العدد من الحدّ والذات هي قواعد التعبير، فالتكلم يُوظَّف ما يخدمه ويناسبه

لتخصيص الدوات المُعبّر عنها، وما يقتضيه المُتلقّي.

صلى الله عليه وسلم: «

يقوم المُخصَّص الحدّ بتخصيص الذات الدال عليها المحمول عددا وتفسيرا ومثاله قول الرسول

صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضَلُ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً.»⁽²⁾

نوع التراكيب فعليّ أحال المنفذ " صَلَاةُ " على فضل صلاة الجماعة، وهو قصد الرسول الكريم، والهدف

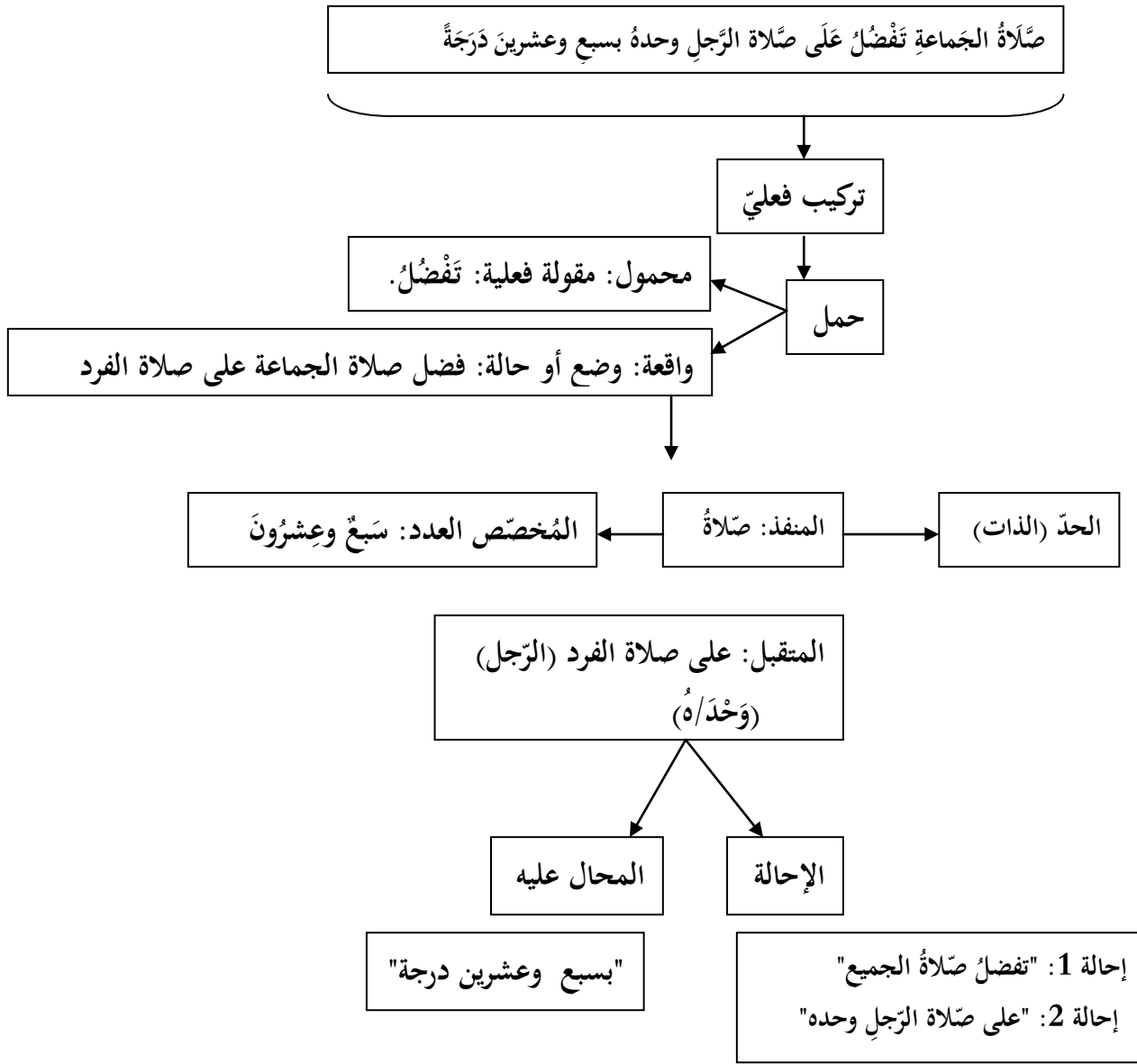
تمثّل في الحفاظ على صلاة الجماعة ونيل الثواب، وقام العدد " بسبعٍ وعشرين " بتخصيص الحدّ الذات، وهي

" الصَّلَاة " عددا، وتفسيرا بلفظة " دَرَجَةً "، كما خصَّصَ المُحال عليه وبيّن عدده، ويتوضح ذلك من خلال

الترسّمة الآتية:

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 364.

⁽²⁾ نفسه، ص: 411.



تكمن الوظيفة الدلالية المُخَصَّصُ العدد في تخصيصه للحدّ، وتوجيه الإحالة على المحال عليه طلباً للإفهام

والفهم وتوصيل المقاصد.

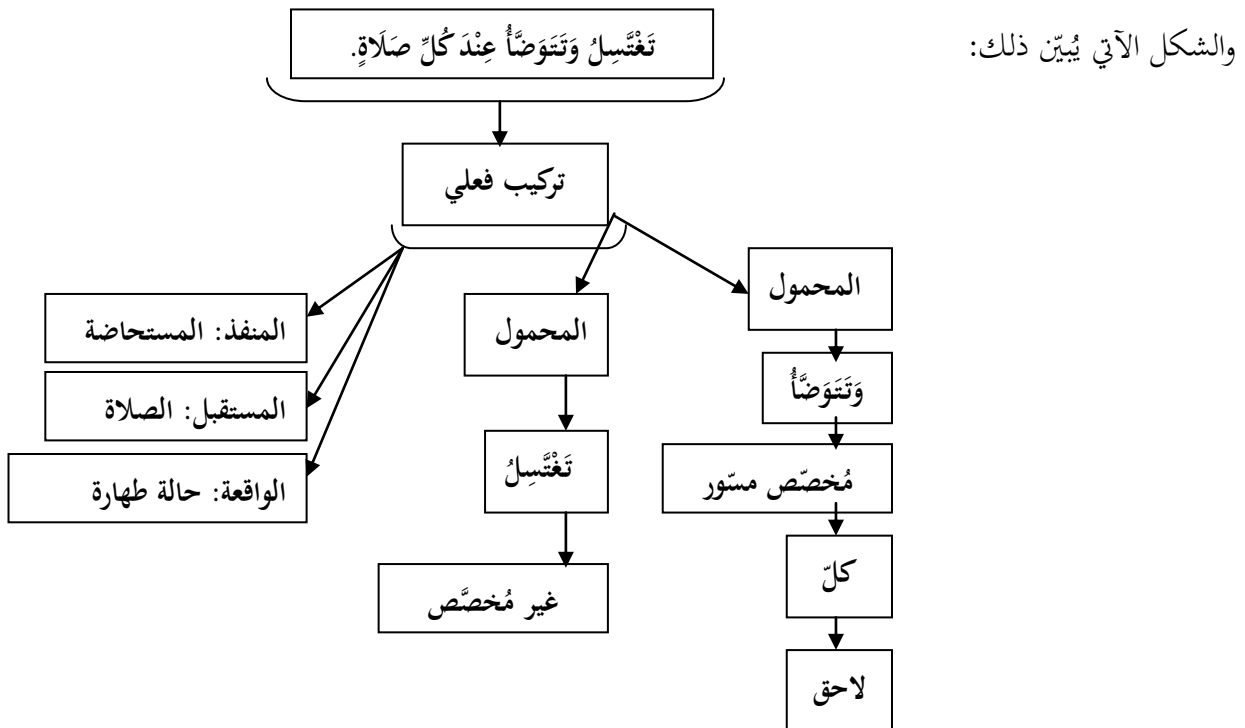
ب - الْمُخَصَّصُ الْمُسَوَّرُ:

بالتخاذ البنية الحملية بنية تتجسد فيها الوظائف الدلالية، يكون التركيب قد ضمّن للوظيفة التحقق؛ لأنّ أيّ مكون في التركيب اللغوي لا تتعيّن دلالاته إلاّ بتحديد وظيفته.

وعليه الأسوار المخصصات هي التي « تتحقق في شكل المفردات التي من قبيل "كلّ" وجميع" و"بعض".»⁽¹⁾

من الأمثلة التي تجسّد قوة المخصص المسوّر دلاليًا ووظيفيًا قول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة: « تَدْعُ الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا الَّتِي كَانَتْ تَحِيضُ فِيهَا، ثُمَّ تَغْتَسِلُ وَتَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ وَتُصَلِّي. »⁽²⁾

تمثّل قصد الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن المستحاضة في دلالة " تَدْعُ الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا " « جمع فُرء وهو مشترك بين الحيض والطهر والمراد به ههنا الحيض. »⁽³⁾



⁽¹⁾ أحمد المتوكل: البنية والوظيفة، ص: 36.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 255.

⁽³⁾ المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 393.

دلالة تركيب "تَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" «متعلق بتوضأ لا بتغتسل»⁽¹⁾، و"تَتَوَضَّأُ" محمول فعلي، ولفظة "كُلِّ" حدّ لاحق متعلق بالحدّ اللاصق المنفذ، وهو المستحاضة.

هو مستور خصّص الحدّ "المنفذ" للوضوء عند كل صلاة لعلّة، كما أنه خصّص المحمول "تَتَوَضَّأُ" دون المحمول الأول "تَغْتَسِلُ"، كما ورد في شرح الحديث.

ج - المخصّص المُشير:

تشارك الحدود في تشكيل الواقعة دلاليًا؛ إذ يُنتج التركيب ببنية حملية تامة: بتطبيق قواعد الأساس وإدماج الحدود وقيود الانتقاء، وهذه الأخيرة يتطلبها قصد المتكلم، حيث يتوخى بها إفهام المخاطب ويُعدّ المشير في النحو الوظيفي «أحد مخصّصات الحدّ يتم تحقُّقه في شكل مُشير عن طريق قواعد التعبير»⁽²⁾.

تُؤدّي الإشارة - إلى جانب وظيفتها المخصصة للحد- وظيفة دلالية تداولية متمثلة في الإحالة «على ذات (أو واقعة أو فكرة...)» معيّنة لها وجود إمّا في المقام التخاطبي [...] أو في السياق»⁽³⁾.

المخصّص المُشير مُهيأً وظيفيًا لتخصيص الحدود الموضوعات، لأنّه ينتظم مع المُشير إليه بعلاقة الإحالة، وله أثر دلالي وقوة وظيفية تخصّصية في غيره، ونمثل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»⁽⁴⁾.

قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بتركيب "إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ" «أي إنّ صاحبي القبرين يُعَذَّبَانِ [...] يُجتمَل أن يُقال أَعَاد الضمير على غير مذكور لأنّ سياق الكلام يدلّ عليه، وأن يُقال أعاده على القبرين مجازًا والمراد من فيهما»⁽⁵⁾ يظهر من الحديث تركيبين إشاريين: - هَذَا كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ.

- هَذَا كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.

(1) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 393.

(2) أحمد المتوكل: البنية والوظيفة، ص: 37.

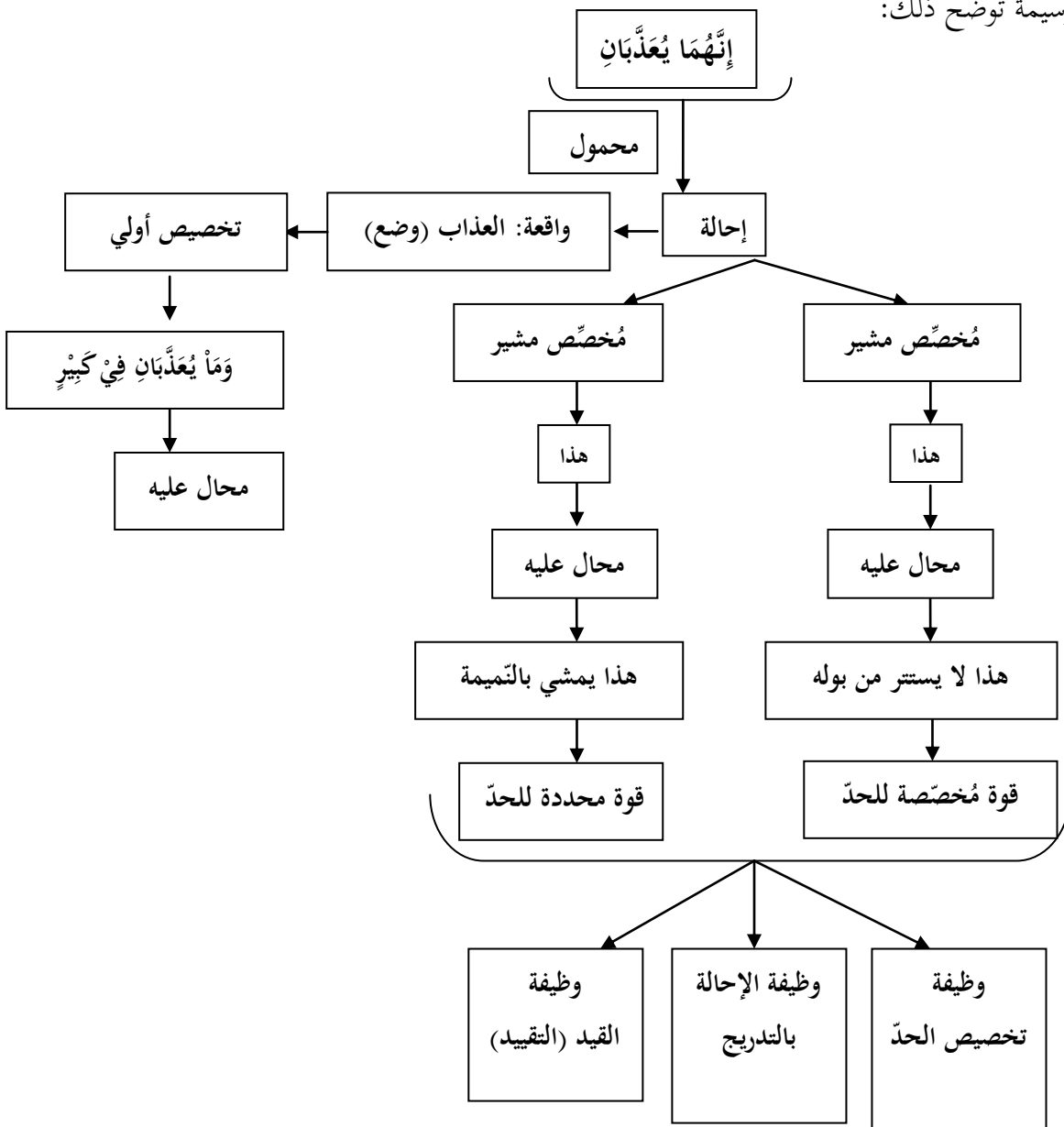
(3) نفسه، ص: 37.

(4) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 163.

(5) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 232.

تمثل المخصص المُشير وظيفيًا في اسم الإشارة "هذا"، وتمثلت الإحالة في الحديث بتركيب "إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ" ، وأدّت قُوّة المخصّص لاسم الإشارة "هذا" إلى تخصيص المحمول "يُعَذَّبَانِ" في تركيب محال عليه، فدلّت الواقعة على وضع صاحبي القبر وهو العذاب، والقوة الدلالية للمخصص المُشير داخل البنية الحملية في التراكيب المحال عليها: خصّصت علّة العذاب؛ فالرجل الأوّل علّة عذابه عدم السترة من البول، والثاني علّة عذابه المشي بالتميمة.

ما يتّضح من وظيفة وقوة المخصص المُشير داخل البنية الحملية هو أنّه لا يمكن تحديد دلالة التّركيب اللّغوي إلّا على أساس القوة المخصّصة للمُشير "هذا". بهذا يُؤدّي المخصص المُشير قيدا أو للدلالة، فالعذاب له علل كثيرة، وبوظيفته الدلالية يُكشف القصد، وهو عدم السترة من البول والمشي بالتميمة علّتان موجبتان للعذاب، والترسيمة توضح ذلك:



ومنه نحمل وظائف الحدود في: التخصيص، والإحالة، والتقييد بصفة عامة.

3 - قُوَّةُ الحَدِّ التَّوْجِيهِيَّة:

هي قوة تظهر وظيفتها حين الربط بين البنية الحملية والبنية المكونية في التوجيه الدلالي، ومصطلح "التوجيه" هو «العملية التي يتم بها إدخال حد من حدود الحمل في مجال الوجهة»⁽¹⁾، والتوجيه قد يكون منوطاً بحد من الحدود وقد ينتفي عنه، ومنه التوجيه صنفان: «التوجيه الثابت، والتوجيه المتغير»⁽²⁾.

أ - التوجيه الثابت:

تتميز حدود المحمول بقوة التوجيه، الي يُؤديها وظيفياً أحد الحدود الموضوعات، «ثمة حدود لا يمكن أن ترد في الجملة إلا وهي موجهة أي داخلية في مجال الوجهة المقدمة انطلاقاً من الواقعة الدال عليها المحمول».

ومثاله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ»⁽³⁾

الحدّ الحامل للوظيفة الدلالية "المنفذ" موجه ثابت، قام بقوة التوجيه المتمثلة في فعل القراءة تحريمه على "الحائض والجنب"، ويمتد التوجيه للحدّ الحامل للوظيفة الدلالية المتقبل "شَيْئًا" في توجيه المحمول "لَا تَقْرَأُ" الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ أَيِّ كِتَابٍ، وهو كتاب مقدس ممتثل في كلام الله القرآن.

يتضافر: الحدّ المنفذ، والحدّ المتقبل في قوة التوجيه للواقعة الدال عليها المحمول وهي: حالة تحريم قراءة

القرآن الكريم بعلّة.

ب - التوجيه المتغير:

قد تكون قوة التوجيه لحد من الحدود فاعلة في تركيب، وقد تتغير إلى حد آخر في تركيب آخر، كما

في الحديث السابق، فالمكان والزمان انتفت بهما قوة التوجيه لعدم الحاجة إليها؛ إذ لا توجه الواقعة الدال عليها

الحمل

(1) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى المكونية، ص: 30.

(2) نفسه، ص: 30.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 268.

قد يحمل الحدّ المكان والحدّ الزمان قوة التّوجيه إذا كان داخلاً في مجال الوجهة، والتّغير في التّوجيه يعني أنّ الحدود تُرَدُّ بقوة التّوجيه مع إمكانية عدم ورودها بها في مختلف التّراكيب.

ترتبط هذه القوة التّوجيهية للحدود بنوع صيغة المحمول ومقولته التّركيبية؛ إذ يكون من قبيل: الفعل، والاسم، والصّفة، وقوة الحدّ التّوجيهية تعمل دلاليّاً في التّراكيب انطلاقاً من: هيئة المحمول، فكونه في التّركيب اسماً فإنّه يفقد قوة التّوجيه للحدّ الزّمان، ويُفَعَّل هذه القوة كونه فعلاً.

ترتبط قوى الحدود الدلالية بجهة الحمل والمقصود بالجهة «الموقف الذي يتخذه المتكلم إزاء الواقعة التي يدلّ عليها الحمل؛ فالتكلم بوجه عام يمكن أن يقف من الواقعة موقف المتيقن أو موقف الشّاك أو موقف المتردد أو موقف الرفض»⁽¹⁾، الرّسول عليه وسلّم في أحاديثه يعالج متلقين بهذه المواقف، فكان حرصه عليه وسلّم «على مراعاة فئات النّاس التي تتفاوت في درجات فهمها واستيعابها وإدراكها لمعاني الكلام، فكان عليه وسلّم لا يدع مجلساً يتحدث فيه إلى قوم حتّى يطمئن إلى أنّ رسالته قد بلغت، وأنّ حكم الله قد فهم»⁽²⁾، تتعلق الوظائف الدلالية والقوى الحدودية بالإطار الحمليّ، إذ يُحدّد الإطار الحمليّ المقولة التّركيبية للمحمول، ومحلّات موضوعاته وقبود التّوارد والانتقاء والأدوار الدلالية. ومنه الإطار الحمليّ تتحقّق فيه قوى الحدود الموضوعات، ويُطلق عليه بالإطار "الحمليّ التّووي" بإضافة محلّات لواحق كالحدّ الزّمان والحدّ المكان.

تقيم الوظائف الدلالية بالقوة الوظيفية علاقات مع الرّأس والتّوأة، فالتّوأة وظيفية والرّأس تركيبيّ «مؤدّي ذلك أنّ أيّ مكوّن من مكونات المُرْكَب يمكن أن يُرشح للرّأسيّة [...] سواء أكان اسماً أو مُحدداً من المُحدّدات.»⁽³⁾

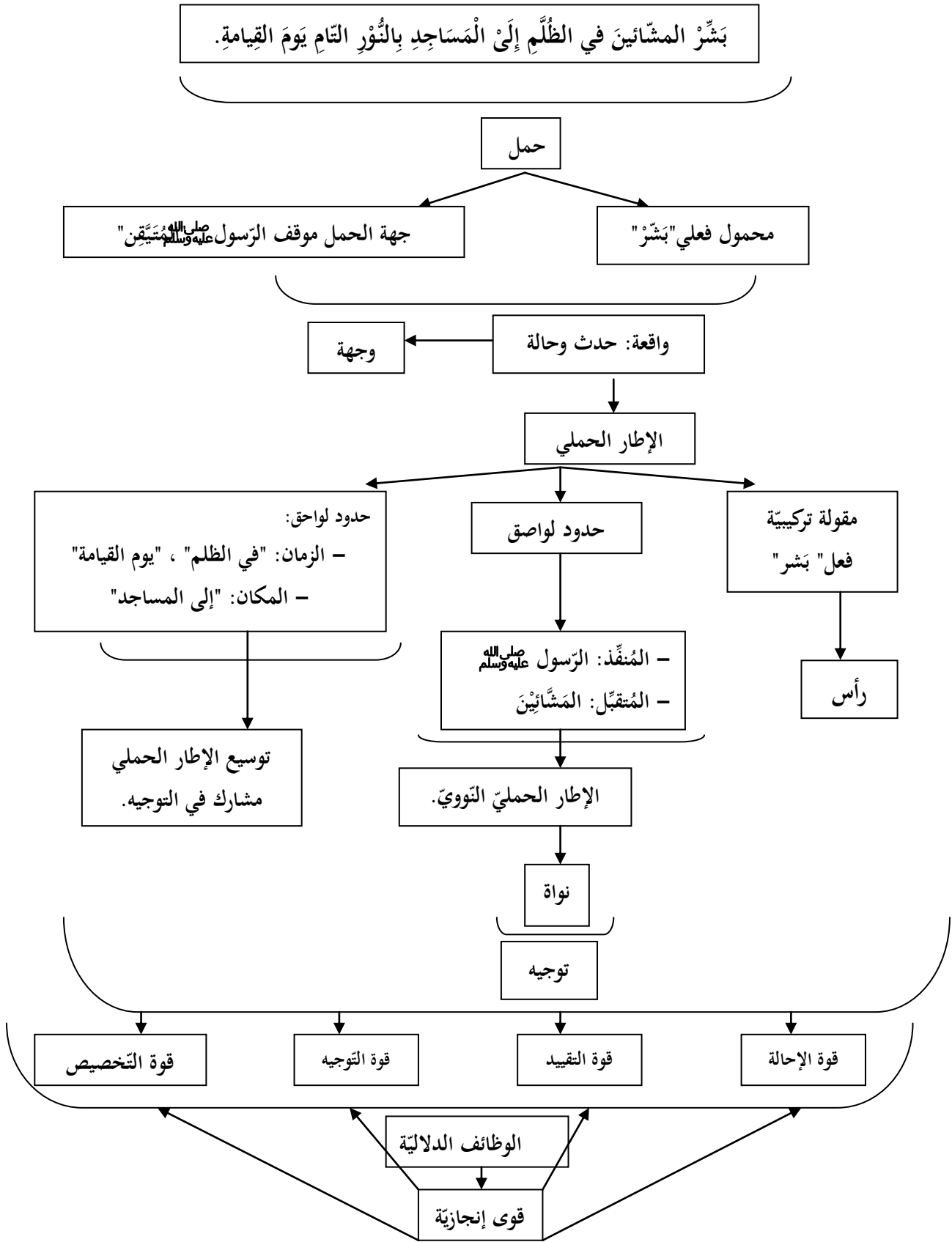
الحمل ووجهته والمحمول ومقولته والتّوأة ووظيفتها والرّأس وتركيبته متعلقات بالوظائف الدلالية، وقوى حدودها، وتمثّل له بقول الرّسول عليه وسلّم: «بَشْرُ الْمَشَائِنِ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁴⁾، ونبيّن ذلك بالترسيمة الآتية:

(1) أحمد المتوكل: البنية والوظيفة، ص: 96.

(2) عودة خليل أبو عودة: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، 1991، ص: 671.

(3) أحمد المتوكل: التّركيبات الوظيفية، ص: 40.

(4) سنن الترمذي، ص: 423.



الفصل الثالث: الوظائف الدلالية في تراكيب الحديث النبوي الشريف.

المحمول الفعلي "بشّر" دلّ على طلب فهو محمول طلبيّ، والطلب في الحديث القصد منه تحقق وانجازيّة الواقعة الدال عليها الإطار الحملي بقوة النواة "ا لَمَشَائِينَ" الوظيفيّة وتركيبية الرأس "بشّر"، وللمحمول قواعد تكونه، إذ «يمكن أن يَنْتُج عن تطبيق قواعد تكوين المحمولات تغيير في (أ) مقولة المحمول المعجمية و(ب) محلاتيته الكميّة (توسيعاً أو تقليصاً) أو الكيفيّة (إمّا) في مستوى الوظائف الدلالية أو في مستوى قيود التوارد.»⁽¹⁾

المقصود بمقولة المحمول فعليته أو اسميته، والمقصود بمحلاتيّة المحمول «من "محلّ" الحدود الموضوعات التي يأخذها محمول ما.»⁽²⁾

أما المقصود بالمحلاتيّة الكميّة للمحمول هي مجموع الموضوعات التي يقتضيها المحمول ومنه: محمول أحادي المحلّ وثنائيّ المحلّ وثلاثيّ المحلّ.

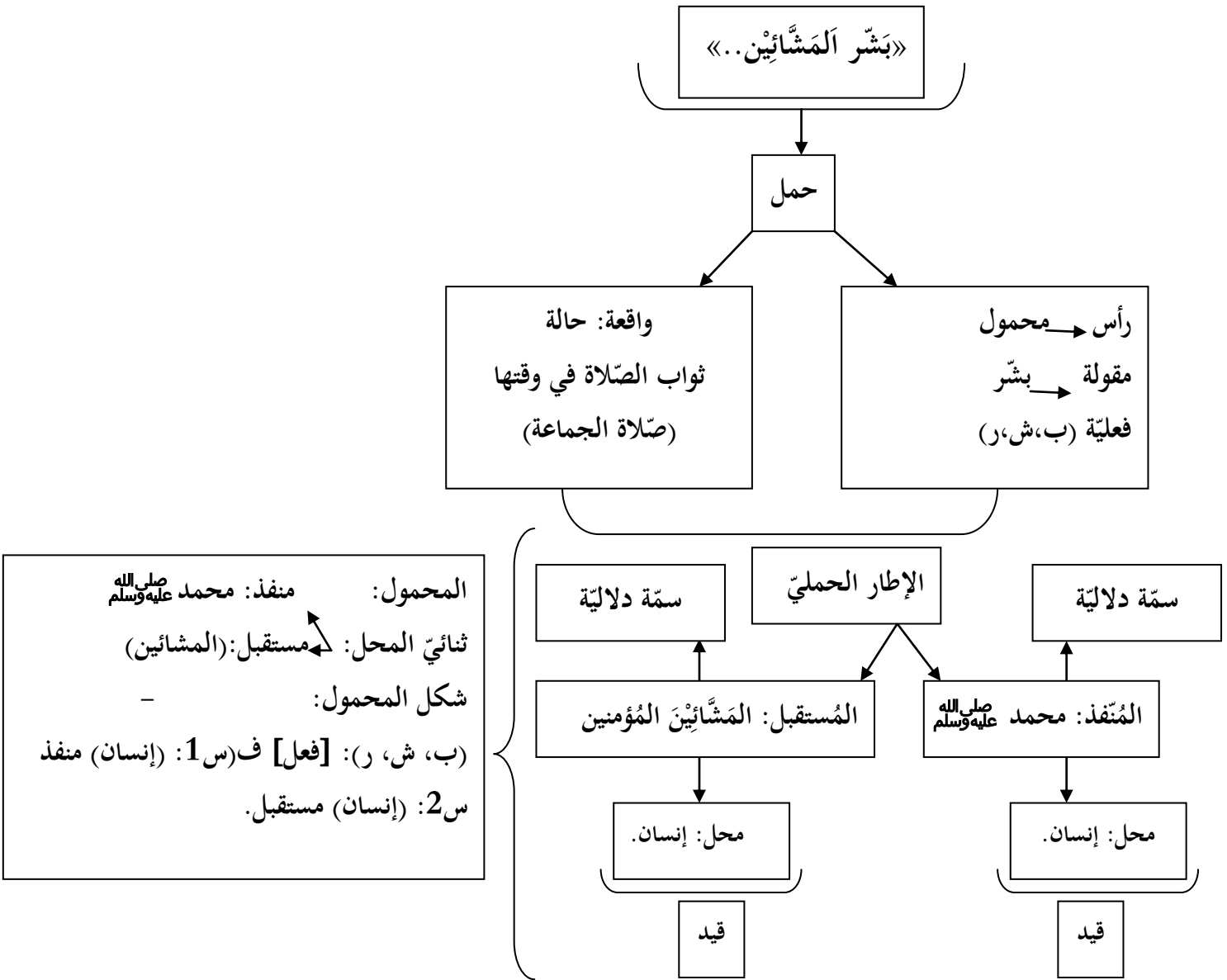
أما المقصود بالكيفيّة: السمات الدلالية للحدود الموضوعات التي يستلزمها المحمول وهي سمتان: سمة الوظائف الدلالية، منفذ متقبل، مستقبل، و قيود التوارد حيّ، إنسان...⁽³⁾

تمثل لمقولة المحمول ومحلاتيّة كفيّتها وكميّيها بالإطار الحمليّ للتركيب النبوي السابق بالشكل الآتي:

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 182.

(2) نفسه، ص: 184.

(3) ينظر: نفسه، ص: 183، 184، 185.



ومنه نخلص إلى:

- تتجسد المفردات (الأصول والمشتقة) أطرا حملية، تعمل هذه الطر على تحديد محلات المحمول (الكمية والكيفية) ووظائفه وموضوعاته الدلالية، كما تحدد قيود الانتقاء.
- يُمثل الإطار الحملّي (الرأس، التّوأة) مادة أولية لصياغته البنية الحملية للوظائف الدلالية داخل التّركيب.
- تشكل البنية الحملية: المحمول التي تتجسد فيها الوظائف الدلالية في شكل حدود ومخصصات.

- تنقل الحمول من بنية وظيفية تامة بتضافر الوظائف التحويية (فاعلية ومفعولية) والوظائف التداولية (الخور والبؤرة).

- نوعية الحمول من نوعية الحمل والقوة الدلالية بالإطار الحملّي، فالحمول والحمل والحدود تعمل وظيفيًا ضمن إطار عمليّ وبنية حملية⁽¹⁾.

إضافة إلى هذه المتعلقات والمكونات الدلالية نذكر:

الوظائف الدلالية داخل التركيب (البنية الحملية) تعمل على مكّونين أساسيين هما: القضية والوجه، أمّا القضية فتدلّ على فحوى الجملة القضوي، وأمّا الوجه فيدلّ على نمطها الحملّي إنّ: خبرية، أم شرطية، أم استفهامية، كما يدلّ على دلالة زمنها إن ماضيًا أم حاضرًا، أم مستقبلاً.

تدلّ القضية على نسبة شيعين ينتج عنهما إسناد وإحالة ومحتوى قضوي، كما يدلّ الوجه (الجهة) على الواقعة التي دلّ عليها محمول التركيب من حيث تكوينها الداخلي وماحلّ تحققها⁽²⁾.

ونبيّن فيما يلي متعلقات الوجه (الجهة) في الحديث النبوي الشريف:

يتعلق الوجه بالحمل والحمول داخل البنية الحملية، تعلقه بالإيجاز (القوة) والقضية، «حيث يقع الحمل في حيّز القضية والقضية في حيّز الوجه الذي يتموضع في حيّز القوة الانجازية»⁽³⁾، ويقع المحمول في حيّز الوجه، كما يوضحه المخطط الآتي:

[محمول ← [وجه] قضية [إنجاز] حمل]

ونمثل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا. »⁽⁴⁾

(1) ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 72.

(2) ينظر: يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، مخطوط، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006، 2005، ص: 219، 222، 225.

(3) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 75.

(4) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 348.

تشكل القضية من دلالة فحوى التركيب القضوي ، وهو نسيان الصلاة وقضائها حين التذكر، وهذا يشكل وقوع الحمل في حيّز القضية، وبجسد الوجه في نمط التركيب، وهو: تركيب شرطي، تتكمن دلالة الوجه على الواقعة ، وهي حالة نسيان الصلاة التي دلّ عليها المحمول "نسي" الذي يقع في حيّز الوجه.

أما القوة الإنجازية تجسدت في تموضع الوجه في حيّزها وهي ممثلة في: قضاء الصلاة بعد نسيانها حين التذكر ، والوجه مُوزّع على ثلاثة أنواع:

ج- أنواع الوجوه:

1 - الوجوه اللازمة:

هو وجه المحمول، وفيه تُحدد العلاقة الممكن قيامها بين أحد المشاركين وتحقيق الواقعة، ومن هذه العلاقة: علاقة إجبار، وعلاقة رغبة، وعلاقة ترخيص، وعلاقة استطاعة ⁽¹⁾ ، وهو ممثل في الحديث السابق: وجه "نسي"

- علاقة إجبار: على المؤمن أن يقضي ويؤدي صلاة منسية إذا تذكرها.

- علاقة استطاعة: باستطاعة المؤمن أن يؤدي صلاة منسية.

2 - الوجوه الموضوعية:

هو وجه الحمل حيث يُحدد ويقوم المتكلم بتحقيق الواقعة من زاوية النظر إليها في حد ذاتها، والتقويم

يكون بالنظر إلى قواعد أخلاقية أو قانونية أو اجتماعية وهي نوعين:

أ - وجوه معرفية:

يُشكل قطبيها: الإيجاب والسلب وأهمها: مُؤكد ومُحتمل، وممكن، ومستحيل.⁽²⁾

⁽¹⁾ ينظر: يحي بعبطيش: نحو نظرية وظيفية، رسالة دكتوراه، ص: 227/ ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، ص: 190.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، ص: 227.

ويتجسّد الوجه الموضوعي في الحمل وهو أداء الصلّاة بعد التّسيان حين التّذكر، بقطب الإيجاب حين يتذكر المؤمن صلّاة نسيها فيؤدّيها، وقطب السّلب حين يتذكر المؤمن صلّاة نسيها ولا يؤدّيها وهو بذلك:

- مُؤكّد: أن يتذكر المؤمن صلّاة نسيها فيؤدّيها.

- مُحتمل: أن يقع المؤمن في الشك في قضاء الصلّاة وأدائها بين التّذكر والتّسيان.

- مُستحيل: أن يتذكر المؤمن صلّاة ولا يؤدّيها. لأنه أمر من النبي (ص) بالقضاء.

ب - وجوه شرعيّة: وهي فروع منها: واجب، ومقبول، ومرخص، وممنوع، وهي في الحديث الشريف السابق:

- واجب: على كل مؤمن أن يؤدي الصلّاة المنسية حين التّذكر.

- مقبول ومُرخص: للمؤمن الذي لم يتذكر صلّاة ترخيصاً لا يؤدّيها.

- ممنوع: يُمنع على المؤمن حين يتذكر صلّاة منسيّة أن لا يؤدّيها وهو وجه التّحريم.

3 - الوجوه المعرفيّة:

يُحدّد هذا الوجه الموقف الذي يتخذه المتكلم من صدق القضية وهو نوعان:

أ - وجه ذاتي:

يُعبر المتكلم عن رأيه الشّخصي فيما يمسّ صدق القضية، فالرسول الكريم أوامره واجبات ونواهيه

محرمات، فأمر بأداء الصلّاة المنسيّة بعد تذكرها، وهو يوجب ذلك على كلّ مؤمن تذكّر صلّاة منسيّة.⁽¹⁾

ب - وجه مرجعي:

فيه يُحدّد المرجع الذي يستند إليه المتكلم في اتّخاذ موقفه من صدق القضية، ونورّد المرجع الشرعي، وهو

القرآن الكريم في قوله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا»⁽²⁾

ثمّ إنّ الرسول عليه وسلّم وحديثه يُعدّ مرجعاً فهو نبيّ هذه الأمة، والسّنة هي المرجع الثاني بعد القرآن

الكريم، فاستند الرسول عليه وسلّم إلى القرآن الكريم كونه دستور هذه الأمة وإلى نفسه كونه نبيّ هذه الأمة.

⁽¹⁾ ينظر: أحمد المتوكّل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، ص: 190/ للتوسع في أنواع الوجوه

(الجهة)، ينظر: يحيى بعبطيش، نحو نظرية وظيفية، ص: 227، 228.

⁽²⁾ سورة النساء: الآية: 103.

يتّضح فحوى القضية في شرح الأحمدي: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها [...] لا كفارة لها إلا ذلك، قال التّوي: لا يُجزئه إلا الصلاة مثلها ولا يلزمه مع ذلك شيء آخر.»⁽¹⁾

هذه الخواص: خاصية (الوجه) وخاصية (القضية) وخاصية الإحالة... تدعم الوظائف الدلالية ضمن البنية الحملية حتى تكون تامة، فكلّ تركيب من الناحية الدلالية يعتمد وجهها وقضية (محتوى قضوي)، وحمل ومحمول وحدود، إلا أنه من الممكن جدا اعتبار هذه الخصائص تداولية وتركيبية في تضافر استعمالها تواصلية.

التركيب اللغوي ووظيفته التواصلية ووظائفه الثلاث: النحوية، والدلالية، والتداولية؛ إذ لا يمكن تحليله، تحليلا كافيا دون الرجوع إلى الخصائص الوظيفية الدلالية والتداولية، وتحدد ماهية الوظائف الدلالية حين تأخذ وضعا مميزين:

- أولاهما: أنّ الوظائف الدلالية تتفاعل في عملية التواصل انتقاء وإدماج في مسرح الوظيفية؛ حيث تُضاف إليها الوظائف النحوية والتداولية.
- ثانيهما: أنّ العلاقة بين الوظائف الدلالية علاقة محددة ذات طابع وظيفي يجعل منها وظائف مستقلة، لكن متضافرة في تفاعلها يخدم بعضها بعضا، ويُجمل بعضها إلى بعض.

3-8- أنماط الجمل والوظائف الدلالية:

تتجسد الوظائف الدلالية في أنماط التركيب، وهي عند المتوكل: "الجمل الربطية، والجمل المركبة والبسيطة، والاسمية والفعلية.

تُحدد قبل هذا بنية ومستويات الجملة، وهي ثلاث مستويات مستوى صرفي تركيبية يُمثل البنية المكونية، ومستويين، مستوى دلالي- تداولي يُمثل البنية التحتية، وعناصر البنية التحتية «أصناف ثلاثة وحدات معجمية (محمول وحدود) ومُخصّصات ووظائف (دلالية ووجهية وتداولية)»⁽²⁾

تُشكل هذه العناصر طبقات، وهذه الطبقات قوامها ثلاث مكونات أساسية: نواة، مخصص، لاحق، والنواة تشكل طبقة الطبقة (سلسلة) في السلمية الحملية فيشكل الحمل نواة لطبقة القضية، والقضية نواة لطبقة

(1) المباركفوري: تحفة الأحمدي، ص: 529.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيب، ص: 46.

الإنجاز ومن منظور الوظيفية الطبقات أربعة طبقة الحمل المركزي، طبقة الحمل الموسع وطبقة القضية وطبقة الإنجاز.⁽¹⁾

تمثل هذه العناصر والمكونات والطبقات التجسيد الدلالي-التداولي في التراكيب اللغوية من البنية التحتية إلى البنية المكونية (التركيبية).

تتجسد الوظائف الدلالية داخل البنية الحملية، هذه الأخيرة تتمثل في بنيتين مُدمجتين وهما بنية الحمل وبنية الدلالة، تمثل الأولى علاقات المحمول بحدوده الموضوعات واللواحق، وتمثل الثانية دلالة المحمول على الواقعة ومقولته الفعل، والاسم، والظرف، والصفة، ودلالة الحدود على المشاركين في الواقعة، ومنه يبرز دور كل حدّ على شكل وظيفة دلالية (منفذ، متقبل...)⁽²⁾

يُصنّف "المتوكل" أنماط الجمل في اللغة العربية «بالنظر إلى مقولة المحمول التركيبية نمطان: جمل فعلية، وجمل غير فعلية»⁽³⁾، ويقسم النمط الثاني «جملا اسمية وجملا رابطية Copular Sentences»⁽⁴⁾

يعتمد في تصنيف الجمل ضمن نظرية النحو الوظيفي على دلالة المحمول وجنسه سواء أكان: اسما أم فعلا، أم ظرفا أم صفة، فجنس المحمول يُحدد نوع الجملة، فإذا كان المحمول فعلا فهي جملة فعلية (المحمول الفعلي)، وإذا كان المحمول اسما أو حرفا أو ظرفا أو صفة، فهي جملة اسمية (المحمول غير الفعلي) (الاسمي)، ويتخذ المتوكل نوعا ثالثا للجمل تُعرف بالجملة الرابطية، وهي جمل ذات محمول «غير الفعلي المشتملة على رابط (Capula) من قبيل كان وغيرها»⁽⁵⁾

(1) ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، بنية المكونات أو التمثيل الصربي-التركيبي، ص: 46.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصربي التركيبي، ص: 25/ وينظر: يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية، رسالة دكتوراه، ص: 230، 231.

(3) أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 81.

(4) نفسه، ص: 81.

(5) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 21.

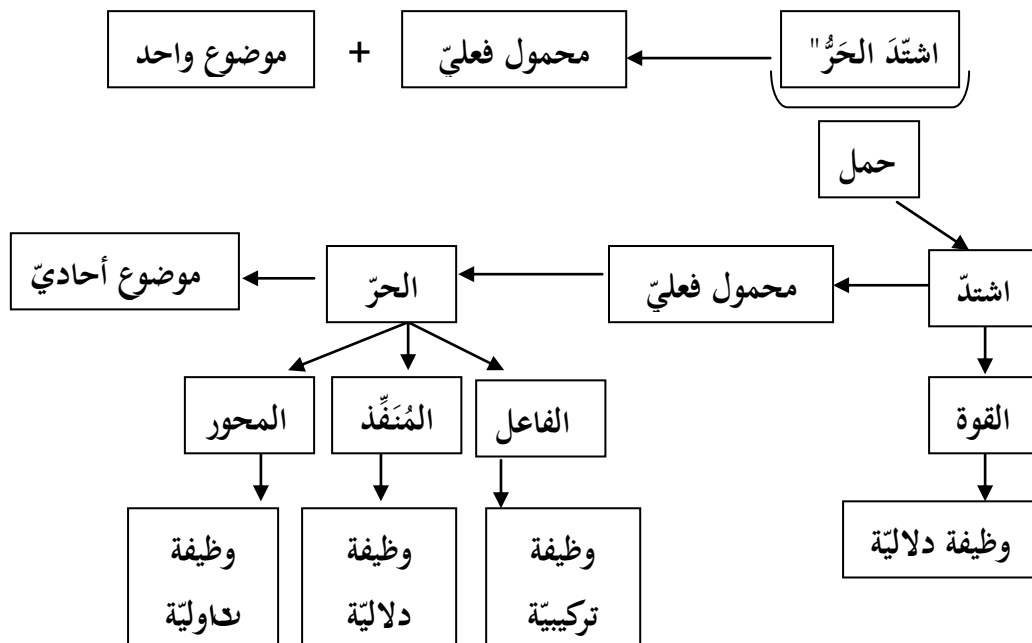
1 - الجملة الفعلية الوظيفية الدلالية:

يُشكل الفعل (محمولاً فعلياً) داخل التركيب اللغوي، ومحمول التركيب في نظرية النحو الوظيفي إما دال على عمل أو حدث أو وضع أو حالة، ويستقطب المحمول الفعلية موضوعات، وهي إما أحادية (محمول أحادي) وثنائية (محمول ثنائي) وثلاثية (محمول ثلاثي):

أ - المحمول الفعلية الأحادي:

هو الذي يأخذ موضوعاً واحداً، ويمثل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ.»⁽¹⁾

نستشف من الحديث التركيب الفعلية الآتي: "اشْتَدَّ الْحَرُّ"، فالمحمول الفعلية "اشْتَدَّ" دل على حدث وموضوعه واحد، يحمل الوظيفة الدلالية "القوة"، في حين يحمل الموضوع الأحادي "الْحَرُّ" الوظيفة الدلالية "المنفذ" الذي يقابل الوظيفة التركيبية "الفاعل" والذي يقابل الوظيفة التداولية "المحور"، وشكل التركيب كالاتي:



⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 315.

يظهر من هذا تفاعل الوظائف الدلالية انتقاءً وإدماجاً في الإطار الحمليّ المكوّن من المحمول الفعليّ بتضافر الوظيفة التركيبيّة (الفاعل) والوظيفة التداوليّة (المحور)، والذي حدد علاقة الحمل بالمحمول الفعليّ والموضوع هي الطبيعة الوظيفيّة؛ إذ يُجمل المكوّن الدلاليّ على الآخر ضمن التفاعل الوظيفيّ الدلاليّ والتضافر مع الوظائف الأخرى التركيبيّة والدلاليّة.

ب - المحمول الفعليّ الثنائي:

هو محمول يتطلب موضوعين، يكون ورودها أساسياً في التركيب، كما هو الحال في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ...»⁽¹⁾

يظهر الحديث الشريف بالتركيب الآتي " أَمَّنِي جِبْرِيلُ " ، وعليه يكون الترتيب في شكله الأصلي: " أَمَّ جِبْرِيلُ مُحَمَّدًا " ، فالتركيب فعليّ لأنّ المحمول فعليّ ، وقد دلّ على عمل، وتطلب موضوعين، حمل الموضوع الأول الوظيفة الدلالية "المتقبل" ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم المعبر عنه بالضمير اللاصق في المحمول الفعليّ: " أَمَّ + نِي " المقابل للوظيفة التركيبيّة المفعوليّة (م. به).

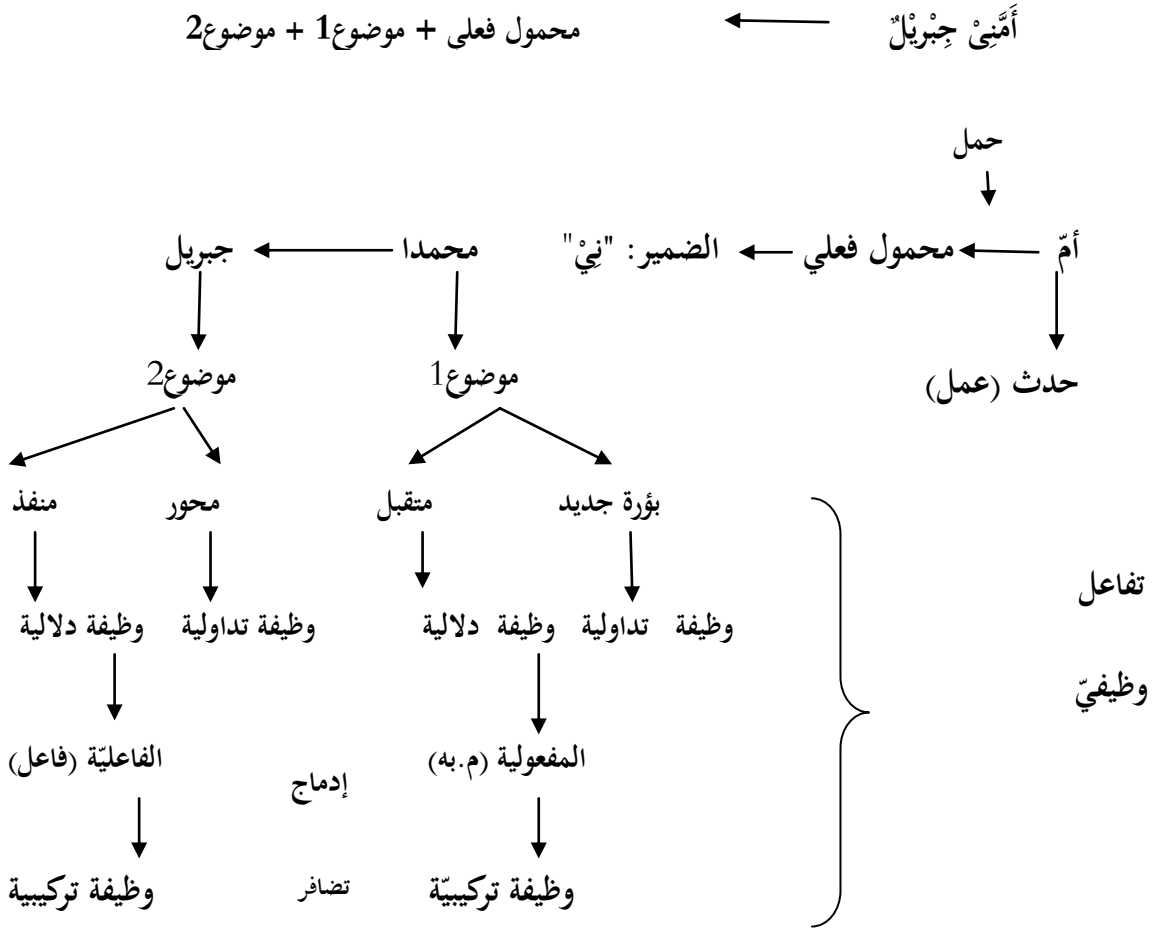
أدى الموضوع الثاني الوظيفة الدلالية "المنفذ" ، وهو "جِبْرِيلُ" عليه السلام المقابل للوظيفة التركيبيّة الفاعليّة "الفاعل" ، لتدمج بتضافر الوظائف الدلالية والتركبيّة ضمن الوظائف الدلالية "المتقبل" الوظيفة التداولية بؤرة الجديد، وشكل التركيب المكون من محمول فعليّ وموضوعين كالآتي:

تُسنَد هذه الوظائف الدلالية إلى الوظائف التداوليّة فتُسنَد للموضوع الأوّل (المتقبل) الوظيفة التداوليّة بؤرة جديد، وتُسنَد للموضوع الثاني (المنفذ) الوظيفة التداوليّة المحور.

وتُسنَد للموضوع الثالث (المتقبل) الوظيفة التداولية المحور، وشكل التركيب المكون من محمول فعليّ وثلاث موضوعات كالآتي:

⁽¹⁾ سنن الترمذي، ص: 302.

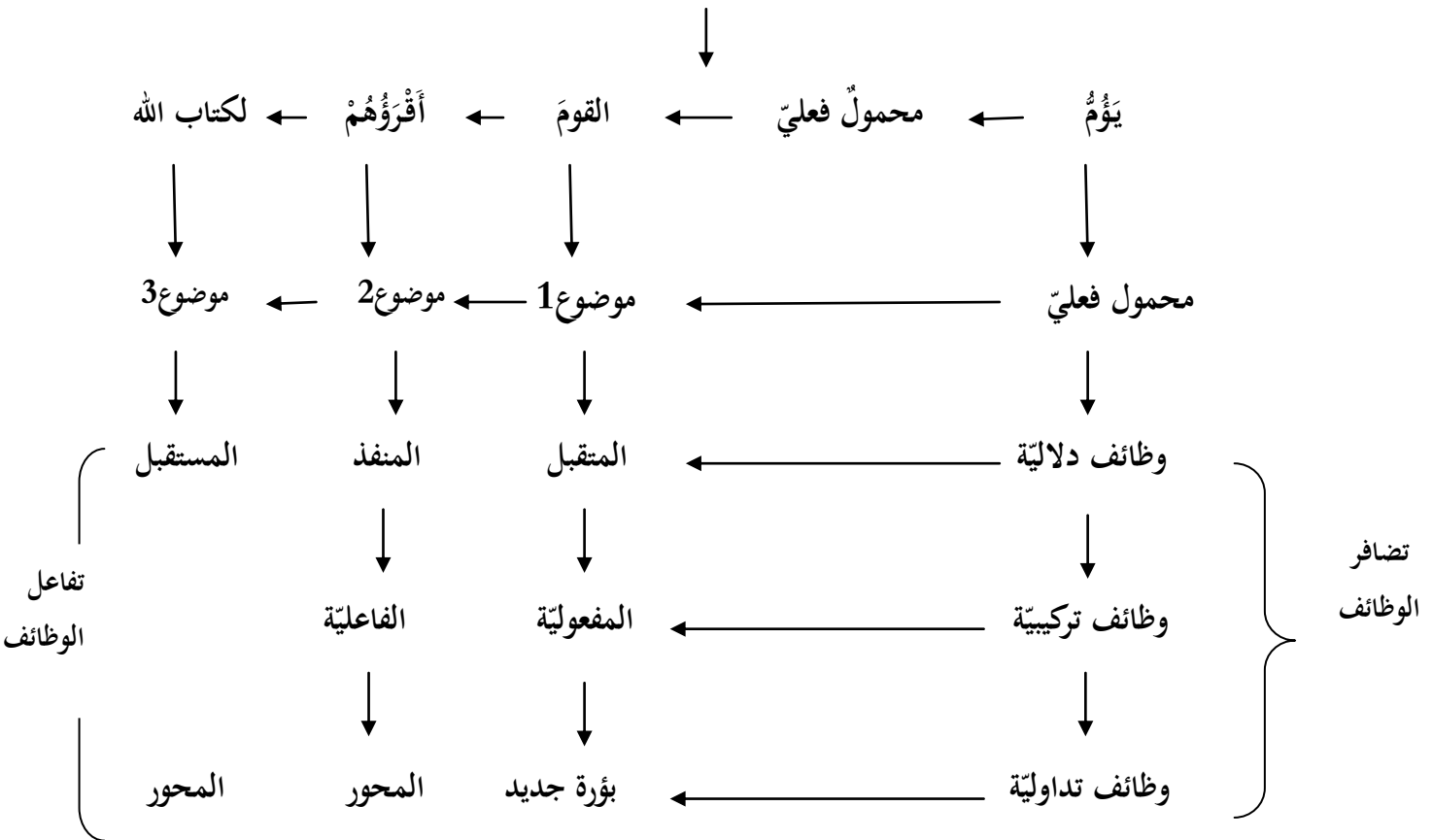
والشكل الآتي يوضح ذلك:



ج -المحمول الفعلي الثلاثي: الذي يُؤسس ثلاث موضوعات، فيكون محمولا فعليا بثلاث موضوعات، كما يظهر في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...»⁽¹⁾، التركيب فعلي لأنه احتوى على محمول فعلي الذي يدل على عمل، وأسس لثلاث موضوعات يُؤدّي أولهم: الوظيفة الدلالية المتقبل "القوم" المقابل للوظيفة التركيبية (المفعول به) المفعولية. يُؤدّي ثانيهم الوظيفة الدلالية المنفذ "أَقْرُوهُمْ" المقابل للوظيفة التركيبية "الفاعل" الفاعلية، ويُؤدّي ثالثهم الوظيفة الدلالية "المستقبل" والترسيمة الآتية توضح ذلك:

" يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ "

حمل

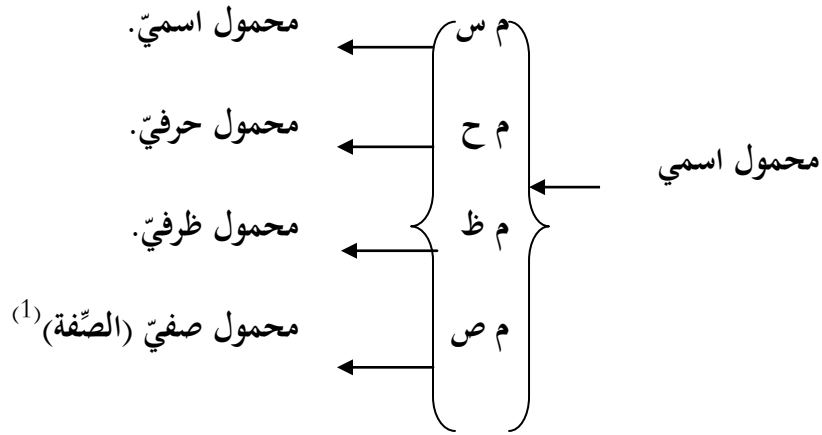


⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 441.

2 - الجملة الاسمية والوظيفة الدلالية:

يكون محمولها إما اسماً، أو حرفاً أو ظرفاً أو صفة، ويُسمى بالمحمول غير (الفعليّ) « ويدلّ محمول الجمل غير الفعلية على واقعة معينة (عمل، حدث، وضع، حالة) على غرار محمول الجمل الفعلية. »⁽¹⁾

ويفترض المتوكل أن المكونات داخل الجملة الاسمية تتموقع وفقاً لبنية موقعية هي:



المقصود بالمحمول غير الفعلي (الاسميّ) « كلّ محمول ينتمي إلى مقولة الاسم أو مقولة الصفة أو مقولة الظرف »⁽²⁾، ونمثّل للجملة الاسمية من أحاديث الرسول الكريم باستخراج الجمل الاسمية من الحديث، لأنّه مترابط مع جمل أخرى يقول الرسول عليه وسلم: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ...»⁽³⁾، ويقول الرسول عليه وسلم: «الإمام ضامن...»⁽⁴⁾

ومنه نصوغ الجمل الاسمية الآتية: - العبد مسلم - الإمام ضامن

- الإمام في المسجد - الحجّ غداً.

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 82.

⁽²⁾ أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرّي التركيبي، ص: 98.

⁽³⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 88.

⁽⁴⁾ نفسه، ص: 398.

الجملة الأربعة جمل اسمية، لأنّ محمولها اسم تكون في المثال الأول " العبدُ مسلمٌ " من مركب اسمي (مسلم) ومن موضوع واحد هو (العبدُ)، يُؤدّي الاسم (مسلم) الوظيفة الدلالية (الصفة)، ويُؤدّي الاسم (العبدُ) الوظيفة التركيبية الفاعل والوظيفة التداولية المحور.

في المثال الثاني " الإمامُ ضامنٌ " تكون المحمول من مركب صفي (اسم فاعل) " ضامنٌ "، ومن موضوع واحد "الإمام" الذي يُؤدّي الوظيفة الدلالية "الحائل" والوظيفة التركيبية الفاعل والتداولية: المحور.

في المثال الثالث: يتكون المحمول من مركب حرفي (جار ومجرور: في المسجد)، ومن موضوع واحد (الإمام)، يُؤدّي موضوع المحمول (الإمام) وظيفة "التموضع" و"الفاعل" والمحور، ويتكون المثال الرابع "الحجُّ غداً" من ظرف الدال على الزمان (غدا) ومن موضوع واحد، وهو "الحجُّ" الذي يحمل وظيفة الهدف والفاعل والمحور ومنه نمثل للبنية الموقعية للمحمول الاسمي للأمثلة السابقة كالاتي:

	العبدُ مسلمٌ	
←	فا م س	محمول اسمي.
	الإمامُ ضامنٌ	
←	فا م ص	محمول صفي (الصفة)
	الإمامُ في المسجدِ	
←	فا م ح	محمول حرفي.
	الحجُّ غداً	
←	فا م ظ	محمول ظرفي.

تبرز هذه البنية الموقعية الوظائف الدلالية لموضوعات المحمولات الاسمية فيمكن أن تُؤدّي وظيفة: "الحائل أو المتموضع"، كما يُؤدّي المحمول الاسمي وظيفة دلالية تبعاً لما يحمله وظيفة اسمية، وحرفية، وصفية، وظرفية، كما تجدر الإشارة إلى وظيفة موضوع المحمول الاسمي حين تُسند إلى الوظيفة التركيبية "الفاعل"، التي يُؤدّيها في الأمثلة السابقة: (العبد، الإمام في الأمثلة 1، 2، 3).

لفظ "العبد" مرتبط بفعل الإسلام، والإمام مرتبط بفعل الضمان، كما يرتبط في المثال 3 تموضعه "في المسجد"، وهذا يخالف «النحو القديم الذي يُسند إليها وظيفة المبتدأ، وهو غير مقبول في نظرية النحو الوظيفي التي تربط وظيفة المبتدأ بخصائص تداولية وشكلية، تجعل منه وظيفة خارجية وبالتالي تأخذ تلك المكونات وظيفة الفاعل بحكم وظيفتها الداخلية، وهو الوضع الصحيح السليم الذي تقره نظرية النحو الوظيفي»⁽¹⁾ ومنه نخلص إلى أن:

- يُقرّ النحو الوظيفي فاعلية التركيب الاسمي على خلاف النحو القديم.
- تتشارك البنية الموقعية للتركيب الفعلي البنية الموقعية للتركيب الاسمي.
- يستثنى المتوكل فارقين اثنين بين البنيتين الموقعتين بين التركيب الاسمي والتركيب الفعلي وهما: ورود المحمول مركباً وصفياً (م ص) أو مركباً اسمياً (م س) أو مركباً حرفياً (م ح) أو ظرفاً (م ظ).
- تقدّم موقع الفاعل (فا) على موقع المحمول الوصفي أو الاسمي أو الظرفي⁽²⁾، كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

« تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٌ »⁽³⁾، في حين أنه يرد في البنية المفترضة بالنسبة للجمل الفعلية متأخراً في المحمول الفعلي⁽⁴⁾.

- تحقق الفاعلية في البنية الموقعية لكلا التركيبين: الاسمي والفعلي، للوظائف الدلالية: المنفذ، والمتقبل، والمستفيد، والمتموضع، والقوة، والحائل...

(1) يحي بعبطيش: نحو نظرية في النحو الوظيفي، رسالة دكتوراه، ص: 283.

(2) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 90.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 223.

(4) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 90.

3 - الجملة الرباطية والوظائف الدلالية:

تشكل الوظائف الدلالية داخل التركيب الكلامي ضمن بنية حملية تحتية، والذي يُكوّن الحمل هو محمول التركيب، والمحمول من منظور النحو الوظيفي يدلّ على عمل، حدث أو وضع أو حالة، سواء أكان محمولا فعليا أم اسميا.

بناء على هذا تتجسد الوظائف الدلالية داخل التركيب (منفذ، متقبل...) مع استلزام الحدود والمُخصّصات، وهذا تشكيل للبنية الوظيفية التي من عناصرها « محمول (فعليّ أو اسميّ أو صفيّ أو ظرفيّ) دال على واقعة (عمل، حدث أو حالة)، يُواكبه عدد من الحدود التي هي حدود- موضوعات أو حدود لواحق، بالإضافة إلى هذه العناصر المعجمية الصرف، ثمّة مؤشرات (بجردة) تقوم بدور تحديد السمات الجهية والزمنية بالنسبة للمحمول ذاته والسمات الوظيفية (الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية).⁽¹⁾

ليكون المحمول وظيفيا يجب أن يكون دالا على وقائع، أما المحمول غير الدال « يقتصر دوره على تخصيص المحمولات الفعلية أو الاسمية من حيث الجهة والزمن، حيث تأخذ بالنظر إلى طبيعة المحمول الذي تخصصه، إمّا وضع "أفعال مساعدة" أو وضع أفعال روابط فهي أفعال مساعدة حين تُخصّص محمولا فعليا، وأفعال روابط حين تُخصّص محمولا غير فعليّ (محمولا اسميا).⁽²⁾

تقع الجملة الرباطية بين الاسمية ولا فعلية فهي لا اسمية ولا فعلية «وإمّا هي جمل وسطي، تشارك الحمل الاسمية في بعض مميزاتا الحملية والوظيفية وتقاسم الحمل الفعلية بعض خصائصها المكونية»⁽³⁾، ومنه هي:

-أفعال غير دالة على وقائع غير محمولية مساعدة وظيفتها الدلالية تخصيص المحمول الفعليّ.

-أفعال غير دالة على وقائع غير محمولية رابطة وظيفتها الدلالية تخصيص محمول غير فعليّ (اسمي).

(1) أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، الطبعة الأولى، 1993، ص: 07،08.

(2) يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفية، رسالة دكتوراه، ص: 288.

(3) ينظر: أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية، فصل: الأفعال المساعدة التي ترد مع محمولاتها الفعلية/ وينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 82.

يقتزن الرابط من قبيل "كان" وأخواتها من المحمول غير الفعلي (الاسمي)، لأن « ميزة المحمول غير الفعلي في مقابل نظيره الفعلي أنه لا يتكفل ولو جزئياً بتحقيق مُخصّصاته ويحتاج إلى وسائل صرفية إضافية تضطلع بهذه المهمة، هذه الوسائل هي ما أسميناه "الأفعال الرابطة" وهي أفعال ناقصة تُواكب محمولات غير فعلية⁽¹⁾».

أ - الجملة الرابطة: تخصيص المحمول الفعلي:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ »⁽²⁾.

ومنه نصوغ التركيبين: كَأَنَّ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، كَأَنَّ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ

التركيب الأول خصّص المحمول الفعلي "يُعَذَّبَانِ" في الحديث بالفعل المساعد "كان"، ومحلّ الوظيفة الدلالية هي تخصيص علّة العذاب، وهي عدم السترة من البول، كما خصّص "كان" في التركيب الثاني علّة العذاب المشي بالنميمة.

تظهر الوظيفة الدلالية في تخصيص المحمول الفعلي "يُعَذَّبَانِ"، من حيث الزمن: وهو الماضي، لأنّ "كان" فعل ماضٍ، فهو رابط مساعد لأنّه خصّص محمولا فعلياً، وهي وظيفة دلالية من حيث:

- علّة العذاب.

- زمن العذاب (زمن الوجه الحملّي)

الفعل الرابط ضمن الوظائف الدلالية يُسمى الفعل المساعد، والمقصود بالأفعال المساعدة الأفعال التي فقدت محموليتها، وسُخّرت لوظيفة دلالية كالتخصيص، والجهة والزمن.

يفقد الفعل الرابط المساعد في المحمول الفعلي محموليته، لأنّ لم يستوف شروط المحمولية أي؛ فقدتها للمحمولية فهي «أفعال لكنها ليست محمولات ويروز عدم محموليتها»⁽³⁾.

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصربي التركيبي، ص: 99.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 123.

(3) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصربي التركيبي، ص: 27.

ب - الجملة الرباطية: تخصيص المحمول غير الفعلي (الاسمي):

تأخذ الأفعال الناقصة صفة "الأفعال الروابط" إذا اقترنت بالمحمول غير الفعلي (محمولا اسميا)، ولتحديد صيغة هذه الأفعال: روابط أم مساعدة ترجع إلى خصائص زمانية وخصائص جهية، وهذه قاعدة إدماج الأفعال الناقصة ضمن تركيب لغوي.

يقترح المتوكل النبية الموقعية للجملة الرباطية التي تترتب المكونات بمقتضاها⁽¹⁾:

م⁴، م²، م¹، م⁰، ط، فَا

م ص

م س (مف)، (ص)، م³.

م ح

م ظ

تمثل لهذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ؛ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا »⁽²⁾، ويقول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقْظَةِ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدَكُمْ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَلَيْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا»⁽³⁾.

ومنه نصوغ التراكيبين كالآتي:

- كانت بين قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ.

- لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ.

حيث يحتل الرابط (كان) الموقع (ط)، ويحتل المنفذ الموقع (فا).

⁽¹⁾ ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 102/ ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية: ص: 98.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 320.

⁽³⁾ نفسه، ص: 346.

يتجسد شكل التركيبين فيما يلي:

"كانت الشمس بين قرني الشيطان" والتركيب الثاني: "ليس في النوم تفریطاً"
 ط منفذ (فا) م ظ ط م ح منفذ (فا)

أدى الرابط "كان" وظيفة دلالية التخصيص زمن وجهة، حيث تركب من بنية حملية ممثلة في البنية:

ط + مض + م ظ (س 1) منف، حيث: (ط): رابط (كان) ومض: ماضي و(م ظ): بين قرني الشيطان
 وس1: الشمس، وهي التي أدت الوظيفة الدلالية (المنفذ)، وهي الموضوع الأساسي الأول ومنف (المنفذ).

تدمج هذه البنية الحملية مع قواعد إسناد الوظائف التركيبية والوظائف التداولية، التي تُسند إلى الموضوع:
 (س1) الوظيفة التركيبية الفاعل، والوظيفة التداولية المحور، وتُسند الوظيفة التداولية بؤرة جديد إلى المحمول: (م ظ)
 الظرفي (بين قرني الشيطان)، وبهذا تكون البنية الحملية تامة، بعد إسنادها إلى قواعد التعبير وقواعد النبر والتنغيم.

أما التركيب الثاني: لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ.

تُعدّ ليس « من الأفعال الروابط التي تضطلع بالدلالة على مُخصّصات المحمول غير الفعل [...] تُحاقل "ليس" الأفعال "كان" و"ظل" و"مازال" وغيرها [...] ويمكن أن تقوم "ليس" بدور الفعل المساعد في الجمل ذات المحمول الفعل. »⁽¹⁾

ويشترط في عمل "ليس" دلاليا في تخصيصه للمحمول غير الفعلي مُخصّصا جهيا وزمنيا، شرطين:

- أن يكون المُخصّص الجهي للمحمول: المُخصّص "غير التام".

- أن يكون مُخصّصه الزمني المُخصّص: "الحاضر".

كما يُضاف شرط ثالث:

- أن تكون الجملة منفية.⁽²⁾

(1) أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص: 85.

(2) ينظر: نفسه، ص: 85.

أدى (الرابط ليس) في التركيب وظيفتين دلالتين تخصيص الزمن وتخصيص الجهة، كما خصصَ المحمول الحرفي (في النوم)، وعليه يأخذ التركيب البنية الحملية الآتية: ط + مض + م ح + (س 1) منف (فا) حيث "ط" رابط (ليس)، و مض: ماضي، و "م ح" في النوم، و "س 1": "تفريط"، وهي التي أدت الوظيفة الدلالية المنفذ، والوظيفة التركيبية الفاعل، وهو الموضوع الأساسي، ومنه يأخذ التركيب الشكل الآتي:

ليس في النوم تفريط

ط م ح منفذ(فا)

ومنه نخلص إلى أن:

- تُصنّف الأفعال الناقصة إلى صنفين: أفعال مساعدة إذا اقترنت بمحمول فعليّ، وأفعال روابط إذا اقترنت بمحمول غير فعليّ (اسمي).
- تقوم الأفعال الرابطة أو المساعدة بوظيفة دلالة (التخصيص) المتعلقة بالزمن والجهة.
- تشكل البنية الحملية دخلا لقواعد إسناد الوظائف: الدلالية والتركيبية والتداولية.
- تُصنّف الأفعال الناقصة روابط وأفعال مساعدة بالتّظر إلى نوعيّة محمولها.
- لا تُعدّ الأفعال الناقصة محمولات لأنّها فقدت شروط المحموليّة.
- يتّخذ الرابط بنيات موقعيّة ومقتضاها تُحدّد وظيفته الدلالية (بنية موقعيّة للمحمول الفعليّ وأخرى للمحمول غير الفعليّ).
- «لا ينحصر الفعل الرابط في الفعل "كان" الذي يُدمج في بنيته مُخصّصها الزمنيّ "المضي" أو "الاستقبال" أو "اللازمين".
- يُحدّد المُخصّص الجهّي والزمنيّ إدماج الأفعال الروابط كالأفعال الدالة على الصيرورة والاستمرار: أصبح، أمسى، أضحى، مازال، لا يزال...»⁽¹⁾

⁽¹⁾ ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 102.

4 - الجملة البسيطة والمركبة والوظائف الدلالية:

يُقسّم "المتوكل" الجمل في اللغات الطبيعية من حيثية التكوين وهي:

أ - الجملة البسيطة:

هي بسيطة لأنها « تتضمن حملا واحدا [...] وتتألف من مُكوّن أساسي ثابت ومُكوّنات خارجيّة تُضاف، اختيارا إلى يمين الحمل أو إلى يساره.»⁽¹⁾

ويحدّد النحو الوظيفي الجملة البسيطة بسمتين اثنتين:

- « لا تتضمن الجملة البسيطة أكثر من حمل واحد في مقابل الجملة المركبة التي تتضمن حملين فأكثر.

- محمول الجملة البسيطة محمول أصل (محمول غير مشتق) في مقابل الجملة المشتقة⁽²⁾، ونضيف سمة ثالثة:

- محمول الجملة البسيطة قد يكون محمولا فعليّا أو غير فعليّ (اسمي).

يأخذ المكوّن الأساسي المكون الثابت: وهو الحمل الفعليّ أو غير الفعليّ (الاسمي) والمكوّنات الداخليّة الأساسيّة هي الموضوعات الإجماريّة المكوّنة للحمل النووي، والمكونات الخارجيّة الاختياريّة هي المكوّنة للحمل الموسّع، وهي الحاملة للوظائف الدلالية (المكونات الخارجيّة الاختياريّة، والداخليّة الإجماريّة) (الزمان، والمكان...) و(المنفذ والمستقبل والمتقبل)، كالتراكيب المستخلصة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة:

- يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ. ← جملة فعليّة بسيطة.

-الإمامُ ضامنٌ. ← جملة اسميّة بسيطة.

- كانت الشمسُ بين قرني الشيطانِ. ← جملة رابطيّة بسيطة.

(1) أحمد المتوكل: الجملة المركبة، ص: 07،08.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 151،152.

تمثل الجمل السابقة جملاً بسيطة لأنها مُكوّنة من محمول واحد فعليّ كان أم اسميّ، وهو في الجملة الأولى: ممثل بالفعل "يؤمُّ" الذي تطلب موضوعات أساسية التي جسّدت الوظيفة الدلالية، وهي "القوم" موضوع أذى الوظيفة الدلالية المتقبل، و"أفروهم" موضوع أذى الوظيفة الدلالية "المنفذ" و"لكتاب الله" موضوع أذى الوظيفة الدلالية المستقبل، وهي موضوعات إجباريّة أساسية تُكوّن للحمل النووي للتركيب.

في الجملة الثانية: جملة اسمية بسيطة تُكوّنت من حمل واحد، وهو ممثل في المحمول الصّفي (ضامن) (اسم الفاعل) وموضوعه (الإمام) الذي أذى وظيفة الفاعل.

في الجملة الثالثة: جملة رابطية بسيطة، ورد محمولها الأحاديّ على شكل محمول اسميّ ظرفي (بين قرني الشيطان) وموضوعه: (الشمس) التي أدت الوظيفة الدلالية (المنفذ) وأدى الرابط "كان" الوظيفة الدلالية التّخصيص الزمينيّ والجهي.

ومنه نخلص إلى أنّ:

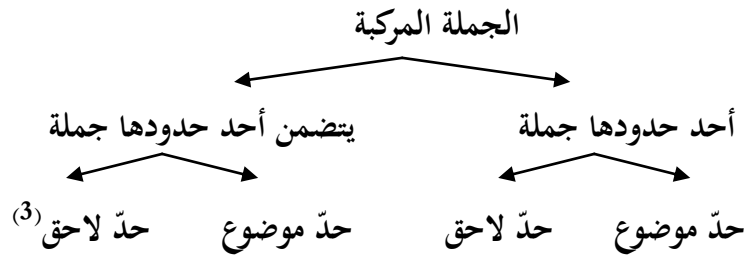
- حمل واحد في التّركيب يُكوّن جملة بسيطة.
- يتطلب المحمول موضوعات:
- إجباريّة مؤسّسة للحمل النووي.
- اختياريّة مؤسّسة للحمل الموسّع.
- تُكوّن الجملة بسيطة ضمن التّركيب الاسميّ والفعليّ والرابطيّ.
- تُصنّف الجمل البسيطة من عدد المحمولات.
- صفة المحمولات البسيطة محمولات أصل غير مشتقة.

ب - الجملة المركبة:

طبيعة التركيب أن يتكون من محمول وحدود وموضوعات، وهي تراكيب بسيطة، ويأخذ المحمول "دالة" على واقعه.

تنتفي هذه البساطة ليتعقد (التعقيد) التركيب إذا كان المحمول حدًا من حدود التركيب، إضافة إلى المحمول الأول، ويُسمى بالمحمول الحد.

- (1) والجملة المركبة هي التي تتكون «من محمول متعددة تقوم بينها علاقة إدماج أو علاقة استقلال»⁽¹⁾، والتنميط الذي يقترحه "المتوكل" للجملة المركبة مفاده «أنّ الجملة المركبة هي كل جملة كان أحد حدودها جملة أو كان أحد حدودها يتضمن جملة، وكان تنميطا للجملة المركبة»⁽²⁾، يُوضّح "المتوكل" هذا التنميط بالرسم التالي:



تكون الجملة مركبة إذا احتوت حملين فأكثر، العلاقة بينهما يُحددها النحو الوظيفي في أنّ المحمول المتعددة « ترتبط فيما بينها ببعض الروابط البنيوية أو تكون مستقلة.»⁽⁴⁾

هذه العلاقة قد قسّمت الحمول والتراكيب المركبة معاً حمول مُدمجة ولها تراكيبها المركبة، وحمول مستقلة ولها تراكيبها المركبة.

(1) أحمد المتوكل: الجملة المركبة، ص: 07.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 73.

(3) نفسه، ص: 73.

(4) أحمد المتوكل: الجملة المركبة، ص: 34.

أ - الحمل المدمجة:

يندمج حملين أو أكثر ضمن جملة مركبة، فيأخذ الحمل الثاني شكل: الحمل الموضوعي (الحمول الموضوعات) ، وقد يأخذ شكل الحمل الحدي الأحق (الحمول الحدود).

تمثل شكل الحمل الأول (الحمل الموضوعي): الحمل التي تُشكل حدًا موضوعًا مُدمجًا في محمول رئيسي، وهو محمول حدّ أحد الموضوعات الرئيسية.⁽¹⁾

ويمثل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ.»⁽²⁾

يُمثل هذا التركيب جملة مركبة من ثلاثة محمول متمثلة في:

- الموضوع الأول: "لَا يَقْبَلُ".

- الموضوع الثاني: "أَحْدَثَ" نقض الوضوء.

- الموضوع الثالث: "حَتَّى يَتَوَضَّأَ" الوضوء.

هذه الحمل اقتضت: ثلاثة محمولات: (لا يقبل)، (أحدث)، (يتوضأ).

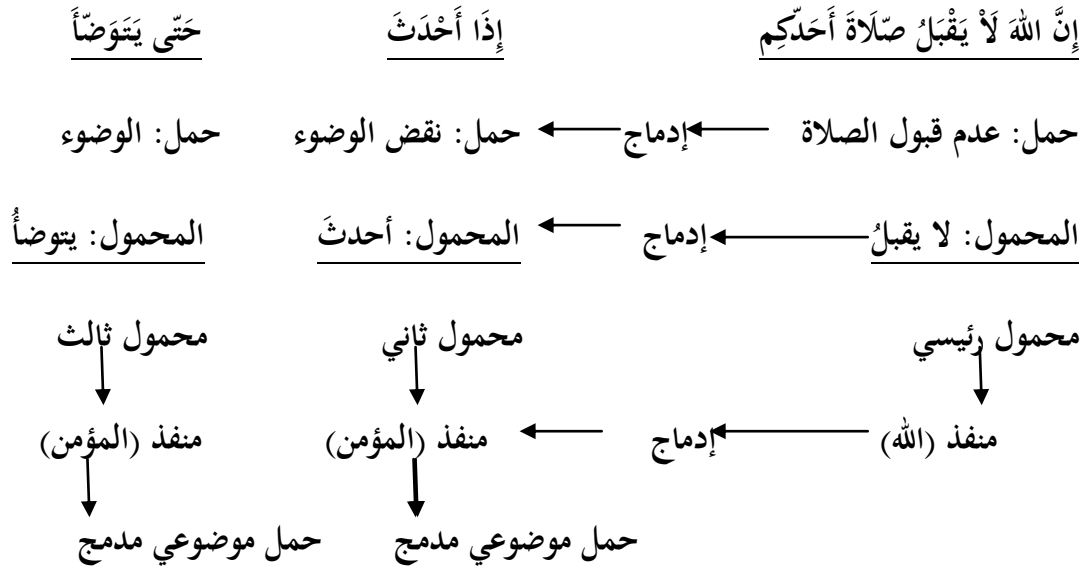
أُدمج الحمل الثاني والثالث ضمن المحمول الرئيسي " لَا يَقْبَلُ" ، وبه أُدمج الحمل الثاني (نقض الوضوء) في المحمول الرئيسي " لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ " ، وأخذ الحمل شكل الموضوع الأساسي، وهو "المنفذ" في المحمول الثاني "أَحْدَثَ" ، وأخذ الحمل شكل الموضوع الأساسي وهو "المنفذ" في المحمول الثالث " يَتَوَضَّأُ" والمعبر عنه بالمؤمن.

يأخذ هذا التركيب الشكل الآتي:

(1) يحيى بعبطيش: نحو نظرية وظيفية، رسالة دكتوراه، ص: 302-303.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 169.

الفصل الثالث: الوظائف الدلالية في تراكيب الحديث النبوي الشريف.



أما الحمل اللواحق فهي الحمول « التي تشكل حدًا لاحقًا مُدمجًا في محمول رئيسي، بحيث يصبح حمل الجملة المركبة مشتملا على الأقل على محمولين أحدهما مدمج (بكسر الميم) وهو المحمول الرئيسي والآخر مدمج (بفتح الميم) ، وهو محمول حدّ أحد اللواحق. »⁽¹⁾

يتمثل في قول الرسول عليه وسلم: « بَشْرُ الْمَشَائِنِ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. »⁽²⁾

تكوّن هذا التركيب من جملتين الأولى: "بَشْرُ الْمَشَائِنِ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ."

والثانية: "بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."

اشتمل التركيب المركب على حملين متمثل في محمولين: محمول فعلي (بَشْرُ)، ومحمول ظرفي (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) غير فعلي (اسمي)، ويمثل المحمول (الرئيسي) "بَشْرُ" إدماجًا للمحمول الاسمي الظرفي (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وعليه فالمحمول "بَشْرُ" مُدمج للمحمول "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ، ويمثل الحمل الذي تشكل حدًا لاحقًا، وهو ظرف الزمان (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الوظيفة الدلالية حدّ لاحق الزمان، لتظهر لزومية ذكر الحدّ اللاحق (الزمان) على شكل حمل مُدمج في المحمول الرئيسي "بَشْرُ" ، وعليه تظهر الوظائف الدلالية:

(1) يحي بعبطيش: نحو نظرية وظيفية، رسالة دكتوراه، ص: 302.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 423.

"المشائين": المتقبل .

والمنفذ: "محمد صلى الله عليه وسلم".

وظيفة الهيئة: (في الظلم)

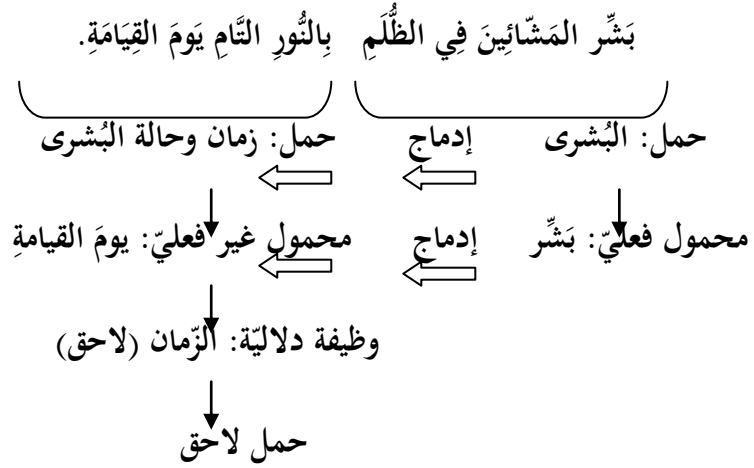
المكان: "إلى المساجد".

الحالة: "بالنور التام".

الظرف: "يوم القيامة".

حيث يُمثّل ظرف الزمان الوظيفة الدلالية اللاحقة حملاً ليشكل بذلك جملة مركبة، وتأخذ الجملة المركبة

الشكل الآتي:

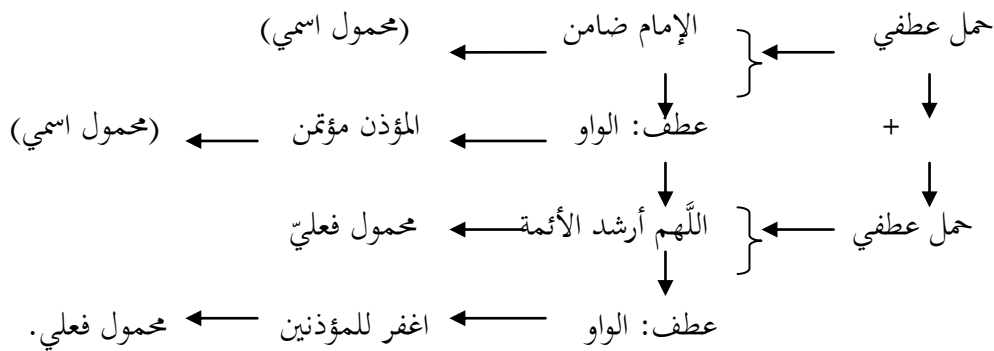


ب - الحمول المستقلة:

هي الحمول التي ترد في الجملة المركبة بعلاقة استقلال كل حمل عن الآخر، وتحقق هذه الحمول في صنفين من التراكيب التراكيب المعطوفة والتراكيب الاعتراضية.

مثال الحمول المعطوفة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين»⁽¹⁾

تتجسد الحمول المتعاطفة داخل الجملة المركبة مؤدوية بذلك الوظائف الدلالية بصيغة العطف، فيعطف الحمل الثاني على الأول، وقد يعطف في جملة مركبة أكثر من حملين: كما يظهر في قول الرسول الكريم، وعليه نحدد الحمول في هذا التركيب:



عُطِفَ الحمل "الإمام ضامن" على الحمل "المؤذن مؤتمن"، المكوّنين من محمولين غير فعليين، وعُطِفَ الحمل "اللهم أرشد الأئمة" بالمحمول الفعلي "أرشد"، ومنه: الإمام: (منفذ)، والمؤذن: (منفذ)، الأئمة: (مُتَقَبَّل)، المُؤذِنِينَ: (مُتَقَبَّل).

تتجسد الحمول الاعتراضية ضمن الجملة المركبة، حيث يكون الحمل معترضا للتركيب كما في قول

الرسول صلى الله عليه وسلم: «أَمْنِي جَبْرِيْلٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ.»⁽²⁾

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 398.

⁽²⁾ نفسه، ص: 302.

يُمثّل الحمل الأول إمامة جبريل - عليه السلام - محمد صلى الله عليه وسلم ، ويمثل الحمل الثاني "السلام على جبريل" ، وقد اعترض الحمل الاعتراضي التركيب الأول المكون من: أم: محمول فعليّ والضمير (ني): متقبل العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجبريل (المنفذ) عن التركيب الثاني الإضافي المكوّن من: ظرف مكان، وهي الوظيفة الدلالية اللاحقة المعترضة.

وعليه نخلص إلى أنّ:

- تعدّد الحمول يُكوّن جملة مُركبة.
- يتطلب تعدّد الحمول تعدّد المحمولات ومنها: الرئيسية والمدججة.
- تتحقق الوظائف الدلالية الموضوعات واللواحق داخل كلّ تركيب مركب بتعدد حموله ومحمولاته.
- تقييم الحمول المتعددة علاقتين: علاقة استقلال وعلاقة إدماج، تمثل العلاقة الأولى الجملة المركبة المعطوفة والجملة المركبة الاعتراضية، وتمثل العلاقة الثانية: علاقة الحمول والمحمولات بالحدود اللواحق والحدود الموضوعات.
- يأخذ الحمل المتعدد شكل الحدّ الموضوع أو شكل الحدّ اللاحق.
- الجملة المركبة تُكوّن جملة بمحمول فعليّ أو غير فعليّ.
- يُشكل الحمل والمحمول في التعدد الوظائف الدلالية.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: الوظائف التداولية في الحديث النبوي الشريف:

- 1 المنظرية الوظيفية: الكفايات والملكات.
- 2 تراكيب الحديث الشريف: وظائف تداولية وتضافر وظيفي.
- 2-1- الوظائف الداخلية.
- 2-2- الوظائف الخارجية.
- 3 التراكيب الإنشائية: تحليل وظيفي واستعمال نفعي.
- 4 للوظائف التداولية: نظريات وعلاقات.
- 4-1- وظيفية الحجاج في تراكيب الحديث الشريف.
- 4-2- وظيفية الأفعال الكلامية في تراكيب الحديث الشريف.
- 4-3- وظيفية الإستراتيجية الخطابية في تراكيب الحديث الشريف.

توطئة:

تَعْقُدُ الوظيفية عقد قران وتضافرا داخل التراكيب اللغوية بتفعيل الوظائف اللغوية، ممثلة في الوظائف التداولية والتركيبيّة والدلاليّة ، وفكّ هذا التضافر مفاده تحليل التركيب اللغوي للتصّول إلى مقاصد وفوائد ومنافع الخطاب ، وتقع عمليّة تفعيل هذه الوظائف في تضافرها وعملها وتواصلها، وفي تحقيق القصد من استعمالها نحويا وداليا و نفعيا على عاتق التداولية.

يُقرُّ النحو الوظيفي بمشروعية المسؤولية الواقعة على التداولية في تضافر الوظائف الثلاث (النحوية، الدلالية، التداولية) ، ورغم التضافر والتلاحم الذي يجمع هذه الوظائف إلا أنّها مستقلة ومختلفة عن بعض، وإتّما تجمعها الوظيفية في الاستعمال « وتختلف هذه الوظائف لا من حيث طبيعتها فحسب بل كذلك من حيث مجالها ومسطرة إسنادها ودورها في الخطاب.»⁽¹⁾

لئن اختلفت هذه الوظائف مجالا وإسنادا ودورا، فإنّها تتعالق وظيفيا في الاستعمال لتحقيق المقاصد. تتعلق الوظائف التداولية بالسياق « في بُعديه المقامي والمقالي، خاصة بعلاقة التخابر التي تقوم بين المتخاطبين في موقف تواصلية معين، بتعبير آخر يرتبط إسناد الوظائف التداولية بكم ونوعية المعلومات التي يعتقد المتكلم أنّها متوافرة في مخزون المخاطب حين عملية التخابر.»⁽²⁾

هذا ما يجسّد المنحى الوظيفي في التركيب اللغوي؛ إذ ترمي التداولية في مشروعية الوظيفة إلى دراسة التركيب اللغوي الدال بمكوناته وعلاقته، لأنّ « أهمّ ما يَحْتَدِ به القائلون بمشروعية الأخذ بالوظيفة، فهو أن بنية اللغة تأخذ الخصائص التي تخدم إنجاح التواصل وأهدافه ومختلف أنماطه.»⁽³⁾

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 105.

⁽²⁾ نفسه، ص: 109.

⁽³⁾ أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 28.

4-1- النظرية الوظيفية: الكفايات والملكات:

تسعى النظرية الوظيفية سعي الوظائف التداولية في تحقيق مبدأ « إحرار الكفائتين اللغوية والإجرائية معا، أن تستخدم لا في وصف اللغات من حيث بنيتها فحسب بل كذلك من حيث استعمالها في القطاعات الاجتماعية - الاقتصادية. »⁽¹⁾

الكفاية اللغوية تتمحور في تفسير ووصف الظواهر اللغوية، والكفاية الإجرائية تتمحور في كفاءات استخدام اللغة وتراكيبها، وعليه لا تسعى التداولية الوظيفية إلى تحقيق الكفاية وصفا لتراكيب اللغة فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى كيفية الاستعمال والإجراء لأنماط التركيب اللغوي بمختلف أنماطه وسياقاته.

تندرج الوظائف التداولية ضمن نظرية النحو الوظيفي إذ؛ يكفل إحرار الكفاية الإجرائية للتركيب اللغوي، فالوظائف التداولية تُصوغ الجهاز الواصف للتركيب وهي كفايته اللغوية، كما تصوغ الجهاز الإجرائي للتركيب تحليلا وقصدا ونمطا ومجال استعماله... وهي كفايته الإجرائية.

هذه الصياغة تمثل الكفاية التداولية المرتبطة بكيفية استعمال هذه التراكيب وعلاقتها بالخصائص والقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي، والتعامل مع هذه التراكيب « على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق تُحدده العبارات السابقة وموقف تُحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب »⁽²⁾، وهذه الكفاية تُحقق مبدأ تضافر الوظائف الوظيفية.

هدف هذا التضافر الوظيفي هو التأثير الدال في التراكيب اللغوية بالوصول إلى قصد المتكلم من سياق تراكيبه، وهي علاقة تداولية وظيفية بين اللغة والمستعمل (المتكلم)، فالتراكيب الدالة تحكمها ثلاث عناصر أساسية « أولا: فحواها القضيوي، وثانيا: القصد من إنتاجها (إخبار، استفهام أو أمر أو غير ذلك وثالثا: موقف المتكلم من الفحوى القضيوي. »⁽³⁾

⁽¹⁾ ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 47، 46.

⁽²⁾ نفسه، ص: 64.

⁽³⁾ أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 24، 25.

الوظيفة التداولية تشمل كل ما له علاقة بنفعيّة التّواصل، وهذه الأخيرة قدرة تواصلية « لا تنحصر في القواعد الصرفيّة والصوتيّة والدلاليّة بل تتعداها إلى معرفة القواعد التداوليّة، القواعد التي تمكن مستعمل اللّغة الطبيعيّة من إنتاج وفهم عبارات لغويّة سليمة في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض معينة.»⁽¹⁾

الوظائف بأنواعها غير مستقلة وهي تمثل قدرات لتشكيل مقدرة تواصلية موحدة، هذا التوحيد مرده «أن التّداول لا يمكن عزله عن المكونات الأخرى التي يحكمها سواء أكانت تركيباً أم صرفاً أم دلالة.»⁽²⁾

تقيم الوظيفة التداولية تضافراً بين القدرة اللّغويّة وقدرات أخرى في النهوض بعملية أو وظيفة التّواصل، فلا يمكن للقدرة اللّغويّة أن تُجسد الوظيفة التّواصلية ما لم «تساهم فيها قدرات أخرى: منطقيّة ومعرفيّة واجتماعيّة وإدراكيّة وغيرها، فمستعمل اللّغة الطبيعيّة يستخدم أثناء عمليّة التّواصل بالإضافة إلى ملكته اللّغويّة، ملكات ذات طبيعة غير لغويّة تُساهم في إنجاح هذه العمليّة»⁽³⁾، ومنه تتسم الوظيفة في طبيعتها التداوليّة بسمتين:

- الوظيفة التداوليّة وظيفية شاملة.

- الوظيفة التداوليّة وظيفية موحدة لإنجاح التّواصل.

تتمحور هاتين السّمتين في إطار تضافر كليّات وملكات وقوالب، فالوظيفة التداوليّة تهتم بالقدرة التّواصلية لدى مستعمل اللّغة، هذه القدرة تشكلها ملكات منها: الملكة اللّغويّة، الملكة المنطقيّة، الملكة المعرفيّة، الملكة الإدراكيّة، الملكة الاجتماعيّة «ويُصاغ نموذج مستعمل اللّغة الطبيعيّة، في شكل جهاز يتكون من خمسة قوالب يضطلع كل قالب منها برصد ملكة من الملكات التّواصلية، ويكون بذلك نموذج مستعمل اللّغة الطبيعيّة مؤلفاً من خمسة قوالب: القالب النّحويّ، القالب المنطقيّ، القالب المعرفيّ، والقالب الإدراكيّ، القالب الاجتماعيّ.»⁽⁴⁾

(1) أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص: 19.

(2) نفسه، ص: 19.

(3) نفسه، ص: 19.

(4) علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتية، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1998، ص: 72، 73.

تقوم الوظيفة التداولية بتفعيل كل ملكة بالقالب المنوط بها، مُشكلة علاقة تفاعل بين الملكات والقوالب والسياق والقصد داخل بنية تحتيّة لتحقيق التّواصل والفائدة والقصد.

1989 تكمن نظرة النحو الوظيفي للوظيفة التداولية في نموذجه الثاني الذي صاغه: "سيمون ديك" ملخصه في تعديلات منها:

- تقليص البنتين العمليّة والوظيفية إلى بنية تحتيّة واحدة.

- صياغة هذه البنية التحتيّة على أساس احتوائها مستويات متعددة للتمثيل.

- تتألف القدرة التواصليّة لدى مستعمل اللّغة الطبيعيّة من خمس ملكات وخمس قوالب.⁽¹⁾

تسعى الوظيفة ضمن النحو الوظيفي، إلى تحقيق كفايات ثلاث:

الكفاية التداولية والكفاية النفسية والكفاية التّمطيّة؛ إذ تفرض الكفاية التداولية على نظريّة النحو الوظيفي، «أن تستكشف خصائص العبارات اللّغويّة المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، وأن يتمّ هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التّواصل اللّغوي.»⁽²⁾

هذه الكفايات تُفَعَّل وظيفيًّا لتُشكّل "الكفاية التواصليّة"، وعليه فالوظيفة التداولية يجب «أن تُبنى وتُصاغ بالشكل الذي يجعلها قابلة للاندراس في ما يمكن تسميته بالنظريّة الوظيفيّة العامة، التي تشمل جميع أنساق التّواصل اللّغويّة منها وغير اللّغويّة الاسناديّة، الصورية [...]»⁽³⁾

تتعلق القوالب والملكات والكفايات، ببنية الوظيفة التداولية، إذ تُفَعَّل هذه الأخيرة: ثلاث بنيات وتنقلها إلى التّواصل أو إلى بناء بنية تواصليّة تامة، وهي متعلقة بمستويات حيث تمثل الجملة في النحو الوظيفي «مستويين مستوى دلاليّ تداوليّ يصطلح على تسميته البنية التحتيّة، ومستوى صرفيّ- تركيبيّ يسمى البنية المكوّنة.»⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ينظر: علي آيت أوشان: اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي ، ص: 71 ، وينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 36، 37، 38.

⁽²⁾ أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص: 27، 28.

⁽³⁾ نفسه، ص: 28، 29.

⁽⁴⁾ أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 45.

تتكون البنية التحتية من عناصر ثلاثة وهي: وحدات معجمية (محمول وحدود) ومخصّصات، ووظائف (دلالية ووجهية وتداولية)⁽¹⁾، فالوظيفة التداولية تُحاقلها وتُسوقها عدّة مفاهيم: الكلية، والكفاية والمستوى والبنية والسياق، والقدرات.

الوظيفة التداولية - بالنظر إلى هذه العلاقات التي تقيمها مع المفاهيم السابقة - ترتبط بمفهوم: القصد؛ إذ يرتبط قوام هذه العلاقة الوظيفة التداولية والقصد بمراد مُستعمل اللّغة من تركيبه الكلامي، ويُميّز "المتوكل" بين قصد التركيب وقصد المتكلم.

قصد التركيب هو معنى العبارة أو فحواها المعجمي - التركيبي، وقصد المتكلم هو ما يتوخاه تحقيقاً حين يُنتج التركيب الكلامي⁽²⁾، والقصد مُكوّن من: "الغرض" و"البنية"، يتعلّق مفهوم الغرض وهو نوعيّة التركيب تداوليّة من حيث الخبر والإنشاء بمفهوم الهدف من الخطاب.

تتعلق البنية بتنظيم التركيب الكلامي تداوليته في الاستعمال نظمه وترتيبه، كأنّ يُقدّم المتكلم ما هو في نيّة التأخير أو عكس ذلك⁽³⁾، وعليه تظهر الوظيفة التداولية ممثلة في قصد المتكلم وتركيبه الكلامي، فحواه ونوعيته، كما تتجسّد في نيّة المتكلم في نظم تركيبه إمّا عناية واهتماماً، أو حصراً أو توكيداً أو تخصيصاً... وعليه فالوظائف التداولية تتحقق ضمن بنية تداولية «تعدّ أعمق من البنية الدلالية مصداقاً للمبدأ القائل إنّ القصد أسبق من الفحوى»⁽⁴⁾.

تجدر الإشارة إلى المعيار "المتوكلي" وهو "اعتماد التواصلية" معيار الخطابية ومفاده أنّ كلّ ملفوظ/مكتوب يكون خطاباً، يُشكل وحدة تواصلية قائمة الذات ومفادُ الثنائية جملة/خطاب، أنّ الخطاب يشمل الجملة.⁽⁵⁾

(1) أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 46.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 124.

(3) ينظر: نفسه، ص: 174، 176.

(4) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص: 32.

(5) ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 24.

أما اعتماد التواصليّة معياراً فمفادها « من الممكن أن يُعدّ خطاباً نصّ كامل أو جملة أو مركب أو ما أسمىناه "شبه الجملة". »⁽¹⁾

مبدأ تحقيق التّواصل معيار للتداولية ووظائفها وكيفية تحقّقها سواء في الخطاب في النّص في الجملة في التّركيب اللّغوي عامّةً.

تُردّد الوظائف التداولية على أساس أنّ بنائها يبدأ بالقصد (قصد المتكلم)، ثمّ الفحوى (معنى التّركيب الكلامي)، ثمّ النطق ضمن بنية « ذات مستويات خمسة هي: المستوى البلاغيّ والمستوى العلاقيّ والمستوى التمثيليّ الدلاليّ عمقاً، والمستويات الصرفي-التركيبيّ والفونولوجيّ سطحا باعتبار المستويين الأولين شقين لبنية تداولية. »⁽²⁾

تجدر الإشارة إلى أنّ « اللّغة العربيّة الفصحى من اللّغات الموجهة تداولياً باعتبار غناها من حيث السّمات التداولية: القوى الانجازيّة، الوظائف التداولية، الإحالة، النّداء وفروعه... »⁽³⁾

لا تخصّ الوظائف التداولية نمطا من التراكيب، وإمّا تتجسد في لغة بتراكيبها المختلفة ضمن تضافر العديد من المفاهيم، الكلّيات، والمكوّنات، والقوالب، والوظائف والمستويات والبنىّات.

يُمثّل المستوى العلاقي والكلية التداولية والمكوّن السياقي والمستوى العلاقي والبنية التداولية الوظائف التداولية، كما تتحقّق الوظيفة البلاغية ضمن المستوى العلاقي، فتشارك بذلك الوظيفة التداولية في المستوى وهي التي تُبيّن الفعل الخطابيّ.

تفيد النظريّة الوظيفية التداولية الوصول إلى قصد المتكلم وتحقيق الهدف من التراكيب اللّغوية المستعملة، وهي وظائف خمسة (داخلية البؤرة والمحور، وخارجية المبتدأ والذيل، المنادى) تجمع بين نية المتكلم وحالة المتلقي وسياق التّركيب وبلاغته والقصد والهدف، والمضمون التّركيبي حين التّلفظ به وما جرى مجرى ذلك، من وظائف

(1) أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص: 24.

(2) نفسه، ص: 24.

(3) نفسه، ص: 24.

متعلقات التركيب اللغوي المستعمل ، وتمثل الوظائف التداولية في الحديث الشريف: تحقيقا لمقاصده، فتظهر الوظيفة الأولى متمثلة في وظيفة "البؤرة".

4-2- ترَكيبُ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: وَظَائِفُ تَدَاوِلِيَّةٌ وَتَضَافُرٌ وَظَيْفِيٌّ:

4-2-1-الوظائف الداخلية:

أ - وظيفة البؤرة:

ترتبط هذه الوظيفة بمكوّن من مكونات التركيب اللغوي ويُطلق عليه: "المكوّن المَبَار"، وهو مكوّن يمتاز بالبروز والأهميّة أو من أجله رُكِبَ هذا التركيب استعمالاً وتداولاً، بعبارة أخرى: تُسند وظيفة البؤرة إلى المكوّن الذي يحمل المعلومة ⁽¹⁾، المقصودة المهمة لذهن المتلقي، ونمثل لذلك بقول الرسول ﷺ في باب ما جاء في النوم عن الصلاة: « إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا. » ⁽²⁾

تتمثل البؤرة في التراكيب الآتية:

- إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ ← بؤرة.

- إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ ← بؤرة.

- فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ← بؤرة.

تظهر "البؤرة" المستعملة في الحديث الشريف منوطة بوظيفة تداولية بحمل المعلومة الأكثر أهميّة، وهي موزعة على تراكيب ثلاثة فكانت البؤرة في التركيب الأول " إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، متمثلة في المعنى المنفي عنه، فقد نفى الرسول ﷺ أن يكون في النوم تفريط، وإثبات بأنّ التفريط في الصلاة لا يكون في النوم.

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 28.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 346.

وللصحابة والرسول ﷺ قصة في النوم عن الصلاة « روى الترمذي هذا الحديث مختصراً ورواه مسلم مطولاً، وذكر قصة نومهم وفيه: فَمَالَ رسول الله ﷺ عن الطريق فوضع رأسه، ثُمَّ قَالَ: إْحْفِظْ عَلَيْنَا صَلَاتِنَا، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقِظَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَهْمِسُ إِلَى بَعْضٍ مَا كَفَّارَةٌ مَا صَنَعْنَا بِتَفْرِيطِنَا فِي صَلَاتِنَا (فَقَالَ "إِنَّهُ") الضمير للشأن (ليس في النوم تفريط)؛ أي تقصير يُنسب إلى النَّائم في تأخير الصلاة». (1)

تظهر وظيفة البؤرة في التركيب الثاني من الحديث الشريف في لفظة " اليقظة"، إِمَّا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقِظَةِ؛ أَي «إِذَا التَّفْرِيطُ يُوْجِدُ فِي حَالَةِ الْيَقِظَةِ بِأَن تَسْبَبُ فِي النَّوْمِ قَبْلَ أَنْ يَغْلِبَهُ أَوْ فِي النَّسْيَانِ بِأَن يَتَعَاطَى مَا يَعْلَمُ تَرْتِبَهُ عَلَيْهِ» (2)، أظهرت وظيفة البؤرة في هذا التركيب قصد الرسول ﷺ وحكم من نام عن صلاة « أنه لا إثم عليه بالنظر إلى النوم لأن فعله في وقت يُباح فعله فيشملة الحديث» (3)، في حين « إذا تعمد النوم قبل تضيق الوقت واتخذ ذلك ذريعة إلى ترك الصلاة لغلبة ظنه أنه لا يستيقظ إلا وقد خرج الوقت كان آثماً». (4)

أما البؤرة في التركيب الثالث يتمثل في لفظة " فليُصلِّها"، إذا تركها نسياناً أو نام عنها « ضمن نام معنى غفل أي غفل عنها في حال نومه، فعبر بالذكر وأراد به ما يشمل الاستيقاظ والأظهر أن يُقال إنَّ النَّوْمَ لِمَا كَانَ يُورِثُ النَّسْيَانَ غَالِبًا قَابِلَهُمَا بِالذِّكْرِ». (5)

تعدد وظيفة البؤرة في الخطاب الواحد أو في التركيب الواحد بحسب البروز والأهمية، فتظهر الوظيفة التداولية البؤرة في الحديث السابق، بؤرة حاملة للمعلومة الأكثر أهمية، إذا ما فصلت التراكيب كل تركيب على حدى، وتظهر البؤرة في التركيب الثاني ممثلة في المكون " اليقظة" الأكثر بروزاً وأهمية، إذا ما اجتمعت التراكيب داخل حديث النبي ﷺ عليه وسلم .

(1) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 527.

(2) نفسه، ص: 527.

(3) نفسه، ص: 527.

(4) نفسه، ص: 527.

(5) نفسه، ص: 527.

وتظهر وظيفة البؤرة في قوله صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في كراهية الأذان بغير وضوء: «لَا يُؤَدَّنُ إِلَّا مُتَوَضِّئٌ»⁽¹⁾، تمثلت البؤرة في لفظة "مُتَوَضِّئٌ" فقد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأذان بغير وضوء "لَا يُؤَدَّنُ"، و«ينبغي أن يُؤَدَّنَ على طهر لأنَّ الأذان والإقامة ذكر شريف يُستحب فيه الطهارة فإن أذن على غير وضوء جاز.»⁽²⁾

وتظهر البؤرة في قوله صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في السهو عن وقت صلاة العصر: «الَّذِي تَفُوَّتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ»⁽³⁾، تمثلت البؤرة في لفظة "صَلَاةُ الْعَصْرِ"، في أول الحديث وظهرت في "أَهْلُهُ وَمَالُهُ"، وهي البؤرة الحاملة للمعلومة الأكثر بروزاً، وهي مسندة للوظيفة النحوية المفعولية، والوظيفة الدلالية "المستقبل أو المتقبل". و(أَهْلُهُ وَمَالُهُ) «بِنصبتها ورفعها، وقال الحافظ هو بالنصب عند الجمهور على أنه مفعول ثانٍ "لُوتِرَ"، وأُضْمِرَ في "وُتِرَ" مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله، وهو عائد إلى الذي فاتته، فالمعنى أصيب بأهله وماله وهو متعد إلى مفعولين ومثله قوله تعالى: "وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ"»⁽⁴⁾

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 388.

(2) المباركفوري: تحفة الأحوذى: ص: 600.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 343.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 523.

تنقسم البؤرة إلى أنواع من حيث المجال إلى:

1 - بؤرة الجديد:

وتُسنَد إلى « المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب »⁽¹⁾، المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب.

تتجسّد "بؤرة الجديد" في طبقتين مقاميتين وهما:

- المقام الأول: يجهل المخاطب المعلومة التي يقصد المتكلم إعطائه إيّاها، أو يعتبر المتكلم أنّ المخاطب يجهلها⁽²⁾، وهي متمثلة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في الجمع بين الصلاتين « مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ فَقَدْ أَتَى بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْكِبَائِرِ »⁽³⁾.

تمثلت "بؤرة الجديد" في لفظة "بأبًا"، وهي مُسنَدة إلى الوظيفة التحويلية المفعولية، وإلى الوظيفة الدلالية "المتقبل"، وبؤرة الجديد تمثلت في وظيفة بيان قصد الرسول صلى الله عليه وسلم من إثم الجمع بين الصلاتين بغير عذر، فانعدام المانع من الصلاة في وقتها في الجمع بين صلاتين هو باب من أبواب الكبائر.

المقام هنا أنّ الحديث مُوجّه لمن يجهل هذه المعلومة، أو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قصد بهذا الحديث أن يقع الصحابة، وعامة المؤمنين في هذا الإثم بجهالة العاقبة، فالمقام مقام جهل بالمعلومة، ومقام تقديم معلومة جديدة. والأعذار التي تُجوز للمؤمن تأخير الصلاة وجمعها معروفة، وقد ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى⁽⁴⁾، منها: المسافر والمريض والخائف والمطر...

- المقام الثاني: مقام استفهام، وفيه « يجهل المتكلم المعلومة التي يطلب من المخاطب إعطائه إيّاها »⁽⁵⁾، وتمثلت هذه البؤرة الجديد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في من يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما:

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 28.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 29.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 364.

(4) ينظر: سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 364/ وينظر: المباركفوري تحفة الأحوذى، ص: 557، 558.

(5) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 232.

« عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً:

قال: « يَغْتَسِلُ. »

وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم يجد بللاً:

قال: « لَا غُسْلَ عَلَيْهِ. »

قالت أم سلمة يا رسول الله هل على المرأة ترى ذلك غسل؟

قال: « نَعَمْ إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ ».⁽¹⁾

تمثلت بؤرة الجديد في هذا المقام وهو مقام الاستفهام:

هل على المرأة ترى ذلك غسل؟ تمثلت بؤرة الجديد في سؤال: أم سلمة بالأداة "هل"، وما بعدها يُمثّل ويُجسّد بؤرة الجديد "على المرأة ترى ذلك غسل؟"، وتمثلت أيضاً بؤرة الجديد في جواب الرسول ﷺ على أم سلمة "نعم إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ" بعد الأداة "إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ".

تمثلت بؤرة الجديد في حديث الرسول ﷺ في باب ما جاء في الذي يُصيب الثوب: « عن سهل بن حنيف قال: كنت ألقى من المذي شدة وعناء، فكنت أكثر من الغسل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، وسألته عنه فقال: « إِنَّمَا يُجْزِئُكَ مِنْ ذَلِكَ الْوُضُوءُ. »

فقلت: يا رسول الله: كيف بما يُصيب ثوبي منه؟

قال: « يَكْفِيكَ أَنْ تَأْخُذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ فَتَنْضَحَ بِهِ ثَوْبَكَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ أَصَابَ مِنْهُ ».⁽²⁾

تجسّدت بؤرة الجديد في مقام الاستفهام في لفظة: - الْوُضُوءُ.

- كَفًّا مِنْ مَاءٍ.

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 29.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 238.

2 - بؤرة المقابلة:

هي بؤرة « تُسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يشكّ المُخاطَب في ورودها أو المعلومة التي يُنكر المُخاطَب ورودها»⁽¹⁾، وهذا يُظهر تعلق الوظيفة التداولية بحالة المتلقي فهو ثلاثة أنواع: إمّا مُصدّق وإمّا متردّد وإمّا مُنكر لما يقوله المتكلم، فيتخذ المتكلم لذلك سبيلا في خطابه وبناء تراكيبه، وهي وظيفة تداولية متعلقة بالحجاج أو بالوظيفة الحجاجية داخل التركيب اللغوي.

تتجسّد بؤرة المقابلة في طبقتين مقامتين وتشمل أولاهما على مقامين اثنين:

- يتوفر المخاطب على مجموعة من المعلومات، ينتقي المتكلم للمخاطب المعلومة التي يعتبرها واردة.
- يتوفر المتكلم على مجموعة من المعلومات: يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة (في حالة الاستفهام).

وتشمل ثانيهما على مقامين:

- يتوفر المخاطب على المعلومة التي يعتبرها المتكلم معلومة غير واردة.
 - يُصحح المتكلم معلومة المخاطب.⁽²⁾
- وتمثل لبؤرة المقابلة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في التيمم للجنب إذا لم يجد الماء عن أبي ذر أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهْرُ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيَمْسَهُ بِشِرْتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ».⁽³⁾

تُطابق بؤرة المقابلة في هذا الحديث الشريف: المقام الأول ضمن الطبقة الأولى، وهو أنّ المؤمن على دراية

- بأنّ الصّعيد الطيب طهور المسلم، فانتقى الرسول صلى الله عليه وسلم المعلومة التي يعتبرها واردة، وهي متمثلة في قوله صلى الله عليه وسلم: "وَإِنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ"، وهي بؤرة مقابلة، قد يشكّ المؤمن أو يرتاب من الوضوء تيمما "عَشْرَ سِنِينَ"، حتّى إذا وجد الماء فليمسّه بشيرته بؤرة جديد "فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ" بؤرة جديد.

تمثلت بؤرة المقابلة في:

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 29.

(2) ينظر: نفسه، ص: 29، 30.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 249.

- وَإِنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ - فَلَيَمَسَّهُ بِشْرَتَهُ.

↓ بؤرة مقابلة
↓ بؤرة جديد

- فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ.

↓ بؤرة جديد

تتجسد بؤرة المقابلة في المقام الثاني من الطبقة الأولى، وهو أن يكون المتكلم عالماً بمعلومات، يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة في حالة الاستفهام ممثلة في قوله: صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في مصافحة الجنب: «عن أبي هريرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لقيّه، وهو جنب.

قال: فَأَنْبَجَسْتُ - أي: فَأُخْنَسْتُ ثُمَّ جِئْتُ.

فقال: «أَيْنَ كُنْتَ؟» أو «أَيْنَ ذَهَبْتَ؟»

قلت: كنت جنباً.

قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجَسُ.»⁽¹⁾

بجسدت بؤرة المقابلة في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجَسُ»، فقد وقع "أبو هريرة"، وهو المتلقي في شك أن يلقي الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو جنب، فقطع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الشك بوظيفة تداولية ممثلة في بؤرة المقابلة.

يشمل هذا الحديث مقامي الطبقة الثانية: فالرسول صلى الله عليه وسلم صحح للمخاطب معلومة ممثلة في بؤرة المقابلة: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجَسُ»، لِمَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْمُسْلِمَ يَنْجَسُ.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 246.

ومنه تخلص إلى أن:

- تتعلق وظيفة البؤرة بالمكونات الأكثر بروزا وأكثر أهمية.
- تتوزع وظيفة البؤرة على أنواع عدّة منها: بؤرة الجديد بؤرة المقابلة.
- تتعلق وتتجسّد وظيفة البؤرة بأنواعها في مقامات معيّنة.
- تُبيّن وظيفة البؤرة العلاقة بين نوعي التّخاطب، وحالة المتلقي.
- تنقسم الوظيفة التداوليّة البؤرة إلى بؤرة جديد وبؤرة مقابلة، فإذا أُسندت إحداهما إلى مكوّن تسمى بؤرة المكون وإذا أُسندت إلى جملة تسمى بؤرة الحمل: كالجمله الموصولة...

بعبارة أخرى: "بؤرة الجملة بؤرة الحمل" « بؤرة المكون بؤرة مُسندة إلى أحد مُكوّنات الحمل، وبؤرة الجملة بؤرة مسندة إلى الحمل بكامله. »⁽¹⁾

ب - وظيفة المحور:

تمثل الوظيفة الداخلية الثانية، وهو وظيفة تداولية « تُسند إلى المكون الدال على ما يُشكّل المحدث عنه داخل الحمل »⁽²⁾، وهو بهذا يدلّ على الشيء الذي من أجله عقد التواصل واستعمل التركيب اللغوي، وبعبارة أخرى هو محور الحمل، (الموضوع)، والمحمول عليه بقرينة الحديث. ومثّل له من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن المسح بقوله في باب المسح على الخفين للمُساfer والمقيم: عن خزيمه بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن المسح على الخفين فقال: « لِلْمَسَافِرِ ثَلَاثَةٌ وَلِلْمُقِيمِ يَوْمٌ »⁽³⁾، وقال في باب ما جاء في: التيمم للجنب إذا لم يجد الماء: « إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ »⁽⁴⁾، تتعلق الوظيفة التداولية "المحور" بالبنية الحملية التي تتضافر بداخلها: بنية الحمل وبنية الدلالة، لتتجسد ضمن بنية تداولية، عن طريق إسناد وظيفة المحور إلى أحد مُكوّنات الجملة، فيرتبط بالإخبار، وطبقة مقامية، ومعطيات سياقية.

يتمثل المحور في الحديثين السابقين: "للمسافر"، "للمقيم"، "الوضوء"، على أساس أن هذه المكونات محطّ أو موضوع الحمل في الجملة، ويأخذ "ثلاثة" و"يوم" وظيفة بؤرة الجديد.

يأخذ المكون "الصعيد الطيب" بؤرة الجديد في الحديث الثاني، بهذا التضافر تنتقل البنية التداولية (الوظيفة) إلى بنية مكونية، فالوظائف التداولية تحدد العلاقات القائمة بين مُكوّنات الجملة بالنظر إلى المقام، فالمُتحدث عنه هو المحور والحامل للمعلومة الأكثر بروزاً بؤرة مع إضافة حالة المتلقي والقاسم الإخباري المشترك.

تعملوظيفتان الداخليتان (البؤرة، والمحور) داخل التركيب ضمن تضافر الوظائف التركيبية والوظائف الدلالية، « إذا كانت الوظائف الدلالية تُحدّد دور موضوعات المحمول ولواحقه في الواقعة، وكانتوظيفتان

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 31.

(2) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 69.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 208.

(4) نفسه، ص: 249.

التركيبيتان ترمزان إلى الوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة، فإن الوظائف التداولية تحدد وضع المكونات داخل البنية الإخباريّة. ⁽¹⁾

ومنه الوظيفة التداولية بصفة عامة تُحدّد:

- العلاقات القائمة بين مكونات الجملة والمقام.

- وضع المكونات داخل البنية الإخباريّة.

ويقول الرسول صلّى الله عليه وسلم في باب ما جاء في تأخير صلاة العشاء الآخرة: عن أبي هريرة قال: قال النبيّ

صلّى الله عليه وسلم: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَيَّ لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخَّرُوا الْعِشَاءَ إِلَيَّ ثُلُثَ اللَّيْلِ، أَوْ نِصْفَهُ.» ⁽²⁾

محطّ الحديث هو وقت صلاة العشاء، فتمثل المحور الوظيفة التداولية الداخلية في لفظة "العشاء"، وقصد الرسول صلّى الله عليه وسلم من هذا الحديث إثبات «أن وقت العشاء من حين دخوله إلى نصف الليل أفضل وبعضه أولى من بعض، وأما بعد نصف الليل فلا يخلو من الكراهة.» ⁽³⁾

لا يشترط في الوظيفة المحور أن تُسند إلى موضوع أو لاحق بالخصوص، فقد تُسند إلى موضوع أو لاحق مُحيل على الذات (شخص، شيء أو غيرهما) التي تُشكل محطّ الحديث في موقف تواصلية معين، كما هو الشأن بالنسبة للمكون "العشاء" في الحديث السابق، فقد أُسند إلى الموضوع الذي يقابل الوظيفة التركيبية المفعول، والوظيفة الدلالية "المتقبل".

في حين تمثلت بؤرة الجديد في "ثلث الليل أو نصفه"، وبهذا «تُسند الوظيفتان التداوليتان المحور (مع) وبؤرة الجديد (بؤجد) للموضوعين (س¹) و (س²) على التوالي باعتبار الأول دالاً على الشخص المتحدث عنه، والثاني حاملاً للمعلومة التي لا تدخل في حيز المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب المعلومة الجديد بالنسبة للمخاطب، وينتج عن إسناد الوظائف التركيبية والوظائف التداولية البنية الوظيفية.» ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 93.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 327.

⁽³⁾ تحفة الأحوذى، ص: 505.

⁽⁴⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 72.

يمكن أن يحتوي الحديث أو التركيب اللغوي على أكثر من حمل، ومنه تتعدد الموضوعات وعليه تتعدد الوظائف « فوظيفة المحور يمكن أن تُسند إلى أكثر من مُكوّن من واحد في نفس الحمل »⁽¹⁾، فوظيفة المحور بيان محطّ الحديث، فقد يكون الحديث عقدا للتواصل بمحطات عدّة، كما يتبيّن من البنية الوظيفيّة للحديث الشريف الآتي: يقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم في باب ما جاء من أحقّ بالإمامة: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...»⁽²⁾

يشمل الحديث على محورين تشكلت بهما محطّتين: يُمثّل المحور الأول لفظة " الْقَوْم " التي تحمل الوظيفة التركيبية المفعول، والوظيفة الدلالية: "المتقبل"، ويُمثّل المحور الثاني لفظة " أَقْرُوهُمْ " التي تحمل الوظيفة التركيبية "الفاعل"، والوظيفة الدلالية "المنفذ"، وتُمثّل شبه الجملة " لِكِتَابِ اللَّهِ " الوظيفة التداولية بؤرة الجديد والوظيفة الدلالية "المستقبل". يُعدّ المُكوّن " الْقَوْم "، والمكوّن " أَقْرُوهُمْ " محوران بتشكيلهما محطّ الحديث للمحمول: " يَوْمُ"، ويأخذ الحديث السابق الشكل الآتي: "يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ"

يمثّل المحمول "يَوْمُ" محمولا فعليا يقتضي موضوعات ولواحق:

"يَوْمُ" ← محمول فعلي: مف(س1): "القوم"(س1): متقبل ← مف ← محور1 ← مح 1

فا(س2): "أقروهم"(س2): منفذ ← فا ← محور2 ← مح 2

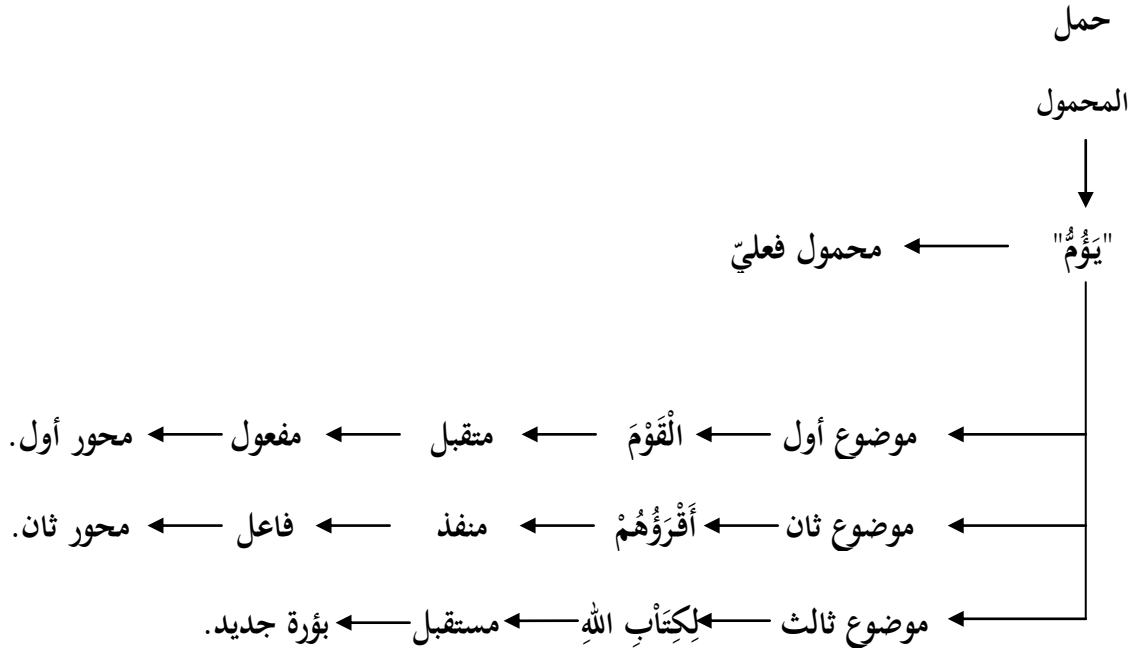
(س3): "لكتاب الله"(س3): مستقبل ← (بوجد) ← بؤرة جديد.

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 73.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 441.

كما يمكن توضيح محورا الحديث بالشكل الآتي:

"يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ"



تمثل الوظيفة التداولية المحور إسنادا، فهي وظيفة « تُسند حسب مقتضيات المقام، إلى الحدّ الدال على الذات التي تُشكل "محطّ" الحديث "داخل الحمل" »⁽¹⁾، المقام في الحديث مقام إخبار، ومحموله "يَوْمُ"، استدعى محورين "الْقَوْمَ" و "أَقْرُوهُمْ" ليستوفي المقام عمليّة التّخابر، فوظيفة المحور منطلق إخباري.

تتفرع الوظيفة التداولية المحور إلى فرعين هما:

(1) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص: 239.

1 - المحور الجديد:

هو محور يذكر مرة في الحديث، و« يُعَدُّ محورا جديدا المحور الذي يُدمج لأول مرة في الخطاب.»⁽¹⁾

يُشكل المحور وظيفيًا وتداوليًا عقدا للتواصل بين المتكلم والمتلقي؛ إذ « المُكوّنات التي تُسند إليها وظيفة المحور مُكوّنات تختص بحملها معلومات تدخل ضمن المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب بخلاف المكونات التي تُسند إليها وظيفة البؤرة.»⁽²⁾

تُمثّل للوظيفة التداولية "المحور الجديد" في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَكْبَرُهُمْ سَنًا، وَلَا يَوْمُ الرَّجُلِ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يُجْلَسُ عَلَيَّ تَكْرِمَتِهِ [في بيته] إِلَّا يَأْذَنُهُ.»⁽³⁾

في هذا الحديث أدمجت محاور جديدة، ذكرت مرة في تراكيب مختلفة، وهي كالاتي: "يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ"، يمكن أن يمثل هذا المحور الأصلي للحديث "إمامة القوم"، والمحاور الجديدة المدججة هي:

- أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ← محور جديد
- أَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ ← محور جديد
- أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ← محور جديد
- أَكْبَرُهُمْ سَنًا ← محور جديد

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 112.

(2) نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، مطبعة المعارف، الجديدة، الرباط، 1997، ص: 229.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 441، 442.

شكلت المحاور الجديدة محطات عديدة للحديث في مقام الإخبار المشترك بين قطبي التواصل، فالرسول صلى الله عليه وسلم يخبر بمن أحق بالإمامة، فكان المحور الأول الذي نراه أصلا للمحاور الجديدة: "أَقْرُوهُمْ" و"الْقَوْم"، لأنَّ المحمول الفعليّ شمل محورين: "الْقَوْم"، "أَقْرُوهُمْ".

استدعى الحديث محطات جديدة ممثلة في محاور أدمجت مرة لتخدم المحور الأصلي ومحموله: "يَوْمٌ"، فالحافظ لكتاب الله هو أحق من غيره في إمامة القوم، ومثَّل التركيب: "فإن كانوا" عتبة لإدماج المحاور الجديدة، فأدمجت المحاور الجديدة بالترتيب استنادا لمن تحقق له الإمامة:

القارئ لكتاب الله، ثمَّ العالم بالسنة (محور جديد)، ثمَّ الأقدم في الهجرة (محور جديد)، ثمَّ الكبير في السن (محور جديد) تعد هذه المحاور جديدة لسببين:

- أدمجت لأول مرة في التراكيب اللغوية.

- لم يُعد ذكرها بواسطة متعلقات أو توابع.

ونضيف سببا ثالثا: - يُشكل المحور الجديد محطة جديدة في الخطاب.

ويمكن عدّ هذه الأسباب شروطا لتكوين محاور جديدة أو إدماج محاور جديدة داخل التراكيب اللغوية المختلفة.

2 - المحور المعطى:

هو محور يُعاد ذكره فلا يشكل بذاك محطة جديدة داخل الحديث « وحين يُعاد إدراج نفس هذا المحور في الخطاب، فإنّه يُصبح محورا معطى، ويتمّ ذلك إمّا بطريقة مباشرة أو بواسطة أحد متعلقاته أو توابعه، في الحالة الأولى، نكون أمام محور مُعاد وفي الحالة الثانية نكون أمام محور فرعي⁽¹⁾».

يقودنا هذا إلى أنّ المحور المعطى يتفرع إلى نوعين:

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 112.

- إذا أُعيد ذكره بمتعلقه فهو محور معاد.

- إذا أُدمج بتابعه فهو محور فرعيّ.

ونمثل للوظيفة التداولية "المحور المعطى" في قول الرسول ﷺ من الحديث السابق:

«[...] وَلَا يُؤْمُ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يُجَلْسُ عَلَيَّ تَكْرِمَتِهِ [فِي بَيْتِهِ] إِلَّا بِإِذْنِهِ.»⁽¹⁾

يتمثل المحور المعطى في المكون " الرجل "، وقد أدمج ذكره إعادة بمتعلقه، وهو الضمير الذي يدل على المحور المعطى المذكور لفظاً، وهو ممثل في "الضمير المتصل الهاء" العائد على المحور المعطى اللفظي: الرجل، ويظهر في الألفاظ الآتية:

- الرَّجُلُ ← محور معطى
- فِي سُلْطَانِهِ ← محور معاد
- عَلَيَّ تَكْرِمَتِهِ ← محور معاد
- بِإِذْنِهِ ← محور معاد

يمثل "الهاء" الضمير المتصل متعلق بالمحور المعطى، وهو معاد لتعلقه به في تراكيب لغوية مختلفة للمحور نفسه.

يُمكن أن تتعدد المحاور تواردا ضمن تراكيب لغوية في الخطاب نفسه تواردا بفروع المحور جميعها، حيث تنتظم في سلسلة محورية تطول أو تقصر قوامها "محور جديد"، يصبح محورا معطى يرجع إليه بمحور معاد أو بمحور فرعي أو بهما معا.

ومنه نخلص إلى أن:

- يمثل الوظيفة التداولية المحور: وظيفة داخلية تشكل الحمل.

- يتعلق المحور: بالإخبار وطبقات مقامية ومعطيات سياقية.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 442.

- يتوزع المحور على أنواع: المحور الجديد، المحور المعطى ويتفرع الأخير إلى محور معاد ومحور فرعي.
- يحدد المحور العلاقة القائمة بين مكونات الجملة.
- يضع المحور المكونات ويحددها داخل البنية الإخبارية.
- يُسند المحور إلى موضوع أو لاحق في موقف تواسلي.
- يُسند المحور حسب مقتضيات المقام.
- يتوارد المحور متعددًا أو أحاديًا ضمن المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب.
- إدماج المحاور الجديدة يستدعي محطات أخرى للحديث.
- يتعلق المحور المعطى بالمتعلق والتابع.
- يمثل المحور الجديد الأصل والقوام إذا تعددت المحاور ضمن سلسلة تركيبية لغوية⁽¹⁾.

4-2-2- الوظيفية الخارجية:

يكمن معنى الخارجية للوظائف الثلاث، المبتدأ والذيل والمنادى « في كونها تُسند إلى مكونات تتموقع خارج الجملة»⁽²⁾، أي أنّها وظائف مستقلة عن الحمل بعبارة أدق لا تشكل الوظائف الخارجية موضوعات ولا تخضع لقيود الانتقاء.

تشغل الوظائف حيزًا مستقل عن الحمل، ولا تُسند لهذه الوظائف وظائف دلالية ولا وظائف تركيبية ولا تدخل في حيز المؤشر للقوة الإنجازية⁽³⁾، فخارجية هذه الوظائف انتفاء انتمائها إلى الحمل فهي « المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل أي المكونات التي ليست حدودا موضوعات ولا حدودا لواحق بالنظر إلى المحمول»⁽⁴⁾ ما يجب ذكره وبيانه هنا أنّ هذه الخارجية ليست مطلقة، وإنّما هي نسبية فإنّ كانت خارجيتها كامنة في أنّ مكوناتها تتموقع خارج الجملة، وأنّها وظائف مستقلة عن الحمل ولا تشكل موضوعات ولا تخضع لقيود الانتقاء، ولا تدخل في حيز القوة الإنجازية ولا تسند لوظائف دلالية وتركيبية، فإنّها تثبت علاقتها بالحمل من

(1) أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص: 230.

(2) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 95.

(3) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 123، 126، 125.

(4) أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، ص: 167.

حيث الورود بالنسبة لمجال الخطاب ومبدأ الورود هذا يُحتم أن تكون ثمة بين المبتدأ [والذيل والمنادى] والجملية التي [تلي] علاقة تجعل الجملة صالحة لأن تُحمل على [الوظائف الثلاث: المبتدأ، الذيل، المنادى].⁽¹⁾

وهذا ما يعني أن خارجيّة الوظائف التداولية لا تعني أنّها مستقلة عنها كلّ الاستقلالية التي تُبيح أن يلي أي تركيب أي: مبتدأ، أي ذيل، أي محور، فلا بدّ من وجود علاقة أو انتماء ولو نسبياً بالحمل التي وردت فيه.

أ - وظيفة المبتدأ:

وظيفة المبتدأ تمكن في تحديد «مجال الخطاب» بالنسبة لما يأتي بعده، ونورد هنا على سبيل المثال التعريف الذي يقترحه "سيمون ديك" المبتدأ "Them"، وهو ما يحدد مجال الخطاب "Universeofdiscoure" الذي يُعتبر الحمل "Predication" بالنسبة إليه وارداً "Relevant".⁽²⁾

يُشكل المبتدأ وجهة الخطاب وأنّه يتعلّق بالتركيب الذي يليه، فهو وظيفة تقوم على الاشتراك التواصلي المعرفي بين: المتكلم والمتلقي، لأنّه «يُحدد المجال الذي يُعتبر إسناد مجموع الحمل إليه وارداً».⁽³⁾

بعبارة أخرى وظيفة المبتدأ «مرتبطة بالمقام أي أنّ تحديدها لا يمكن أن يتمّ إلاّ انطلاقاً من الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة، وتتحدد هذه العلاقة في إطار معارف المتكلم حول العالم الخارجي»⁽⁴⁾، فلا يمكن أن يكون الوضع التخابري منعزلاً عن التراكيب الكلامية، فهذا من شأنه أن لا تتمّ عملية التواصل بين متكلم ومتلقي، أو تنعدم سمة النفعيّة من الاستعمال الكلامي.

تمثّل للوظيفة الخارجيّة التداولية "المبتدأ" بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في أنّ الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة: عن أنس ابن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ».⁽⁵⁾

يمثّل المكون "الدعاء" الوظيفة التداولية المبتدأ، وتجسدت وظيفته في هذا التركيب في تشكيل وتحديد مجال الخطاب المحمول عليه الحمل الذي يليه "لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ"

(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 126، 127.

(2) نفسه، ص: 115.

(3) نفسه، ص: 116.

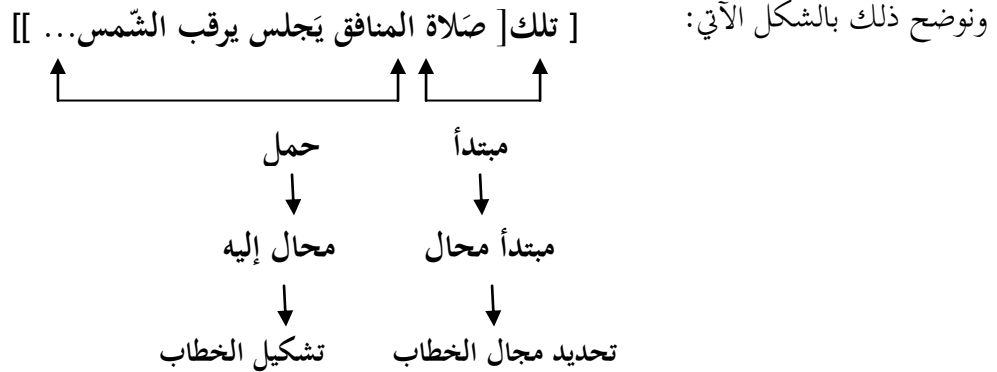
(4) نفسه، ص: 116.

(5) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 408.

يقول الرسول عليه وسلم: « تَلِكْ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ؛ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقَرَّ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا... »⁽¹⁾

الوضع التخابري للحديث الشريف: مقام توبيخ، وبمقدور المخاطب (المؤمن) أن يتعرف على ما أحيل عليه بواسطة وظيفة المبتدأ الممثل في المكون: " تلك " اسم الإشارة، فقد أحال المبتدأ على صلاة العصر، وهو حديث في باب ما جاء في تعجيل صلاة العصر وفي قوله « تلك صلاة المنافق » إشارة إلى مذكور حكما أي صلاة العصر التي أخرجت إلى الاصرار [...] فيه تصريح بدم تأخير صلاة العصر بلا عذر [...] و"يجلس يرقب الشمس" جملة استثنائية بيان للحملة السابقة⁽²⁾، بالإحالة التداولية التي كونت مبتدأ تداوليا اهتدى المخاطب لقصد المتكلم في مقام: الذم والتوبيخ، فلا تؤخر صلاة العصر إلا بعذر.

المكون " تلك " يشكل تداوليًا مجال الخطاب بإحالة " تَلِكْ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ "، فالمكون المبتدأ " تلك " محيل، والمركب الاسمي الذي تلاه محال عليه إليه، ومنه إحالية المبتدأ: تشكل وتحدد المجال والخطاب معا.



يتبين من هذا التمثيل أن المبتدأ يتعلق تواردا بالخطاب بتفعيل الإحالة، فهو مبتدأ إحالي، وهو المعرف التداولي عليه، وعدم توافر شرط أو مبدأ التوارد بين المبتدأ والحمل يؤدي إلى الوقوع في اللحن. ما يُعزز تداولية إحالية المبتدأ أن «إحاليته مرتبطة بالمقام أو على وجه التحديد بـ "الوضع التخابري" بين المتكلم والمخاطب؛ أي

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 320.

⁽²⁾ المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 497.

بالقدر من المعرفة المشتركة الذي يتقاسمونه، فنفس العبارة تكون كافية، إحيائيًا في وضع تخابري وتكون غير كافية في وضع تخابري آخر»⁽¹⁾، وعليه تظهر شروط حمل أو وظيفة المبتدأ في مايلي:

- تشكيل مجال الخطاب.

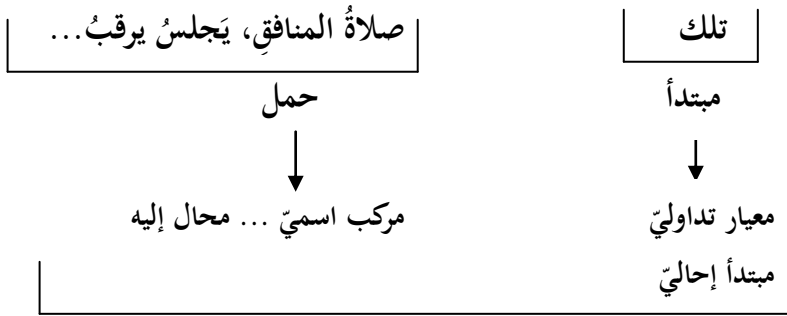
- تحديد الخطاب.

- إحيائية المبتدأ تداوليا.

- ارتباطه بالوضع التخابري.

- بين المبتدأ المحال والخطاب المحال إليه: تشكيل وتحديد.

يفقد المبتدأ صلاحيته للمبتدئية التداولية إذا كان غير محيل « يجب في المبتدأ أن يكون عبارة محيلة، أي أن يكون المخاطب قادرا على التعرف على ما تُحيل عليه.»⁽²⁾ وهذا تحكمه المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب « فمن مقومات نجاح عملية التخاطب نفسها أن يتفق المتكلم والمخاطب على مجال التخاطب، أن يتعرف المخاطب على ما سيحدث عنه قبل أن يحدث»⁽³⁾، وعليه ينتفي في تحديد معرفة المبتدأ التداولية « المعيار التركيبي المعروف (دخول الألف واللام، الإضافة...)»⁽⁴⁾، ويمكن أن نوضح ذلك بواسطة الترسمة الآتية



وضع تخابري: مقام الذم والتوبيخ

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 119.

⁽²⁾ نفسه، ص: 120.

⁽³⁾ نفسه، ص: 120.

⁽⁴⁾ نفسه، ص: 119.

انطلاقاً من المعيار التداولي "إحالية المبتدأ" وانتفاء المعيار التركيبي في معرفيّة وظيفة المبتدأ التداولية، ينأى "المبتدأ" عن الحمل في كونه موضوعاً من موضوعاته أو خاضعاً لقيوده، ويدنو ويتعلق بالحمل بتطبيق مبدأ التوارد على أساس المقام والمعرفة المشتركة، التي يتقاسمها المتكلم والمتلقي.

ومنه نخلص إلى أنّ:

- المبتدأ وظيفة تداولية خارجية مستقلة عن الحمل، لكن يرتبط به بمبدأ التوارد كونه يحدد مجال الخطاب، ويشكله.
- تحدد معرفيّة المبتدأ بمعيار تداوليّ "إحالية المبتدأ"، وليس بمعيار تركيبّي.
- تلابس وظيفة المبتدأ وظائف أخرى: كالمحور والذيل والبؤرة ويتعذر التمييز بينه وبين المحور، في كون المبتدأ يحدد مجال الخطاب والمحور يمثل "المتحدث عنه".
- لا يشكل المبتدأ موضوعاً من موضوعات الحمل في البنية المحموليّة بخلاف المحور والأمر نفسه بالنسبة لحيّز القوة الانجازيّة.
- توصف خارجية "المبتدأ" بالنسبيّة وليست بالمطلقة لسلامة التراكيب من اللحن.
- العلاقة التي يقيمها "المبتدأ" مع الحمل بتفعيل مبدأ التوارد ويجعل التراكيب صالحة للاستعمال لأنّ الحمل يرد مبنياً عليه.
- المقام "الوضع التخابري" والمعرفة المشتركة بين قطبيّ التّواصل تُجسّد حيّزاً تداولياً يقوم فيه المبتدأ بوظيفته.
- إحالية المبتدأ تشكيل وتجسيد القصد لدى المخاطب.
- يُكوّن المبتدأ متقمصاً وظائف أخرى تلابسه يسمى باسمها: المبتدأ البؤرة، المبتدأ المحور، المبتدأ الذيل.⁽¹⁾

(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 130/ وما بعدها.

ب - وظيفة الذيل:

تُعدّ وظيفة "الذيل"، وظيفة تداولية خارجيّة وترتبط بالمقام، وتتميّز عن الوظائف الدلالية أو الوظائف التركيبية (المنفذ، المتقبل) و(الفاعل والمفعول)، فالوظائف التداولية تحدد مجموع « العلاقات القائمة بين مُكوّنات الجملة، باعتبار الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة.»⁽¹⁾

للوظيفة "الذيل" وجهة في تحديد هذه العلاقات ومعرفة نوع المقام وطبقته فهو: المكوّن التداولي الذي يؤدّي وظيفتين:

- وظيفة توضيح.

- وظيفة تعديل.

يضيف "المتوكل" للذيل وظيفة ثالثة متمثلة في وظيفة تصحيح، وعليه يُعرّف "الذيل" بأنّه المكوّن الذي « يحمل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تعدلها أو تصححها.»⁽²⁾

من هذا التعريف: يلابس "الذيل" الوظيفة التداولية "البؤرة" بالضبط "بؤرة المقابلة" التي تتوافر في مقام: "يُصحح المتكلم معلومة المخاطب"، فتمثال الذيل في وظيفته الثالثة: وظيفة التصحيح.

يقترح "المتوكل" من التعريف السابق "للذيل" تمييزا داخل الوظيفة "الذيل"، انطلاقا من وظائفه لتحديد أنواعه: وهي ثلاثة ذيول: ذيل التوضيح، ذيل التعديل، ذيل التصحيح

فيرتبط الذيل بهذا: بالحمل والمقام، والقصد من الخطاب، فيكون لكل "ذيل": تشكيلا خطايا، وإجراءات متميزة في إنتاجه، وتمثل لأنواع "الذيل" من أحاديث الرسول عليه وسلم .

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 146.

(2) نفسه، ص: 147.

1 - ذيل التوضيح:

هو مُكوّن من المكونات التداولية الخارجية، يعمل على توضيح معلومة الحمل الداخلية، لإبهام وقع في ذهن المتلقي، فيعمد المتكلم لإضافات: تجعل الحمل ظاهراً لتحقيق مآربه من الخطاب.

يطابق "ذيل التوضيح" بنية خطابية تميزه عن باقي أنواع الذبول الأخرى، كما يطابق عملية إنتاج الخطاب الآتية: « يعطي المتكلم المعلومة "ثم يلاحظ أنّها ليست واضحة الوضوح الكافي فيضيف المعلومة" إزالة للإبهام.»⁽¹⁾

مثاله قول الرسول عليه وسلم في باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل: « الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا.»⁽²⁾

في هذا الحديث سئل النبي عليه وسلم أيّ الأعمال أفضل؟ فكان جوابه توضيحاً للسائل أن أفضل الأعمال للمؤمن أي يؤدي صلاته في وقتها الأول بغية الأجر والثواب.

ورد الذيل في المكوّن "لِأَوَّلِ"، لأنه وضح معلومة « من بيان الوقت رضوان الله أي سبب رضائه كاملاً لما فيه من المبادرة إلى الطاعات، والوقت الآخر يحتل أن يكون خروجاً من الوقت أو المراد به وقت الكراهة عفو الله، والعفو يكون عن المقصرين فأفاد أن تعجيل الصلاة أو وقتها أفضل.»⁽³⁾

هذا الحديث يوضحه حديث آخر: عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الْوَقْتُ الْأَوَّلُ مِنْ الصَّلَاةِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَالْوَقْتُ الْآخِرُ عَفْوُ اللَّهِ.»⁽⁴⁾

تجسّد "الذيل" توضيحاً في بنية خطابية، حيث قدّم الرسول عليه وسلم المعلومة ثم تلاها بتوضيح.

تمثلت معلومة الحمل في لفظ "الصَّلَاةِ"، وتمثّل الذيل التوضيحي في "لِأَوَّلِ وَقْتِهَا"، ليتّضح للمخاطب أن أفضل الأعمال الصلاة وتوضيحاً في أول وقتها، ليظهر قصد الرسول الكريم أنّ المؤمن الذي يؤدي صلاته في وقتها هو أفضل الأعمال لنوال رضوان الله، وأنتج الخطاب إجراء للتوضيح وإزالة الإبهام.

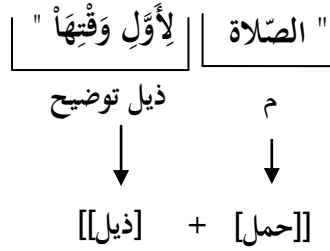
(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 147.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 334.

(3) نفسه، ص: 516.

(4) نفسه، ص: 336.

ونوضح بالشكل الآتي: ورود الذيل مُوضّحاً لمعلومة الحمل:



يؤدي الذيل التوضيحي وظيفته تداولية على الحمل في توضيح معلومته لإبهام وقع لدى المخاطب.

ويزيل الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث ما جاء في فضل الجماعة، الإبهام مُوضّحاً فضل صلاة الجماعة عن الرجل وحده

فيقول: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»⁽¹⁾

وبعض الإبهام حاصل حين يُقرأ الحديث "صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ"، والتوضيح يكمن

في بيان درجة الفضل: "بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"، وقد أدّى التمييز: "دَرَجَةً" وظيفة "ذيل التوضيح" مُبيّناً أفضلية صلاة الجماعة.

يظهر قصد الرسول صلى الله عليه وسلم في ترغيب المؤمنين أداء الصلاة جماعة، بأن قدّم معلومة ثمّ أضاف توضيحاً فضل

صلاة الجماعة عن صلاة الفرد.

2 - ذيل التعديل:

هو وظيفة خارجية تداولية تُؤدّي وظيفة على معلومة الحمل وهي: تعديلها «ويطابق ذيل التعديل عملية

إنتاج الخطاب الآتية يعطي المتكلم المعلومة "م"، ثم يلاحظ أنها ليست بالضبط المعلومة المقصود إعطاؤها،

فِيُضِيفُ الْمَعْلُومَةَ "م" الَّتِي تَعْدِلُهَا»⁽²⁾

يكون بناءً أو تكوين وظيفة "الذيل التعديلي"، على قصد المتكلم، حصوله لدى المخاطب فيقدم المتكلم

قصده ضمن تركيب لغوي، ثمّ يُعَدِّلُ ذَاكَ الْقَصْدَ تَجَنُّبًا لَوْقُوعِ غَيْرِهِ فِي ذَهْنِ الْمَخَاطَبِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ يَقُولُ

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 411.

⁽²⁾ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 148.

الرسول صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس: « الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَيَّ الْجُمُعَةُ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ. »⁽¹⁾

معلومة حمل الحديث الشريف تمثلت في أنّ الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهنّ، وتمثلت معلومة "الذيل التوضيحي" في "ما لم تُغَشَّ الْكَبَائِرُ" « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، معناه إن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فإنها لا تغفر وليس المراد أنّ الذنوب تُغفر ما لم تكن كبيرة، فإن كانت لا يغفر شيء من الصغائر، فإنّ هذا وإن كان محتملا فسياق الحديث يأباه. »⁽²⁾

أدى الذيل التعديلي وظيفته تعديل القصد للمعلومة المقدّمة للحمل، والشكل الآتي يوضّح ذلك:

الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَيَّ الْجُمُعَةُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ	مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ
--	-------------------------------

ذيل تعديلي

م: معلومة الحمل



[حمل] + [ذيل تعديلي]

3 - ذيل التصحيح:

يؤدّي "ذيل التصحيح" وظيفته تصحيح معلومة الحمل، ويعمد إليه المتكلم حين يقدّم معلومة غير مقصودة فيصححها، ويطابق ذيل التصحيح « العملية الخطائية الآتية: يعطي المتكلم المعلومة "م"، ثمّ ينتبه إلى أنّها ليست المعلومة المقصود إعطاؤها فيضيف المعلومة "م" قصد تصحيحها، أي إحلال معلومة أخرى محلها. »⁽³⁾

يرتبط "ذيل التصحيح" بالقصد وإجراء إنتاج خطائي، أن يقدّم معلومة حملية ثانية تأتي تصحيحا لمعلومة الحمل الأولى، وتمثّل "الذيل التصحيح" بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في باب النهي عن استقبال القبلة بغائط أو بول:

⁽¹⁾ سنن الترمذي، ص: 410.

⁽²⁾ تحفة الأحوذى، ص: 628.

⁽³⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 148.

عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا. »⁽¹⁾

في هذا الحديث يُصحح الرسول صلى الله عليه وسلم معلومة مفادها استقبال القبلة واستدبارها بغائط أو بول، فهي عن ذلك، وهو أول التصحيح "لَا تَسْتَقْبِلُوا"، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا"، ثم قدّم معلومة تصحيح لمعلومة الحمل الأولى بعد النهي عنها، وهي ممثلة في جملة إضرائية باستعمال "لَكِنْ"، وهي المكوّن الذي أنتج خطاب الذيل التصحيحي ممثلاً في قوله: "وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا"، وهذا الإضراب والتصحيح لحمرة القبلة، فأضيفت المعلومة التي تحملها العبارة "وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" لتصحيح المعلومة التي تحملها العبارة استقبال القبلة أو استدبارها بغائط أو بول.

يتموقع "الذيل" بكل أنواعه خارج الحمل، ويتصل به قصداً وإجراءً وإنتاجاً، ويفرض على الحمل عملية خطابية إزاء معلومته فيكون بذلك وظائف ثلاث توضيحية، وتعديلية وتصحيحية.

يحتل الذيل بخلاف المبتدأ المراتب المديلة الأخيرة من تركيب الحمل، فيذلل الفحوى الخطابي توضيحاً أو تصحيحاً أو تعديلاً، وتتجسد وظيفة "الذيل" في عمليات خطابية تحكمها مقاصد المتكلمين وتحقيقها في أذهان المخاطبين. وعليه نخلص إلى أن:

- الذيل وظيفة خارجة عن الحمل ويتموقع يسار الحمل وآخره.
- تستدعي أنواع الذبول عمليات خطابية تُبنى على قصد المتكلم وفهم المخاطب.
- يُحدد الذيل المقام والقصد من الفحوى الخطابي.
- تذييل الفحوى الخطابي يفرضه المتلقي، فيبنى قصد المتكلم على منواله.

ج - وظيفة المنادى:

الأصل في الوظائف التداولية الخارجية وظيفتين "المبتدأ" و"الذيل"، واقترح "المتوكل" وظيفة "المنادى" وظيفة ثالثة، حيث أضيفت هذه الوظيفة بناء على أن « واقع اللغة العربية يفرض إضافة وظيفة ثالثة هي وظيفة المنادى »⁽²⁾، وتكمن تركيبة اقتراح "المتوكل" في إضافته لهذه الوظيفة في أن « الوصف اللغوي الساعي إلى الكفاية لا

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 94.

⁽²⁾ أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 97.

يمكن أن يغفل المكون المنادى لوروده في اللغات الطبيعية ، ولغنى خصائصه في بعضها كاللغة العربية على سبيل المثال. ⁽¹⁾

مفاد وظيفة المنادى في اعتبار: « المنادى وظيفة تُسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين » ⁽²⁾، وتظهر وظيفية المنادى في تداولية الدور المنوط بها والمتمثل في أن المكوّن المنادى يقوم باسترعاء انتباه المخاطب ضمن عملية تواصلية. ⁽³⁾

تتموقع وظيفة المنادى خارجة عن الحمل شأنها شأن "المبتدأ" و"الذيل" « إلا أنّ أغلب استعمالاته مواكبته لخطاب يمكن أن يكون جملة أو نصًا كاملاً في هذه الحالة بخلاف المبتدأ والذيل ذوي الموقع الثابت، يمكن أن يتموقع المنادى قبل الجملة أو وسطها أو بعدها. ⁽⁴⁾

تمثل له بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « يَا عَلِيّ ثَلَاثٌ لَا تُؤَخَّرَهَا: الصَّلَاةُ إِذَا آنَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ ، وَالْأَيْمُ إِذَا وَجَدَتْ لَهَا كُفْتًا. ⁽⁵⁾

وقوله: « جَاءَنِي جِبْرِيْلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِذَا تَوَضَّأْتَ فَانْتَضِحْ. ⁽⁶⁾

ويمكن أن نستخلص من الحديث السابق الأمثلة التي تُبين موقع المنادى في حالاته الثلاث:

- قبل الجملة: يا عليّ ثلاث لا تُؤخّرُها.

- وسط الجملة: ثلاث يا عليّ لا تُؤخّرُها.

- بعد الجملة: ثلاث لا تُؤخّرُها يا عليّ.

من حالات ورود "المنادى"، وقوعه قبل الحمل أو بعده، وهو في الحالة الأولى أكثر وروداً منه في الحالة الثانية « ويمكن تفسير هذا بالرجوع إلى الدور الذي يقوم به المنادى في عملية إنتاج الخطاب، فالمكوّن المنادى

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 160.

⁽²⁾ نفسه، ص: 161.

⁽³⁾ ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 97.

⁽⁴⁾ ينظر: نفسه، ص: 97.

⁽⁵⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 335.

⁽⁶⁾ نفسه ، ص: 139.

باعتباره مقصوداً به تنبيه المخاطب بالدرجة الأولى، يرد قبل الخطاب نفسه، بما فيه المكوّن الدال على مجال الخطاب (المبتدأ).»⁽¹⁾

يُنَبِّه الرسول عليه وسلم بأداة النداء "يا" والمكوّن "المنادى" ضمن مقام النصح، في الحديث السابق: "يَا عَلِيّ ثَلَاثٌ لَا تُؤَخَّرُهُ"، قام بوظيفة استرعاء المخاطب "علي". والرسول عليه وسلم رسول الأمة يسترعي بذلك المؤمن عامة، أي أنّ فحوى الحديث مُوجّه لكل مؤمن، فلا تأخير في الصلاة، ولا في الجنازة ولا في الأيم.

يخالف المتوكل النحاة القدامى في أن المكوّن المنادى يأخذ الحالة النصب « لا بمقتضى تقدير فعل ناصب له بل بمقتضى وظيفته التداولية نفسها للمبدأ العام المعتمد في إسناد الحالات الإعرابية حسب النحو الوظيفي.»⁽²⁾ يحمل الحالة الإعرابية النصب بعلامة الفتح أو بعلامة الضمّ وعليه « تنعكس خارجية المكون المنادى بالنسبة للحمل على كل من إعرابه وموقعه داخل الجماعة.»⁽³⁾

تتعلق الوظيفة التداولية "المنادى" بقوة إنجازية ثابتة وهي القوة الإنجازية "النداء"، في حين يكون الحمل مؤشراً لقوة إنجازية مخالفة.

التمثيل من قوله صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في بدء الآذان: «يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ.»⁽⁴⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل: «يَا عَلِيّ ثَلَاثٌ لَا تُؤَخَّرُهُ: الصَّلَاةُ إِذَا آتَتْ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالْأَيْمُ إِذَا وَجَدَتْ لَهَا كُفْتًا.»⁽⁵⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم في باب ما جاء في تعجيل الصلاة إذا أخرجها الإمام: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ، فَصَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَتْهَا، فَإِنْ صَلَّيْتَ لَوْ قَتَلَتْهَا كَأَنْتَ لَكَ نَافِلَةٌ، وَإِلَّا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ.»⁽⁶⁾

(1) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 179.

(2) نفسه، ص: 175.

(3) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 173.

(4) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 370.

(5) نفسه، ص: 335.

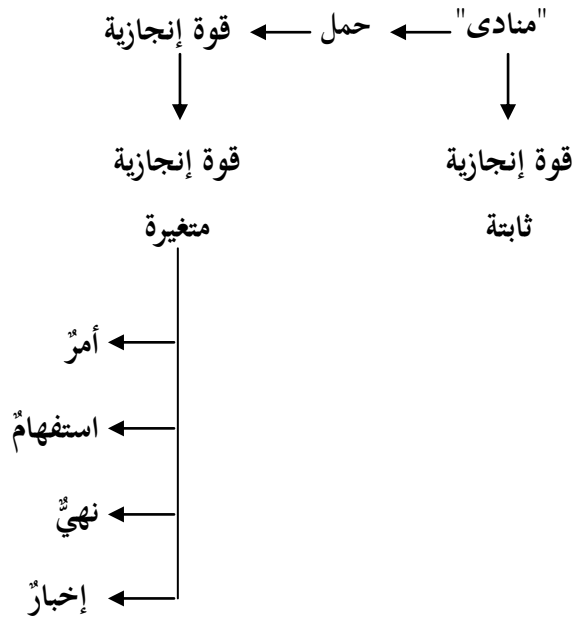
(6) نفسه، ص: 345.

تأخذ الحمل في الأحاديث: القوة الإنجازية "الأمر" والقوة الإنجازية "النهي" والقوة الإنجازية "الإخبار" على التوالي.

تمثل حمل الحديث الأول في أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ينبّه بأداة النداء والمكّن المنادى "بلال" في مقام معين، فاسترعى بذلك المخاطب "بلال"، الذي يمثل القوة الإنجازية الثابتة "النداء"، وأخذ الحمل: القوة الإنجازية "الأمر"، فورد المكّن المنادى خارجاً عن الحمل قوّةً ووظيفةً.

يظهر حمل الحديث الثاني، بقوة إنجازية "النهي" ممثلة في: " لا تُؤخّرْها " وتُرصد وظيفة "المنادى" بقوة إنجازية ثابتة، وهي "النداء" على وجه خاص "يا علي"، والمقصود به مقام النصّح الذي يسترعى انتباه كلّ مؤمن بأنّه معنيّ بهذا النهي.

يتبيّن حمل الحديث الثالث: بالقوة الإنجازية "الإخبار"، فالرسول صلى الله عليه وسلم يخبر "أبا ذر" بأمرٍ يكون بعده يمتنون الصلاة، ليشمل قوة ثانية إنجازية ممثلة في "الأمر" "فَصِّل"، ليكون الحمل بقوتين إنجازيتين: "الإخبار" و"الأمر"، وتثبت قوة المكون المنادى: "يا أبا ذر" في القوة الإنجازية: "النداء"، وهذا الشكل يوضح ذلك:



تتقيد وظيفة "المنادى" بقيود منها:

- يشترط في المكوّن المنادى أن يُجمل على كائن حيّ، وإذا خُرِقَ القيد تقع جملة النداء في اللحن.

ويقترح "المتوكل" صوغ هذا القيد على مستوى البنية الحملية كقيد من قيود الانتقاء الضابطة لإدماج المكوّنات، فلا تُدمج وظيفة المنادى إلاّ في مكوّنات تتوفر فيهم شروط إسناد وظيفة المنادى.

- يستوجب القيد الثاني أن يكون مُجيلا على المخاطب⁽¹⁾، كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

في باب ما جاء كم فرض الله على عباده من الصلوات: « يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهِدِهِ الْخَمْسَ خَمْسِينَ. »⁽²⁾

يتمثل "المكون المنادى" في: "يا محمد"، ويتمثل الحمل في "إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهِدِهِ

الْخَمْسَ خَمْسِينَ". تجسّد الحمل بقوة إنجازيّة "الإخبار"، وهو ممثل في مقام التوكيد، وفحواه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم فُرِضَتْ عليه الصلّة ليلة أُسْرِيَّ به، ثمّ نقصت حتّى جُعِلت خمسًا، ثمّ نُودِي "يا مُحَمَّد."⁽³⁾

الله سبحانه وتعالى من رحمته بعباده جعل الصلاة خمسًا، « وقوله "يا محمد إنّه" الضمير للشأن (لا يبدل

القول) أي لا يُغيّر و(إنّ لك بهذه الخمس خمسين) أي ثواب خمسين صلاة.»⁽⁴⁾

أحال المكوّن المنادى "يا مُحَمَّد" على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوة إنجازيّة ثابتة "النداء"، وهو رسول هذه الأمة

فسعى إلى تخفيف الصلّة على الأمة، وقد أحال المكوّن المنادى "يا مُحَمَّد" على موضوع الحمل الذي ورد بقوة إنجازية الإخبار، فحمل الحمل إحالتين:

- إحالة على الله سبحانه وتعالى "لا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ."

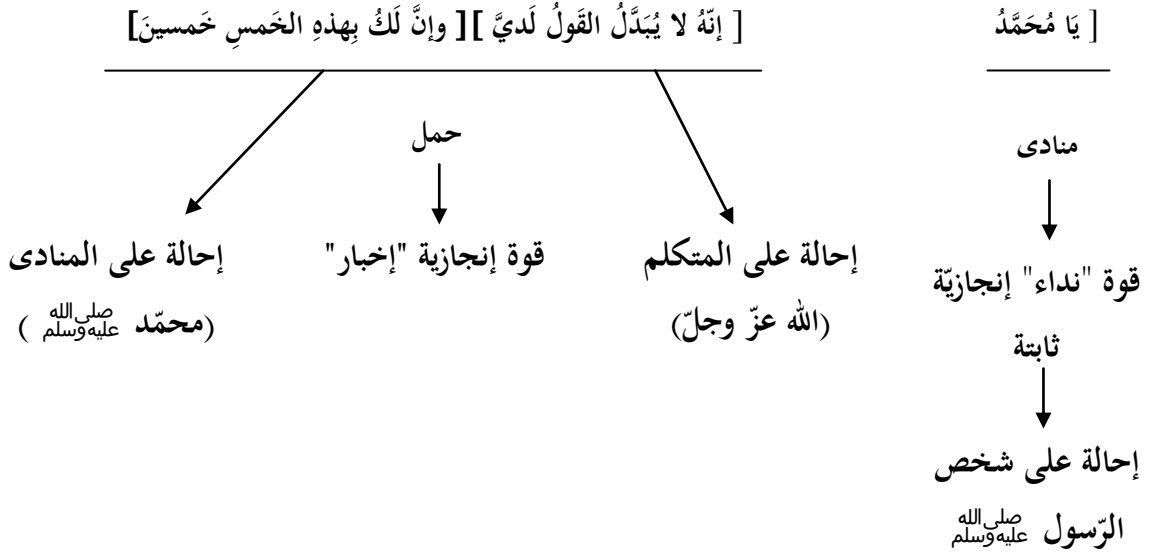
(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 164، 165.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 409.

(3) نفسه، ص: 409.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 626.

- إحالة على المنادى "يا محمد" متمثلة في: "وإن لك بهذه الخمس خمسين"، ونوضح بالشكل الآتي: قيود المكوّن المنادى قوته وإحالته:



تتمحور الإحالة في المكوّن "المنادى" بـ:

- إحالة على كائن حي.
- إحالة على المخاطب.

بين النداء والمنادى تمايز إذ؛ يُشكّل النداء فعلاً لغوياً شأنه الأفعال اللغوية الأخرى: كالإخبار، والاستفهام والأمر والوعد والوعيد، في حين يشكل "المنادى" وظيفة وعلاقة تسند إلى أحد مكونات الجملة، ويُحدّد النداء الفعل اللغوي جهة جملة، و"المنادى" وظيفة مسندة إلى مكوّن. (1)، ونخلص إلى أنّ:

- الوظيفة التداولية "المنادى" خارجيّة تُسند إلى مكوّن وظيفته استرعاء انتباه المخاطب.
- يتعلق "المنادى" بمقام.

- تكون قوة المكوّن "المنادى" الإنجازية ثابتة في حين تتغير القوى الإنجازية الحملية.

- يتموقع المنادى: قبل الجملة أو وسطها أو بعدها.

- يأخذ المنادى الحالة الإعرابية النصب بمقتضى وظيفته التداولية.

(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 161.

يتقيد المكوّن المنادى بقيدتين: - إحالة على كائن حيّ.

- إحالة على المخاطب.

4-3- التراكيب الإنشائية: تحليلٌ وظيفيٌ واستعمالٌ نفعيٌ.

تتحقق الوظائف التداولية في تراكيب لغوية مع تداولية المتكلم في بثّ قصده، وكيفية تمكين ذلك إنتاجاً مع تداولية المتلقي في فهم القصد المرجو من هذا الخطاب، كما يتّسم الخطاب بالتداولية في حمله طاقات استعمالية نفعية إنتاجية المتكلم للخطاب، وفهم المتلقي له.

التراكيب بنوعيه الخبري والإنشائي زاحر بالوظائف، فالتراكيب يستدعي الوظيفة الخادمة له إنتاجاً وفهماً، وطبيعة كلّ تركيب هي الأخرى تُحدّد وظائفه فاختص الصدق والكذب بالخبري، وانتفى ذلك عن التركيب الإنشائي، فهو الذي لا يحمل الصدق والكذب لأنه إنشاء وليس إخبار، ويُقسّم التركيب الإنشائي إلى قسمين:

أ - التركيب الإنشائي الطلبي:

هو الذي يحمل دلالة طلبية تداولية من المتكلم إلى المخاطب، ويدخل في هذا القسم: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتداء والتّمني: العرض والتحضيض، الاستفتاح.

ب - التركيب الإنشائي غير الطلبي:

هو الذي يخلو من دلالة الطلب، وتكمن تداوليته في إنشائيته التي تصوّر حالة المتكلم، ويندرج فيه الشرط والقسم والتعجب، المدح [وسنقتصر على بيان القوة الإنجازية والوظائف التداولية في التركيب الإنشائي الطلبي.]

ما يُتيح تجسيد الوظائف التداولية في التراكيب الإنشائية هو دلالة وتداولية البنية التحتية (الحملية) لهذه التراكيب، وهذه تسمى بالوظيفة البلاغية، وهي تُعلّق الغرض البلاغي للتركيب بالقصد، وهي دلالة أو غرض بلاغي أصلي المقصود بالأصل، وغرض بلاغي ثانٍ يُكشف تداولاً بسياق الحال والمقال؛ فقد يُستعمل التركيب الإنشائي لا أصلاً ويراد به غيره.

1 - الوظائف التداولية في التراكيب الإنشائية الطلبية:

أ - وظيفة التركيب الاستفهامي:

يرتبط التركيب الاستفهامي بتداولية المتكلم والمخاطب، فينشأ أحدهما استفهاما يُبنى على منواله الخطاب، ويحكمه في ذلك قصد ومقام وفائدة، ووظيفة تضاف للوظائف التداولية الخمس المعروفة، وهي الوظيفة البلاغية المتعلقة بالغرض من التركيب الإنشائي المتعلق وظيفيًا تداوليًا بالقصد، ويأتي الاستفهام على «طلب الفهم» [...] فهو أسلوب يُطلب به العلم بشيء مجهول.⁽¹⁾

طلب الفهم والعلم بشيء مجهول تُعدّ من أهداف الخطاب القائم على الاستفهام، ويوظف تداوليا أدوات، ومكوّنات، أحرف وأسماء لإنشاء الاستفهام وتحقيقا للقصد والهدف الخطابين إذ؛ يُحدد "المتوكل" سَلْمِيَّة أدوات وأسماء الاستفهام بالسَلْمِيَّة الآتية «هل < كيف < من < متى = أين < ما. أ < أي < كم < لماذا.»⁽²⁾

تداولية استعمال هذه المكوّنات الاستفهامية « حيث يُفاد أنّ استعمال أدوات الاستفهام وأسمائه يُسائر مختلف محطّات الاستنطاق؛ إذ يغلب استعمال الأداة "هل" في مرحلة تجميع المعلومات "الجديدة" [...] ثمّ يبرز استعمال أسماء الاستفهام "من، ماذا، متى [...] وأين" في مرحلة تقصي عن الذوات المشاركة وعن ظروف وقوعها، في حين يتواتر استعمال "الهمزة" في مرحلة المقابلة بين المعلومات المجمعة.»⁽³⁾، وعليه من وظائف المكوّنات الاستفهامية مايلي:

- تجميع المعلومات الجديدة.
- التقصي عن الذوات المشاركة.
- المقابلة بين المعلومات المجمعة.

(1) عبد الكريم محمد يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه - إعرابه، مطبعة الشام، الطبعة الأولى، 2000، ص: 08.

(2) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 142.

(3) نفسه، ص: 142.

مُثَّل للتركيب الاستفهامي من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ يقول صلى الله عليه وسلم:

في باب ما جاء في مواقيت الصلاة: «عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فسأله عن مواقيت الصلاة فقال: «أَقِمَّ مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.»

فأمر بلالا فأقام حين طلع الفجر، ثم أمره فأقام حين زالت الشمس، فصلى الظهر، ثم أمره فأقام فصلى العصر والشمس بيضاء مرتفعة، ثم أمره بالمغرب حين وقع حاجب الشمس، ثم أمره بالعشاء فأقام حين غاب الشفق، ثم أمره من الغد فنور بالفجر، ثم أمره بالظهر فأبرد وأنعم أن يبرد، ثم أمره بالعصر فأقام والشمس آخر وقتها فوق ما كانت، ثم أمره فأحرَّ المغرب فُبيل أن يغيب الشفق، ثم أمره بالعشاء فأقام حين ذهب ثلث الليل.

ثم قال: «أَيْنَ السَّائِلُ عَن مَوَاقِيَتِ الصَّلَاةِ؟»

فقال الرجل: أنا.

فقال: «مَوَاقِيَتُ الصَّلَاةِ كَمَا بَيَّنَّ هَدَيْنِ.»⁽¹⁾

نوع الخطاب في الحديث الشريف: خطاب حوارى، بُني على ثنائية السؤال والجواب، وقطبا الخطاب السائل والرسول صلى الله عليه وسلم، وفحواه هوييان مواقيت الصلاة.

قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "أَقِمَّ مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ" إجابة عن السائل تجسيدا لأوقات الصلاة: الاختيارية والضرورية، ونفترض سؤالا للسائل: "ما مواقيت الصلاة؟"، فبني الخطاب على الآتي: "أَقِمَّ مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ" إجابة تجسدية للتركيب الاستفهامي: "أَيْنَ السَّائِلُ عَن مَوَاقِيَتِ الصَّلَاةِ؟"، قال: أنا: إجابة عن وظيفة "أين" فأفادت الوظيفة التداولية التقصي عن الذوات المشاركة، وتركيب الإجابة: "مَوَاقِيَتُ الصَّلَاةِ كَمَا بَيَّنَّ هَدَيْنِ" أبانت قصد الرسول صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على أداء الصلاة في وقتها وتبيانها لمواقيتها.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 308، 309.

تحمل المكونات الاستفهامية الوظيفة التداولية البؤرة لكونها:

- تحمل المعلومة الأكثر بروزا وأهمية، وهي البؤرة عامة.
- وتحمل المعلومة التي يجهلها المخاطب، وهي بؤرة الجديد.
- وتحمل المعلومة التي يشكّ المخاطب في ورودها أو ينكرها وهي بؤرة المقابلة.

الفحوى الخطابي في الحديث السابق اتّسم بالتبّعير تمثّل في بؤرة الجديد، والمقام مقام جهل المخاطب بالمعلومة التي قصد المتكلم إبلاغه إيّاها في حالة الاستفهام.

السائل عن مواقيت الصلاة يجهل هذه المواقيت، والرّسول صلى الله عليه وسلم يُبَيّن له مواقيتها بإجابة فعلية تصويرية بأن أقام معهم (مع الصحابة)، وصلى لكلّ صلاة وقتين: ضروري واختياري.

يقترح "المتوكل" رائزين اثنين: رائز "سؤال جواب"، و "رائز التّعقب" ؛ إذ تعتبر أجوبة طبيعية للأسئلة المحتوية على اسم استفهام الجمل التي تشتمل على مُكوّن مسند إليه بؤرة الجديد، كما يظهر من الحوار السابق من الحديث:

السائل: ما مواقيت الصلاة؟
بؤرة محور
الرّسول صلى الله عليه وسلم: أَقِمْ معنا إن شاء الله ← تبشير الفحوى الخطابي

الرّسول صلى الله عليه وسلم: أَيْنَ السَّائِلُ
بؤرة محور
السائل: أنا

الرّسول صلى الله عليه وسلم: مَوَاقِيْتُ الصَّلَاةِ كَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ.
محور معطى
بؤرة جديد

تتجسد الوظيفة التداولية البؤرة خاصة "بؤرة الجديد" في التراكيب الاستفهامية، وذلك لإمكانية إسنادها إلى أكثر من مكوّن واحد داخلها ⁽¹⁾، كما لا يمكن في اللغة العربية أن يتعدى عدد المكوّنات المبارة في الجمل الاستفهامية ثلاثة مكوّنات، فيقع التعبير في لحن التوظيف مما يؤدي إلى لحن الاستعمال. ⁽²⁾

تتعلق بؤرة الجملة بالتراكيب الاستفهامية المصدرية بأداة استفهام ⁽³⁾، ويروى «عن أبي عمرو الشيباني أن رجلاً قال لابن مسعود: أيُّ العمل أفضل؟

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: «الصلاة على مؤقّيتها».

قلت: وماذا يا رسول الله؟

قال: «وبرُّ الوالدَيْن».

قلت: وماذا يا رسول الله؟

قال: «والجهاد في سبيل الله» ⁽⁴⁾.

حمل المكوّن "أيُّ" وظيفة بؤرة الجديد والمقام مقام جهل بأفضل الأعمال، فأُسندت بؤرة الجديد إلى المكوّن "ماذا" في إجابات مثبتة عن ترتيب أفضل الأعمال.

ورد الحوار مبنيّ على مُكوّنين استفهاميين: "أيُّ، وماذا"، ويشترط لإسناد بؤرة الجديد لأحد مكوّنات الجملة الاستفهامية شروطاً مقامية:

- يجهل المتكلم هوية الموضوع.

- يفترض المتكلم أن المخاطب يعرف هوية الموضوع.

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 44.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، ص: 44.

⁽³⁾ نفسه، ص: 32.

⁽⁴⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 339.

- يرغب المتكلم فعلا في معرفة هوية الموضوع لكي يكون الاستفهام حقيقيا.⁽¹⁾

حين يكون الاستفهام حقيقي تتجسد الوظيفة البلاغية للاستفهام في طلب معرفة المجهول، وحين يخرج عن ذلك إلى المجاز تتجسد في وظائف بلاغية أخرى تُعرف من السياق والمقام.

الشروط المقامية للتركيب الاستفهامي تُحدّد غرضه ووظيفته التداولية، سواء أكان بالمعنى الحقيقي أم بالمعنى الفرعي « ويقابل هذا التقابل البنيوي بين "التركيب" وخاصية التركيب، على اعتبار أنّ الأول يرتبط بأصل المعنى، فيما تقوم خاصية التركيب بمطابقة الكلام للغرض منه. »⁽²⁾

تداولية التركيب الاستفهامي بمعنييه الأصلي والفرعي تكمن في أنّ الاستفهام الأصلي والفرعي، إنّما يتحدد الأول بالصيغة، والثاني يتحدّد بالمقام « على اعتبار أنّ الصيغة لا تستوعب المقام في كثير من الأحيان، فيما المقام يستوعبها. »⁽³⁾

هذا انتقال وظيفي تداولي حيث « تنتقل الجملة من الدلالة على معناها الأصلي (س) إلى معنى آخر (ص) بالانتقال خرقا من أحد شروط إجراء (س) إلى ما يقابله من شروط إجراء (ص). »⁽⁴⁾

ومتى امتنع توظيف إجراء هذه التراكيب على أصلها عُنيّ بها فرعها ليحل محل الأصل وتستنبط هذه الوظائف من مناسبة المقام.

وعليه نخلص إلى أنّ:

- الوظائف التداولية: تتحقق في التركيب وخاصية التركيب (بمعناه الأصلي والفرعي).

- تداولية المقام تُحدّد نفعية ووظيفة التركيب الاستفهامي: أغراضه البلاغية.

(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص: 36.

(2) العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات لنوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2011، الرباط، ص: 33.

(3) نفسه، ص: 34.

(4) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1986، ص: 102.

ب - وظيفة التركيب الأمري:

تدرج الجملة الأمرية ضمن الجمل الطليبة «الوارد محمولها بصيغة الأمر (افعل) احترازا من أن تدرج في هذا النمط الجمل الخبرية أو الاستفهامية المفيدة للأمر من قبيل: ستهب فورا، ألن تذهب؟»⁽¹⁾

يقوم الأمر على طلب القيام بالفعل، ويمكن أن يحمل فعل الأمر مقاصد غير القيام بها، كما سبق.

وللأمر تحققات مختلفة منها صيغة "افعل"، "ليفعل"، "فيعال"، اسم الفعل الجامد (صه، إيه، آمين... وغيرها)، يؤلف بينها شرط الاستعلاء، وعليه فإن الصيغ السابقة الذكر إذا أُجريت على أصلها واستعملت على سبيل الاستعلاء كانت أمرا، وبذلك تنتفي سائر المعاني من التماس ودعاء وتهديد... التي ترتبط بقرائن الأحوال.⁽²⁾

يتحقق في التركيب الأمري الوظائف التداولية، والوظيفة البلاغية، التي يحكمها شرط الاستعلاء، فقد تخرج تداولية استعمال الأمر لوظائف بلاغية أخرى كالدعاء والالتماس... إذ «لا شبهة في أن طلب المتصور، على سبيل الاستعلاء يُورث إيجاب الإتيان على المطلوب [...] وإلا لم تُفد غير الطلب، ثم إنها حينئذ تُولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام.»⁽³⁾

يؤكد التركيب الأمري تداوليا قوة إنجازية وهي "الأمر"، كما توارد قوى إنجازية مستلزمة أخرى، فالأمر مثلا يغلب أن يدل على الوجوب القيام أو الترك إلا أنه يمكن أن يدل على قوى إنجازية أخرى كالالتماس، والتهديد والدعاء، وهذا التجسيد التداولي للتركيب الأمري، إنما يتحقق في المستوى العلاقي الذي «يتضمن قوة إنجازية ومؤشري المتكلم والمخاطب وفحوى خطايا يتضمن فعلا حليا وفعلا إحاليا.»⁽⁴⁾

في التركيب الأمري التداولي، تحمل كل طبقة من طبقات الفعل الخطابي مُخصّصا وتحمل عناصر الفحوى الخطابي ووظائف تداولية (محور، بؤرة...)

(1) أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية، ص: 99.

(2) العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية، ص: 35.

(3) السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 318، 319.

(4) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص: 39.

الفعل الخطابى برمته يمكن أن يحمل "وظيفة بلاغية" (تعليق، تبين نتيجة)⁽¹⁾، ولتتمثيل:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ لِلْوُضْوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ: الْوَلَهَانُ فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ. »⁽²⁾

ويقول صلى الله عليه وسلم: « إِشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا. »⁽³⁾

ويقول صلى الله عليه وسلم: « أَسْفِرُوا بِالْفَجْرِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْأَجْرِ. »⁽⁴⁾

تتألف هذه الأحاديث من أفعال أمر: " اتَّقُوا ، إِشْرَبُوا ، أَسْفِرُوا " بصيغة "افعل"، وقد أُجريت على أصلها، وواكبت قوة إنجازية، وهي "الأمر"، وقصد الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الخطابات:

اتَّقُوا: تقوى وسواس الماء، إِشْرَبُوا: ونوال الصّحة من شرب لبن وبول الإبل، أَسْفِرُوا: ونوال الأجر بالإسفار في صلاة الفجر « أي صلّوا صلاة الفجر إذا أضاء وأشرق. »⁽⁵⁾، تتوزع الوظائف التداولية في التراكيب الأمرية في فحواها الخطابية.

تتمثل وظيفة المحور وظيفية دائمة في كلّ الخطابات كونها تُشكل محطّ الحديث فتظهر في الحديث الأول "الوضوء"، و"إشربوا" في الحديث الثاني، و"الفجر" في الحديث الثالث، كما تتمثل البؤرة، وهي المعلومة الأكثر أهمية: في الحديث الأول في المكون "شيطاناً" و"سواس"، وفي الحديث الثاني: "ألبانها" و"أبوالها" تمثل بؤرة جديد، وتمثلت في الحديث الثالث في المكون "الأجر" بؤرة جديد.

يتوي وراء هذه الأحاديث مقصد الرسول صلى الله عليه وسلم مبثوثا في قوى إنجازية أمرية وفحوى خطابية، والرسول صلى الله عليه وسلم رسول هذه الأمة، فتوافرت هذه الأحاديث على شرط الاستعلاء، فنجم عنه إنجاز الفعل، وانتفاء هذا الشرط يُخرج القوة الإنجازية من أصلها في التراكيب الأمرية: إنجاز الفعل قوى أخرى يستوعبها المقام كالالتماس

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة: ص: 39.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 150.

⁽³⁾ نفسه: ص: 166.

⁽⁴⁾ نفسه: ص: 311.

⁽⁵⁾ المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 478.

والتهديد... فتصبح بذلك قوة إنجازية مجردة من الطلب على وجه الاستعلاء، وشروط القوة الإنجازية التي ينجم عنها إنجاز الفعل هي:

«- طلب الحصول في الخارج.

- مطلوب غير حاصل.

- ممكن الحصول.

- الطالب مُستَعْلٍ على المطلوب منه.»⁽¹⁾

كما أنّ فعل الأمر حمل برمته وظيفه بلاغية في الأحاديث وظيفه التعديل والتعليل، ونتيجة.

- إَتَّقُوا: فعل خطابيٍّ أمرّيٍّ بمؤشر: المتكلم: الرسول ﷺ، والمتلقي: عامة المؤمنين، تعيين: صحّة الوضوء في تقوى وسواس الماء.

- اِشْرَبُوا: تعيين صحّة الأبدان في شرب لبن وبول الإبل.

- اَسْفِرُوا: تعيين ونتيجة، تعيين الإسفار بالفجر موجب للأجر والإسفار تعيين والأجر نتيجة التعيين.

تتحقق الوظائف التداولية وتتجسّد في التراكيب الأمرية بمؤشر المتكلم والمتلقي الذي يُبنى الخطاب على

منواله، فالمتكلم « يقوم حين يكون بصدد إنتاج خطاب ما، بثلاث عمليات انتقائية هي:

- انتقاء الهدف التواصلي الذي يسعى في تحقيقه.

- انتقاء الفحوى الدلالي الذي يراه الأنسب لتحقيق هدفه.

- انتقاء الصورة (التحويّة، الصوتية) المناسبة.»⁽²⁾

(1) العياشي أدرابي: الاستلزام الحوارية، ص: 36.

(2) أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص: 32.

من مكونات المستوى التمثيلي طبقات ثلاث: طبقات التأطير والتسوير والوصف، تخالف الجملة الأمرية/الخبرية والاستفهامية في كون مُخصّص الطبقة التأطيرية للجملة الأمرية، يأخذ دائما قيمة الحاضر أو قيمة المستقبل⁽¹⁾، كما يتوضح من الأحاديث السابقة، والحديث الآتي:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.»⁽²⁾ تدل صيغة الأمر للفعل "بَشِّرْ" في هذا المثال على الزمن: الحاضر أو المستقبل، وحمل المكوّن "الْمَشَائِينَ" وظيفة "المحور"، وحمل المكوّن "النُّورِ" وظيفة "بؤرة جديد"، وحمل المكوّن "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وظيفة "الذيل".

الأمر هنا هو: الله سبحانه وتعالى، والأمر مُوجّه لرسوله صلى الله عليه وسلم لبشرى المصلين الذين يمشون في الظلم، بنور تام يوم القيامة، وهي "الواقعة المأمور" «ويُدرج عادة في باب الجملة الأمرية أنّ من شروط سلامتها أن تكون الواقعة المأمور بها ممكنة التحقيق، خرق هذا الشرط يُؤدّي إلى جمل "غريبة"⁽³⁾، كما يوضحه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بصيغة الأمر المتضمن في الفحوى الخطابيّ «عن جابر بن يزيد ابن الأسود العامريّ عن أبيه قال: شَهِدْتُ مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حجّته فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف.

قال: فلما قضى صلاته وانحرف إذا هو: برجلين في أخرى القوم لما يصلوا معه.

فقال: «عَلَيَّ بِهِمَا» فجيء بهما ترعد فرائضهما.

فقال: «مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَنَا؟»

فقالا: يا رسول الله إنّنا كنّا قد صلينا في رحالنا.

قال: «فَلَا تَفْعَلَا، إِذَا صَلَّيْتُمَا فِي رِحَالِكُمَا ثُمَّ أَتَيْتُمَا مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَصَلِّيَا مَعَهُمْ فَإِنَّهَا لَكُمْ

نَافِلَةٌ.»⁽⁴⁾

(1) ينظر: أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية، ص: 100.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 423.

(3) أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية، ص: 101.

(4) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 414، 415.

يندرج في تكوين الفحوى الخطابي، ما ينوب عنه: مصدرًا أو اسمًا أو تضمينًا، فقله صلى الله عليه وسلم: "عليّ بهما" أفادت ضمينا الأمر، وقوته الإنجازية تمثلت في إنجاز الفعل بالقوة بتركيب: "فجيء بهما".

يتحقق الأمر وهو حامل في تركيبه وظائف تداولية ب: "لام الأمر". ويتمثل هذا في:

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَتَسُوْنَنَّ صُفُوْفَكُم، أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوْهِكُمْ»⁽¹⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لِيَلِيْنِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْنَهُمْ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوْبَكُمْ وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَأِ»⁽²⁾

تألف البنية التركيبية الأمرية في الحديث الأول من جملتين، تمثلت الأولى في تكوين: السبب، والثانية في النتيجة، والربط بين الجملتين أو بين الأمرين كان بالأداة "أو" ربطا تداوليا، تجسدت القوة الإنجازية للجملة الأولى في الأمر والقيام ووجوب تسوية الصف أثناء الصلاة.

القوة الإنجازية للجملة الثانية في نتيجة انتفاء تسوية الصفوف، كما تحققت الوظائف التداولية في المكون "صُفُوْفَكُم" الذي حمل وظيفة "بؤرة الجديد"، كما تمثلت في المكون "وُجُوْهِكُمْ"، وحمل الفعل الخطابي برمته "لَتَسُوْنَنَّ" الوظيفة البلاغية: التبيين والتأكيد، وحمل الفعل الخطابي الأمري برمته "لِيُخَالِفَنَّ" الوظيفة البلاغية النتيجة؛ فاختلاف الصفوف نتيجة لاختلاف الوجوه، والفحوى الخطابي في هذا الحديث تظهر نفعيته ومقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم منه «يعني مقاصدكم، فإن استواء القلوب يستدعي استواء الجوارح واعتدالها، فإذا اختلفت الصفوف دلّ على اختلاف القلوب، فلا تزال الصفوف تضطرب وتُهمل حتى يبتلي الله باختلاف المقاصد»⁽³⁾

الخطاب لعامة المؤمنين بقريظة المقام فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بإقامة الصّف واستوائه، وهي المقاصد لتركيبة القلوب، وهذا سبب لتجنب ابتلاء الله سبحانه وتعالى جراء اضطراب الصّف وإهماله، فورد: الأمر بصيغة لام الأمر + الفعل، في هذا الحديث بدلالة الوجوب المصاحب للتوكيد الوظيفة البلاغية التي أدتها "نون التوكيد":

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 425.

⁽²⁾ نفسه: ص: 427.

⁽³⁾ نفسه، ص: 427 - الهامش.

لَتَسْوُؤٌ، «ليخالفن، ولا شبيهة في أن طلب المتصور، على سبيل الاستعلاء يُورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه.»⁽¹⁾

تُوَجَّه الأفعال الأمرية على صيغتها ومقامها، ومنزلة مؤشري الخطاب فيها، القوة الإنجازية، فهي محاولة التأثير على المخاطب، ونقل موقف المتكلم للتجسيد، فالفعل "لَتَسْوُؤٌ" يحمل إنجاز فعل إقامة الصّف، والفعل "لِيُخَالَفَنَّ" يحمل إنجاز: نتيجة جراء انتقاء إنجاز الفعل الأول.

في التراكيب الأمرية يكون دور المكوّن السياقي دورا غير مباشر حين يُكوّن تدخله انتقاء «إحدى الوظائف التداولية كالبؤرة مثلا، بالنظر إلى المحددات السياقية المقامية أو المقالية، ثم تنتقى البنية الصرفية – التركيبية، والبنية الخبرية وفقا للوظيفة التداولية الواردة في المستوى العلاقي.»⁽²⁾

أما الحديث الثاني تمثل فحواه الخطابية في أنّ النبي صلى الله عليه وسلم «أن يليه ذوو الأحلام والنهي ليعقلوا عن صلاته، ولكي يخلّفوه في الإمامة إن حدث به حدث في صلاته، وليرجع إلى قولهم إن أصابه سهو أو عرض في صلاته عارض في نحو ذلك من الأمور.»⁽³⁾

تمثل فعل الأمر الخطابية في: "لِيلِيَنِّي"، لام الأمر + الفعل، المثبت بحرف العلة، وفي مثل هذا ورد في الحديث كثيرا وله شواهد من الشعر... ومن وجوه هذا الفعل «أن يكون أجرى المعتل مجرى الصحيح فأثبت الألف يعني أو الواو أو الياء، واكتفى بتقدير حذف الضمة التي كان ثبوتهامعنويًا في الرفع.»⁽⁴⁾

لتكون بنية الفعل الأمري "لِيلِيَنِّي": «بكسر اللامين وتخفيف النون من غير ياء قبل النون، ويجوز إثبات الياء مع التشديد النون على التوكيد.»⁽⁵⁾

(1) مفتاح العلوم، ص: 318.

(2) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص: 38.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 427.

(4) نفسه، ص: 427.

(5) نفسه، ص: 427.

يأتي الأمر بقوة إنجازية "الوجوب" على أولي الأحلام والنهي، «وهما بمعنى واحد وهي العقول [...]» المراد بأولي الأحلام: البالغون، وبأولي النهي: العقلاء، فعلى الأول يكون العطف [...] وهو تغاير أنّ اللفظ قائم مقام تغاير المعنى، وهو كثير في الكلام، وعلى الثاني يكون لكل لفظ معنى مستقل...»⁽¹⁾

تتحقق القوة الإنجازية، وتحديد الوظائف التداولية بوسيلتين:

«- يتحقق هذا المخصص في صيغة المحمول ذاته (أو صيغة الرابط)، فتنتقي الصيغة الأصل "افعل" إذا كان المأمور المخاطب أو الصيغة ليفعل إذا كان المأمور غيره.

- يتحقق نفس المخصص في ذات الوقت بواسطة تنعيم تنازلي خاص...»⁽²⁾

يتجسد الفعل الخطابي الأمري في بنية: "افعل، وليفعل" على وجه الاستعلاء: بقوة الوجوب والقيام بالفعل أو الترك مع: التبر والتنعيم.

تمثلت الوظائف التداولية في المكون "لِيلِيْنِي" الحامل لوظيفة المحور، والذي شكل محط الحديث، والمكون "الأحلام والنهي" الحامل لوظيفة بؤرة الجديد.

تكون القوة الإنجازية منصرفة لأوجه أخرى غير: الوجوب الذي يوجبه "الاستعلاء" ومنزلة الأمر، إلى وجوه أخرى، وهي خروج الأمر لتأدية وظائف بلاغية يستدعيها المقام منها: الالتماس والتهديد...

تمثل له بقول الرسول عليه وسلم في باب ما جاء أنّ الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه وسلم: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين...»⁽³⁾

تداولية التركيب الأمري تكمن في استعماله بقوته الإنجازيتين:

- الأمر بوجه الاستعلاء يُولد قوة إنجازية: وجوب القيام بالفعل، تحكمه مرتبة الأمر، وهذا يعدم القوى الأخرى: الالتماس والتهديد...

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 427.

⁽²⁾ أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية، ص: 102.

⁽³⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 397، 398.

- الأمر بغير الاستعلاء يُؤلّد قوى إنجازيّة: القيام بالفعل على وجوه عدّة: الطلب بلين، والتمني، والدعاء... وهو أمر تحكمه منزلة المأمور.

الآمر في الحديث السابق هو الرسول ﷺ، والمأمور: هو الله سبحانه وتعالى - تعالى منزلة عن كل شيء - فالطلب إليه ومنه، فحمل الفعل الخطابيّ الأمرّيّ قوة إنجازيّة وهي: الدعاء ممثلة في فعلين: "أرشد"، و"اغفر"، والنبر والتنغيم فيهما يكون نازلا لأنّه طلب بلين.

التراكيب الأمرّيّة إذا لم تكن على سبيل الاستعلاء تُورث إيجاب الإتيان على المطلوب بأوجه بلاغيّة أو وظائف بلاغيّة، كالدعاء، والالتماس... وهي في هذه لم تفد غير الطلب بحسب مقاماتها.

ج- وظيفيّة تركيب النهي:

تداولية الجملة المنهيّة تكمن في استعمالها بإفادة الطلب ("طلب الترك")، « ولتّهي حرف واحد وهو "لام الجازم" في قولك: "لا تفعل"، والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال: "لا تفعل" أن يكون على سبيل الاستعلاء، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب»⁽¹⁾، أخرج لأغراض بلاغيّة منها: التّضرع، والدعاء والالتماس والإباحة، والتّهديد.

يشكل "النهي" قوة إنجازيّة أصليّة، تتحقق في التركيب بوظائف تداوليّة بواسطة الأداة والصّيغة متضافرين "كالنهي"⁽²⁾، تُعدّ القوى الإنجازيّة التي ينتجها النهي، والتي يستدعيها المقام قوى إنجازيّة غير أصول، إذا انتفى شرط النهي وهو: "الاستعلاء الذي يفيد ترك الفعل على سبيل الوجوب"، فإن أفاد الترك فحسب: فهي قوى غير أصليّة يستوعبها المقام: كالدعاء والالتماس ومثاله:

يُجسد التركيب المنهيّ الوظائف التداوليّة والبلاغيّة، ومثاله قول الرسول ﷺ: عن عبد الله، عن النبي

عليه وسلم قال: « [...] وَلَا تَحْتَلِفُوا فَتَحْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ وَإِبَائُكُمْ وَهَيْشَاتَ الْأَسْوَاقِ. »⁽³⁾

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 320.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 63، 64.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 428.

يُمثل النَّهْيُ في الحديث في الأداة: "لا والفعل المضارع" تَحْتَلِفُوهَا، وهو تركيب نهي « دال على أنَّ المراد في الحديث السابق الحقد»⁽¹⁾، ساوق هذا النَّهْيُ: تحذيرا بقوله: "وإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ"، وهو تركيب « مُسْتَأْنَفٌ وَهْيُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْأَسْوَاقِ بِلا ضرورة، وقيل إنَّ الكلام يتعلّق بالسَّابِقِ، والنَّهْيُ عَنِ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ.»⁽²⁾

تُساوِقُ القُوَّةُ الْإِنْجَازِيَّةُ الَّتِي يُؤَلِّدُهَا النَّهْيُ، وَالْأَمْرُ وَالتَّحْذِيرُ: قُوَّةُ إِنْجَازِيَّةٌ خَادِمَةٌ لِمَقَاصِدِهِ، فَلكلِّ قُوَّةٍ إِنْجَازِيَّةٌ مَا يُسَاوِقُهَا فِي الْحَدِيثِ: لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ وَالْمَقَاصِدِ.

ويتركب النَّهْيُ بصيغة الأداة " لا"، والفعل المبني للمجهول في قوله صلّى الله عليه وسلّم: « لَا يُؤْمُّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُجَلْسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ [فِي بَيْتِهِ] إِلَّا بِإِذْنِهِ.»⁽³⁾

أدّت الأداة "لا" وجوب ترك الإمامة في سلطان الرجل، وترك الجلوس على تكريمته أو في بيته إلا بإذنه، والنَّهْيُ هُوَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلّى الله عليه وسلّم بنهي استعلاء عن هذا، بدون إذن الرجل في: إمامتي أو الجلوس على تكريمته، وينتفي هذا النَّهْيُ إِلَى الْجَوَازِ، إِذَا طَلِبَ الْإِذْنَ مِنَ الرَّجُلِ الْمَأْمُومِ.

انحصرت "الواقعة المنهية في قضيتين" "إمامة الرجال" و"الجلوس في بيت الرجل" بالنَّهْيِ، لتكون جائزة بعد الإذن حصرا.

حمل الفعل الخطابي " لَا يُؤْمُّ" وظيفته تداولية متمثلة في المحور بلفظ " الرَّجُلُ"، وحمل الفعل الخطابي " لَا يُجَلْسُ" وظيفته تداولية متمثلة في بؤرة الحصر، بلفظ " إِلَّا بِإِذْنِهِ" الَّتِي أَفَادَتْ انْتِفَاءَ النَّهْيِ: "الإمامة والجلوس"، وهذا يظهر شروط الأمر والنَّهْيِ فَإِنَّ « حَقَّهُمَا الْفُورُ وَالتَّرَاضِي، يَوْقِفُ عَلَى قَرَائِنِ الْأَحْوَالِ لِكَوْنِهِمَا لِلطَّلَبِ، وَيَكُونُ الطَّلَبُ فِي اسْتِدْعَاءِ تَعْجِيلِ الْمَطْلُوبِ أَظْهَرَ مِنْهُ.»⁽⁴⁾

تُحَقِّقُ الأداة " لا" مُخَصَّصَ تَقْوِيَّةَ النَّهْيِ الْمُتَّصِبِ عَلَى الْفِعْلِ الْخَطَابِيِّ بِرَمْتِهِ، فَتَنْصَهَرُ القُوَّةُ الْإِنْجَازِيَّةُ فِي التَّرَاكِبِ بِوِظَائِفِ تَدَاوُلِيَّةٍ (محور، بؤرة...)، الَّتِي يَتَّخِذُ الْمَحْمُولُ الْفِعْلِيَّ حَيِّزًا لَهَا فِي الْمُسْتَوِيِّينَ الْعِلَاقِيَّ وَالتَّمثِيلِيَّ بِصِيغَةِ "المعلومية" أو الجهولية أو العطفية.

(1) الكشميري: العرف الشذي، ص: 237.

(2) نفسه، ص: 288، 289.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 443.

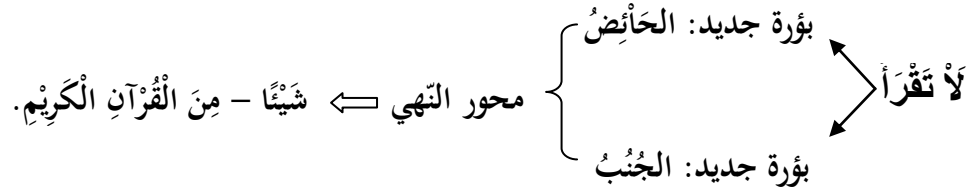
(4) السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 320.

صلى الله عليه وسلم: « لا

يتعدد النهي في التركيب، ليكوّن الحُكم أو الطلب يشمل الذوات المتعددة كما في قوله

تَقْرَأُ الْحَائِضُ، وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ»⁽¹⁾

تمثل النهي: في طلب ترك القراءة قراءة القرآن الكريم بالأداة " لا" والفعل المضارع "تَقْرَأُ"، الذي استدعى بؤرتي جديد "الْحَائِضُ" و"الْجُنُبُ"، ويشكل لفظ "شَيْئًا" محورا للحديث أو محور النهي الذي أنشأ طلب التّرك أو الكفّ عن القيام بالفعل، ليأخذ شكل:



مفاد الحديث « أنه لا يجوز للجنب ولا الحائض قراءة شيء من القرآن»⁽²⁾

يُسنَد إلى الجملة المنهية الوارد محمولها بصيغة النهي والأداة "لا" النبر إلى الفعل الخطابى، والمكّون المنهي عنه مع إسناد تنعيم تصاعدي لبنية الجملة عامةً.

تمثال الجملة المنهية الجملة الأمرية في كون مخصّص طبقتها التأطيرية الزمنية يأخذ قيمة الحاضر، وهي "الفورية" في ترك الفعل، وقيمة المستقبل وهي "التراخي" في ترك الفعل، وهذا الترك الفوري أو المتراخي يُحدّده المقام والمكّون المنهي عنه، ووجهه الشرعي: واجب، أو مستحسن، أو قبيح.

المتكلم « حين يُعمل أحكام النحو في خطابه فإنّ نيته في ذلك تكون إمّا عناية واهتماما أو حصرا أو تخصيصا أو توكيدا.»⁽³⁾

وهي نية المتكلم في إيراد طلبه فيتحدد الطلب بالترك بحسب نيته فورا أو تراخياً.

(1) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 268.

(2) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 410.

(3) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص: 176.

يُعدُّ التَّركيبُ المُنشأُ بصيغة التَّهْيِ أصلاً في قوته الإنجازية، فيوظف ويستدعي بذلك وظائف تداولية، كما يستدعي المقام تحديد نية المتكلم من الطلب المنوط بالتَّرك، كما تُشكل جملة التَّهْيِ بإعمال المقام قوى غير أصول ويُطلب في تحديدها المُكوِّنُ السياقي « كقول المبتهل إلى الله لا تكلني إلى نفسي سُمِّي دعاء [...] وإن استعمل في مقام تسخط التَّرك سُمِّي تهديداً. ⁽¹⁾»

هذا ما يُعرف بالوظيفة البلاغية، حين تُستعمل تداولياً الأدوات والصيغ ضمن تراكيب يُراد بها إجراء الغرض لا الأصل.

د- وظيفة التَّركيب التَّدائي:

يدخل إنشاء التَّداء ضمن التَّراكيب الطلبيَّة، وهو يُشكل الوظيفة التَّدالويَّة الخامسة من ضمن مجموع الوظائف التَّدالويَّة، وتنتمي وظيفته ضمن الوظائف الخارجية التي تقع خارج الإطار الحملي.

تُروِّز هذه الوظيفة وظيفية بلاغية تداولية متمثلة في استرعاء المخاطب ولفت انتباهه، كما يتميز التَّداء بقوة إنجازية أصلية، وقد يخرج عنها إلى وظائف بلاغية يكشفها المقام، وإسناد هذه الوظيفة إلى مُكوِّن دال على كائن في مقام مُعين، كما تُعدُّ تداولية الجملة التَّدائية في دلالتها « أفعالا خطابية قائم الذات لا مجرد قوى إنجازية، من هذه المعاني: التَّداء، الندبة والاستغاثة. ⁽²⁾»

من المعاني التي يخرج إليها التَّداء تركيبة المنادى بالتَّوجيه والنُّصح كنداء الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال:

في قوله صلى الله عليه وسلم: « يَا بَلَالُ إِذَا أَدْنْتَ فَتَرَسَّلْ فِي أَدَانِكَ، وَإِذَا أَقَمْتَ فَأَحْدُرْ، وَاجْعَلْ بَيْنَ أَدَانِكَ وَإِقَامَتِكَ: قَدْرَ مَا يَفْرُغُ الْأَكِيلُ مِنْ أَكْلِهِ وَالشَّارِبُ مِنْ شُرْبِهِ، وَالْمُعْتَصِرُ إِذَا دَخَلَ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَلَا تُفُومُوا حَتَّى تَرُونِي. ⁽³⁾»

⁽¹⁾ السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 320.

⁽²⁾ أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص العربية، ص: 66.

⁽³⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 376، 377.

تُشكل الأداة: " يا " والمنادى: " بلال " الوظيفة التداولية، المنادى: في مقام استرعاء المخاطب، كما يُشكل حمل النداء فعلا خطائياً وقوة إنجازية ثابتة يُجدها المكوّن النحوي، أما معناها عن النصح والتوجيه من خلال الحديث فالمحدد هو المكوّن السياقي.

يُشكل النداء الوظيفة المنادى التي تمثلت في المكوّن "بلال" المُحال على كائن حي.

هـ - وظيفة تركيب التمني:

يندرج تركيب التمني ضمن تراكيب الطلب ونُدججه هنا مع العرض والتّحضيض، وتندرج تراكيب التمني وما يُدمج في دلالاتها ضمن المعاني التي تُعدّ أفعالا خطابية قائمة، كما يرى المتوكل "إمكانية « أن يُضاف إلى ذلك التنبه والاستفتاح" ⁽¹⁾، والعرض والتّحضيض.

تُرصّد الأدوات " ألا " و "أما " و "لولا " و "لوما " و "لو " معاني العرض والتّحضيض والاستفتاح... و "لعل " و "ليت " معنيتين التمني والترجي، من وجهة النظر التي ينطلق منها النحو الوظيفي، تُشكل هذه الأغراض والمعاني قوى إنجازية أصول يكشفها المكوّن النحوي، وارتباطها بالمقام تشيكل قوى إنجازية غير أصول يكشفها المكوّن السياقي.

وتمثل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في دلالة الأداة "لولا"، و "لو"، فيقول: «لَوْلَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخَّرُوا الْعِشَاءَ إِلَيَّ ثَلَاثَ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِهِ» ⁽²⁾

تكمن دلالة قوله صلى الله عليه وسلم: «لَوْلَا أَنَّ أَشَقَّ» من المشقة أي لولا خشية وقوع المشقة عليهم "لأمرتهم" أي وجوبا (إلى ثلاث الليال أو نصفه). ⁽³⁾

يُمتنع تأخير العشاء إلى ثلاث الليال أو نصفه لوجود المشقة، فاحتوى تركيب التمني على طلب تأخير العشاء لما فيه من أجر ومثوبة، وامتنع لما فيه من مشقة وانتفى، تحدد هذا الطلب بالمكوّن النحوي لما تفيد "لولا" حرف امتناع لوجود، وتضمن قوة إنجازية: طلب تأخير العشاء.

⁽¹⁾ أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص العربية، ص: 66، 67.

⁽²⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 327.

⁽³⁾ المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 508.

يثوي وراء هذا التركيب قصد: التحضيض والعرض لمن أراد الأجر، وهو ما يُحدده المكوّن السياقي إذا ارتبط هذا القصد بالمقام.

يُجسّد تركيب التّمني الوظائف التداولية بؤرة ومحورا وذيلًا، فتمثل المحور في المكون " أن أشق " المصدر المؤول: الشقاء، المشقة: محورا، وحمل المكوّن " أن يُؤخّروا " بؤرة مقابلة بالمصدر المؤول: تأخير، وحمل المكوّن " فلت " : بؤرة تحديد، " ونصفه " : بؤرة تحديد، وحمل المكون " أمّتي " محورا.

تتمثل تداولية تركيب التّمني في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مَا فِي الدَّاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ، لَاسْتَهْمُوا عَلَيْهِ. »⁽¹⁾

أدت الأداة " لو " وظيفة العرض والتّحضيض، بذلك هي قوة إنجازية غير أصلية، فالرسول صلى الله عليه وسلم يحضّ الناس على الصّلاة في الصّف الأول، إلى درجة أنّهم لو يعلمون ما فيه من أجر لاستهّموا عليه أي لرحّموا إليه، وهذا الغرض يمثّل القوة الإنجازية الأصلية للأداة " لو " « ومصداق الصّف الأول هم المتصلون بالإمام [...] واختلّفوا في تفسير الصّف الأول قيل هم الأوّلون دخولاً المسجد. »⁽²⁾

حمل تركيب التّمني بـ: " لو " في الحديث الشريف، وظيفة المحور ممثلة في المكون " الناس "، ووظيفة: البؤرة بؤرة الجديد ممثلة في المكونين " النداء "، و" الصّف الأول "، في حين حمل تركيب الحصر بؤرة حصر ممثلة في: " إلا أن يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ " .

يضيف " المتوكل " اقتراحاً مفاده « نقتراح مؤقّتاً الاحتفاظ بالتحضيض وحده كقوة إنجازية أصل على أن يكون العرض قوة إنجازية تواكب تركيب التحضيض في السياق المناسب. »⁽³⁾

ويقول في أصلية القوة الإنجازية وفرعيتها للأداة " إلا " « [...] فيكون العرض قوة إنجازية أصلاً، وسيلة تحقّقها الأداة " إلا " ، ويكون التحضيض قوة إنجازية فرعاً تُحددها مقتضيات السياق. »⁽⁴⁾

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 424.

⁽²⁾ ينظر: الكشميري: العرف الشدي، ص: 235.

⁽³⁾ أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص العربية، ص: 68.

⁽⁴⁾ نفسه، ص: 68.

وتمثل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ . » فقالوا: بلى يا رسول الله.

قال: « إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ. » وفي رواية: « فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ ثَلَاثًا. »⁽¹⁾

يشمل الحديث على قوتين إنجازيتين:

- قوة إنجازية أصلية مُحدّدها النَّحْوِي "ألا" وهي العرض، فالرسول الكريم يعرض على عامة المؤمنين ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات، وتُحَقِّق هذه القوة بجوابهم "بلى يا رسول الله"، فورد العرض طلبا بلين.

- وقوة إنجازية فرعية بمحددها السِّيَاقِي وهي التَّحْضِيض بطلب الشَّيْء بقوة وتمثلت في:

- إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ.

- كَثْرَةُ الخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ،

- اِنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ.

لتنتهي القوة الإنجازية بنتيجة وهي: "فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ".

جسدت القوة الإنجازية العرض (الأصلي) الوظيفة التداولية "المحور" محطّ الحديث ممثلة في جملة محورية: "... مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ، وجسدت القوة الإنجازية التَّحْضِيض (الفرعية) الوظيفة التداولية البؤرة في نوعها الجديد ممثلة في المكونات: "إِسْبَاغُ"، و"كثرة" و"انتظار".

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 140.

ومنه نخلص إلى أن:

- الوظائف التداولية تتحقق وتتجسد في التراكيب الإنشائية الطلبية، بؤرة، ومحورا، وذيلا، ومنادى.
- تروز التراكيب الإنشائية الطلبية قوتين إنجائيتين: - قوة إنجائية أصلية.
- قوة إنجائية فرعية.
- يحدد القوة الإنجائية الأصلية المكوّن التّحوي: الأداة والمعنى أو الدلالة الأصلية.
- يحدّد القوة الإنجائية الفرعية المكوّن السياقي: حين يخرج الأسلوب عن أداء وظيفته البلاغية الأصلية لأغراض أخرى.
- « يُمثّل للقوى الإنجائية الأصول داخل المكوّن نفسه بواسطة المخصّص الإنجائي في مستوى البنية التحتية العلاقي، في حين يُستقى غيرها استعانة بعناصر المكوّن السياقي المقامية منها والمقالية.»⁽¹⁾
- القوى الإنجائية الأصول تتعلق بالطلب، وبالصيغ والتراكيب الجديدة « ينتج عن اختلاقتها أحد أمرين: أولهما استحداث قوى إنجائية تُضاف إلى قائمة القوى الإنجائية الأصول وثانيهما نقل قوى إنجائية مرتبطة بالسياق من وضع الفرع إلى وضع الأصل.»⁽²⁾

(1) أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص العربية، ص: 70.

(2) نفسه، ص: 69.

4 4 - الوظائف التداولية: علاقات ونظريات:

تعقد التداولية ووظائفها علاقات جمّة : علاقة مع الفعل الكلامي وقوته الانجازية، وعلاقتها مع إستراتيجية الخطاب وأنواعها، وعلاقة مع الحجاج في نوعه ونوع حججه.

تُحدد الوظائف التداولية الهيئة التخاطبية للوحدات اللغوية في مقام تواصلية في علاقة بالسياق : المقامي، كما تخضع الوظائف اللغوية إلى نوعيّة المعلومات وطرائق استعمال التراكيب اللغوية في موقف كلامي ضمن تفاعل اجتماعي، فالمتكلم تداولياً في إنتاجه للخطاب يُراعي مخزون المخاطب وينتقي الوظيفة المناسبة له ، فإنّ الوظائف تُنتج المكوّنات المستلزمة لحالة المتلقي.

المبتدأ وظيفة تُبيّن مجال الخطاب ، والمحور وظيفة تبيّن موضوع الخطاب والذيل يبين ما تعذر فهمه من الخطاب، والبؤرة تُبيّن ما يجهله المخاطب في الخطاب ، من خلال إسناد هذه الوظائف لمكوّنات ضمن تراكيب لغوية ، ويمكن أن تقع هذه الوظيفة أو إحداها ضمن حيز القوة الانجازية (الفعل الكلامي) أو ضمن حيز إستراتيجية خطابية ، أو ضمن حيز الحجاج ونوع الحجّة.

الوظيفة التداولية بهذه العلاقات تمنح التركيب أمانة بقصد المتكلم، ويترك فهمها « لحسن المستمع / القارئ؛ أي أنّها تُسهّل عملية الفهم.»⁽¹⁾

تقترب مواكبة الوظيفة التداولية : لفعل كلامي أو إستراتيجية أو حجاج إلى تضافر وظيفي لتحقيق الهدف من الخطاب والقصد.

⁽¹⁾ فان دايلك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص: 267.

4 4 1 - وظيفة الحجاج في تراكيب الحديث الشريف:

إنّ تداولية الخطاب تكمن في وظيفته ، في كيفية استعماله ؛ إذ ينتج عن هذا الوظيفة التعاملية المرتبطة بهدف الخطاب ، وفي نجاحه تنتج الوظيفة التفاعلية المرتبطة بمقصد المتكلم ، وفي هذا كله تجسيد للنفعية بهدف التوجيه والإرشاد، وقد يكون لتغيير سلوك أو معتقد أو تصحيح وجهة نظر أو للتأثير في جمهور المتلقين. الحجاج سمة خطابية مترتبة في ثنايا كل خطاب، وهو نظرية تداولية تعقد والوظائف التداولية تضافرا يُكشف من قصد وهدف المتكلم، ويقوم الحجاج وظيفيًا على حجاجية عناصر الخطاب وهي متمثلة في :

4-1-1- وظيفة عناصر الحجاج:

أ - المتكلم / المُحَاجِّج:

الوظيفة التداولية ونوع الحجاج المدرج في الخطاب من عمل المتكلم ، فهو يتّجه بخطابه بقصد الافهام والتأثير والاقناع في المتلقي، بما تفرضه حالة المتلقي والظروف المحيطة .

البحث في أنواع الحجاج الوظيفي يدفعنا إلى تأسي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، في أحاديثه الحوارية والتعليمية والتوجيهية... ونجاح الدعوة الإسلامية لخير دليل على حجاجية الرسول عليه وسلم بامتياز.

ب - المُخاطَب/المُحَاجِّج:

حالة المتلقي ومستواه وظروفه الاجتماعية تُمارس وظيفة توجيه الخطاب، فالخطاب يُبنى على منواله، وفي بحثنا هذا يُمثّل هذا الطرف: عامة المسلمين، وبخاصة العرب، فالرسول صلى الله عليه وسلم أرسل لكافة الناس، ولأنّه عربيّ يقع المسلمون العرب في خانة المتلقي الخاص من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ج - السِّياق:

تستدعي التراكيب الحجاجية وظائف تداولية، وتكمن وظيفة السِّياق في تأدية المقاصد وكيفية إبلاغها مقالا ومقاما لتحقيق الأهداف.

د- الخطاب:

ويُبنى بوظيفة العناصر السابقة ، والخطاب الحجاجي بوظائفه التأثيرية الإقناعية يُفضي إلى مقاصد معينة وأهداف مسطرة ، ويتوخى المتكلم المُحاجج أنواعا للحجاج وحججًا مختارة تتلاءم ونوع الحجاج وظيفيًا، فكل خطاب يُبنى على نوع من الحجاج وأنواع من الحجج ، وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب حجاجي ، لأنّ قصد الرسول صلى الله عليه وسلم تغيير معتقد متمثل في ترسيخ الديانة الإسلامية في العقول وإنكار ديانة الأوثان.

اكتسب الحديث النبوي الطبيعة الحجاجية في تضافر مع الوظيفة التداولية، والبحث في وظيفية الحديث النبوي الحجاجية « توفقنا على آيات الحكمة والرحمة في التواصل النبوي الذي ينبغي للمسلمين أن يستثمروها في فهم أدق لأسباب النجاح، التي رافقت الدعوة المباركة للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم. »⁽¹⁾

موضوع هذا المبحث متعلق بأنواع الحجاج والحجج والوظائف التداولية؛ إذ تبرز فيه العلاقة بين الوظيفة التداولية والحجاج ومدى تضافر النظريتين في كشف المقاصد والأهداف.

⁽¹⁾ إدريس مقبول: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص:29.

4-1-2- الحجاج في الحديث النبوي الشريف:

يتم التحليل الوظيفي للحجاج بتحديد : المحاجج والمحاجج ، ونوع الخطاب ، ثم تحديد نوع الحجاج وآلياته ، ونوع الحجّة ، وأول ما يذكر في تحليل الخطاب المحاججي هو الباعث المحاججي ؛ أي السبب. ويكشف من المحتوى القضي للحديث .

نظريّة الحجاج بلاغة جديدة « تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية ، وتسعى إلى إثارة مولاة عقول الناس للأفكار المعروضة عليهم للقبول إثارة ، والبلاغة الجديدة تفحص أيضا الشروط التي تسمح للحجاج بأن يبدأ ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور.»⁽¹⁾

يقول الرسول ﷺ في باب ما جاء في النوم عن الصلاة « إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقْظَةِ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَلَيْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا.»⁽²⁾

يظهر الباعث المحاججي للحديث النبوي في قضاء الصلاة بعد النوم، أو النسيان والرسول ﷺ يظهر في هذا الحديث؛ إذ تبين محلّ التفريط في قضاء الصلاة وإنّ التفريط ليس في النوم بل في اليقظة ، فالنائم يُرفع عنه القلم لقوله عليه وسلم : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشِبَّ وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ.»⁽³⁾

والإثم مترتب على من نسي الصلاة أو نام عنها ثم تذكرها ولم يؤدّها.

عمامة المسلمين يمثلون (المحاجج) من الحديث، والمطلوب منهم قضاء الصلاة وتأديتها في وقتها، وهو قصد أولي للحجاج ، والقصد الثاني تأدية الصلاة حين التذكّر بحجّة النوم، أو النسيان، والخطاب خطاب توجيه وإقناع، ومفاده : بيان قيمة الصلاة وتأديتها في الحالين في وقتها أو حين تذكرها.

(1) صابر الحباشة: مغامرة المعنى من النحو إلى الدلالة، ص:29.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص:346.

(3) نفسه، الجزء الخامس، ص: 452

تُؤكِّب الوظائف التداولية نوعيّة الحجاج ، ونوع الحجّة فتظهر وظيفة البؤرة وهي التي تمثل المعلومة الأكثر بروزاً وأهميّة في الخطاب المتلفظ به في لفظة: "تفريط" و"يقظة" و"فليصلها"، ويأخذ الحديث النبويّ الحجاجيّة في هذا شكل : الدفاع عن أطروحة متمثلة في أداء الصلّاة، وتمثيله:

أطروحة قديمة + مقدّمة (معطيات) + الحجج \rightarrow نتيجة.

تتمثل الدّعى أو الأطروحة الحجاجيّة القديمة في تأديّة الصلّاة في وقتها، وتُتمثل المقدّمة والمعطيات في ما يلحق المسلم من تفريط في أداء الصلّاة ، وتتجسد الحجج في: بيان قيمة الصلّاة في وقتها، ولا عذر في التفريط وقت الصلّاة ، وبطلان الأعذار حين التذكّر. أمّا نتيجة الحجاج تكمن في قيمة الصلّاة، وقيمتها كامنّة في تأديتها في وقتها، وقضائها حين تذكّرها.

يتضافر الحجاج في نوعه وحججه مع وظيفة البؤرة ، وهذا التضافر مفاده تقويّة الفحوى الخطابيّ، وهو (التبشير والتقويّة) تمثيلاً للسلم الحجاجيّ، فالرسول عليه وسلم أرسل خطابه على وجه التقويّة والتحقيق، والتبشير فعل حجاجيّ يتطور قوّةً على فحوى خطابيّ والتقويّة « تنصبُّ على فعل خطابيّ كامل أيّا كانت قوّته الإنجازيّة (إخباراً أو أستفهاماً أو أمراً) أو على القوة نفسها، أو على طبقة الفحوى الخطابيّ، أو على أحد فعلي هذه الطبقة الإحالي والحلمي»⁽¹⁾

يتمثل هذا التضافر بين الحجاج والبؤرة وفق الترسيم الآتية: «...[... (فحوى خطابيّ) 1:] <تقوية> فعل إحالي (1)»⁽²⁾

تتضافر وظيفة "البؤرة الحجاج" بأنواعها خاصة وظيفة "بؤرة المقابلة" داخل فحوى خطابيّ؛ إذ تُمثل "التقوية" حجاجاً بالأساس « في الخطابات التي تُشعّل إن قليلاً أو كثيراً آليات الحجاج كالخطاب العلمي والخطاب الديني والمرافعة والمناظرة ومختلف أصناف الجدل»⁽³⁾، كما تتجسد البؤرة في الخطاب الحجاجي

¹ أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 132.

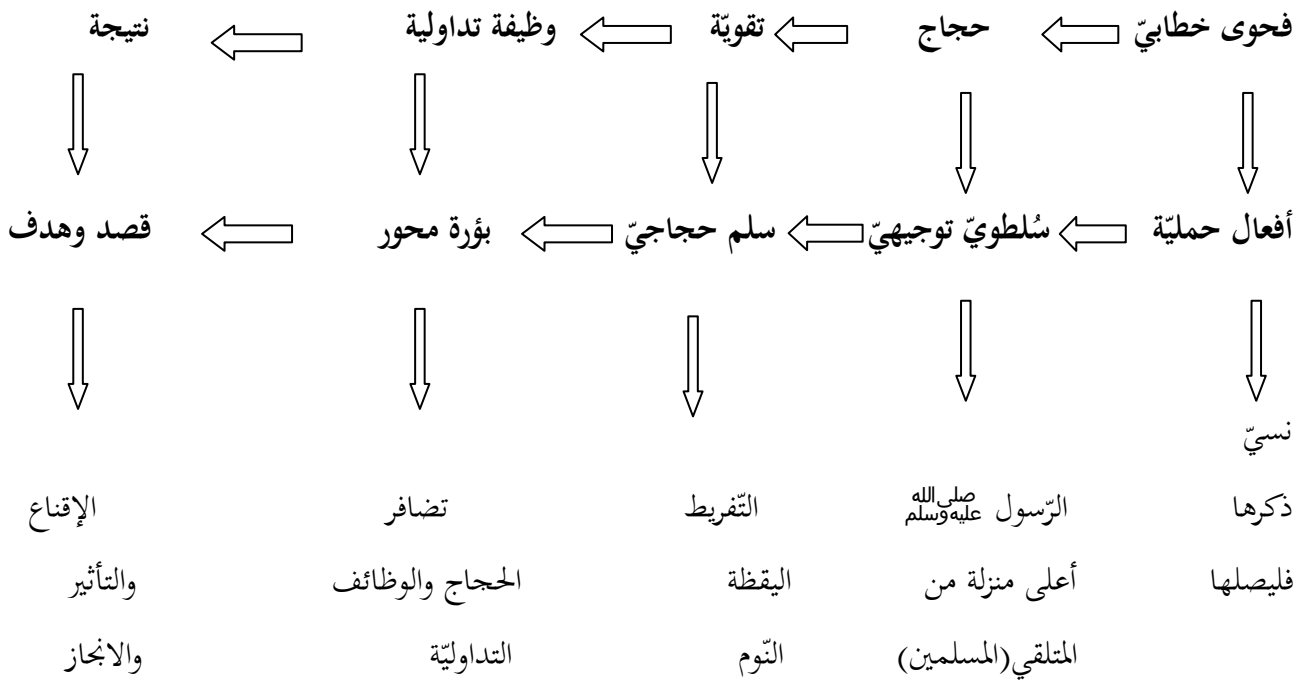
⁽²⁾ نفسه ، ص: 132.

⁽³⁾ نفسه، ص: 134.

بأنواعها [...] مثل بؤرة الإبطال والتعويض، كما هو الشأن في قوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقْظَةِ. »⁽¹⁾

تُمثّل البؤرة الأولى بؤرة إبطال، والثانية بؤرة تعويض كمعطيات حجاجية تُفضي إلى نتيجة الحجاج: وهي بيان قيمة أداء الصلاة في وقتها، كما « تُستخدم إستراتيجية التقوية في الخطاب الحجاجي بتفاوت بواسطة تدرج آلية الحجاج طبقا لردود فعل المخاطب »⁽²⁾؛ إذ المُخاطَب (المُحاجَج) يكون موقفه من الفحوى الخطابي: موقف الشاك أو المتردد أو المنكر.

وعليه فالعلاقة القائمة بين الوظائف التداولية و نظرية الحجاج علاقة تضاfer، إن بؤرة أو محورا أو مبتدأ أو ذيلا أو منادى، وتُمثل لها بالشكل الآتي:



الحجاج السلطوي هو أن تكون للشخصية المتكلمة قدم راسخة وباع طويل في المجال الذي يتحدث فيه، ويُضاف له المكانة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي يتمتع بها، والسلطة معنى يقترب من الخبرة المعرفية والرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام العارفين.

(1) سنن الترمذي: ص: 346.

(2) أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص: 134.

يُجسد الحديث نوعاً من الحجاج وهو حجاج القوة، وهو الذي يكون فيه المستمتع أقل منزلة من المتكلم فيطبق ما أمر به خوفاً من العقاب.⁽¹⁾

ومنه نخلص إلى أن:

- التراكيب اللغوية تحكمها سمة تضافر الحجاج والوظائف التداولية.
- تقوية المكونات التي تحمل وظيفة البؤرة تجسيدا للسلم الحجاجي في نفعية حجة وتعويضها أو إبطالها .
- التبئير والتقوية سمة في الخطاب الحجاجي بالنظر إلى مفهوم البؤرة وأنواعها وحالة المتلقي من استخدام نوعها (يجهل المعلومة، متردد في تصديقها...)
- تتضافر أنواع البؤرة بشكل عام والحجاج في تحقيق أغراض المتكلم وأهداف الخطاب.

⁽¹⁾ ينظر: محمد سالم محمد: الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص:198.

4 4 2 - وظيفية الأفعال الكلامية في تراكيب الحديث الشريف.

تعدّ تراكيب الحديث الشريف، تراكيب إنجازية في صميمها، تداولية نفعية، من وجهة نظر قصد الرسول عليه وسلم، وصفة الخطاب النبوي الدعوى في جوهره؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم حديثه، وأفعاله، ومواقفه إنجاز لأهداف تُخدم الدعوة الإسلامية، ومنه تحقيق لأفعال إنجازية في سلوك ومعتقد المسلمين كافة. ظاهر هذا من القوى الإنجازية داخل لغة الحديث الشريف، وأثر هذه اللغة على المسلمين، وهذا يقودنا إلى أن « اللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية.»⁽¹⁾

تواكب الأفعال الكلامية الوظائف التداولية في تضافر نفعي بالنظر إلى تراكيب الحديث النبوي، الذي يشتمل على وظائف وأفعال كلامية متضافرة، لتحقيق أغراض وإنجازية أفعال الكلام تأثيرا كان أم إقناعا. الجدير بالذكر في تحقّق نظرية الأفعال الكلامية والوظائف التداولية في الحديث الشريف هو التمييز بين « المحتوى القسوى للجملة، وبين قوتها الإنجازية هي الفعل اللغوي المواكب للجملة»⁽²⁾، المواكب لوظيفة تداولية؛ إذ يشترك الفعل الكلامي والوظيفة التداولية في تشكيل المحتوى والإنجاز، وهو ما يعرف بالقوة الكلامية متمثلة في أن « نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره.»⁽³⁾، أو تصرفاته...

قد يقع أن نتعمد إحداث هذه الآثار والنتائج واللوازم عن قصد ونية أو غرض " والقوة محتوى متضمن في القول وهي إنجازية بالنظر إلى الأثر المتروك في الواقع المتمثل في "الهدف" أو "الغاية" من الكلام، فالغايات « تتطابق مع كل فعل كلامي مميّز محقق في أثناء التخاطب أو التفاعل»⁽⁴⁾، من خلال تضافر نفعية الوظائف التداولية والأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية.

(1) جون أوستين: نظرية أفعال الكلام، ص: 07. / الطبعة الثانية: 2008

(2) يوسف تعزوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، دار عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2004، ص: 125

(3) جون أوستين: نظرية أفعال الكلام، ص: 131.

(4) ذهبية هو الحاج: التداولية واستراتيجية التواصل، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015، ص: 77.

القوى الكلامية خصيصة تركيبية « فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة في ملاسبات استعمال مختلفة»⁽¹⁾، ومنه غاية نظرية أفعال الكلام التي تسعى إلى تأكيد إنجازية التراكيب اللغوية ؛ إذ «لا تنقل مضامين مجردة ومغطية وإنما تختلف حسب عدّة عوامل منها السياق، بالإضافة إلى ظروف وعوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته، وعليه تحوّل الاهتمام من الجملة في ذاتها (نمط) إلى البحث في مختلف مظهراتها (موقع)، ومن ثمّ تتمّ الانتقال من الإحالة اللسانية إلى إحالة المتكلم.»⁽²⁾

4-2-1- الأفعال الكلامية في الحديث النبوي:

إنّ محلّ التضافر الذي يجمع الوظائف اللغوية والأفعال الكلامية هو أنّ الفعل يُمثّل المحمول الفعليّ للتراكيب النبوية الشريفة، والوظائف التداولية تُحدّد دور موضوعات المحمول، كما تُحدّد وضع المكوّنات داخل البنيات الإخباريّة، يقول الرسول ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَكْبَرُهُمْ سَنًا، وَلَا يَوْمُ الرَّجُلِ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يُجْلَسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ [في بيته] إِلَّا بِإِذْنِهِ.»⁽³⁾

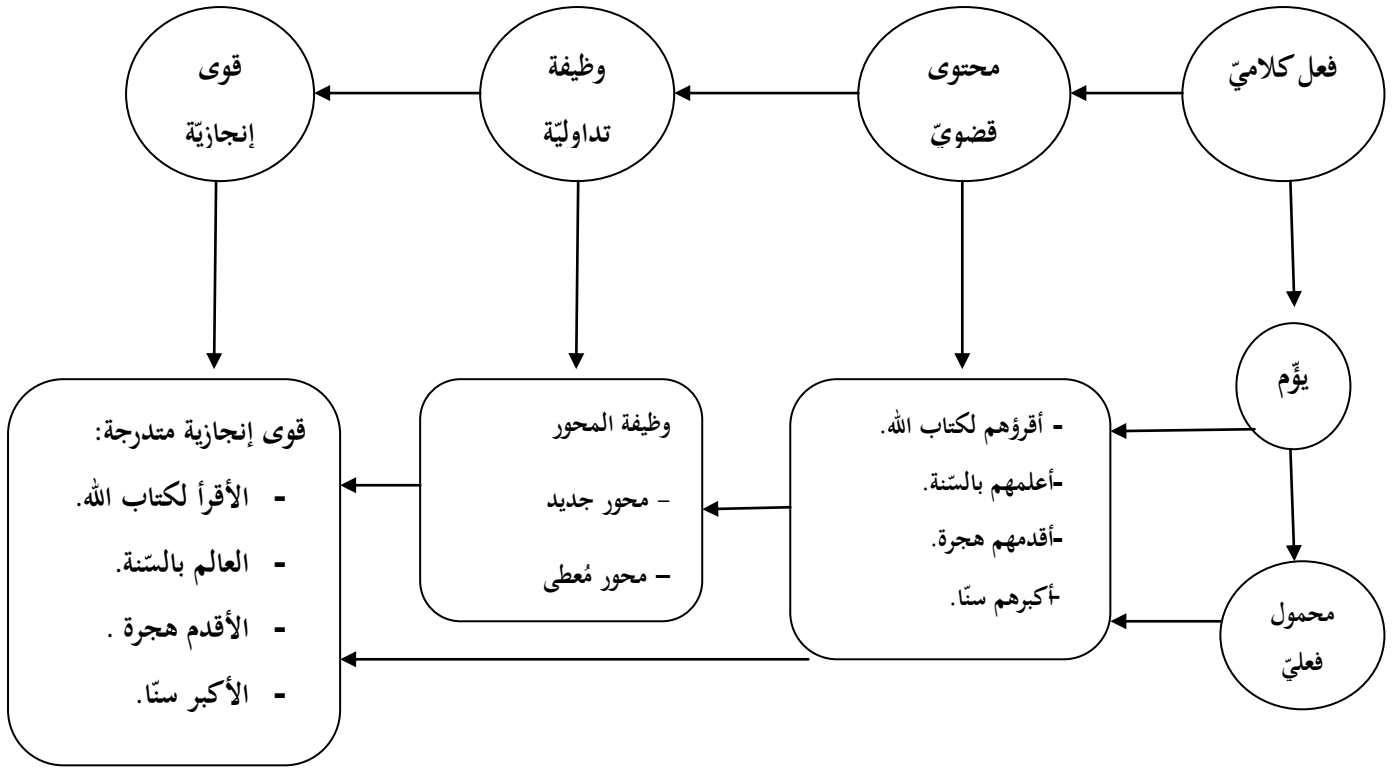
تتضافر في هذا الحديث : وظيفة الحور والفعل الكلامي ، ومحور الحديث هو أحقيّة الإمامة لأنها شكّلت المحدّث عنه داخل الحمل (الحديث).

تمثّل الفعل الكلامي في محمول فعليّ " يَوْمٌ " الفعل المضارع بقوة إنجازية متدرجة بمحتوى فُضوي متجدد متعدد، وتمثّل المحتويات الفُضوية موضوعات الفعل الكلامي: " يَوْمٌ "، كما تمثّل في تعددها وتحددها لأنواع وظيفة "الحو"، وتوضيح ذلك بالترسيمة الآتية:

(1) محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية ، مجلة فصول، العدد: 65 ، خريف : 2004 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص:138.

(2) العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص:79.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص:441، 442.



تظهر علاقة تضافر الفعل الكلامي ووظيفة المحور في المقام، وهو في الحديث مقام إخبار، والمقام يُصنف على منواله الفعل الكلامي، وعليه فالفعل "يَوْمُ" يُصنف أو يدرج ضمن الإخباريات حسب تصنيف "سيرل" « وغايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولاً عن وجود وضع الأشياء، واتجاه المطابقة في الغرض الإخباري هو من الكلمات إلى الواقع (العالم) ، أما الغرض الإنجازي فيها فننقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية معينة.»⁽¹⁾

يُصنف الفعل "يَوْمُ" في هذا الحديث ضمن صنف "التوجيهات"، التي تكمن غايتها في حمل شخص على القيام بفعل معين، فهو فعلٌ إخباري توجيهي وردت بنيته ممثلة في فعل مضارع بصيغة خبرية توجيهية، متضمن لقوى إنجازية متدرجة يستلزمها المقام، والوظيفة التداولية "المحور" ، وهو فعل كلامي مباشر تمثل في الإخبار؛ فالرسول عليه وسلم يُخبر عن الحقيق بالإمامة، وتضمن الحديث فعلاً غير مباشر، وهو دعوة المؤمنين لحفظ القرآن والعلم بالسنة لتحقق لهم الإمامة، وفي هذا تثبيت لإسلام وترسيخ، وهو الغرض الإنجازي غير المباشر.

(1) السيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، ص: 30.

تجسدت إنجازية الفعل الكلامي بالوظيفة التداولية "المحور" حين أخبر الرسول ﷺ بأحقية الإمامة بقوى إنجازية متدرجة، هذا التدرج أنتج محورا جديدا أدمج في الخطاب، والمحور الذي ذكر أول الحديث هو محور مُعطى، تتصافر الوظيفة التداولية والفعل الكلامي في:

1 -الفعل التأثري:

هو فعل متضمن في الحديث، ووجه التأثير يظهر أثره في رغبة وإرادة المؤمنين بالإمامة، وعليهم حفظ كتاب الله والعلم والعمل بسنة رسوله ﷺ.

وسيق الحديث يحمل دعوة المؤمنين إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهي دعوة مضمرة في مقام إخبار للذي تحق له الإمامة، وثواب مضمرة للمؤمنين الذين اهتموا بهذا الحديث.

قد وظف السياق مكوّنات لغوية كان لها دورٌ في تعديل القوى الإنجازية فتصدر الحديث بالفعل الكلامي "يَوْمٌ"، ثم القوة الإنجازية الأولى " أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ"، والفعل الناقص " كَانُوا" مع أداة الشرط " إن"، أفاد تعديلا في القوى الإنجازية وتدرجًا من القوة إلى الضعف.

يظهر الغرض التداولي من تراكيب الحديث النبوي، وهو: دعوة المؤمن إلى حفظ كتاب الله والعلم بسنة رسوله الكريم ﷺ ، وفضل هذا في أحقية الإمامة، وهو تغيير على مستوى السلوك والمعتقد، وهذا تصافر بين نظرية الحجاج والأفعال الكلامية وبين الوظائف التداولية.

2 التوجيه والأمر:

وهي دلالة إنجازية للفعل الكلامي "يَوْمٌ"، فهو فعل مضارع دلّ في هذا السياق على توجيه وأمر، فالرسول الكريم استخدم فعلا إنجازيا نوعه مضارع بدلاله أمرية.

3 أفعال الحكم:

تمثل في النهي بقوله صلى الله عليه وسلم "لَا يُؤْمُّ"، و"لَا يُجْلَسُ"، والنهي حكّم صادر من الرسول الكريم قضى به عن عدم أحقية الإمامة وعدم الجلوس في سلطان الرجل (بيته)، فهو طلب الكفّ عن القيام بالفعل إلاّ بإذن الرجل.

هذا الفعل "لَا يُجْلَسُ"، "لَا يُؤْمُّ" يدخل ضمن الإنشاء، وتكمن إنجازية هذه الأفعال في إفادتها معنى الطلب: "طلب الترك".

تجسّدت الوظائف التداولية والأفعال الكلامية في تراكيب الحديث النبوي، فالقوة الإنجازية التي يُنتجها النهي متمثلة في التحذير، وهي خادمة للغرض التداولي التركيبي (المنهي عنه)، ومفادها ترك الإمامة والجلوس دون إذن الرجل.

تضافر الفعل الكلامي "لَا يُؤْمُّ" و"لَا يُجْلَسُ" بصيغة الأداة "لا" والفعل المبني للمجهول، والوظيفة التداولية المتمثلة في وظيفة "المحور" بلفظ "الرجل".

حمل الفعل الكلامي "لَا يُجْلَسُ" وظيفة تداولية المتمثلة في بؤرة الحصر بلفظ "إلاّ ياذنه"، كما أدّت الأداة إلى تقوية الفعل الإنجازي ببنيته المجهولة.

التداولية تجمع تضافرا في النفعية: الوظائف اللغوية، الأفعال الكلامية ونظرية الحجاج ضمن عناصر: التركيب والسياق والدلالة.

وعليه نخلص إلى أن:

- القوى الإنجازية ترتبط بالوظائف التداولية المحور والبؤرة.
- أنواع الأفعال الكلامية تطابق أنواع الوظائف التداولية مثل: أفعال التوضيح تطابق وظيفة الذيل في نوعه ذيل التوضيح، وتطابق وظيفة المحور استخدام أفعال متعددة متجددة داخل التركيب.
- تتضمن الوظائف التداولية في التراكيب اللغوية أفعالا تأثيرية، وهي متضمنة في الحديث النبوي مرتبطة بقصد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وغرضه من حديثه.
- تخضع الأفعال الكلامية بأنواعها لوظائف تداولية ، وللقصد الذي وظفت من أجله
- تدرج القوى الإنجازية للأفعال الكلامية يؤلّد أنواعا للوظائف ويُعدّها داخل التركيب ومنه:
- مشروعية تضافر الوظائف التداولية والأفعال الكلامية داخل التراكيب اللغوية، كما تدعو مشروعية هذا التضافر تداوليًا إلى إستراتيجيات خطائية.

4 4 3 - وظيفة الإستراتيجية الخطابية في تراكيب الحديث الشريف:

يُوظف المتكلم تراكيب كثيرة في خطابه يهدف من استعمالها إلى تحقيق مقاصده على متلقي، وهذا الأخير يمارس سلطة في توظيف تلك التراكيب؛ إذ تُبنى على حاله، فيلجأ المتكلم إلى اتخاذ إستراتيجيات معينة تمكنه من إصابة عين المعنى بمراجعة كل ما يحفُّ عمله التواصلي من عناصر السياق، ووظائف لغوية وحالة متلقيه هذا من جهة، وما يُمكنه من بلوغ مقصده من جهة أخرى.

تتضافر إستراتيجيات الخطاب والوظائف التداولية، وكلاهما يتعدد بتعدد الظروف المحيطة ، وردة فعل المتلقي لها تأثير في ذلك ؛ إذ يتخذ المتكلم إستراتيجية ، ثم يتوخى تأثيرها على المتلقي، فإن لم تبلغ المقصد دَعَمَ تراكيبه بأخرى أو رام تغييرها بإستراتيجية أنفع.

يتحكم السياق في نوعية الإستراتيجية المتوخاة، فما يلائم سياقاً إستراتيجياً قد لا تلائم في آخر، وهنا تكمن تداولية المتكلم في انتقاء الإستراتيجية الأنسب.

الرَّسولُ الكريمُ صلی الله علیه وسلم في أحاديثه عمد إلى إحداث الأثر من تراكيبه في الواقع، ولم يقف عند حدود الأثر التركيبي الخطابي، هذا التجاوز مرده إلى نجاح الدعوة الإسلامية، وما هو صادر عن الرسول الكريم صلی الله علیه وسلم فتَغَيَّرُ السلوكات والمعتقدات يحتاج إلى من أُوتِيَ جوامع الكلم، وهو خير مُحدِّث صلی الله علیه وسلم ، فتعدد إستراتيجيات الحديث النبوي بتنوع خطابه صلی الله علیه وسلم .

يُجَمِّزُ «الشيخ الطاهر بن عاشور بين اثني عشرة حالاً لرسول الله صلی الله علیه وسلم ، منها التشريع ، والفتوى، والقضاء ، والأمانة ، والهدى، والصلح، والإشارة على المستشار، والنصيحة ، وتكميل النفوس ، وتعليم الحقائق العالية والتأديب.»⁽¹⁾ فالإستراتيجية توظيفها يكون بمراجعة المقام والسياس والمتلقي وقصص المتكلم.

تحدد العلاقة القائمة بين إستراتيجيات الخطاب والوظائف التداولية في أن نوعية الإستراتيجية المتوخاة، مُحدَّد وتُعَيَّن نوعية الوظيفة داخل التركيب، وهذا تضافر تداولي غرضه تحقيق الأهداف والمقاصد.

(1) إدريس مقبول: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 542.

يتشكّل هذا التضافر ضمن ثنائيات، وهي ثنائية: الإستراتيجية والوظيفة، والتركيب والقصد والمقام والمتلقي⁽¹⁾، والإستراتيجية في مفهومها الوظيفي: صناعة خطابية وتقنيّة تركيبية وظيفيّة توظف بعمد من المتكلم نحو متلقٍ مخصوص ، ومقام معلوم ضمن تركيب بوظائف نحوية ودلالية لضمان صحّة التركيب ، وتفاعل مع الوظائف التداولية تضمن المقاصد.

يراعي المتكلم في نفعيّة هذه الإستراتيجية على مستوى متلقٍ داخل تركيب، درجة استيعاب متلقيه، ومدى ملائمة هاته الإستراتيجية له ولمقامه، ومبدأ الملائمة لإستراتيجيات الخطاب يُقسّم أنواع الإستراتيجية إلى أنواع باعتبار ثلاثة معايير: معيار اجتماعي، وينتج عنه الإستراتيجية التّضامنيّة والإستراتيجية التوجيهيّة، ومعيار لغويّ ينتج عنه: الإستراتيجية التلميحية ، ومعيار غائيّ خطابيّ ينتج عنه الإستراتيجية الحجاجيّة⁽²⁾ ، منوطة بهدف الخطاب.

الإستراتيجية عمل عمدي مسبق بتخطيط من متكلم نحو متلقٍ في مقام، الغرض منها بلوغ القصد وتحقيق الهدف، وبما أنّها خُطّة فهي ذات بعدين أولهما: البعد التخطيطي، وهو بُعد محقق في المستوى الذهني، وثانيهما: البعد المادي مُجسّد للإستراتيجية المتوخاة ليظهر أثرها في الواقع، وتفاعل هذين البعدين مرتكز على المتكلم ، فينتقي ما يحقق له أهدافه ومقاصده.⁽³⁾

الرّسول ﷺ في أحاديثه تنوعت إستراتيجيات خطابه تبعًا لما صدر عنه «على أنّ كل ما صدر عن النّبِيِّ ﷺ لم يكن سبيله التشريع العام للأمة، بل كان فيه ما هو صادر عنه ﷺ بمقتضى الجبلة والخبرة، أو باعتباره قاضيا يُفصّل في النزاعات والخصومات، التي قد تكون الأحكام الصادرة عنه فيها خاصة بأصحابها لا تتعداهم لغيرهم»⁽⁴⁾ ، فالإستراتيجية يُراعى فيها توجّه الخطاب لمتلقٍ عام (كافة المسلمين) أو لمتلقٍ مخصوص، وبه تُحدّد نوعية الإستراتيجية المتوخاة.

(1) يُنظر: الفصل الأول، تداولية التركيب اللّغوي.

(2) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 88.

(3) ينظر: نفسه ، ص: 53.

(4) إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 542.

إنّ الخصيصة التي تشترك فيها كل أنواع الإستراتيجيات، هي كيفية توجيهها ضمن خطابات رغم اختلافها، ولا فضل ولا مزية إلا بهذا التوجه المخطّط له، مضاف له المقام والموضع، والمقصد الذي يُريده المتكلم والغرض الذي يروم.

تجدر الإشارة إلى ثنائية (الإستراتيجية والتركيب)؛ إذ توظف الإستراتيجية في المستوى التركيبي ويُعدّ « من أنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه لإبراز إستراتيجية الخطاب تداولياً»⁽¹⁾، والإستراتيجية إضافة إلى هذا تتصافر والوظائف التداولية والقصد في بلوغ مرام المتكلم.

وقد استعمل الرسول ﷺ في تراكيب إستراتيجيات مثل « عبارة "ما بأل أقوام" في خطابه إذ استعمل لفظ النكرة ليدل بها على أقوام ارتكبوا مخالفة شرعية، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُردّ التّشهير بهم ، بل اتّخذ من فعلهم مثالا لوعظ المسلمين.»²

وفيما يلي بيان لأنواع الإستراتيجيات، وتصافرها والوظائف التداولية في تركيب الحديث النبوي.

(1) عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 71.

(2) نفسه: ص: 93.

4-3-1- وظيفة الإستراتيجية الخطابية في تراكيب الحديث الشريف.

أ - الإستراتيجية التضامنية:

إنّ في عملية اختيار الإستراتيجية التي يتوخاها المتكلم ، عاملين هما :العلاقة السابقة بين المتكلم والمتلقي، والسلطة التي يمتلكها أحد طرفي الخطاب، وقد يعتمد المتكلم إلى خطاب رسمي يُثبّت به سلطته ، وقد يرغب في التضامن مما يجعله يستنتج أنّ المتكلم تنازل عن سلطته ، وقد يعتمد إلى التلفظ بـخطاب بما تقتضيه سلطته والإستراتيجية هنا الإستراتيجية والتوجيهية.⁽¹⁾

والرسول صلّى الله عليه وسلم في هذا نجده من خلال أحاديثه يُثبّت سلطته تارة، ويتنازل عنها تارة أخرى لما يقتضيه الموقف لخدمة الدعوة الإسلامية وتوحيد المسلمين.

والإستراتيجية التضامنية هي: « التي يحاول المرسل أن يُجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها ، وأن يُعبّر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التّقرب من المرسل إليه وتقريبه.»⁽²⁾

تضطلع كل إستراتيجية بمسوّغات وأهداف، وتبرز مسوغات الإستراتيجية التضامنية في:

- تأسيس صداقة بين طرفي الخطاب ،أو إعادة بنائها رغبة في التّقرب والتّقريب .
- تحسين المعاملة مع ذوي السلطة .
- فاعلية التضامن مع المجتمع.
- نفعية التضامن في الحقل التعليمي .
- كسب ولاء المخاطبين.⁽³⁾

وتكمن وظيفة الإستراتيجية التضامنية في ملائمتها وتحقيق الاثر.

تجسدت هذه الإستراتيجية التضامنية في حديث الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلم ومثالها:

(1) ينظر: عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 256، 257.

(2) نفسه، ص: 257.

(3) ينظر: نفسه، ص: 261، 262 .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فسأله عن مواقيت الصلاة"

فقال: « أَقِمَّ مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. »

فأمر بلائاً فأقام حين طلع الفجر، ثم أمره حين زالت الشمس فصلى الظهر، ثم أمره فقام فصلى العصر والشمس بيضاء مرتفعة، ثم أمره حين وقع حاجب الشمس، ثم أمره بالعشاء فأقام حين غاب الشفق، ثم أمره فنور بالفجر، ثم أمره بالظهر فأبرد وأنعم أن يُبرّد، ثم أمره بالعصر فأقام والشمس آخر وقتها فوق ما كانت، ثم أمره فأحرّ المغرب إلى قبيل أن يغيب الشفق، ثم أمره بالعشاء فأقام حين ذهب ثلث الليل، ثم قال صلى الله عليه وسلم:

«أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ مَوَاقِيْتِ الصَّلَاةِ؟»

فقال الرجل: أنا

فقال: « مَوَاقِيْتُ الصَّلَاةِ كَمَا بَيَّنَّ هَذَيْنِ. »⁽¹⁾

ورد موضوع الحوار في بيان مواقيت الصلاة بإستراتيجية تضامنية جمعت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسائل عن مواقيت الصلاة، وطبيعة هذا الحوار تضامني بأن بنى الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الحديث علاقة صداقة وودّ مع السائل، والهدف منها كسب ولاء السائل في تأدية الصلاة في وقتها بعد أن كان يجهل مواقيتها.

يبرز هدف نفعية الإستراتيجية التضامنية في تعليم السائل بأن قرّبه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بدعوته بقوله: "أَقِمَّ مَعَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، وهذا تركيب موظف بإستراتيجية تضامنية، ومحلّ التضامن في تداولية ووظيفة فعل الأمر وهو « للتبرك، وإلا فلم يعرف تقييد الأمر بمثل هذا الشرط. »⁽²⁾

تجلّت الإستراتيجية التضامنية في ضيافة السائل بأن أقام مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليعرف مواقيت الصلاة، فقرّبته منه وجعله ضيفه، وبين له مواقيت الصلاة كما وردت في الحديث، وفي هذا تخلق وتادب ورحمة في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أحدثت تأثيراً على نفس السائل ونفوس المسلمين بقصد تأدية الصلاة في وقتها، وما

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 308، 309.

⁽²⁾ المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 471.

لهذا من ثواب تضافرت الإستراتيجية التضامنية والوظائف التداولية في تحقيق مقاصد الحديث السالفة الذكر في تبئير المكونات الاستفهامية، وتمثلت "بؤرة الجديد" في سؤال السائل واستفهامه عن مواقيت الصلاة، والبؤرة معلومة يُقدّمها المتكلم وهي الأبرز، وإن جهلها المتلقي فهي بؤرة جديد.

تضافرت الإستراتيجية التضامنية والفعل الكلامي " أقم " في دعوة الرجل بالإقامة مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو فعل تأثيري مقصدية متمثلة في أداء الصلاة في وقتها، وهي أفضل الأعمال، يُدعم نجاح وظيفية الإستراتيجية التضامنية التي انتفاها الرسول صلى الله عليه وسلم محبته لمن يسأل عن دينه ويقوم عماده.

ب - الإستراتيجية التوجيهية:

هي إستراتيجية مرتبطة بقصد المتكلم ورغبته في تقديم توجيهات وتعليمات ونصائح وارشادات وأوامر لصالح ومنفعة المتلقي، والتوجيه إستراتيجية وظيفية لغوية؛ إذ تتضافر هذه الإستراتيجية والحجاج في كونهما يغيّران سلوك ومعتقد المتلقي بنية المتكلم.

المتكلم حين يستخدم هذه الإستراتيجية فهو « يفرض قيда على المرسل إليه بشكل او بآخر، وإن كان القيد بسيطاً، أو يمارس فضولاً خطابياً عليه أو أن يُوجَّهه لمصلحته بنفعه من جهة وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى»⁽¹⁾، وعليه فالخطابات الموظفة لإستراتيجيات توجيهية تمارس «ضغطا وتدخلا، ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه وتوجيهية لفعل مستقبلي معين»⁽²⁾، والرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم مُوجَّه هذه الأمة وكافة الناس نحو دين جديد، فبرزت هذه الإستراتيجية في أحاديثه.

والمتلقي في استخدام هذه الإستراتيجية صنفان:

- مُرسل إليه مُتخيّل : إنعدام حضوره حين التلفظ بالخطاب.
- مرسل إليه حاضر: حضور عينيّ حين التلفظ بالخطاب.⁽³⁾

يتحكم في الإستراتيجية التوجيهية عنصران:

- سلطة المتكلم.
- المنفعة الإنجازية: لقطبي العملية التواصلية: المتكلم والمتلقي.⁽⁴⁾

ومن مسوغات وأهداف الإستراتيجية التوجيهية :

- رسمية العلاقات التواصلية.
- الشعور بالتفاوت الفكري أو الإعتبار الاجتماعي والطبقي .

⁽¹⁾ عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص: 322.

⁽²⁾ نفسه، ص: 322.

⁽³⁾ ينظر: نفسه، ص: 323.

⁽⁴⁾ ينظر: نفسه، ص: 324.

- الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام والتوقير .

- نفعيّة المتكلم حين تحقق مقاصدة عند إنجاز الفعل⁽¹⁾

تمثلت هذه الإستراتيجية التوجيهية في خطابات الرسول الكريم ما تلمسه من محافظته على تطبيق شرائع الدين الإسلامي، وشدته على من يخالف هذه التعاليم؛ إذ تعكس هذه الخطابات سلطة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على المتلقي الذي يقع في المحرّمات.

من أحاديثه صلى الله عليه وسلم قوله: « لَتَسْوُونَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالَفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ. »⁽²⁾

وقوله صلى الله عليه وسلم : « عن جابر بن يزيد ابن الأسود العامري عن أبيه قال : شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف: قال: فلما قضى صلاته وانحرف إذا: هو برجلين في أخرى القوم ، لما يُصلياً معه.

فقال: «عليّ بهما.»

فجيء بهما ترعد فرائضهما.

فقال: « ما منعكم أن تصلوا معنا؟ »

فقال: يا رسول الله إنا كنا قد صلينا في رحالنا.

قال: « فَلَ تَفْعَلًا، إِذَا صَلَّيْتُمْ فِي رِحَالِكُمْ ثُمَّ أَتَيْتُمْ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَصَلِّيًا مَعَهُمْ فَإِنَّهَا لَكُمْ نَافِلَةٌ. »⁽³⁾

يُوجِّهُهُ الرّسول صلى الله عليه وسلم المسلمين في حديث موضوعه، الاستعداد للصلاة في تسوية الصف، فالصف السوي لا يخالف الله بين وجوه مُصليه، ومركز القوة تتجلى في بنية الفعل الإنجازي: " لَتَسْوُونَ "، وهو فعل توجيهي مقصده تسوية الصفوف عند إقامة الصلاة وورد التوجيه مُصاحبا لمن يخالف هذا التوجيه بنتيجة، وهي: " لِيُخَالَفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ. "

(1) ينظر: إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة، ص: 549.

(2) سنن الترمذي: الجزء الأول ، ص: 425

(3) نفسه: ص: 415، 414

تبرز الإستراتيجية في الطابع الرسمي للسلطة لشخص الرسول الكريم، بما اقتضاه المقام، وتعمل الإستراتيجية في تضافر الوظائف التداوئية والأفعال الكلامية والحجاج، والخطاب موجّه لعامة المؤمنين بقرينه: التوجيه والمقام؛ فالرسول عليه وسلم يأمر بإقامة الصّف استواء، ومقصد الرسول عليه وسلم من ذلك تركية القلوب وتجنب ابتلاء الله جراء اضطراب الصّف وفيه قصد عدم الاستهزاء بقيمة الصلاة ومنه الخشوع.

صيغة الأمر المسبوق ب: لام الأمر ونون التوكيد "لَتَسُوؤُنَّ" قوة إنجازية تُوجب الإتيان بالمطلوب على سبيل الاستعلاء والسلطة.

وُظفت الإستراتيجية التوجيهية في الحديث الثاني ضمن خطاب حوارِيّ، موضوعه ترك صلاة الجماعة، والتوجيه يبدأ من قوله عليه وسلم: "عَلَيَّ بِهِمَا"، أمرٌ طُبّق على وجه السلطة ونتيجته الإنجازية تمثلت في القيام بالفعل: "فَجِيءَ بِهِمَا"، وسؤال الرسول الكريم عليه وسلم يُنمّ التوجيه للرجلين بقوله: "مَا مَنَعُكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَنَا؟" والجواب عدلّ قوة التوجيه؛ لأنّ الرجلين صلا في رحالهما، ليُعاد التوجيه بنهي الرسول الكريم عليه وسلم بقوله: "فَلَا تَفْعَلَا"، لتكون نتيجة التوجيه: إذا صلى المؤمن صلاةً مفروضة، وأدرك صلاة الجماعة يُصلي معهم وهي له نافلة.

قصدُ الرسول عليه وسلم من هذا التوجيه: الحفاظ على صلاة الجماعة، وما يناله المُصلي من درجات وثواب عند الله، وفعل التوجيه أمرا كان أم نهيًا يدرج ضمن تصنيفات الأفعال الكلامية "التوجيهات" و مقامها: الإرشاد والنصح، ومن وسائل الإستراتيجية التوجيهية في الحديثين: الأمر، والنهي، والتحذير، وذكر العواقب.

الرسول عليه وسلم خير مُوجّه في أحاديثه، والدليل نجاح الدعوة الإسلامية وسيرته القولية والفعلية لتحسيد الإستراتيجية التوجيهية بامتياز.

ج - الإستراتيجية التلميحية:

تحديد هذه الإستراتيجية منوط بمعرفة قصد المتكلم والسياق والمقام؛ فالتكلم قد يعدل عن الإستراتيجية المباشرة التصريحية، فيلجح لقصده دون التصريح به، ونجاح هذه الإستراتيجية مرتبط « بقواعد التخاطب: مبدأ التعاون والثقة في أن المرسل إليه سيتمكن من تأويل الخطاب المناسب للسياق.»⁽¹⁾

التلميح عملية نقل مقاصد بدلالات ضمنية أو يقتضيها السياق، فيعتمد المتلقي إلى التأويل في دلالة التركيب للوصول إلى القصد المراد، ويحتاج المتلقي لفهمها إلى « الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام.»⁽²⁾، فعمل المتلقي عمل ذهني يتجاوز التركيب إلى القصد.

من مسوغات الإستراتيجية التلميحية ما يلي:

- التأدب في الخطاب بمراعاة ما تقتضيه الأبعاد الخطابية.
- التملص من مسؤولية الخطاب .
- الرغبة في إظهار التفوق.
- العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه بالقول لإنجاز فعل.

تجلت هذه الإستراتيجية في أحاديث النبي ﷺ منها قوله: في باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور»
مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهْوَرُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ.»⁽³⁾

يدخل هذا الحديث بمسوغ إستراتيجية تلميحية وهو: استعلاء للإيمان وتأدب في الخطاب في تسمية « الطهور مفتاحاً مجازاً لأنّ الحدث مانع من الصلاة، فالحدث كالقفل موضوع على المحدث إذا توضع إنحل الغلق، وهذه استعارة بديعة لا يقدر عليها إلا النبوة.»⁴

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص: 368، 369 .

(2) إدريس مقبول: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 551.

(3) سنن الترمذي: الجزء الأول، ص: 90.

(4) المباركفوري: تحفة الأحوذى، ص: 38.

وقوله عليه وسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»، ورد هذا الحديث بإستراتيجية تلميحية بمسوغ العدول عن محاولة إخراج المتلقي بالقول بشكل خاص، فأورد الرسول الكريم لفظة "وَيْلٌ" ودلالاته « الحزن والهلاك والمشقة من العذاب [...] ويل وادم في جهنم [...] معناه ويلٌ لأصحاب الأعقاب المقصّرين في غسلها.»⁽¹⁾

محلّ التلميح في الجاز المرسل في علاقته الجزئية؛ فالعقب جزء من رجل الإنسان، والويل لها في الحديث، والقصد الويل للذي يتوضأ ويُقصر في غسلها، وهو معنى مستلزم من التركيب دلالة وتداولاً ووظيفياً.

يدخل في هذه الإستراتيجية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نحو: «ما بال أقوام " و" ما بال رجال " من أمتي يقولون كذا، وما أشبه ذلك ليعدل عنه ما صدر منه، وليحذر الوقوع فيه من لم يباشره، وهذا من باب التعريض منه عليه وسلم.»⁽²⁾

د- الإستراتيجية الحجاجية الإقناعية:

- يتوخى المتكلم من استخدام هذه الإستراتيجية تغيير سلوك أو معتقد أو موقف فكري في المتلقي، بنية المتكلم إقناع متلقيه، وهي إستراتيجية تداولية نفعية، من مسوغات الإستراتيجية الإقناعية:
- قوة الإقناع وتأثيره التداولي في المتلقي.
 - إقناع المتلقي هدف المتكلم وقصده.
 - التحاجج وطبيعته في الانتصار لدعوى أو لقضية.
 - تحقيق الإقناع وهو طبيعة في كل خطاب من منظور تداولي.
 - تجسد نتائج المتكلم؛ إذ تستعمل كثيرا في الدعوة، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه.
 - سوء تأويل الخطاب، فيكون الإقناع مدعاة للتأويل الصحيح.

تجسدت هذه الإستراتيجية بما تجسّد في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الإقناع طبيعة وظيفية تداولية يستدعيها كل خطاب يحمل قصدا ونية التأثير في المتلقي، وترد هذه الإستراتيجية غالبا بتضافر الإستراتيجيات

¹ المباركفوري: تحفة الأحوذى: ص: 153

² إدريس مقبول: الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ص: 552، 551.

الأخرى: التوجيهية حجاج ، والتلميح حجاج والتضامن حجاج، ومثالها عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَدَّنَ سَبْعَ سِنِينَ مُحْتَسِبًا كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ.»⁽¹⁾

وردت هذه الإستراتيجية ضمن تركيب شرطي في تضافر مع وظيفة الذيل التوضيحي ممثلاً في لفظة "مُحْتَسِبًا"، ووجه الحجاج أن الرسول ﷺ يعمد إلى إقناع المؤذن احتساباً والبراءة من النار حجة في ذلك، ونتيجة الحجاج الرسول ﷺ يحرص على أداء الأذان بالاحتساب، وهو بذلك متكلم مُحاجج، والمؤذن عامة متلق مُحاجج بمسوغ نفعية طرقي الحجاج .

ومنه نخلص إلى أن:

- تتعالق الوظائف التداولية ونظرية الحجاج في : نوعه ونوع حجته وسياقه وقطبيه.
- تتضافر الوظائف التداولية ونظرية الأفعال الكلامية : في القوى الإنجازية للأفعال والآثار الناجم عن وقوعها .
- تخدم الوظائف التداولية التراكيب وتُحدّد استراتيجيات الخطاب: إن تلميحا أو توجيهيا أو تضامنا أو إقناعا.
- تحقق الوظائف التداولية مقاصد المتكلمين فالبؤرة معلومة بارزة، والمحور محطّ الخطاب، والمبتدأ مجاله، والذيل توضيح له.
- تزخر الأحاديث النبوية بشكل ما هو تداولي وظيفي في تراكيبها.

⁽¹⁾ سنن الترمذي: الجزء الأول، ص:396.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين

بعد هذه الدراسة التداولية الوظيفية لتراكيب الحديث النبوي الشريف، وما أشعته من أنوار لغوية تداولية، ودلالية بلاغية، وتبيان للوظيفة التي تُحال للمُكوّنات اللغوية الخطابية، والقصد من توظيفها في الحقل النحويّ الدلاليّ والتداوليّ، خلّصَ هذا البحث إلى جملة من النتائج الآتية:

- التراكيب اللغوية في الحديث النبوي الشريف ذات أبعاد تداولية وظيفية نفعية، وإن كانت هذه الأبعاد تشمل كلّ تراكيب العربية، إلا أن ما أثرى هذه التراكيب وظيفياً ومقصدياً وإبلاغياً، هو لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وأثرها على النفوس، وكيفية استعمالها الدلاليّ المنقطع ومطابقتها لمقتضى الحال، فأصبحت تراكيب العربية كائناً جديداً متميزاً من المكوّنات والوحدات اللغوية، وقد ألبسها السياق النبويّ حُلّةً وأضفى عليها شحنة، جعلها تتجاوز كونها أصوات؛ فهي تُقنع وتُوجّه وتُجادل وتُعلّم وتُوضّح فاتسعت تراكيبها لتحمل وظائف تداولية و دلالات وفق نظم و سياق وقصد.
- إنّ الحديث النبويّ الشريف خاطب النفوس البشرية بأفخم أساليب الخطاب؛ ففي تراكيبه اللغوية نفعية وفائدة، وفيه ما ترغب به، من خلال نظم الكلام في ترسيخ تعاليم الدين الإسلاميّ ومعاملات المؤمنين في حياتهم؛ فوصف ورعب ورهب ووجه، وعلم وأتب وعاقب وجازى ونصح وأرشد، فهو معجزة لغوية وفن خطابيّ، وبيان بلاغيّ لذا كان أثره مفعولاً.
- قدّم مُفسّروا الحديث النبويّ الشريف وعلماء الأصول تحليلاً تداولياً بامتياز، لاسيّما في البحوث التي تناولت القصد والتبليغ، ونوع الدلالة وقوة التفاعل الخطابيّ بين التركيب بمختلف سياقاته ومتلقيه.
- الحديث النبويّ الشريف تراكيبه ثرية زاخرة بالوظائف التداولية، تناولت جوانب عديدة الدين، والمعاملات، وغيرها...
- اللسانيات التداولية هي الأم الرؤوم للوظائف بأنواعها، وللتراكيب اللغوية في تفاعلها إذ تكمن هذه الفاعلية من جسّر الفجوة بين العبارة ومعنى المتحدث، وهي بمنهجها الوظيفيّ تتجاوز كيان اللغة في وجودها وحيّزها المغلق إلى كلّ ما يحيط بعملية التواصل.
- التداولية مترتبة في ثنايا التراث البلاغيّ العربيّ وفي ما أفاض فيه علماء الأصول والتفسير.

- للتركيب اللغوي والغرض والفائدة علاقة تداولية؛ فكل تركيب منوط بوظيفة تداولية ومقصد وغرض يسعى إليه ومشروط في هذا الوظيفة النحوية والدلالية .
- ومنه تبرز العناصر المؤثرة في التركيب الصّحة النحوية والصّحة الدلالية والإستعمال التّداولي؛ فإنّ نتاج التّركيب يُراعَى فيه الملائمة لدلالة ما بسلطان نحويّ، وتأديّة وظيفيّة تداوليّة .
- لا سبيل لفهم تركيب لغويّ إلاّ بعقد قران مع النّحو والصوت والبناء الصّرفي، ومع الدلالة و التّداوليّة والوظيفة المُدرّجة والمقام.
- التّراكيب اللّغويّة تحكّمها وظيفة ومجال دلاليّ؛ فكل تركيب ينتمي إلى الخطاب العام في نسقه، ولا يُعزل معنويّاً عن بقية التّركيب والوظيفة تُحدّد نوع التّركيب اللّغويّ وتُبيّن القصد؛ إذ تقوم الوظيفة على أسّس ثلاثة: النّظام والإستعمال والتلفظ ، فَيَرِدُ التّركيب أحاديّ الوظيفة ومتعدد الوظيفة، ووظيفة التّراكيب اللّغويّة تحكّمها قوى ثلاث: قوة الإدراك، وقوة الانفعال، وقوة الإرادة.
- الوظيفة جهاز كاشف لمقاصد المتكلم، وللأهداف التّخاطبيّة، وبهذا يحصلُ الفهمُ والإفهامُ.
- الوظائف اللّغويّة أنواع : وظائف نحوية ووظائف دلالية ووظائف تداولية تعمل في تضافر وتكامل.
- اتّسعت الوظيفة في اللّغة حتّى صارت واقعا، وإنّ المنحى الوظيفيّ لُغّة اتّخذ فرعا جديدا يُعرف بالنّظريّة الوظيفيّة، تتضافر ونظريات التّداوليّة: نظريّة التّواصل ، ونظريّة الحجاج ، ونظريّة الأفعال الكلاميّة ، ونظريّة الإستراتيجيات التّخاطبيّة فالوظيفة نظريّة وقانونها التّفعيّة.
- تتضافر الوظيفة التّداوليّة والوظائف النّحويّة والدلاليّة في استعمال التّراكيب نحويا بدلالات مختلفة لأغراض مقصودة، وهذا ما يُعرف بالمواضعة، وهي مدى استعمال هذا التّركيب اللّغوي بوظائفه النّحويّة والدلاليّة؛ إذ ينطلق التّركيب اللّغويّ في آداء الوظيفة النّحويّة من المفردات إلى الجملة الواحدة ، والنّحو رشيدُ المتلقي إلى المعاني المقصودة.
- الفاعليّة والمفعوليّة وظيفتان نحويتان، ويعملان في التّراكيب اللّغويّة وفق قرائن لفظيّة ومعنوية، وتتفرع منها التّراكيب إلى تركيب اسميّ ، وتركيب فعليّ، وتركيب بسيط وتركيب مركب ... وتُسنَد الوظائف النّحوية إلى مُكونين حاملين لوظيفة دلاليّة .

- إنَّ الوظيفة بطابعها التَّحويليِّ الدلاليِّ التداوليِّ هي المعنى المٌحصَّل من استخدام الألفاظ الكلامية في التَّركيب اللُّغويِّ.
- الوظائف الدلالية هي المُنشأ للقصود؛ إذ تنظر في كميَّات تركبهِ وقواعده، ومن وجهة نظر وظيفية لا غنى للوظائف الدلالية عن التَّحو والتداولية ، فالأول قانونها والثانية استعمالها.
- تكمن وظيفية الدلالة في مزج المعاني لدى التَّركيب في قوالب صالحة للاستعمال التواصلي، ويتوصل لها ضمن الهندسة التَّحوية، فهي نسق ذهني وليست جزءاً من اللُّغة.
- وظيفة المنفذ والمتقبل إجباريتان لا يصحُّ التَّركيب اللُّغويِّ دونها، وتعمل الوظائف الدلالية على أساس هما القضية والوجه، داخل البنية الحملية.
- يقع عقد التَّضافر الوظيفي على عاتق الوظائف التداولية بينها وبين الوظائف التَّحوية والدلالية.
- الوظائف التداولية تتعلق بالمقام في بُعديه المقاليِّ والمقاميِّ، وتسعى الوظائف التداولية إلى إحراز كفايتين كفاية لغوية وكفاية إجرائية ضمن نظرية التَّحو الوظيفيِّ ، فلا يمكن عزل التداول الوظيفي عن الوظائف والمكونات الأخرى سواء أكانت تركيباً أم دلالةً، ولهذا تُوسِّم الوظائف التداولية بالشمولية لسعيها في إنجاح التَّواصل ، فالوظيفة التداولية ترتبط بالقصد، وهو أسبق من التَّركيب اللُّغويِّ، فوظيفة البؤرة هي المعلومة الأبرز، ووظيفة المحور تُشكِّلُ التَّركيب، ووظيفة المبتدأ مجال التَّركيب والذيل وظيفة توضيح وتعديل التَّركيب، والوظائف الخارجية ليست مستقلة بخارجيتها فلها علاقة نسبية بالحمل .
- تتجسد الوظائف بأنواعها في التَّراكيب الإنشائية والخبرية، وهي تراكيب بقوى إنجازية وهي أصلية وفرعية.
- تتعلق الوظائف التداولية بالأفعال الكلامية تأثيراً وإنجازاً، كما تعقدُ الوظائف التداولية تضافراً والحجاج بالنظر إلى نوعه والحجج المُعوَّل عليها في التراكيب اللُّغوية لاستمالة المتلقي أو إقناعه أو تعبير سلوكه أو معتقده، وتتضافر الوظائف التداولية والاستراتيجيات التَّخاطبية في التلميح والتوجيه والتضامن والإقناع .
- التَّركيب اللُّغويِّ تتضافر فيه الوظائف التداولية والتَّحوية والدلالية والأفعال الكلامية والحجاج استراتيجية خطابية، لتقيق نفعية مكوناته المقام والقصد والسِّياق والهدف .

وقد بدا هذا من خلال الدراسة التطبيقية الوظيفية للتركيبة النبوية الشريفة داخل لغة الرسول صلى الله عليه وسلم المحجزة ؛ فتراكيبه اللغوية عليه وسلم نظم راق لمعانٍ تصيب موضعا في النفس وأثرا إنجازيا في الواقع.

وبعد فالأطروحة محاولة لتتبع وظيفية التراكيب اللغوية في الحديث الشريف، وكشف الوظائف التداولية والدلالية والنحوية فيها، مع كشف القصود والأهداف.

فإن وفقتُ إلى ما سَعَيْتُ إليه فبفضل الله وحده ، وإن كانت الأخرى، فلي من سلامة القصد خير عذير.

وأسأل الله أن يوفقني لخدمة لغة الإسلام ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم، دار الفجر الاسلامي، الطبعة العاشرة، دمشق: 1423هـ-2002م.

❖ الكتب العربية:

- إبراهيم مصطفى:

1. إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1959.

- أحمد كروم:

2. مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2015.

- أحمد محمد قدور:

3. مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.

- أسامة كامل جرادات:

4. الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

- أستيقي سمير شريف:

5. اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، دار جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 2008.

6. منازل الرؤية، منهج تكاملي في قراءة النص، دار جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن.

- إسماعيل عبد الحق صلاح:

7. النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2002.

8. نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية سسعودية للطباعة والنشر، القاهرة، 2005.

- الأوراغي محمد:

9. الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2001.

10. نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2010.

- أوكان عمر:

11. اللغة والخطاب، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001.

- آيت أوشان علي:

12. اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، الأسس المعرفية والديداكتية، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1998.

- بركة فاطمة الطبال :

13. النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1993.

- بلخير عمر:

14. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2003.

- بلعيد صالح:

15. التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، د.ط، الجزائر، 1994، ديوان المطبوعات الجامعية.

- بوجادي خليفة:

16. اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.

– بوقرة نعمان:

17. المدارس اللسانية المعاصرة، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة.

– الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) :

18. سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، الجزء الأول، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ، 2005م.

– تعزاوي يوسف:

19. الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، دار عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، 2004.

– تمام حسان:

20. الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، د.ط، القاهرة، 2000.

21. البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني - عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413، 1993.

22. اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة: 1994.

23. مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990.

– الجابري محمد عابد:

24. بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية، مرطز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة السابعة، 2004.

– ابن جنى (أبو الفتح عثمان):

25. الخصائص، دار الكتب المصرية، تحقيق: محمد عليّ النجار، الطبعة الثانية.

- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر):

26. البيان والتبيين، تحقيق محمد هارون عبد السلام، الطبعة السابعة، الجزء الأول، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.

- الجرجاني عبد القاهر:

27. دلائل الإعجاز، تعلق محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة.

- الجواري أحمد عبد الستار:

28. نحو المعاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، 1978.

- الجويني مصطفى:

29. الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.

- الحاج ذهبية حمو :

30. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل في الدرس اللغوي القديم، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، 2009.

31. التداولية وإستراتيجية التواصل، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015.

32. اللسانيات وتداولية الخطاب، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005.

- حامد عبد السلام السيد :

33. الشكل والدلالة -دراسة نحوية للفظ والمعنى- دار غريب، 2002.

- الحباشة صابر:

34. الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2010.

35. لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010.

36. مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية-قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2011.

37. من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، 2009م.

- حسنين صلاح الدين صالح:

38. الدلالة والنحو، توزيع مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.

- حسين عبد القادر:

39. أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.

- حشاني عباس :

40. خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014.

- حميدة مصطفى:

41. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لوانجمان، الطبعة الأولى، 1997.

- الحميري عبد الواسع :

42. ما الخطاب وكيف نحلله؟، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد)، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

- خطابي محمد:

43. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.

- الخطيب عبد اللطيف محمد، سعد عبد العزيز مصلوح:

44. نحو العربية، الجزء: الثالث، دار العروبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2001.

- خمري حسين:

45. نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2007.

- خورما نايف:

46. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة سبتمبر (أيلول) الكويت، 1987.

- الخولي محمد علي:

47. علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة، 2001.

- الدخيل معاذ بن سليمان:

48. منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى، 2014.

- الدريدي سامية:

49. الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنياته وأساليبه، عالك الكتب الحديث، الطبعة الأولى، 2008.

- الرافي مصطفي صادق:

50. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1983،

- رايح نور الدين:

51. نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، مطبعة سايس، فاس، الطبعة الأولى، 2007.

- الرحالي محمد:

52. تركيب اللغة العربية، مقارنة نظرية جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2003.

- الزهري نعيمة:

53. الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، مطبعة المعارف، الجديدة، الرباط، 1997.

- ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي):

54. الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة.

- الساقى فاضل مصطفى:

55. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977..

- السامرائي فاضل صالح:

56. الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الطبعة الثانية. 2007.

57. الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.

- السعران محمود :

58. اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1963 .

- السكاكي (أبو يعقوب بن محمد بن علي):

59. مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

- سلامة موسى:

60. اللغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى للنشر والتوزيع، دار ومطابع المستقبل بالعجالة والإسكندرية ومكتبة المعارف بيروت، الطبعة الأولى، 1945

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان):

61. الكتاب، الجزء الأول، تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1988م، 1408هـ.

- السيد عبد الحميد مصطفى:

62. دراسات في اللسانيات العربية -بنية الجملة العربية- التراكيب النحوية والتداولية- علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2004.

- الشهري عبد الهادي بن ظافر:

63. إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004.

- الصادق خليفة راشد:

64. دور الحرف في أداء معنى الجملة، جامعة قان يونس، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 1996.

- صالح محمد سالم:

65. الدلالة والتعميد النحوي، دراسة في فكر سيوييه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008.

- الصبان (أبو العرفان محمد بن علي) (ت 1206):

66. حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، 1427هـ.

- صحراوي مسعود:

67. التداولية عند العرب، دراسة تداولية، لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تموز، يوليو، 2005.

- الصغير محمد حسين :

68. الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي بيروت، لبنان، الطبعة 1، 2000.

- صمود حمادي:

69. من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1999.

- صولة عبد الله:

70. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2007.

71. في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، الناشر، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011.

- الطبطبائي السيد هاشم :

72. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.

– الطلبة محمد سالم محمد الأمين:

73. الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2008،

– عبادة محمد إبراهيم:

74. الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، الناشر المعارف، الإسكندرية، 1988.

– عبد الرحمان طه:

75. التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة ابن زهر.

76. اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1997.

77. في فصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت.

– عبد العزيز محمد حسن:

78. مدخل إلى علم اللغة، دار النمر للطباعة، القاهرة، د.ط، 1983.

– عبد اللطيف محمد حماسة:

79. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000.

– عبد المجيد جميل:

80. البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.

– العزاوي أبو بكر:

81. اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، الطبعة الأولى، 2006.

- عزيز كوليزار كاكل:

82. القرينة في اللغة العربية، دار دجلة، عمان، الطبعة الأولى، 2009.

- العسكري أبو هلال:

83. الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981.

- عكاشة محمود:

84. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، الطبعة الأولى، 2005.

- عمايرة خليل أحمد:

85. في نحو اللغة العربية وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، 1984.

- العمري محمد:

86. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1996.

- العموش خلود:

87. الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من صورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2008.

- عودة خليل أبو عودة:

88. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، 1991.

- العياشي أدراوي:

89. الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات لنوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2011، الرباط.

- عيساوي عبد السلام:

90. العلاقات المعنوية في البنية النحوية مقارنة لسانية، جامعة منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2010.

- غاليم محمد:

91. النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، مبادئ وتحليل جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2007.

- الغزالي عبد القادر :

92. اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى، 2003.

- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا) (ت 395هـ):

93. الصاحبي في اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997.

- أبو الفتوح محمد حسين:

94. أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1995.

- فاخوري عادل:

95. علم الدلالة عند العرب - دراسة مقارنة مع السِّيَمَاء الحديثة - دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1985.

- فجال محمود:

96. الحديث النبوي في النحو العربي، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، 1997.

- فضل صلاح:

97. إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى.

98. بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، 1992.
99. نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- ابن القيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر):
100. إعلام الموقعين عن رب العالمين الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الجديدة، 2003.
- القاضي عبد الجبار:
101. المغني في أبواب التوحيد والعدل، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الجزء السابع عشر، هـ، 2014.
- قباوة فخر الدين:
102. مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2003.
- القرضاوي يوسف:
103. كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، دار المعرفة، الدار البيضاء.
- الكتابي محمد:
104. جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.
- الكشميري (محمد أنور شاه ابن معظم شاه):
105. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، الجزء 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004.

- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني):

106. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993.

- لاشين عبد الفتاح:

107. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1980.

108- من بلاغة الحديث، شركة مكنتات عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1982.

- لعبيدي منية:

109. التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف 1983، منشورات علامات، مكناس، المغرب، الطبعة الأولى، 2013.

- ابن منظور (محمد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدين الأنصاري):

110. لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.

- أبو موسى محمد محمد:

111. خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1996.

- المباركفوري (الحافظ أبو العلي محمد عبد الرحمان بن عبد الرحيم):

112. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- المبخوت شكري:

113. الاستدلال البلاغي: دار المعرفة والنشر بجامعة منوية، تونس، الطبعة الأولى، 2006.

114. نظرية الأعمال اللغوية، مسكيليانى للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2008.

- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد):

115. المقتضب، دار النشر: وزارة الأوقاف ولجنة إحياء الإسلام، الطبعة الأولى، تحقيق، محمد عبد الخالق
عضيمة، القاهرة، 1994.

- المتوكل أحمد:

116. الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى،
2010.

117. الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى، 1985.

118. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي، لا التداولي)، دار الأمان،
الرباط، 1995.

119. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، الطبعة الأولى 1993.

120. التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2005.

121. الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الطبعة الأولى، 1988.

122. اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.

123. اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2012.

124. اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989.

125. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2006.

126. الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، مطبعة الكرامة، الطبعة الأولى، 2003.

127. الوظيفة والبنية - مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية-، منشورات عكاظ، الرباط، 1993.
128. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 1986.
129. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط.
130. من البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1997.
- المخزومي مهدي :
131. في النحو العربي - نقد وتوجيه- درا الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م.
132. .. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحور، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1986.
- المسدي عبد السلام :
133. الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، طرابلس،
134. التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتعددة، بيروت، 2009.
135. اللسانيات وأسسها المعرفية، المطبعة العربية تونس، الطبعة الأولى، 1997.
- مفتاح محمد:
136. تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 1992.

- المنصف عاشور:

137. التركيب عن ابن المقفع في مقدمات كتاب كلية ودمنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1982.

- منصور عبد المجيد سيد:

138. علم اللغة النفسي، الطبعة الأولى، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، السعودية، 1982.

- المهيري عبد القادر:

139. أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس ، 1986 .

- ميلاد خالد:

140. الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة.

- ابن الناظم (أبو عبد الله بدر الدين):

141. شرح الألفية بن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد، دار الجيل، بيروت، 1998.

- النجار نادية رمضان :

142. الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، كلية الآداب جامعة حلوان، الطبعة الأولى، 2013.

- النحاس مصطفى:

143. دراسات في الأدوات النحوية، شركة الربيعان، الكويت، الطبعة الأولى، 1979.

- نحلة محمود أحمد:

144. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.

145. نظام الجملة في شعر المعلقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

- نظيف محمد:

146. الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار إفريقيا الشرق، 2010.

- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المصري):

147. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، الجزء الثاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. 1991م.

- وهبة مجدي ، كامل المهندس:

148. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1984.

- ابن يعيش موفق الدين (أبو البقاء يعيش بن علي الموصلية):

149. شرح المفصل للزحشري، دار الكتب العلميّة، بيروت.

- يقطين سعيد:

150. تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 2005.

- يوسف عبد الفتاح أحمد:

151. اللسانيات والخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2010.

- يوسف عبد الكريم محمد:

152. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه - إعرابه، مطبعة الشام، الطبعة الأولى، 2000.

- يونس محمد محمد علي:

153. المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2007.

154. علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، 2006، إفرنجي، الطبعة الأولى، 2006.
155. مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004.
156. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، المتحدة، الطبعة الأولى، 2004.

❖ الكتب المترجمة:

– أ. مولز – ك – زيلتمان، ك – أويكيوني:

157. في التداولية المعاصرة والتواصل، فصول مختارة، ترجمة وتعليق: محمد نظيف، دار إفريقيا للشرق، 2014.

– باتريك شارودو:

158. الحاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة: أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، 2009.

– جاك موشلار، وآن روبول:

159. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة، سيف الدين دغفوس، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تموز/يوليو، 2003.

160. القاموس الموسوعي للتداولية، ، ترجمة: عدد من الأساتذة والباحثين، بإشراف د. عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.

– جفري سامسون:

161. مدارس اللسانيات السابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، النشر مطابع جامعة الملك سعود، 1994.

- جون لانكشو أوستين:

162. نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991.

- راي جاكندوف:

163. علم الدلالة والعرفانية، ترجمة: عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.

- رومان جاكسون:

164. قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنوز، الطبعة الأولى، 1988، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.

- ستيفين أولمان:

165. دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، دار الطباعة القومية، القاهرة، 1962.

- فان دايك:

166. النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2013.

167. علم النص - مدخل متداخل الاختصاصات - ترجمة سعيد بحيري، الطبعة الأولى، مصر، 2001، دار القاهرة للكتاب .

- فرانسواز أرمينكو:

168. المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، الحديثة للنشر والتوزيع، الدا البيضاء، الطبعة الأولى، 1987

- فيكتور خراكوفيسكي:

169. دراسات في علم النحو العام والنحو العربي، ترجمة جعفر دك الباب، الجمهورية العربية السورية، مطابع مؤسسة الوحدة، 1982.

- فيليب بلانشيه:

170. التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، الطبعة الأولى، 2007، دار الحوار للنشر والتوزيع.

- نعوم تشومسكي :

172. جوانب من نظرية النحو ترجمة: مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، د. ط، 1985.

173. المعرفة اللغوية (طبيعتها وأصولها واستخدامها)، ترجمة محمد فتوح دار الفكر ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993.

- هنريش بليث:

174. البلاغة نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1999.

❖ المراجع الأجنبية:

175. **Perelman et Tyteca : Traité de l'argumentien**

Bruxelles.

176. **E mile Benvinist: Problémede Linguistique générale.**

Edition Gallimard .

❖ المجلات والدوريات:

- بوقرة نعمان:

177. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد: 17.

- حسن فالح:

178. التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبيا، مجلة الأقلام، عدد خاص عن التداولية، أيلول/ تشرين

الأول- 2008 /05.

- الدايم صابر عبد:

179. من أهم الملامح الفنية في الحديث الشريف، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الثالث، رابطة

الأدب الإسلامي العالمية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.

- رشيد بن حدو:

180. قراءة في القراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 48، 49، 1988.

- الزرقاء مصطفى:

181. مقارنة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن، مجلة الأدب الإسلامي، العدد السابع، السنة الثانية، 1995،
رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مطابع مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الطائي معن:

182. التداولية منهجا نقديا، مقال، جريدة الأديب، العدد (58)، للسنة الثانية بغداد: 2005م.

- العبد محمد:

183. تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول، العدد: 65، خريف: 2004، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- العقيدى جنان محمد مهدي:

184. لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي، العدد الخاص الثاني، السنة الثانية،
1434هـ/2013م.

- عليان يوسف سليمان:

185. البعد التداولي عن الأصوليين، ابن القيم الجوزية في كتابه ” بدائع الفوائد ” أنموذجا - مجلة جامعة أم القرى
لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 53، رمضان 1432هـ/ جامعة الملك خالد، كلية العلوم والآداب.

- فضل صلاح :

186. علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، المجلد السابع، العدد الأول، مصر، 1984.

- مقبول إدريس:

187. الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد (2/15)، المجلد الثامن،
1435 هـ

- منور أحمد :

188. مفهوم الخطاب الشعري عند رومان جاكسون من خلال كتابه: مقالات في الألسنية العامة، مجلة اللغة والأدب، العدد الثاني 1994، جامعة الجزائر.

- يحياتن محمد :

189. الأصالة في نظر رضا مالك، تحليل الخطاب من خلال الحديث أو التلفظ (مقال)، مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة، الجزائر، العدد: 14، ديسمبر 1999.

- يونس محمد محمد علي :

190. بحث أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 32، العدد الأول، 2003.

❖ الرسائل والأطاريح:

- بعيطيش يحي:

191. نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، مخطوط، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2005، 2006

- الديناوي حيدر جاسم جابر:

192. القصدية وأثرها في توجيه الأحكام النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه، مخطوط، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2015.

- سرحان إدريس:

193. طرق التضمن الدلالي والتداولي في اللغة العربية، رسالة دكتوراه، مخطوط، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2000.

- علي أحمد خضير عباس:

194. أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، رسالة دكتوراه، مخطوط، جامعة الكوفة، 2010.

فهرس الموضوعات

الصفحة	
أ	المقدمة.....
06	- التمهيد: بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم.....
07	1 جلاغة التراكيب في الحديث النبوي الشريف.....
08	2 خواص التراكيب اللغوية النبوية الشريفة.....
19	- الفصل الأول: تداولية التراكيب اللغوية:.....
21	1 - التداوليّة.....
25	2 - التداوليّة عند البلاغيين العرب.....
32	3 - التّركيب اللّغويّ.....
40	4 - الوظيفيّة والتداوليّة.....
50	5 - أنماط الوظائف اللّغويّة .
52	1 5 4 - الوظائف الدلاليّة.....
53	1 5 2 - الوظائف النحويّة.....
55	1 5 3 - الوظائف التداوليّة.....
56	1 - الوظائف الداخليّة:.....
58	2 - الوظائف الخارجيّة:.....
63	6 - المدرسة الوظيفيّة.....
65	7 - النظرة الوظيفيّة للجُملة (التّركيب).....
66	8 - الوظائف اللّغويّة عند: "رُومان جاكسون".....
72	9 - نظريّات ومفاهيم وظيفيّة تداوليّة.....
72	1 - نظرية التواصل.....
75	2 - نظرية التلّفظ.....
79	3 - نظرية الأفعال الكلاميّة.....
87	4 - نظرية الحجاج.....
97	10 - إستراتيجيات التّركيب .
98	10 4 - ثنائيات الإستراتيجية الخطابيّة.....

98	1 - ثنائية (الإستراتيجية والخطاب).....
99	2 - ثنائية (الإستراتيجية والوظيفة).....
100	3 - ثنائية (الإستراتيجية والتركيب).....
100	4 - ثنائية (الإستراتيجية والمقصد).....
101	5 - ثنائية (الإستراتيجية والمتلقي).....
102	6 - ثنائية (الإستراتيجية والحجاج).....
102	7 - ثنائية (الإستراتيجية والمقام).....
104	10 2 - أنواع الإستراتيجيات.....
106	أ - الإستراتيجية التضامنية.....
107	ب - الإستراتيجية التوجيهية.....
108	ج - الإستراتيجية التلميحية.....
109	د - الإستراتيجية الإقناعية الحجاجية.....
112	الفصل الثاني: الوظائف النحوية في تراكيب الحديث الشريف ..:
114	1 - النحو بين البلاغة والتداولية.....
116	2 - علم النحو.....
116	3 - الجملة والمنهج الوظيفي.....
121	4 - تراكيب الحديث النبوي الشريف: وظائف ومقاصد.....
122	5 - الوظيفة النحوية والعلاقة الإسنادية.....
122	أ - التركيب الإسنادي الاسمي.....
137	ب - التركيب الإسنادي الفعلي.....
139	1-5- الوظيفة النحوية الفاعلية.....
139	2-5- الوظيفة النحوية المفعولية.....
150	6 - الوظيفة النحوية من منظور القرائن اللغوية.....
150	1-6-2- القرائن المعنوية:.....
150	1 - قرينة التخصيص:.....
156	2 - قرينة التبعية:.....
156	أ - التعت.....

157	ب - العطف.....
185	ج- التوكيد.....
159	د- البدل.....
160	3 - قرينة النسبة:.....
161	أ - قرينة الإضافة.....
162	ب - قرينة حرف الجر.....
164	2-2-6-2- القرائن اللفظية:.....
165	1 - العلامة الإعرابية.....
174	2 - قرينة الرتبة والوظيفة التحوية.....
175	أ - الرتبة المحفوظة.....
178	ب - الرتبة الحرة:.....
184	3 - قرينة الربط:.....
186	4 - قرينة التضام:.....
190	5 - قرينة الأداة:.....
193	6 - قرينة الصيغة:.....
196	7 - قرينة التنعيم:.....
197	أ - نعمة صاعدة.....
198	ب - نعمة هابطة:.....
200	ج - نعمة مستوية:.....
203	الفصل الثالث: الوظائف الدلالية في تراكيب الحديث النبوي الشريف:..
204	1 - الدلالة الوظيفية:.....
208	2 - الوظيفة الدلالية والسياق:.....
211	3 - علاقات الوظائف الدلالية:.....
2122	4 - الوظائف الدلالية: الدور والمستوى:.....
215	5 - مكونات الوظائف الدلالية: تمثيل وتطبيق:.....
218	6 - تصور "راي جاكندوف" للوظائف الدلالية:.....
221	1 - وظيفة الحدث:.....

222 2 - وظيفة المكان:
223 3 - وظيفة المسار:
224 4 - وظيفة الحالات:
229 7 - تصوّر "أحمد المتوكل" للوظائف الدلالية:
233 أ - مكونات الوظائف الدلالية:
238 ب قوى الحدود:
238 1 - قوة الحد الإحالية:
240 2 - قوة الحد التخصيصة:
247 3 - قوة الحد التوجيهية:
255 8 - أنماط الجمل والوظائف الدلالية:
257 1 - الجملة الفعلية الوظيفية الدلالية:
261 2 - الجملة الاسمية والوظيفة الدلالية:
264 3 - الجملة الرباطية والوظائف الدلالية:
265 أ - الجملة الرباطية: تخصيص المحمول الفعلي:
266 ب - الجملة الرباطية: تخصيص المحمول غير الفعلي (الاسمي):
269 4 - الجملة البسيطة والمركبة والوظائف الدلالية:
269 أ - الجملة البسيطة:
271 ب - الجملة المركبة:
277 الفصل الرابع: الوظائف التداولية في تراكيب الحديث النبوي الشريف:
279 1 للتظريئة الوظيفية: الكفايات والملكات.....
284 2 تراكيب الحديث الشريف: وظائف تداولية وتضافر وظيفي.....
284 1-2- الوظائف الداخلية.....
284 أ - وظيفة البؤرة:
292 ب - وظيفة المحور:
299 2-2- الوظائف الخارجية.....
300 أ - وظيفة المبتدأ:

305	ب - وظيفة الذيل:.....
309	ج- وظيفة المنادى:.....
315	3 التراكيب الإنشائية : تحليلٌ وظيفيٌ واستعمالٌ نفعيٌ.....
316	1 - الوظائف التداولية في التراكيب الإنشائية الطلبة:.....
316	أ - وظيفة التركيب الاستفهامي:.....
321	ب - وظيفة التركيب الأمري:.....
328	ج- وظيفة تركيب النهي:.....
331	د- وظيفة التركيب التداولي:.....
332	هـ- وظيفة تركيب التمني:.....
336	4 للوظائف التداولية: نظرياتٌ وعلاقاتٌ.....
337	1-4- وظيفة الحجاج في تراكيب الحديث الشريف.....
343	2-4- وظيفة الأفعال الكلامية في تراكيب الحديث الشريف.....
349	3-4- وظيفة الإستراتيجية الخطابية في تراكيب الحديث الشريف.....
352	أ - الإستراتيجية التضامنية:.....
355	ب - الإستراتيجية التوجيهية:.....
358	ج- الإستراتيجية التلميحية:.....
359	د- الإستراتيجية الحجاجية الإقناعية:.....
361	خاتمة.....
365	قائمة المصادر والمراجع.....
390	فهرس الموضوعات.....
395	الملخص.....

--	--

الملخص

يُعَدُّ نظْمُ الحديثِ الشَّرِيفِ أساسَ الإعجازِ فيه ، فلغةُ الحديثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ من أبلغِ وأفصحِ التَّرَاكيبِ اللُّغَوِيَّةِ بيانا وإصابةً لعينِ المعنى ، والرَّسُولِ ﷺ أَوْثِيَّ جوامعِ الكَلِمِ فلم تعرفِ العربُ أبَيَّنَ منه لغةً ، ولا أبدَعَ تركيباً ولا أقوى حجَّةً.

البحثُ يُعْنَى بدراسةِ التَّرَاكيبِ اللُّغَوِيَّةِ في الاستعمالِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ دراسةً وظيفيَّةً ، لأنَّ التَّرَكيبَ تُساوِقه وظائفُ ثلاثٌ : نحوِيَّةٌ ودلاليَّةٌ وتداوليَّةٌ ، ويسعى للكشفِ عن مدى تضافرِ الوظائفِ الثلاثِ في توصيلِ القُصودِ وتحقيقِ الأغراضِ ، بمعنى أن تُرَدِّفَ الوظيفةُ بالتَّرَاكيبِ اللُّغَوِيَّةِ بالاستعمالِ النَّبَوِيِّ في حقلها نحواً ودلالةً وتداولاً ، هذا من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى يُعْنَى البحثُ بدراسةِ علاقاتِ الوظيفةِ في التركيبِ النَّبَوِيِّ ، فهي تعقدُ تضافراً مع نظرياتِ تداوليَّةٍ في سبيلِ تجسيدِ نفعيَّةِ التَّرَكيبِ المستعملِ ، ومن هذه النظرياتِ : نظريةُ الحِجَاجِ ونظريةُ الأفعالِ الكلاميةِ والإستراتيجيَّةِ التَّخاطبيَّةِ ، ويكشفُ البحثُ عن منهجِ الرَّسُولِ ﷺ في سُبُلِ استعمالاته للتَّرَاكيبِ اللُّغَوِيَّةِ إن إخباراً أم نهيّاً أم أمراً أم استفهاماً أم نداءً أم قسماً... وعن عبقريةِ الإنتاجِ الكَلِمِ العربيِّ ، وعن بدائعِ النَّظْمِ النَّبَوِيِّ وروائعه ، فكان بحثِّفي :

التَّرَكيبُ اللُّغَوِيُّ فِي سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ أَنْمُودَجاً - دِرَاسَةٌ فِي الْوُضُوفَةِ التَّدَاوِلِيَّةِ -

قوامُ هتمهيدٍ وفصلٍ نظريِّ ، وفصولٍ ثلاثةٍ تطبيقيَّةٍ وخاتمةٍ : أمَّا التَّمهيدُ فَخُصِّصَ لبلاغةِ الرَّسُولِ ﷺ وبيانِ خواصِ التركيبِ النَّبَوِيِّ ، وجُعِلَ الفصلُ الأولُ لبيانِ تداوليَّةِ التَّرَكيبِ اللُّغَوِيِّ ، وتناولِ الفصلِ الثاني تطبيقيّاً الوظائفِ النحوِيَّةِ في تراكيبِ الحديثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ من منظورِ القرائنِ اللُّغَوِيَّةِ ، أمَّا الفصلُ الثالثُ فعالجِ الوظائفِ الدلاليَّةِ في التركيبِ النَّبَوِيِّ ، أمَّا الفصلُ الرابعُ كان لدراسةِ الوظائفِ التَّدَاوِلِيَّةِ في تراكيبِ الحديثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وعلاقاتِ الوظائفِ بالحجَاجِ والفعلِ الكلاميِّ والإستراتيجيَّةِ التَّخاطبيَّةِ.

The immitability basis in the prophetic Hadith exists in its elaboration. The language of the prophetic Hadith is one of the most eloquent linguistic structures to convey the meaning. The messenger, peace be upon him, was given the whole language speech. No Arab was given such gift in etequence and evidence power.

This research examines the study of linguistic Structurings in prophetic use as a functional one, for the struiturings go along in context with pother three functionions : grammatical, semantical and pragmatical. It seeks to show to what extent the three previous functions contribute to convey the messages and reach the aims ;ei. to gather the function, the linguistic structures and the prophetic use in its context : grammatically semantically and pragmatically from one side . From the other side this research examines the functionality relationships in the prophetic structuring. It makes a cooperation with pragmatics theories in view to fulfill the usefulness of the practical structure. Among such theories we should mention the followings : the argumentative , the speech verbal and the strategic discourse ones. The research unveils the prophetic procedure in its use of linguistic, structures for informing, negating, commanding, questioning, calling or swearing. To unveil also the Arabic speech productive genius. And prophetic speech eleboration masterpieces.

This ressearch concerns :

The linguistic Structurings in Sounen Termoudhi, part One (Sample). Study in pragmatic function .

This reearch is based upon :

Preface and a theoretical Chapter, and three practical chapters, and a conclusion. The introduction , considers the prophet eloquence and the characteristic of prophetic structuring.

Chapter One considers the pragmatics of linguistic structuring.

Chapter Two studies practically the grammatical functions in the prophetic Hadith structurings related to linguistic arguments.

Chapter Three examaines the semantical function in prophetic Hadith structures and the relationships between function ,argumentation , the verbal and strategic discourse action.